



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة باتنة -01- الحاج لخضر
كلية اللغة والأدب العربي والفنون
قسم اللغة والأدب العربي



الدلالة النحوية للأبنية التركيبية في ديوان "البرزخ والسكين" لعبد الله حمادي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم فرع: اللغة والأدب العربي. تخصص: لغة

إشراف الأستاذ الدكتور:

إعداد الطالب:

- بقاسم دفة

- عبد الله باوني

السادة أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
01	جودي مرداسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة -01-	رئيسا
02	بلقاسم دفة	أستاذ التعليم العالي	جامعة باتنة -01-	مشرفا ومقررا
03	يحي بن مخلوف	أستاذ محاضر	جامعة باتنة -01-	عضوا مناقشا
04	الأمين ملاوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	عضوا مناقشا
05	سليمان بوراس	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	عضوا مناقشا
06	صورية جغبوب	أستاذ محاضر	جامعة خنشلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1440-1441هـ/2019-2020م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ

فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

سورة الرحمن الآية [من 19 إلى 21]

شكر وتقدير

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير و عرفاني بالفضل الكبير إلى الأستاذ المحترم:
الدكتور "بلقاسم دفة" لتفضله بالإشراف على هذه الأطروحة، كما أتقدم ببالغ
شُكري وامتناني للأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة الذين تحملوا عناء
قراءة الرسالة وتصويب أخطائها.
كما أسجل شكري البالغ لمن أسهم في رؤية هذه الأطروحة النور ولو بكلمة
تشجيع بسيطة.

الباحث

إهداء

إلى من غرسا في قلبي معاني الصبر والمحبة والعطاء والقيم النبيلة، ومنحاني
من الحب والعناية ما أنار طريقي، وسهل لي دروب الحياة والتغلب على شدائدها...
والديّ العزيزين.

إلى من فمها الإعراب حين نعرب وحين لا نعرب... لغتنا الجميلة.
إلى أهلي جميعا... عذراً عمّا أخذته من حقكم في الصحبة....

عبد الله باوني

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وهبنا اللسان وعلّمنا البيان وأكرمنا بالجنان وشرفنا بالقرآن، لقد تناول الدارسون اللغة بالدرس والتحليل منذ أزمان بعيدة، فحاولوا البحث في أصلها وسر نشأتها فلم يقدروا، فانتقلوا إلى التفكير في مظاهرها المحسوسة متمسكين جوانبها التطبيقية وحققوا انتصاراً كبيراً تمثل في تجاوز مشقة الكتابة التصويرية والحصول على نظام رمزي أفضل للكتابة، الأمر الذي دفعهم إلى تحد أصعب تمثل في معالجة مظاهر اللغة الخفية، محاولين استقراء مادة اللغة نفسها وتحليلها، قصد اكتشاف بنيتها ونظامها الخفيين وما يرتبط بهما من دلالات مختلفة، إلا أن ذلك التحدي استمر إلى يومنا هذا محفزاً على مزيد الدرس والتحليل رغم ما قدم من إجابات تضمنتها بحوث ودراسات متعددة في أكثر اللغات البشرية التي تناولت خاصة مسألة القدرة الإنسانية على الكلام وكيفية تحقيقه للعبارات المختلفة اللامتناهية عبر وحدات متناهية.

تمكنت تلك الدراسات والبحوث المتنوعة من تحقيق إنجازات معرفية كبيرة ساهمت فيها التراكمات المعرفية لحضارات أقوام من جنسيات مختلفة، كما خصت بتسميات مختلفة عبر تلك الحقب، مثل: علم النحو، علم اللغة، اللسانيات... وإلى جانب أهمية تلك المنجزات للقدمات فإن هناك أيضاً ضرورات منطقية ومنهجية أخرى تؤكد بإلحاح على اعتماد رؤية هذا القديم، فالنحاة العرب الأوائل مثلاً انتبهوا إلى أن النظام النحوي للغة من أهم الظواهر الداعية إلى ضرورة التأمل والتفكير في الكون ونظامه ابتداءً من التراكيب البسيطة التي ينشئها الإنسان نفسه، وانتهاءً بآفاق الكون الواسعة مستنيرين باستقراء وجوه النص القرآني، مكتشفين شبيهاً كأننا بين تلك الأنظمة المبنوثة في تلك التراكيب والإنشاءات البسيطة والمعقدة منها، والتي وإن أبلى العلماء جوانبها بحثاً ودراسة إلا أنها لا تزال نأياً بعيداً، كما أنها تعكس دلالة متضمنة في ثنايا تلك التراكيب والمباني، لا يمكن أن يقف عند دلالاتها إلا من أعمل فكره واسترشد بدلالات تلك النهايات النظرية المقررة وقيمة تلك النواميس الكونية المتفرقة في تلك التراكيب العربية المعجزة، فاجتازوا بذلك بعقلية متفردة مرحلة النظر البسيطة والمفككة والسطحية للظواهر والأشياء المنعزلة بعضها عن بعض إلى مرحلة النظر الشامل في مختلف المجالات الفكرية واللغوية.

والم تأمل في جوانب الدراسات اللغوية المعاصرة وما أفرزته من مناهج ونظريات حديثة أسست لسيطرة حركة العقل وإعلاء قيمتها يجعلها السلطة الحكيمة التي تهيمن على كل تركيب، يجدها بدورها قد تحررت من مسلمة انفصال اللغة عن الحياة، والاكتفاء بدرس لغوي ليس له إلا نتيجة نهائية لأسس معرفية ومنهجية، متحججة بعلمية مزعومة فرضت عليها السير في اتجاهات متعاقبة ومتناقضة أحياناً، ليجد أصحابها أنفسهم أسرى لما يسمى بـ: "العقلانية"، كما أن هؤلاء الدارسين المعاصرين احتاجوا إلى عقود أخرى من البحث ليصلوا إلى ضرورة إضافة البعد الدلالي إلى البعد العقلي في تحليل ظواهر التراكيب اللغوية، ليتم لاحقاً إضافة البعد الفلسفي للمساهمة في فهم بنية ونظام تلك الظواهر اللغوية ودلالاتها، تجاوزت تلك الدراسات حينها في تحليلها التراكيب الإنشائية المثالية إلى النص ضمن منهجية جديدة للعلم تجاوز مرحلة النظر إلى الظواهر اللغوية كأجزاء متفرقة، إلى النظر إليها كونها نظاماً مفتوحاً متفاعلاً مع الأنظمة المحيطة به، ليظهر ما أصبح يعرف بالنحو العرفني أو اللسانيات العرفنية، سعى هذا التوجه الجديد إلى تجاوز أخطاء النظريات اللسانية السابقة في كثير من المستويات، ومحاولة تحقيق إمام أعمق في دراسة اللغات البشرية وتحليل الأبنية اللغوية، فاللغة لم تعد ذلك النظام المكتفي بنفسه والقابل للوصف بمعزل عن العمليات المعرفية، ووجب تناولها من حيث طبيعتها وخصائصها الدلالية والمعرفية، ومن حيث وظيفتها وتفاعلها مع سائر الملكات المعرفية مثل: الإدراك، السياق...

وقد وقع اختيارنا على ديوان "البرزخ والسكين" لعبد الله حمادي لدراسة مختلف القضايا السابقة دراسة منهجية تطبيقية منطلقة من الدوران في فلك الشعر وفك مغاليقه وسبر أغواره، وإظهار طرائق تعانق وجهي النص اللذين لا يمكن الفصل بينهما، وهما: "الدلالة" و"النحو" بدءاً من التراكيب وتحليلها ومناقشتها وصولاً إلى دلالاتها المتنوعة، في النقطة إلى هذه الطاقة الشعرية الموثقة في هذا الديوان الذي وإن لم يكن صاحبه (عبد الله حمادي) شاعراً مشهوراً، فإنه مما لا شك فيه أن شعره يتميز بخصائص متفردة كقوة الأسلوب وحسن اختيار الألفاظ مع عدم إهمال الفكرة وعمق النظر، الأمر الذي حفزنا على اختياره كأنموذج، لأن نخصه بدراسة

شعره في ديوان "البرزخ والسكين"، من خلال ما تضمنه من بنى تركيبية مختلفة، وإيضاح ما لهذه البنى النحوية من دور في أداء المعاني المختلفة التي دارت في ذهنه، وأن طريقة ترتيب الكلمات داخل التركيب وفقا للمعاني التي تجول في النفس هو الذي يميز جودة الشعر من رديئه. ف جاء موضوع بحثنا موسوما ب: "الدلالة النحوية للأبنية التركيبية في ديوان "البرزخ والسكين" لعبد الله حمادي".

الدراسات المتصلة بالبحث:

اعتمد هذا البحث في قيام بنيانه على مجموعة من الدراسات العربية التراثية والمعاصرة والغربية المترجمة، أغلبها أطاريح دكتوراه حديثة جداً، رغم أنني لم أعتز على دراسة تتخذ شعر عبد الله حمادي في ديوانه "البرزخ والسكين" مجالاً لدراسة دلالية نحوية، وربما تعد دراستي هذه الأولى التي اتخذت الظواهر النحوية وسيلة لفهم الدلالة النحوية في هذا الديوان، وقد عالجتُ بالدرس والتحليل عدّة جوانب منه قصد بلورة أفكار وتصورات جديدتين، ومهدت الطريق للحصول على إجابات على تساؤلاتنا السابقة، من أهمها:

- الثنائيات المتغايرة في كتاب "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني دراسة دلالية، ل: دلخوش جار الله حسين دزه لي.
- الشرط والإنشاء النحوي للكون، بحث في الأسس البسيطة المولدة للأبنية والدلالات، ل: محمد صلاح الدين الشريف.
- البحث الدلالي في كتاب سيبويه، ل: دلخوش جار الله حسين دزه لي.
- قضايا المعنى في البنية النحوية، ل: عبد السلام عيساوي.
- التوظيف الدلالي للمعطيات الصرفية والنحوية في ديوان ابن هانئ الأندلسي (ت362هـ)، ل: أحمد محمد عبد الراضي.
- في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، ل: خليل أحمد عمارة.
- الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، ل: خالد ميلاد.

- اللسانيات في دوحة العربية، ل: توفيق قريرة.
- الجملة الإنشائية بين التركيب النحوي والمفهوم الدلالي، ل: غياث محمد بابو.
- النظام النحوي في القرآن الكريم، دلائل الكلم، ل: عبد الوهاب حسن حمد.
- تركيب اللغة العربية، مقارنة جديدة، ل: محمد الرحالي.
- بنية الجملة العربية بين النظرية والتحليل، ل: المنصف عاشور.
- الوظائف الدلالية للجملة العربية دراسة لعلاقات العمل النحوي بين النظرية والتطبيق، ل: محمد رزق شعير.
- قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب، ل: أحمد الودرني.
- آفاق الدرس اللغوي في العربية، المبنى والمعنى، ل: سهى نعمة.
- النحو الدلالي، دراسة منهجية تطبيقية شعر محمود غنيم نموذجاً، ل: حمادة عبد الإله حامد.
- علم الدلالة، ل: ف.ريالمر، ترجمة: صبري إبراهيم السيد.
- المعنى والتوافق، مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، ل: محمد غاليم الحاج.
- سلطة النص في ديوان البرزخ والسكين للدكتور عبد الله حمادي، مجموعة من الأساتذة والنقاد.
- دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، ل: محمد محمد أبو موسى.
- البنيات التركيبية والبنيات الدلالية، علاقة الشكل بالمعنى في اللغة، ل: جوست زفارت، ترجمة: عبد الواحد خيرى.
- إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ل: مجموعة من المؤلفين، ترجمة: مجموعة من الأساتذة بإشراف عز الدين مجدوب.
- فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز، ل: فؤاد علي مخيمر مخيمر.
- التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، ل: عبد الفتاح لاشين.
- حركة النحو والدلالة في النص الشعري (دراسة تطبيقية)، ل: صلاح عبد العظيم الشاعر.

إشكالية البحث:

يرى الباحث أن كل مقارنة تريد تحقيق نتائج مقبولة في معالجة هذا الموضوع، يجب أن تراعي تفاعل جميع العناصر المذكورة سابقا، وهو ما يترافق مع مجموعة من الإشكالات التي ستعترض تحقيق أهدافنا والتي سنحاول إيجاد إجابات شافية لها، ومنها:

- هل يعد النظام النحوي دلالة؟ أم أنهما نظامان مختلفان خاصة في ظل المعارف المستند إليها والمحصلة في تراثنا العربي وفي الدراسات اللسانية المعاصرة؟
- ما هي الصورة الأوضح للدلالة النحوية المحصلة في دراسة أنظمة التركيب الإنشائية في ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة؟
- هل الاكتفاء بحدود التنظير والفصل بين تلك الدراسات والمنشئ نفسه للتركيب مقبول؟
- كيف نحافظ على قيمنا وتراثنا ونضمن لهما موقعا ملائما في خضم هذا الكم الهائل من الدراسات؟

- هل الاعتماد على العقل البشري وحده كاف لإحداث تلك المعرفة والدلالة المنشودتين؟
- إذا كانت طبيعة الدلالة النحوية تقتضي عدم توقفها عند مستوى معين بسبب تنوعها من جهة وتطورها من جهة ثانية، وعجز العقل البشري عن الإحاطة بها، فما الاستخدام الأمثل لما رشح من دراساتنا تنظيريا ومعرفيا؟

إن الإجابة عن هذه الأسئلة تعد أهدافا في حد ذاتها يروم البحث تحقيقها، إضافة إلى التأكيد على أهمية الجانب النحوي في تحليل النص وفهمه، فأية مزية بلاغية للتركيب إنما تعود إلى وضع الكلمة داخل التركيب وضعا معيناً واحتلالها وظيفة نحوية معينة في ضوء السياق الذي يرد فيه.

دوافع البحث ومبرراته وأهدافه:

إذا كان أي بحث لا يخلو من حوافر ودوافع، فحوافر هذا البحث ودوافعه يتعانق فيها بعدان: البعد الذاتي والبعد الموضوعي:

- **البعد الذاتي:** الارتباط بموضوع الدلالة النحوية تحركه عندي هواجس نفسية ووجودية تدفعني باستمرار إلى التأمل في أسرارها، إضافة إلى أن قضاياها وإشكالاتها متشعبة ومتعددة كما أسلفنا، ولم تتم معالجتها إلا في مواضع معدودة وبخاصة إذا تعلق الأمر بالديوان قيد الدراسة.

- **البعد الموضوعي:** إن دراسة الدلالة النحوية تساهم في الانفتاح على قضايا متعددة في اللسانيات العربية، وتفتح باب للدخول في الفضاء الرحب لخريطة المعارف اللسانية والحاسوبية والمعرفية المعاصرة، وهو الحافز الأهم الذي جعلني أختار هذا البحث.

إن اختيارنا لديوان "البرزخ والسكين" مجالاً لتلك الدراسة النحوية الدلالية هو انعكاس لرؤيتنا التي تعتبره مجالاً ثرياً ومثلاً غنياً لنص شعري معاصر، غفل عنه كثير من الباحثين بالتحليل والدرس اللغويين، ما سيسمح لنا بالإجابة عن كثير من الأسئلة البحثية الواردة سابقاً، الأمر الذي يخلق مساهمة ولو بسيطة في خدمة اللغة العربية، وتطوير أبحاثها.

تلكم هي أهم الأسئلة التي يروم البحث الإجابة عنها اعتماداً على معالجة مختلف المظاهر التركيبية والدلالية في ديوان "البرزخ والسكين"، ولعل ما يعطي البحث بعض الأهلية لتوظيفه لمختلف النظريات الدلالية التي تمزج بين إرثنا التقليدي، ونتائج البحث اللساني المعاصر، علاوة على كون الديوان من الشعر المعاصر المتميز للشاعر الأستاذ والباحث عبد الله حمادي. إن الإحاطة بجوانب هذا البحث وتحقيق ما أمكن من إجابات شافية عما طرح من أسئلة فيه يدفعنا إلى استعمال ما أمكن من مناهج التفكير والتعبير، فلم نخصه بمنهج واحد لطبيعة الموضوع من جانب، ولطريقة معالجته من جانب آخر، فاستعنا بالمنهج الاستقرائي بداية فيما تعلق بالديوان موضوع الدراسة، ثم اعتمدنا أساساً على المنهج الوصفي، حيث وظفته لدراسة ما جاء في الديوان من صيغ اسمية وفعلية مختلفة، لبيان الدلالات النحوية المختلفة للكلمات والتراكيب، واستنباط ما يطرأ على التراكيب من عوارض مختلفة كالحذف والتقديم والتأخير...، وتغيير الدلالات تبعاً لذلك في ضوء السياق الوارد فيه.

خطة البحث:

سعيًا وراء الإجابة عن مختلف التساؤلات السابقة، نظمنا هذا البحث في خطة تستوفي الجوانب النظرية والتطبيقية معاً، تشتمل على: مقدمة ومدخل وأربعة فصول ثلاثة منها تطبيقية وخاتمة وثبت المصادر والمراجع، وذلك بالشكل الآتي:

تناولنا في المدخل الجانب النظري ظاهرة الدلالة النحوية وعلاقتها بالدرس اللغوي القديم والمعاصر، وبيان أوجه تلك العلاقة شدة وضعفاً وحضوراً وغياباً.

نعالج في الفصل الأول والموسوم بـ: "المقاربة التراثية والمعاصرة للدلالة النحوية"، أهم القضايا التي ترتبط بالدلالة النحوية عند علماء النحو والبلاغة العرب والمقاربة التراثية للدلالة المجازية والتي تم التركيز عليها كثيراً في مصنفاتهم وما أثير حولها من الدراسات الكثيرة مثل: قضية اللفظ والمعنى، ونظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني، كما أننا رأينا أهمية الإشارة إلى موضوع النحو القرآني وأثره الواضح في توجيه الدلالة النحوية، وما يترتب عليها من نتائج في الجانبين التنظيري والتطبيقي على حد سواء، وختمنا هذا الفصل الأول بقضية هامة في رأينا وهي قضية الدلالة المجازية التي تفرض نفسها بقوة ولها علاقتها الوثيقة بالدلالة النحوية.

وفي الجزء الثاني من هذا الفصل كان الاهتمام منصبا على المقاربة المعاصرة للدلالة النحوية عبر دراسة وتحليل أهم خصائص هذه المقاربة والتي اخترنا منها: ظاهرة الاعتباطية والعقلانية، والدلالة النحوية في الأنحاء الشكلية، وقضية مركزية الإعراب وصورته الدلالة، وقد عمدنا إلى تقسيم هذه المقاربة إلى مرحلتين: المرحلة الأولى لم تأخذ فيها الدلالة النحوية أهمية واضحة في هذه المقاربة، ومرحلة ثانية تم التأكيد فيها على جانب الدلالة النحوية وإعطائها حقها من الدرس والتحليل.

يلي هذا الفصل النظري ثلاثة فصول تطبيقية، خصصنا الفصل الثاني الذي جاء بعنوان: "الدلالة النحوية في المستوى الإفرادي" للجانب التطبيقي الذي قسمناه إلى أربعة مباحث، انكب اهتمامنا في المبحث الأول على توضيح مباحث في اللفظ والمعنى الإفرادي في ديوان "البرزخ والسكين" من خلال مناقشة أمثلة توضيحية تبين طبيعة المعنى الإفرادي، وأثر

السياق في دلالة اللفظ، وحالة الكلمات المبنية بين اللفظ والمعنى، كما لم ننس الحديث عن معاني الإعراب في الأفعال والأسماء وعلاقتها بتحديد الدلالة النحوية للمفردة.

كما لم يُغفل البحث جانبا مهما وهو الدلالة النحوية في المستوى الصوتي ببيان علاقة الصوت بالدلالة ودلالة العلامات الإعرابية في الأسماء والأفعال، لننتقل إلى مبحث آخر مهم أيضا وهو الدلالة النحوية في المستوى الصرفي، والأکید أن المظهر الصرفي لا يمكن فصله عن الجانب الدلالي، فكان لباحث الدلالة إقام الكلم ودلالة الصيغ الصرفية الحضور التطبيقي في جوانب الديوان.

عُنون الفصل الثالث بـ: "الدلالة النحوية في المستوى التركيبي"، ويمثل العمود الفقري في بحثنا، وقد قسمناه إلى أربعة مباحث، تناولنا في المبحث الأول مفهوم الدلالة التركيبية وعلاقتها بالدلالة النحوية، ثم أبرزنا أهم خصائصها، والقرائن النحوية المرتبطة بها، وتناولنا في المبحث الثاني الدلالات النحوية للتقديم والتأخير في الديوان في سياقي الإثبات والنفي والاستفهام، أما المبحث الثالث فتم فيه معالجة ظواهر الحذف والذكر في الديوان وربطها بدلالاتها النحوية المختلفة، كذكر المبتدأ وحذفه والفعل والفاعل وحذفهما، واختص المبحث الرابع بالدلالات النحوية للفصل والوصل في التراكيب التي لها محل من الإعراب والتي لا محل لها من الإعراب.

وأخيراً عقبنا بالفصل الرابع وعنوانه: "الدلالة النحوية في المستوى الخطابي" وقد بينا في المبحث الأول الفروقات الحاصلة في تعريف المصطلحات: الجملة والنص والخطاب، وما ارتبط بها من معاني عند القدماء والمعاصرين، وأوجه التداخل بينها خاصة ما بين الخطاب والنص، وذكرنا بعض الجوانب المميزة لكل مصطلح، لننتقل إلى دراسة مفهوم نحو النص عند القدامى والمحدثين، وأوردنا بعض أسباب وضع نحو النص، وقد ارتأينا ذكر بعض نماذج الوصف النصي لأهميتها كنموذج القواعدي والدلالي والتداولي، ولم يفتنا التذكير بأهمية ودقة النتائج المحصلة في الدرس العربي التراثي، لنختم بمفهوم الدلالة النصية وبنائها.

في المبحث الثاني تعرضنا للدلالة النحوية للأنماط الخطابية بدءًا بتعريف الخطاب وذكر عناصره الأساسية وضوابطها، وتوضيح طبيعة الأنماط الخطابية وربطها بدلالاتها، كل ذلك مع تطبيقات في ديوان "البرزخ والسكين" انطلاقًا من العناصر البحثية التي رأينا أهمية دراستها خاصة المجاز والانزياحات الدلالية وبعض صورها في الديوان.

وقد استهللنا هذا البحث بمقدمة في بدايته، وكانت الخاتمة في آخره، وقد أجملنا فيها ما توصلنا إليه من نتائج عبر مسار البحث، إضافة إلى لائحتين: الأولى لثبت بعض المصطلحات اللسانية المهمة من الإنجليزية إلى العربية لتحقيق فهم أفضل واستيعاب لمختلف المصطلحات اللسانية المعاصرة، واللائحة الثانية للمراجع والمصادر.

لا يخلو بحث تقريبا من صعوبات، لذلك وطنت نفسي منذ البداية على حتمية تقبل ما يعترضني منها ومحاولة الفكك منها والتفرغ لإتمام البحث، وما اعترضني منها في هذا البحث يمكن إجماله في ثلاثة نقاط أساسية: العمل الجامعي وما يتطلبه من تحضير وتأطير للطلبة، والالتزام الأسري وما يفرضه من متابعة ورعاية للأطفال، وصعوبة الحصول على بعض المراجع الهامة في البحث.

ولكن مع تقدم نسبة إنجاز البحث كان التلخص من تبعات هذه الصعوبات يتناقص تدريجيا إلى أن اقتربنا من نهاية أطروحتنا والحمد لله.

وفي الختام لا يسعني إلا أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور بلقاسم دفة الذي رعى هذا العمل حتى استوى على سوقه، كما أكرر شكري للجنة الأساتذة الأفاضل الذين بذلوا جهودهم الطيبة في تقويم هذا البحث، وتصويب اعوجاجه وما يقدمونه من ملاحظات، وإلى كل من أسهم ولو بكلمة طيبة أو ملحوظة أو معلومة أو كتاب حتى يرى هذا الجهد المتواضع النور، ورجائي أن أكون قد وفقت في عملي هذا، وإلا فحسبي أجر الاجتهاد، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

مدخل

مباحث في الدلالة النحوية

1. الدلالة النحوية والبحث اللغوي.
2. مفاهيم الدلالة النحوية.
3. تعدد المعنى النحوي الدلالي.
4. حدود دلالة الكلمة من المعجم إلى التركيب.

1. الدلالة النحوية والبحث اللغوي:

يكشف النظر في الأبنية عن أسرار اختيارها في كلامنا ويظهر «اللمسات الإشعارية الموحية بالمعاني الخفية التي لا تدرك لأول وهلة بل بالتدبر وإطالة النظر، وفحص النص بعد تتبع النظم بالتدقيق في جزئياته ولبناته ومعرفة أركانه، لأن البناء لا يصلح إلا بإصلاح هندسته ومتانة لبناته وحتى ترتيبها ومراعاة مواقعها في المواضع التي تناسب هيأتها ومادتها، والنحو هو هندسة الكلام، ومعرفة طريقة نظمه وتأليف أركانه والعلم بأحكام الكلام أفرادًا وتركيبًا»¹.

إلا أن الجفاف والتعقيد اللذين غلبا على قواعد النحو لسيطرة المنطق والفلسفة والتعليقات البعيدة على الدرس اللغوي أبعدت كثيرا من طلبتنا عن تذوقه ومعرفة غايته ومراميه التي تدور حول الفهم والإفهام لمضامين النصوص وفحواها ومراد المنكبين وذلك بملاحظة طريقة النظم والتأليف تقديمًا وتأخيرًا وإضمارًا وتعريفًا وتكثيرًا ونحو ذلك.

والتركيب النحوي له معنى أول يدل على ظاهر الوضع اللغوي، وله معنى ثان، ودلالة إضافية تتبع المعنى الأول وهذا المعنى الثاني، وتلك الدلالة الإضافية هي الهدف والمقصد في البلاغة، وقد جهد "عبد القاهر جرجاني" في سبيل هذا الهدف، وشقي في الوصول إلى ذلك الغرض، حتى خرج بقاعدة لا تتخلف، وقانون لا يقبل النقص، وهو أن دقة النظم، والبلاغة، والبراعة، والبيان، كافية في معاني النحو، ومطلوبة في التركيب اللغوي².

فالقضية إذن في النحو ليست مجموعة من العمليات النظرية والذهنية التي يتم من خلالها التمييز بين أنواع التراكيب والبنى الاسمية والفعلية، أو الخبرية، أو الإنشائية، أو المثبتة، أو المنفية، أو غير ذلك من أنواع التراكيب، وإنما القضية تتعدى ذلك كله إلى قدرة هذه القواعد النحوية على التمييز بين تلك الأنواع من التراكيب وفرز ما يشكل جملا وعبارات سائغة ومقبولة

¹ حمد عبد الوهاب حسن، النظام النحوي في القرآن الكريم (دلائل الكلم)، دار الصادق للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2014، ص13.

² لاشين عبد الفتاح، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، دط، 1980، ص04.

نحويا ودلاليا، وما لا يشكل جملا مقبولة لا على مستوى النظام النحوي المعهود في لغة ما، وعلى على مستوى الدلالة المستفادة¹.

إن علاقة النحو بالدلالة قديمة قدم النحو نفسه، وقد ارتبط كل واحد منها بالآخر بأقوى الأسباب، ومن ثم كان النحو كله دلالة سواء أكان علامات إعرابية أم أساليب كلامية أم حروفا وأدوات نحوية أم قرائن وسياقات².

فكل بنية نحوية مهما كان تمثيلها اللفظي قادرة على استيعاب ما يسند إليها من قيم دلالية، وكل بنية دلالية تختزن ما يمكن أن يمثلها لفظيا...

ولا نوافق "المتوكل" في اعتباره أن الجمل القائمة على اختزال أبنية لفظية غير دلالية لانعدام مستوى تمثيل الدلالة بما هو بنيوي، فالبنية الدلالية هي المنفذ الوحيد لإدراك مستوى تمثيلها، ولا يمكن كما ادعى الفصل بين مرحلتي إنتاج الجملة وفهمها لاسيما في الجمل القائمة على غير الإسناد نحو (وا زيدا) أو القائمة على التقدير نحو "الأمانة الأمانة".

ونحن نقترح أن تكون البنية اعتماداً على بعض الاستدلالات التجريبية في التحليل كما

يلي:



الشكل رقم (01): أصولية البنية الدلالية في جميع التراكمات.

يشير الخط المنقطع إلى أن البنية الدلالية يمثل لها بالمنظومة النحوية تمثيلاً مؤولاً... ولا يمكن القفز بأية حال على القالب الدلالي والانتقال مباشرة إلى القالب النحوي... فلا شيء غير دال أو مفرغ من الدلالة³. الفصل بين (النحو) و(معانيه) سوف يؤدي إلى العودة إلى "النحو" بمفهومه الجاف التقليدي، والابتعاد عن قيمه الجمالية التعبيرية...

¹ نهر هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2011، ص87.

² معين محمد عامر، الدلالة ونظرية النحو العربي، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 1997، ص07.

³ عيساوي عبد السلام، قضايا المعنى في البنية النحوية، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط2، 2016، ص121، 122.

ومن أجل ألا يفصل (النحو) عن (معانيه) نشأ في علم اللغة الحديث ما يسمى بـ(الدلالة النحوية) وهي الدلالة التي تستمد من نظام الجملة وترتيبها، وقد تكتب الدلالة النحوية تحديداً، وتبرز جزءاً من الحياة الاجتماعية والفكرية عندما تقع في سياق معين من التركيب الإسنادي وعلاقاته الوظيفية. وهذا يدل على أن النحو هو القالب الذي تفرغ فيه الألفاظ دلالاتها، على أنه ليس قالب جامداً فاقداً للحياة، بل هو الطريق الذي يصل بين المتكلم والمتلقي لتحقيق غاية إدراك معنى، حتى إن بعض الباحثين قال: إن المعنى النحوي أو الدلالة النحوية هي التي ترعى الجوانب الفنية والأحوال النفسية لدى من ينشئ الكلام، وتعد بتقدير المنشئ كحال من يتلقى عنه ويأخذ منه.

وفي ظل هذا المفهوم يكون الترتيب النحوي مهما لفهم الوظيفة النحوية التي تنتج عنها الوظيفة الدلالية، فكل وظيفة نحوية لا بد لها من وظيفة دلالية، انطلاقاً من أن الدلالة النحوية: هي مجمل العلاقات القائمة بين الكلمات داخل الجملة أو النص أو العبارة¹.

وإذن هناك محاور ترتكز عليها الجملة التي تعد صحيحة نحويًا ودلاليًا في اللغة هي:

1. وظائف نحوية بينها علاقات أساسية تمد المنطوق بالمعنى الأساسي.

2. مفردات يتم الاختيار من بينها لشغل الوظائف النحوية السابقة.

3. علاقات دلالية متفاعلة بين الوظائف النحوية والمفردات المختارة.

4. السياق الخاص الذي ترد فيه الجملة سواء أكان سياقاً لغوياً أم غير لغوي².

وإذا كانت دراسة اللغة تقوم على مستويات عدة، تتداخل فيما بينها: المستوى الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي، ولعل المستوى الدلالي من أهم هذه المستويات وأصعبها، لأن الطبيعة الحقيقية للغة يمكن فهمها فقط من خلال فهم المعنى، وفي هذا السياق ينطلق الباحث "إبراهيم أنيس" من مقولة أن دراسة الدلالة هي قمة التحليل اللغوي وهدفه النهائي، إذ الغاية من

¹ الزيايدي تراث حاكم، الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني، دار صفا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص166، 167

² محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000، ص52.

اللغة هي الاتصال والتفاهم، ودون دراسة المعنى يصبح التحليل اللغوي لغوا لا طائل من ورائه¹.

لنحو قيمة كبيرة في تحليل النصوص، إذ أنه يتيح لمحلل النص الوقوف على الظواهر التركيبية لنص ما، ومن ثم الوقوف على ما تحمله تلك الظواهر التركيبية من إمكانات دلالية وبلاغية، لأن العلاقة بين النحو والمعنى علاقة وثيقة، حيث لا يتضح معنى نص إلا من خلال تحديد وظيفة الكلمة في تركيب النص، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها، وكيفيةها من حيث التقديم والتأخير، وإن أي تغيير في شكل التركيب لأبد وأن يتبعه تغيير في المعنى المراد².

يقول الدكتور "محمد حماسة عبد اللطيف": «الأشكال النحوية لا يكون لها أهمية أسلوبية إلا حين تربط بالسياق الذي يضعها فيه الكاتب وليس اتفاق الأشكال النحوية دليلاً على اتفاق دلالتها، بل إنها تشير إلى ظواهر أسلوبية مختلفة»³.

إن التفاعل بين المعاني المعجمية والوظيفية الجزئية داخل الجملة، لأبد له من نظام دقيق محكم، وصلة تربطه... هي الدلالة... فالجملة سلسلة من المكونات تتفاعل فيما بينها كي تؤدي في النهاية المعنى الواحد المنشود، وأساس هذا التفاعل التركيب النحوي، إذ لولا التركيب النحوي ما نشأ المعنى الدلالي الواحد المفهوم من الجملة، وقد سبق إيضاح أن الجملة المقبولة دلاليا لأبد أن تتضمن علاقات تلاؤمية صحيحة، هذه العلاقات الدلالية علاقات أفقية، أي أنها تركيبية، ولا يمكن أن تنشأ إلا بطريق التركيب النحوي، ومن هنا يفترض أن التركيب النحوي هو الوسيلة المباشرة التي أعدتها اللغة لنشوء المعنى الدلالي للجملة⁴.

¹ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984، ص39.

² السيد أحمد محمد عبد الراضي، التوظيف الدلالي للمعطيات الصرفية والنحوية في ديوان ابن هانئ الأندلسي (ت362هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2013، ص123.

³ محمد حماسة عبد اللطيف، الإبداع الموازي (التحليل النصي للشعر)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2001، ص27.

⁴ مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، مصر، ط1، 1997، ص131.

نؤكد في بحثنا هذا على أن المعاني "عالمية"، يشترك في معرفتها الجنس البشري كله، والمباني "قومية" تستقل فيها كل جماعة لغوية بنظام خاص يحكمها، والمعاني من عند المتكلم، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الروم، 22]. فالمتكلم "مختار" في كل ما يتعلق بها، أما المباني فهي أشكال وقوانين اتفقت عليها الجماعة اللغوية، كما هو "مجبور" على العمل بها، والمعاني لا نهاية لها ولا حدود، أما المباني فهي نظام متناه ومحدود، وتشمل المعاني هنا المعنى الدلالي للجملة، والمعاني المعجمية والوظيفية للمفردات، والمعاني النحوية العامة كالإثبات والنفي والخبر والإنشاء والشرط والتأكيد، والمعاني النحوية الخاصة كالفاعلية والمفعولية والإضافة، والعلاقات السياقية المعنوية التي تربط بين تلك المعاني الخاصة، أما المباني فتشمل ما يقدمه النظامان الصوتي والصرفي للغة، والعناصر التحليلية المستخرجة من هذين النظامين، وهي "القرائن اللفظية"، كعلامات الإعراب، والمطابقة، والرتبة المحفوظة، ومبنى الصيغة والنظام والأداة والتنغيم¹.

وتبقى ملاحظة أخيرة حول محتوى الاستقامة أو الصدق في الجمل التي تمثل قضايا غير صادقة دلالياً وذلك مثل الجملة التي تناولها الدكتور "حماسة عبد اللطيف" نقلا عن "سيبويه" "أكلت أرض كذا" وهي من النوع الذي وصفه سيبويه بأنه "مستقيم كذب" ومثل له هناك بـ"حملت الجبل" إذ يبدو أن وجود القرينة الدالة على المجاز متحققة في "أكلت أرض كذا" وغير متحققة في "حملت الجبل"، ومن ثم وصف الأولى بأنها مستقيمة نحويا ودلالياً بينما وصفت لثانية بأنها مستقيمة نحويا وخاطئة دلالياً (أو كاذبة بعبارة سيبويه)².

وفي حديثه عن المعنى المعجمي والمعنى التأليفي يقول "لوبنر سبستيان" وعلى الرغم من أننا نفهم الجمل في الغالب دون بذل جهد واع، فإن معناها يجب أن يستمد من معرفة لغوية

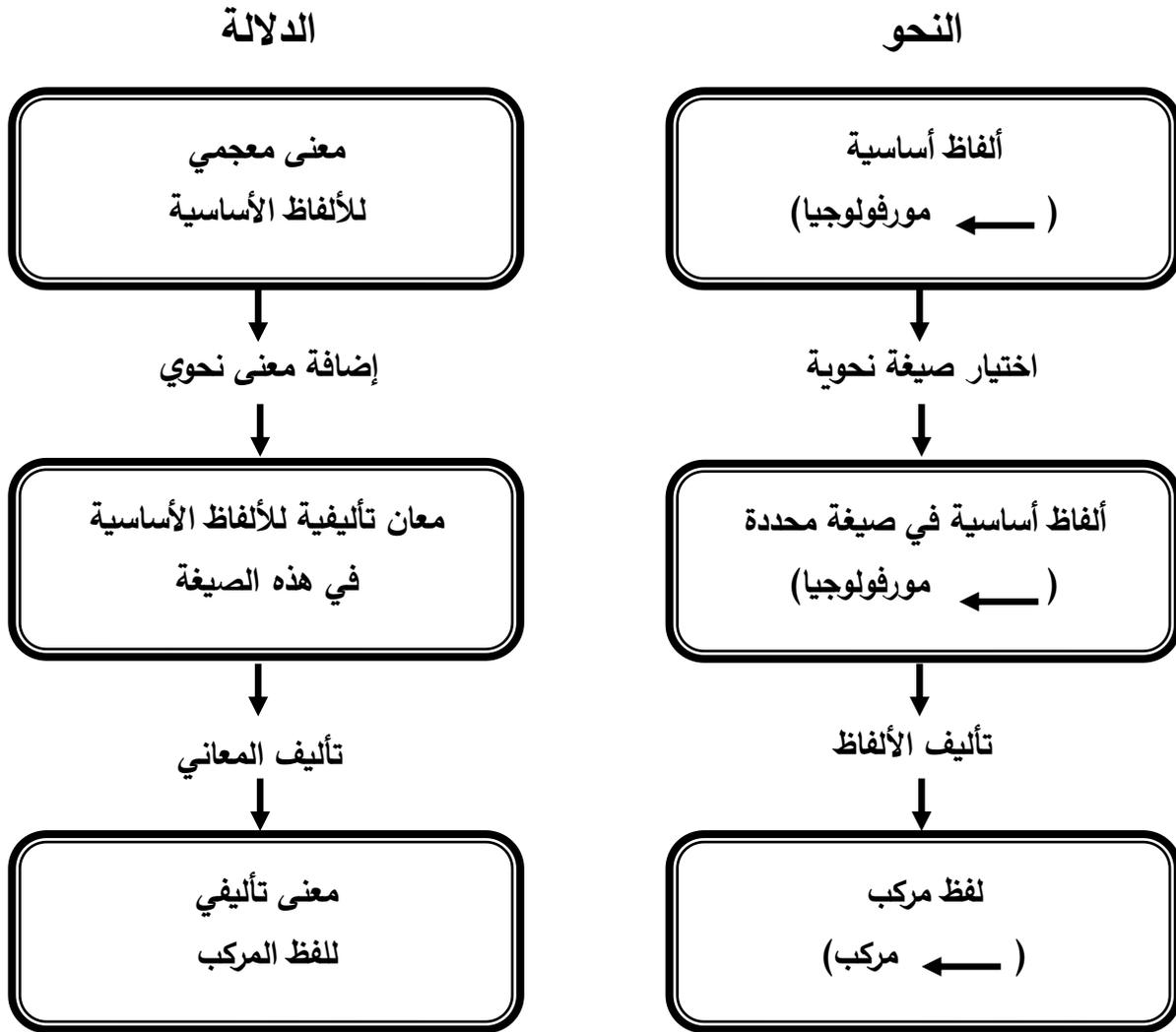
¹ مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 71.

² البركاوي عبد الفتاح عبد العليم، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنوية التركيبية في ضوء نظرية السياق، دط، دت، ص 255.

مختزنة، وبتعبير آخر أن يقدر ويطلق على هذه العملية فنيا التأليف، ولذلك يقال أن ألفاظ مركبة، لم يختزن معناها في المعجم لها معنى تألوفي¹.

تدمج معاني المفردات في صيغها المقدمة في كل، وهو معنى الجملة بوصف ذلك خطوة تالية للتأليف، هذه العملية توجهها البنية النحوية للجملة، ونحتاج لكل قاعدة تأليف نحوية قاعدة تأليف دلالية حتى يمكن تفسير النتيجة².

ويبين المخطط العام في الشكل آلية تأليف المعنى عنده³.



الشكل رقم (02): البناء النحوي وتأليف المعنى يقعان بشكل متواز

¹ لوينر سبستيان، علم الدلالة (مدخل)، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2011، ص53.

² المرجع نفسه، ص56.

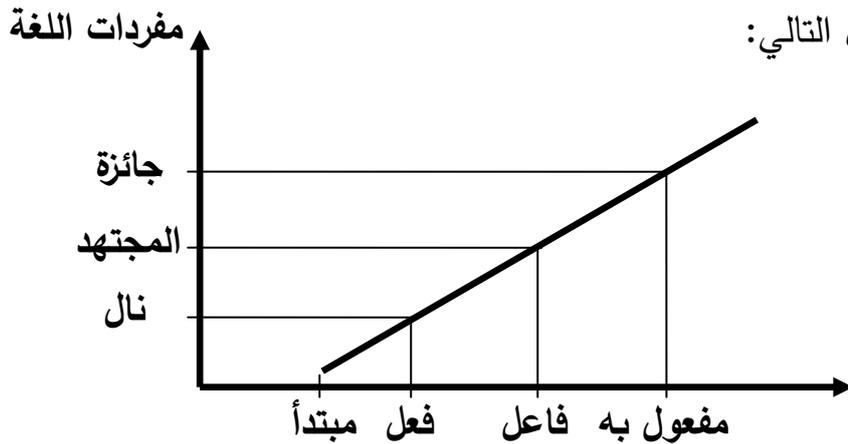
³ نفسه، ص59.

يبين المخطط العام في الشكل (02) أن تأليف المعنى يفهم على أنه عملية من أسفل إلى أعلى، فهي تبدأ مع أصغر الوحدات ثم تتقدم من هناك إلى أعلى، وتستخدم المعاني المعجمية للألفاظ الأساسية مدخلا لقواعد المعنى النحوي، مثلا لتفسير الجمع، أو التفضيل أو الزمن التام، ويكون مخرجها بدوره مدخلا لقواعد التأليف الدلالية... فلو كان تأليف المعنى عملية من أعلى إلى أسفل لنتج معنى المفردات من الجملة كلها¹.

يرتبط مصطلح (الوظيفة النحوية) بعدة مصطلحات أخرى مثل: (المعنى الوظيفي)، و(المعنى النحوي)، و(المعنى الداخلي)، و(المعنى البنيوي)، وكلها تعبر عن مفهوم واحد، فهي تمثل المعنى الذي تكتسبه الكلمة داخل السياق، أي المعنى الناتج من وضع الكلمة في علاقة مخصوصة مع سائر الكلمات في الجملة، فإذا رتبت الكلمات السابقة في تركيب لغوي صحيح اكتسبت معاني نحوية تحددها طبيعة التركيب الذي ترد فيه².

فإذا مثلنا للعلاقة بين المعنى المعجمي والمعنى النحوي برسم تخطيلي بوضع الأول منهما في مستوى رأسي يمثل كل الكلمات الواردة في اللغة المدروسة، ووضع الثاني في مستوى أفقي يمثل كل الوظائف النحوية المتاحة في تلك اللغة، فإن الجمل الصحيحة التي يمكن تكوينها حسب نظام لغة معينة تمثلها النقاط التي يلتقي عندها المعنى المعجمي بالمعنى النحوي

كما في المثال التالي:



الشكل رقم (03): العلاقة بين المعنى المعجمي والمعنى النحوي.

¹ لوينر سبستيان، علم الدلالة (مدخل)، ص58، 59.

² ينظر: شعير محمد رزق، الوظائف الدلالية للجملة العربية، دراسة لعلاقات العمل النحوي بين النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007، ص20.

كما أن الجمل الناتجة أو المقبولة دلاليا لا بد أن "تتضمن علاقات تلاؤمية صحيحة، وهذه العلاقات الدلالية علاقات أفقية، أي أنها تركيبية، ولا يمكن أن تنشأ إلا بطريق التركيب النحوي"¹، فالتركيب النحوي هو الوسيلة المباشرة التي أعدتها اللغة لنشوء المعنى الدلالي للجملة².

وسوف أطلق على تفاعل المعنى النحوي الأولي والدلالة الأولية للمفردات في السياق الملائم الذي يعطي المفردة معنى جديداً خاصاً في إطار الجملة "المعنى النحوي الدلالي"، وقد يرد مختصراً "المعنى النحوي" وهو بهذا الفهم يختلف عما هو معروف بالمعاني النحوية المأثورة عن عبد القاهر الجرجاني، والجملة التي يكون فيها المعنى النحوي الدلالي صحيحاً هي التي يتوافق فيها "الاختيار" بين جانبي الدلالة النحوية ودلالة المفردات الأولية³.

ويرى الدكتور منصف عاشور أنه: "كان من العسير التمييز بين المستوى المنطقي والدلالي والتركيب في النصوص القديمة، ولكن مفهوم (المعاني النحوية) قد اختص بالتعليق التركيبي حسب قوانين وطرق دقيقة في رؤية عبد القاهر الجرجاني في مؤلفيه (أسرار البلاغة) و(دلائل الإعجاز)، فلفظ المعاني النحوية متواتر مطرد في المصنفات اللغوية في العربية، ويبلغ القمة مع عبد القاهر الجرجاني في مفهوم الوظيفة النحوية والكيفيات التي بها تؤدي أقسام الكلم دوراً تعليقياً في العملية الإسنادية، ولقد عالج النحاة المعاني حسب ثنائية الإضمار والإظهار، وحسب النحوية والمنطقية والدلالية وباب الإحالة في أصناف التراكيب، وأقيمت مقارنة بين العملية الذهنية في الرياضيات والعملية الإبلاغية في الكلام⁴.

¹ شعير محمد رزق، الوظائف الدلالية للجملة العربية، دراسة لعلاقات العمل النحوي بين النظرية والتطبيق، ص 20.

² مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 131.

³ محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ص 59.

⁴ المنصف عاشور، "من المعاني النحوية في اللسانيات العربية"، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ع 135، 136، 1982، ص 111. قام الدكتور المنصف عاشور بعملية إحصاء لمداول "المعاني النحوية" في كتابي الدلائل والأسرار لعبد القاهر الجرجاني فتحصل على ما يلي: المعاني النحوية 57 مرة، المعاني المقصودة 1845 مرة.

2. مفاهيم الدلالة النحوية:

الدلالة النحوية هي الدلالة التي تحصل من خلال العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ كل منها موقعا معينا في الجملة حسب قوانين اللغة، إذ أن كل كلمة في التركيب لا بد أن تكون لها وظيفة نحوية من خلال موقعها¹. أما الدكتور "أحمد سليمان ياقوت" فيعرفها بأنها: الدلالة النحوية هي التي تستمد من نظام الجملة وترتيبها ترتيبا خاصا².

ونرى أنه من خلال التعريفين السابقين يمكن إدراك أهمية العلاقات النحوية بين الكلمات، ونظام ترتيب الكلمات في الجملة، وفقا لقوانين اللغة وشرائط التراكيب وأثر ذلك في الوصول إلى المعنى النحوي، وهذا حسن، ولكن المعنى العام للجملة لا يتأتى من المعنى النحوي وحده وإنما هو ثمرة ربط المعنى بعلم الدلالة، لأن المعنى الدلالي يشمل المعنى النحوي وطريقة التركيب، ومن الواضح أن المعنى الدلالي يأتي نتيجة لعدد من "المعاني" المختلفة في تركيب جملة منها المعنى الصرفي، والمعنى النحوي، والمعنى المعجمي وهي الأسس التي بنيت عليها التعريفات التالية:

"الدلالة النحوية" هي التي تحصل نتيجة التفاعل بين الوظائف النحوية والمفردات المختارة لشغلها في بناء الجملة الواحدة، وتتأزر القرائن اللفظية والمعنوية ودلالات السياق المختلفة، وطريقة التركيب اللغوي، ويكون للنحو النصيب الأكبر فيها لبلوغ المعنى الدلالي العام وفهمه وتحليله إلى عناصره تحليلا دقيقا³.

الدلالة النحوية: هي الدلالة المحصلة من استخدام الألفاظ والصور الكلامية في الجمل المكتوبة، أو المنطوقة على المستوى التحليلي أو التركيبي، وأطلق عليه قديما النحو، وعلم العربية... وقد أدرك جل أهل اللغة أن الكلام الذي يصدر ليؤدي وظيفته ويبين المعاني المقصودة لا بد أن تحكمه مجموعة من القرائن والعلاقات، إذ أنه لا تتأثر مجمل معاني العبارات

¹ مجاهد عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، عمان، ط1، 1985، ص194.

² ينظر: أحمد سليمان ياقوت، الدرس الدلالي في خصائص ابن جني، دار المعرفة، الإسكندرية، ط1، 2000، ص28.

³ النعيمي زينب مديح جبارة، الدلالة النحوية بين القدامى والمحدثين، مجلة واسط للعلوم الانسانية، العراق، مج5، ع12، 2009، ص10.

والجمل بوساطة القيم المعجمية والانفعالية السلوكية، لأن جزءاً من المعنى يستقي من التركيب نفسه، وأن الكلمة المفردة لا تشكل قيمة تواصلية ذات بال، وهي تكتب حياتها من إدخالها في التأليف، ولا يتضح معناها إلا من خلال السياق¹.

ويقصد بالدلالة النحوية تلك الدلالة التي تأتي أساساً من الحالة الإعرابية للأسماء في الجمل أو من ترتيب كلمات الجملة أو من نكر هذه الكلمات أو حذفها أو من المطابقة بين عناصر الجملة حين تكون هذه المطابقة ضرورية، كما قد تأتي من اختيار أنواع معينة من الكلمات في الجملة، فهي إذن دلالة تتناول على المستوى الأفقي الخاص برصف الكلمات والرأسي المتعلق باختيار كلمات بعينها².

وإذا كان موقف كثير من الدارسين من الدلالة النحوية مرادفة لمصطلحات أخرى (الدلالة النحوية = الوظيفة النحوية = العلاقة النحوية = المعنى الوظيفي = التطور الدلالي)³. فإن الدكتور المنصف عاشور بعد أن أتى على تعريف مصطلح "معاني النحو" عند مجموعة من النحاة وهم: سيبويه، الزجاجي، ابن جني، الجرجاني، الاسترابادي، فقد عرفه بقوله: "إن مفهوم معاني النحو أصعب من أن يحيط به بحث واحد، لأن معاني النحو تشمل المحلات والوظائف النحوية التي تحكمها نظرية جوهريّة هي العامل ومنواله الذي يمكننا من تفسير نظام اللغة تفسيراً شاملاً، فالمعنى النحوي متصل بالموضع والمحل وحركة العوامل وانعكاساتها على المحلات وما يشغلها من مركبات نحوية من المفردة إلى المركب الإسنادي"⁴.

¹ العزاوي عقيد خالد حمودي، علم الدلالة دراسة وتطبيقات، دار العصماء، دمشق، سوريا، ط1، 2014، ص44.

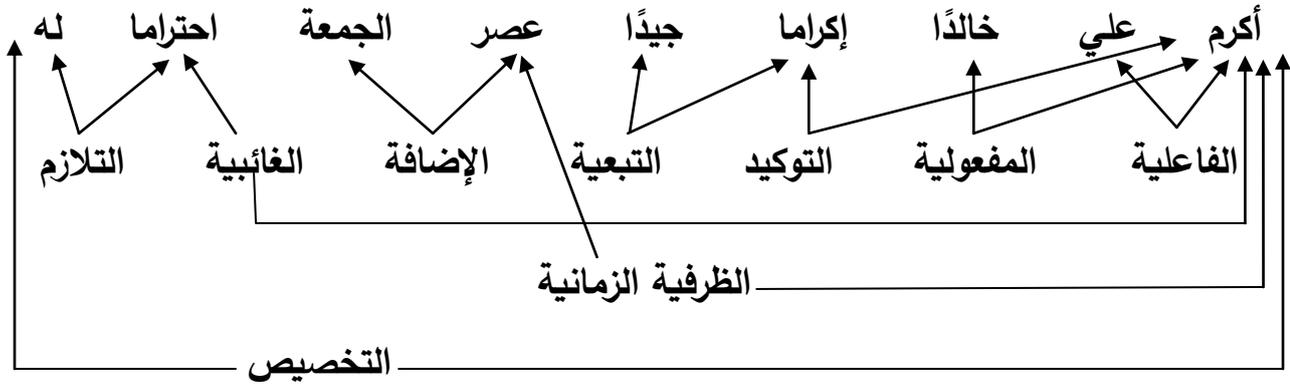
² عالية أكرم، الدلالة النحوية بين وجهي رفع الاسم ونصبه في القراءات القرآنية، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان، 2004، ص24.

³ إبراهيم صفا فيصل، الشكل والمعنى في بناء المصطلح النحوي (دراسة في جملة من مصطلحات النحو العربي)، مجلة الآداب، قسنطينة، الجزائر، ع08، 2005، ص142.

⁴ المنصف عاشور، نظرية العامل ودراسة التركيب، مجلة صناعة المعنى وتأويل النص، منشورات كلية الآداب، مح08، منوبة، تونس، 1992، ص59.

لهذه الحقائق صار البحث اللغوي مهتما بالعلاقات بين النحو والدلالة، وبمحاولة الحصول على درجة ما من الاندماج بين هذين المجالين من مجالات الوصف اللغوي¹.

مثال توضيحي يبين العلاقات النحوية بين مكونات التركيب:



الشكل رقم (04): العلاقات النحوية بين مكونات التركيب

إن الحديث عن المعنى النحوي الدلالي هنا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما أسماه "سيبويه" "استقامة الكلام وإحالته"، حيث ترجع استقامة الكلام إن كان مستقيماً وإحالته إن كان محالاً إلى مراعاة الأمرين جميعاً جانب الوظيفة النحوية للكلمة من ناحية وجانب المعنى الوضعي (لمفرداتها) من ناحية أخرى، أما المعنى النحوي الأولي فيقصد به عند الباحث الوظائف النحوية المختلفة التي تنهض بها المفردات وقد جعل من هذه الوظائف النحوية واحدة من أربعة محاور يركز عليها بناء الجملة في اللغة العربية، وتتمثل هذه المحاور في:²

1. وظائف نحوية بينها علاقات أساسية تمد المنطوق بالمعنى (النحوي) الأساسي.
2. مفردات يتم الاختيار من بينها لشغل الوظائف النحوية السابقة.
3. علاقات دلالية متفاعلة بين الوظائف النحوية والمفردات المختارة.
4. السياق الخاص الذي ترد فيه الجملة سواء كأكان سياقاً لغوياً أم غير لغوي.

¹ عميرة خليل أحمد، في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1984، ص99.

² البركاوي عبد الفتاح عبد العليم، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، ص221.

إن المعنى النحوي هنا كما يراه الدكتور "حماسة محمد عبد اللطيف" لا يختلف في قليل أو كثير عما أسماه عبد القاهر "معنى المعنى"، وهو أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر، وقد ذكر أن مدار ذلك على الكناية والاستعارة والتمثيل والمجاز¹.

ويبقى هنا بعض التساؤلات من نحو: هل يتعلق المعنى النحوي الدلالي بالمفردات فقط أو بالجمل أو بهما معا؟ وهل تدخل الأدوات مثل "حروف الجر" في المفردات التي لها معان أولية (معجمية)؟ وكيف تتفاعل مع الوظيفة النحوية التي تنهض بها؟ وقد أجاب الباحث (يقصد حماسة) عن التساؤل الأخير بـ: "أن دراسة حروف المعاني دراسة للتركيب الذي يكون فيه لحرف بمفرداته وعلاقاته الأخرى، فعلى سبيل المثال الذي يجعل "أو" للتخيير أو للإباحة إنما هو الدلالة الملازمة للكلام (السياق)... وقد ذكر لها المتأخرون (من النحاة) اثني عشر معنى"²، فهذا يدل من وجهة نظره على أن لهذه الحروف معاني وهي معان نحوية بطبيعة الحال وليست معان معجمية، ومن ثم فإن التفاعل المشار إليه بين المعاني النحوية والمعجمية لا يتحقق في هذا النوع من الألفاظ.

نظر كثير من علماء العربية إلى وظيفة القواعد النحوية الدلالية نظرة عميقة لا تتجاوز ترتيب الألفاظ على نظام القواعد فحسب، بل تخطوا ذلك إلى العلاقة بين مفردات التركيب، قال السكاكي (ت626هـ): "اعلم أن علم النحو هو أن تتحو إلى معرفة التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستتبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية، وأعنى بكيفية التركيب تقديم بعض الكلم على بعض، ورعاية ما يكون من الهيئات إذ ذاك..."³.

¹ البركاوي عبد الفتاح عبد العليم، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنوية التركيبية في ضوء نظرية السياق، ص224.

² ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ص48. وينظر أيضا: عبد الله بن يوسف (ابن هشام الأنصاري)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج1، تح: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985، ص61.

³ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، مفتاح العلوم، حققه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص75.

وكتب النحو مليئة بذكر المعنى، فهو محور دراستهم وأبحاثهم، بل يهتم النحاة بالمعاني الدقيقة والبلغية للتركييب، ومن ذلك ما رواه ابن الأنباري (ت577هـ) عن الكندي المتفلسف أنه قال للمبرد (ت285هـ): "إني لأجد في كلام العرب حشوا، فقال له أبو العباس المبرد: في أي موضع وجدت ذلك، فقال الكندي: أجد العرب يقولون: (عبد الله قائم)، ثم يقولون: (إن عبد الله قائم)، ثم يقولون: (إن عبد الله لقائم)، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد، فقال له المبرد: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ، فقولهم: (عبد الله قائم) إخبار عن قيام، وقولهم: (إن عبد الله قائم) جواب عن سؤال سائل، وقولهم: (إن عبد الله لقائم) جواب عن إنكار منكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني"¹.

إن السيوطي (ت911هـ) حين جعل غاية النحو: "معرفة النسبة بين صيغة النظم وصورة المعنى" يشير إلى فهم لوظيفة النحو أعمق من مجرد كونه قواعد لضبط حركات الإعراب أو حتى بناء الجمل، فربطه بين "صيغة النظم" و"صورة المعنى" واختياره هذين المصطلحين بالذات للتعبير عن "الجملة" و"معناها" دليل على دقة الحس النحوي لدى صاحب التعريف، وقد نص على قضية مهمة هي - إلى حد كبير - القضية نفسها التي تدور حولها الدراسات النحوية الحديثة، خاصة لدى التحويليين (Transformations)، وهي قضية طبيعية الصلة بين التركيب والمعنى، وقد يزكي هذا المفهوم ما ختم به التعريف بقوله: "فيتوصل بأحدهما إلى الأخرى" إشارة إلى أن الصلة الوثيقة والمتبادلة بين التركيب والمعنى وأن فهم أحدهما بوضوح متوقف على فهم الآخر كذلك، أي أنه إذا لم يفهم الوظيفة النحوية لمكونات التركيب ويفهم سر وضعها على نظم خاص، فضلا عن دلائلها المعجمية تعسر فهم المعنى فهما كاملا وبالمثل إذا لم يكن المعنى المطلوب التعبير عنه واضحا في الذهن بدرجة كافية صعب تحديد بناء أو نظم الجملة التي تستطيع نقل هذا المعنى بأمانة².

¹ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ج1، تح: محمود محمد شاكر أبو فكر، مطبعة المدني، القاهرة، دط، 1992، ص209.

² ينظر: الرمالي ممدوح عبد الرحمن، العربية والوظائف النحوية (دراسة في إتساع النظام والأساليب)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، دط، 1996، ص16.

أما ما كان على مستوى الدلالة النحوية فهي تعتبر من أهم آليات التأويل وخاصة عندما يحتمل التركيب أو الأسلوب تعدد المعنى، ولهذا وظفت كمركب يستند عليه أصحاب التأويلات في تدعيم ما يرونه، ونجد لهذه الظاهرة حضوراً مكثفاً في كتب التفسير وكتب إعراب القرآن وقرآته، ولهذا اشترط العلماء جميعاً على أن تكون معرفة النحو من الشروط التي تتوفر في مفسر القرآن، ولكن هذا النوع من التأويل ليس متروكاً على عنانه، بل يشترط في اللجوء إليه عندما يخاطب ظاهر النص من حيث الظاهرة قاعدة من القواعد النحوية، ولهذا نجد ابن الأنباري (ت577هـ) يؤول قوله تعالى: {وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا} [الأنبياء، الآية 03]، فمما قاله: "الذين" يجوز أن يكون في موضع نصب ورفع وجر، فالرفع من أربعة أوجه:¹

1. أن يكون مرفوعاً على البديل من الواو في: "أسروا" والضمير يعود على الناس.
2. أن يكون خبره مبتدأ محذوفاً وتقديره: "هم الذين ظلموا".
3. أن يكون مبتدأ وخبره محذوف وتقديره: "الذين ظلموا يقولون ما هذا إلا بشر مثلكم" وحذف القول وهو الكثير في كلامهم.
4. أن يكون فاعل "أسروا" على لغة من قال: "أكلوا البراغيث" والواو حرف لمجرد الجمع كالواو، وفي قولهم الزيدون والعمران والنصب بتقدير أعني "الذين ظلموا"، والجر على أن يكون نعماً للناس وهو قول الفراء.

إلا أن اتجاهاً جديداً ظهر في السبعينات عند فلاسفة اللغة الأمريكيين المتأثرين بالمذهب النفعي (العملي أو البراجماتي) (Pragmatism) يرى أن تلك النظرة للاتصال اللغوي تغفل عن السياق وأغراض المتكلم البلاغية التي يطلقون عليها الأغراض النفعية (Pragmatic intentions). كما أن تلك النظرة توحى بأن الاتصال اللغوي محدود في تبليغ المعلومات، وتهمل قاعدة الاستنتاجات القائمة على أساس المشاركة في الاتصال الناجح، فالمنطوقات

¹ ينظر: عرابي أحمد، أثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2010، ص54. شرح الآية نقلاً: أبو البركات ابن الأنباري، البيان في إعراب غريب القرآن، ج2، تح: طه عبد الرحمن طه، مرا: مصطفى السقا، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970، ص138.

(Utterances) يمكن أن تكون في الواقع ملبسة (Ambiguous)، لذلك ينبغي أن يكون أمن اللبس (Disambiguation) السياقي (اللغوي وغير اللغوي) محل عناية، ويرون أن تلك النظرة تقتض أن المتكلم يتكلم حرفاً لا بسخرية أو بتهكم، ومباشرة لا مداورة، والأمر الملموس أن المتكلم قد يعني شيئاً أقل أو أكثر من المعنى الذي ينص عليه، وأن ما يقوله لا يحدد ما يقصده تماماً، فإذا قال مثلاً: سوف أرد الله هذا (I'm going to pay you bak for that!) احتمال أن يكون المتكلم قاصداً به وعداء، أو قاصداً به وعيداً، والمشكلة هي كيفية تحديد المتلقي لأي الأمرين¹.

ويبدو لي أن هذه النظرة لنظام الحدث الكلامي التي تنطلق من الأغراض النفعية، تقترب كثيراً مما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني في خلال عرضه لنظرية التعليق فهو يقول: "ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها (يقصد معاني النحو) ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض"²، ويقول: "وجملة الأمر أن الخبر وجميع الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه، ويصرفها في فكره، ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض"³.

فالدلالة التركيبية (Structural Semantic) تفهم من موقع الكلمات في التركيب والوظيفة التي تؤديها، وأي تغير في هذا المواقع والعلاقات القائمة بين وحدات التركيب يصاحبه تغير الدلالة التركيبية تبعاً لذلك⁴.

فالمعنى النحوي معنى وظيفي ناشئ عن وضع الكلمة في سياقها التركيبي وارتباطها بعلاقات مع غيرها من المفردات المكونة للعبارة، وهو جزء من المعنى الأكبر، وهو المعنى

¹ ينظر: مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، ص 16.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 78.

³ المرجع نفسه، ص 461.

⁴ سنخنها (الدلالة التركيبية) ببحث أوسع في موضع لاحق باعتبار أنها نقطة إنقاء مهمة بين الدراسات النحوية القديمة والمعاصرة في عدة جوانب.

الدلالي الذي يضم بالإضافة إلى المعنى الوظيفية -الصوتي والصرفي والنحوي- والمعنى المعجمي، المعنى الاجتماعي الذي يضم القرائن الحالية إلى القرائن المقالية¹. "ومعنى هذا بالتالي أننا حين نفرغ من تحليل الوظائف على مستوى الصوتيات والصرف والنحو ومن تحليل العلاقات العرفية بين المفردات ومعانيها على مستوى المعجم لا نستطيع أن ندعي أننا وصلنا إلى فهم (المعنى الدلالي)، لأن الوصول إلى هذا المعنى يتطلب فوق كل ما تقدم ملاحظة العنصر الاجتماعي الذي هو المقام"².

3. تعدد المعنى النحوي الدلالي:

الأوجه النحوية للتعبير الواحد ليست ذات دلالة معنوية واحدة، وإنما لكل وجه دلالاته بدليل القرائن اللفظية والمعنوية، وكل اختيار أو عدول من وجه إلى آخر، وكل خروج من حد إلى آخر، يترتب عليه عدول من معنى إلى آخر، ولكل صيغة دلالة تختلف عن غيرها، وإن التقت معها في الأصل لاختلاف المدلول الأصلي بالاستعمال واختيار المتكلم فتخرج من حد وضع لها أصلاً إلى غيره، لأن اللفظة تتصهر في السياق، ليضفي عليها معنى زائداً على معناها الوضعي، أو ينقلها إلى غيرها بمعونة القرائن³.

اللغة عامة في أنظمتها ورموزها، إلا أنها خاصة في استعمالاتها لأن الكلام فردي، والأفراد مختلفون، ولكل واحد نغمته الخاصة وطريقته وأسلوبه فيميل بكلامه إلى جهة نحوية معينة كالذكر والحذف والإظهار والإضمار والتعريض، والتورية ونحو ذلك في صور الطلب والجواب والتفسير، والاعتراض إعلاماً أو بناءً بحسب الغرض المقصود توليداً للمعاني الجديدة، وتوسيعاً لها برموز محدودة تخرج الكلام مناسباً للمراد وتقديماً وتأخيراً مما يجعل طريق المعاني أوسع من طريق اللفظ، وقد قيل بخلاف ذلك، بدليل التقدير النحوي للمتعلقات واتحاد معنى الجملة الفعلية في التقديم بالجملة الاسمية "من قبل أن هذه إنما هي صناعة لفظية يسوغ فعل

¹ محمد سالم صالح، الدلالة والتعقيد النحوي، دراسة في فكر سيبيويه، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008، ص129، 130.

² تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ط5، 2006، ص342.

³ حمد عبد الوهاب حسن، النظام النحوي في القرآن الكريم (دلائل الكلم)، ص07.

تنقل الحال وتغيرها، فأما المعاني فأمر ضيق، ومذهب مستصعب، ألا تراك إذا سألت عن زيد من قولنا: قام زيد سميته فاعلا، وإن سألت عن زيد من قولنا: زيد قام سميته مبتدأ لا فاعلا، وإن كان فاعلا في المعنى، وذلك أنك سلكت طريق صنعة اللفظ فاختلفت السمة، فأما المعنى فواحد فقد ترى إلى سعة طريق اللفظ وضيق طريق المعنى¹.

ولعل تهيب الباحثين من مجال الدلالة التركيبية، وهو ما يسمى أيضا بالمعاني النحوية يرجع إلى الصعوبات الكامنة في تحديد الدلالة التركيبية للجملة، فإن الجملة قد تصاغ بصيغة معينة وتحتل عدة معان مختلفة، بعضها بطريق البعض، وبعضها بطريق الالتزام، وبعضها بطريق الدلالة المباشرة، وبعضها بطريق الإيحاء أو الرمز إلى آخره، وتزداد الصعوبة إذا انتقلنا إلى مجال الأدب وبخاصة الشعر، فإن دلالة التركيب فيه طبقات بعضها فوق بعض، وكلما كان النص جيدا ازدادت طبقات المعنى فيه تعدداً.

-وإني أعتقد مع هذا- أن ما أسميه هنا "المعنى النحوي الدلالي" مطلب ضروري، لأنه -حتى مع تعدد المعاني للجملة أو تركيبها- يقدم تفسيراً لطبقة مهمة من طبقات المعنى، وهي الطبقة الأولى من طبقات تفسيره، والطبقة الأولى هي الأساس الذي يبني عليه ما يليه من طبقات، ولا يمكن فهم ما بعدها إلا بفهمها أولاً، ومعرفة مداخلها، والأسس التي تنهض عليها².
لأن اللغة وضعت على تعدد الدلالة في الأصل، فاللفظ عند النطق به يصاب بالضرورة بشيء من التغيير... كما يصيب المعنى أيضاً شيء كثير من التغيير لأن المعنى لا يوجد منعزلاً عن المعاني الأخرى فهو يدخل في نظام من العلاقات العقلية، ولهذا قد يتحول إلى معنى آخر بوجود هذه العلاقات وإرادة المتكلم³.

¹ حمد عبد الوهاب حسن، النظام النحوي في القرآن الكريم (التكثيف والتبكيث)، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012، ص157.

² ينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ص20.

³ الحاج صالح عبد الرحمن، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، دط، 2012، ص111.

4. حدود دلالة الكلمة من المعجم إلى التركيب:

إن المعاني الوضعية تختزل في التركيب، والمعاني النحوية تتبع الموضع أو الموقع أو الرتبة، ولكن المعاني الدلالية أوسع من ذلك بكثير بدليل الإيحاء أو الإشعار وخروج المعنى النحوي العام في صور مختلفة، ولكل صورة معنى مختلف بدليل مجيء الطلب في صورة الجواب وبالعكس وليس الإعلام بمعنى الإنباء، لأن الإسناد بخلاف النسبة، فالخبر "ما أتاك من نبأ عن تستخبر"¹، والابتداء في حقيقته إخبار، لأن الخبر هو المبتدأ في المعنى، فهو في حقيقته جواب لطلب سابق، بدليل ضمير الشأن والفصل، ومجيء الخبر في صورة الطلب وبالعكس، والابتداء بالنكرة للدعاء، نحو سلام، وويل ونحوهما، لأنهما أثبت وأدوم من النسبة في الدعاء واشتراك حروف الاستفهام والعطف بين الطلب وجوابه تقريراً وتحقيقاً لغرض التعظيم والتحقير والتهكم والاستخفاف والاستدلال للكشف عن كوامن الوجدان ونحو ذلك، وكذلك خروج الصيغة الصرفية إلى معنى الإيجاب في المطاوعة لاختصاصها بالانفعال والافتعال والتفاعل مع الأحداث فجاءت أوزانها معبرة عن طبيعة المطاوع لبيان صفة التمكّن والتقدم فيها استجابة لإرادة المتكلم لأن المفعول قد لا يستجيب فلا يمثل للإرادة².

إن تعدد مناهج اللغة يدل على شمولها روافد الفكر الإنساني، لأنها منبعه وصورته الشكلية مرتبطة به تعبيراً عنه، وإنما اختلفت مناهجها لاختلاف فروعها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية تبعاً لمكوناتها وانسجامها في النظم المعبر عن المراد، وإن خالف مضمونه ظاهره مجازاً واستعارة وتغييراً في الدلالة بحسب الظروف التاريخية والاجتماعية لارتباطها بالذهن، لأنه ليس في الذهن كلمة واحدة منعزلة، فالذهن يميل دائماً إلى جمع الكلمات وإلى اكتشاف عرى جديدة تجمع بينها، والكلمات تثبت دائماً بعائلة لغوية بواسطة دوال المعنى أو دوال النسبة التي تميزها، أو بواسطة الأصوات اللغوية التي تتركب منها... فالذهن يميل إلى أن

¹ أبو الفضل جمال الدين بن محمد المكرم (ابن منظور)، لسان العرب، ج4، دار صادر، بيروت، دط، ص226، مادة (خبر).

² حمد عبد الوهاب حسن، النظام النحوي في القرآن الكريم (التنكيث والتبكيث)، ص157، 158.

يصل بين الكلمات تبعا لشكلها الخارجي وأحيانا على عكس ما يقتضي المعنى بل على عكس ما يقتضي العقل السليم¹.

واختلاف الصوت والتركيب والأسلوب يدل على استحالة دراسة الشكل التعبيري مستقلا، وقد أدرك أصحاب المنهج المقارن ذلك، فوصلوا النطق بأصحابه وظروفه "فلا يغرنك إذن أن تسمع المتكلم الأجنبي يأتي في كلامه بأصوات تذكرك لغتك، فتظن بادئ ذي بدء أن هذا هو عين الصوت الذي تتكلم به أنت، فأنت إذا دقت السمع وجدت فرق بين السماء والأرض بين صوتك الذي في كلامك وصوته الذي في كلامه، وذلك فرق يبدو بدقة الملاحظة، يرجع إلى اختلاف نوع التكيف العضلي الذي يصحبه، وهذا التكيف أمر فردي في طابعه حتى ليختلف الأخوان في طريقة النطق ويختلف الشخص نفسه من نطق إلى نطق بحسب ظروفه العضلية والنفسية"²، وذلك لأنه لا يعبر بالصوت منفردا بل مجموعا بنظام تشكيلي صياغة ومبنى، والمجاورة الصوتية للأصوات المختلفة مخرجا وصفة تجعل منها شكلا ملتحما يصعب فيه فصل بعضها عن بعض، وكذلك تأليف الكلمات في سياق الشكل المعبر عن وحدة المعاني المستقلة في صيغها، لارتباطها بعلاقات تفصح عن فكر أصحابها، لذلك لم يصل علم الدلالة الشكلي المستقل، وهو "مصطلح تحويلي أطلقه بعض التحويليين ومنهم تلميذ تشومسكي جون ليونز على ما كان يعني في الأصل التحليلي الدلالي للأنظمة الشكلية... ولعل أهم ما يلتفت إليه في هذا المجال أن علم الدلالة الشكلي يرتبط بنظرة ضيقة إلى معنى الجملة"³، وكذلك يصعب تجزئة الشكل العام بفصل مكوناته ودراستها منعزلة عنه، لأنه متكامل مبدءا بجهاته المتنامية ونهاية، لأن اللغة أفكار مترابطة "فتقسيم اللغة إلى عناصر ثلاثة هي الأصوات والصيغ النحوية والكلمات... ما هو إلا تقسيم اصطناعي محص لأن هذه العناصر ترتبط

¹ ينظر: جوزيف فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومجد القصاص، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ع1989، دط، 2014، ص232.

² تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1986، ص74.

³ حمد عبد الوهاب حسن، النظام النحوي في القرآن الكريم (التنكيث والتبكيث)، ص234، 235.

ببعضها البعض ولا توجد منفصلة إطلاقاً مهما بدا من اختلافها، بل تتصهر كلا في تلك الوحدة التي هي اللغة نفسها"¹.

لأن المعاني التركيبية زائدة على المعاني الإفرادية المستقلة بذواتها المتباينة والتي يوحدتها المعنى العام للشكل من مبدئه حتى ختامه، وهو الذي يربطه بغيره في سلسلة متواصلة من الصور التعبيرية المتلاحقة التي لا تنفصم عراها بالحذف الظاهر بل إنها لتزداد متانة وسعة وفخامة بأقل جهد وأوجز عبارة وأقصر مدة، بما يناسب الحال والمقام وقدرة المنتج في الرصف والترتيب بالعلاقات المشعرة بالغرض واللفظ المنفرد لا يدل على ذلك.

وقد تتراكم المعاني على لفظ بعينه بحكم بنيته الصرفية العامة، ولكن "السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق أيضاً هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية، ولكن الكلمة بكل المعاني الكامنة توجد في الذهن مستقلة عن جميع الاستعمالات التي تستعمل فيها، مستعدة للخروج والتشكل بحسب الظروف التي تدعوها"². فنحن نشعر أن الكلمات: إعطاء، عطية، عطاء، معط، معطى... الخ تكون عائلة قائمة بذاتها، تتميز بعنصر مشترك هو (ع ط ي) مهما تنوعت معاني المشتقات³.

لقد انتبه الجرجاني (ت471هـ) بفكره الناقد إلى حقيقة هامة وهي أن وضع اللغة أصلاً كانت الغاية منه أن يتم التفاهم بين الناس، والكلمات التي هي سمات للمسميات لا فائدة منها بحد ذاتها، وليس الغاية أن تعرف معانيها بنفسها، فلا يقال "جبل" أو "كتاب" ليعرف عنى هذا الشيء بذاته، إذ لا تتم المواضعة إلا على شيء معروف أصلاً، يقول الجرجاني (ت471هـ) في ذلك "إن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد"⁴.

¹ جوزيف فنديس، اللغة، ص293.

² المرجع نفسه، ص231

³ نفسه، ص232.

⁴ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص416.

يعيب الجرجاني (ت471هـ) على أولئك الذين يرون الفصاحة في اللفظ المفرد، ويقول: "إنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تنقل عليك وتوحشك في موضع آخر، فلو كانت الكلمة إذا حسنت، حسنت من حيث هي لفظ، وإذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لا في النظم، لما اختلف بها الحال وكانت إما أن تحسن أبداً أولاً وتحسن أبداً¹. وفي هذا الصدد يقول أحد أقطاب هذه النظرية وهو "تريير" (Trier): "إن قيمة كلمة ما لا يمكن تحديدها إلا بتعريفها ضمن علاقتها بقيمة الكلمات المجاورة لها والمتباينة معها، إنها لا تحصل على معنى إلا باعتبارها جزءاً من كل، ولهذا فإنه ليس هناك من معنى إلا داخل هذا المجال"²، وهذا كله يقودنا إلى أن الكلمات متماسكة لا يمكن للواحدة أن تستغني عن الأخرى.

فالكلمة المفردة إذا لم يتم ربطها بغيرها من الكلمات صراحة أو تقديراً فلا تزيد عن كونها صوتاً نصوت به، إذ لا فائدة خبرية ولا بلاغية ولا سمة نحوية... وإنما تظهر فيها الفائدة الإخبارية والصفات النحوية والإعرابية عند دخولها في الجملة وتأليف الكلام³، وهذا ما أكده البلاغيون من أن ذكر الكلمة وحدها منفردة لا قيمة دلالية لها خارج السياق، إذ أن ذكرها منفردة كنعيق الغراب في الخلو من الفائدة، وأن الأهم من ذلك هو التركيب داخل السياق، وقد عبر الرازي عن ذلك بقوله: "اعلم أن الألفاظ لا تستعمل لإفادتها مدلولاتها المعنوية إلا عند التركيب، بل الحق أن الغرض الأصلي من وضع المفردات لمسمياتها أن يضم بعضها إلى بعض ليحصل منها الفوائد المركبة، وهكذا جميع المفردات مع ما يتركب منها"⁴.

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص40.

² زرال صلاح الدين، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص197.

³ شامية أحمد، خصائص العربية والإعجاز القرآني في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 1995، ص127.

⁴ بابو غياث محمد، الجملة الإنشائية بين التركيب النحوي والمفهوم الدلالي، أطروحة دكتوراه، جامعة تشرين، سوريا، 2009/2008، ص344. نقلاً: الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص147.

الفصل الأول

المقاربة التراثية والمعاصرة للدلالة النحوية

1. المقاربة التراثية للدلالة النحوية:

1.1. أهمية اللفظ والمعنى.

2.1. الدلالة النحوية في نظرية النظم.

3.1. القرآن والدلالة النحوية.

4.1. الدلالة النحوية القرآنية.

5.1. الدلالة النحوية بين الحقيقة والمجاز.

2. المقاربة المعاصرة للدلالة النحوية:

1.2. الدلالة النحوية بين الاعتباطية والعقلانية.

2.2. ظاهرة التعدد في الدلالة النحوية.

3.2. الدلالة التوليدية.

4.2. الدلالة النحوية في النحو العرفي.

1. المقاربة التراثية للدلالة النحوية:

1.1. أهمية اللفظ والمعنى:

جذبت الروابط بين الألفاظ ومدلولاتها انتباه القدماء ودفعتهم للتساؤل عن السبب في استخدام ألفاظ معينة للإشارة إلى معان معينة، لذا يرى أغلب الدارسين المعاصرين أن معظم القدماء إن لم يكن جميعهم قد ذهبوا إلى أن السبب في استخدام لفظ معين للدلالة على معنى معين إنما يعود إلى وجود "مناسبة" بطريقة أو بأخرى بين هذا اللفظ وهذا المعنى. يعتقد السيوطي (ت911هـ) في هذا الصدد أن الألفاظ التي تشير إلى أصوات طبيعية إن هي إلا صدى لهذه الأصوات، هذا هو السبب إذن في استخدام "وشوشة" للدلالة على حركة القدم وهمس بعضهم لبعض، و"غرغرة" للدلالة على صوت لترديد الماء في الحلق... وفي استخدام "الكركرة" بالكاف للدلالة على الضحك، و"القرقرة" بالقاف للدلالة على حكاية الضحك إذا استغرب الرجل فيه، و"الررفة" بالراء للدلالة على صوت أجنحة الطائر إذا حام ولم يبرح، وعشرات غيرها من الألفاظ أتى بها السيوطي بالمزهر لبيان "بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها"¹.

لم يقصر القدماء العرب المناسبة بين الألفاظ ومدلولاتها على مجموعة الألفاظ التي تشير إلى أشياء يصدر عنها أصوات أو إلى تلك الأصوات التي تصدر عنها، فقد أفرد ابن جني (ت392هـ) ثلاثة أبواب في كتابه الخصائص يبين فيها طرق مناسبة الألفاظ لمعانيها... يعتقد ابن جني أن تكرار حروف اللفظ يدل على تكرار الحدث الذي يشير إليه اللفظ: "ذلك أنك تجد المصادر الرباعية المضعفة تأتي للتكرير نحو الزعزعة، والقلقلة، والصلصلة، والقعقعة، والصعصعة، والجرجرة، والقرقرة... فجعلوا المثال المكرر للمعنى المكرر"².

كما يعتقد ابن جني (ت392هـ) -أيضا- أن ترتيب حروف اللفظ يتفق مع المعنى الذي يشير اللفظ إليه، "ومن ذلك أنهم جعلوا استعمل في أكثر الأمر للطلب، نحو استسقى واستطعم،

¹ ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، تح: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3، دت، ص53.

² أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، ج2، حققه محمد علي النجار، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص153.

واستوهب، واستمنح، واستقدم عمرًا، واستصرخ جعفرًا. فرتبت في هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال، وتفسير ذلك أن الأفعال المحدث عنها أنها وقعت في غير طلب، إنما تفجأ حروفها الأصول، أو ما ضارع بالصنعة الأصول. فالأصول نحو قولهم: طعم ووهب، ودخل وخرج، وصعد ونزل. فهذا إخبار بأصول فاجأت عن أفعال وقعت، ولم يكن معها دلالة تدل على طلب لها ولا إعمال فيها... (أما) إذا أخبرت بأنك سعيت فيها وتسببت لها، وجب أن تقدم أمام حروفها الأصول في مثلها الدالة عليها أحرفا زائدة على تلك الأصول تكون كالمقدمة لها والمؤدية إليها، وذلك نحو استفعل، فجاءت الهمزة والسين والتاء زوائد، ثم وردت بعدها الأصول: الفاء والعين واللام. فهذا من اللفظ وفق المعنى الموجود هناك¹.

ويرى ابن جني (ت392هـ) أن أصوات الحروف وترتيبها يمكن أن يصور الحدث الذي يشير إليه اللفظ: "وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها، وتقديم ما يضاهاى أول الحدث، وتأخير ما يضاهاى آخره، وتوسيط ما يضاهاى أوسطه، توثقًا للحروف على سمت المعنى المقصود، والغرض المطلوب. وذلك قولهم: بحث فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والخاء لصحلها تشبه مخالبا الأسد وبراشن الذئب ونحوهما، والتاء للنفث والبث للتراث، وهذا أمر تراه مدروسا محصلا... ومن ذلك قولهم شد الحبل ونحوه، فالشين بما فيها من التفشي تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد، ثم يليه إحكام الشدو وال جذب، وتأريب العقد، فيعبر عنه بالبدال التي هي أقوى من الشين لاسيما وهي مدغمة، فهو أقوى لصنعتها وأدل على المعنى الذي أريد بها..."².

ومن الآراء المهمة عند القدماء -أيضا- أن "المناسبة" بين الألفاظ والمعاني لاتي تشير إليها هي السبب في تقارب الألفاظ عند تقارب المعاني. يشير سيبويه (ت180هـ) إلى ذلك قائلا: "من المصادر التي تقاربت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك التروان والنقزان، وإنما هذه الأشياء في زعزة البدن واهتزازه في ارتفاع، ومثله العسلان والرتكان... ومثل هذا

¹ ابن جني، الخصائص، ج2، ص153.

² المرجع نفسه، ج2، ص164، 165.

الغليان لأنه زعزعة وتحرك، ومثله الغثيان لأنه تجيش نفسه وتغور، ومثله الخطران واللمعان لأن هذا اضطراب وتحرك، ومثل هاذ اللهبان والوهجان لأنه تحرك الحر وتثوره، فإنما هو بمنزلة الغليان¹. يذكر السيوطي (ت911هـ) أن جمهور القدماء أجمع على فساد الرأي القائل بالمنسبة الطبيعية بين الألفاظ والمعاني أو "الألفاظ التي تدل على المعاني بذواتها"، و"دليل فساده أن اللفظ لو دل بالذات لفهم كل واحد منهم كل اللغات، لعدم اختلاف الدلالات الذاتية، واللازم باطل، فالملزوم كذلك"². في نفس الوقت الذي أنكر فيه الجمهور فكرة أن الألفاظ تدل على المعاني بذواتها، فإن أهل اللغة والعربية كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني. يقول إبراهيم أنيس: "مع أن معظم اللغويين من العرب لا يأخذون بهذا الرأي، نرى كثيراً منهم يربطون في مؤلفاتهم بين الألفاظ ومدلولاتها ربطاً وثيقاً يكاد يشبه الصلة الطبيعية أو الذاتية"³.

يمكن القول أن الرأي الغالب في الدراسات اللغوية العربية القديمة، فيما يتعلق بطبيعة العلاقة بين الألفاظ والأشياء، أن الألفاظ تتناسب مع الأشياء التي تشير إليها فلم يكن لدى قطاع الدراسات اللغوية في حقل الثقافة العربية القديمة بهذا الشكل أي مشكل في إدراك أن العلاقة بين الرموز اللغوية ومدلولاتها في العالم الخارجي ليست علاقة طبيعية، كانت المشكلة في حقيقة الأمر هي في العمل بموجب هذا الإدراك، وهو الأمر الذي ركز عليه اللغويون المعاصرون.

1.1.1. رأي اللغويين المعاصرين في العلاقة بين اللفظ والمعنى:

عاد موضوع العلاقة بين الأصوات والمدلولات ليحتل موقعا مركزيا في اهتمامات الدراسات اللغوية العربية مع بداية الاتصال بالفكر اللغوي الحديث، ويعد كتاب إبراهيم أنيس الصادر عام 1958م من أوائل البحوث في هذا الاتجاه، الذي يعرض لطبيعة العلاقة بين

¹ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)، الكتاب، ج2، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ص157، 158.

² جلال الدين السيوطي، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص16.

³ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص64.

الألفاظ والمعاني، يظهر فيه إدراك واضح لاعتباطية العلاقة بين الرمز الصوتي والصورة التي يثيرها في العقول، يقول: "الألفاظ لا تعدو في حقيقتها أن تكون بمثابة الرموز على الدلالات، كل لفظ يصلح أن يتخذ للتعبير عن أي معنى من المعاني، فما يسمى "بالشجرة" يمكن أن يسمى بأي لفظ متى اصطلح الناس عليه، وتواضعوا على استعماله فليس في لفظ "الشجرة" ما يوحي بفروعها وجذورها وأوراقها وخضرتها. وقد كان من الممكن أن يعبر عن هذه المعاني برموز أخرى غير صوتية كالإشارة ونحوها، ولكن الإنسان بدأ منذ أمد بعيد جدًا يأخذ من أصواته رموز للتعبير عما يخطر في ذهنه¹.

ويظهر أن "إبراهيم أنيس" قد تحققت له زعامة مجموعة من الدارسين المعاصرين الذين ينفون بصورة واضحة وجود أي صلة طبيعية بين اللفظ والمعنى، يتضح ذلك من قول بعضهم: محمود فهمي حجازي: "ليست هناك أية صلة طبيعية بين الرمز اللغوي ومدلوله في الواقع الخارجي". البدرابي زهران: "ألفاظ اللغة في أية لغة لم توضع لتعرف بها معانيها في أنفسها، ولا علاقة بالمرّة بين اللفظ ودلالته". عبد الصبور شاهين: "ليست هناك أية رابطة طبيعية بين الأصوات ومدلولاتها". مما يؤشر إلى وجود إدراك واسع في قطاع الدراسات اللغوية العربية الحديثة لفساد الأسس التي تقوم عليها فكرة المناسبة، يتضح ذلك من الإشارات المتعددة².

لم يكتف المحدثون من اللغويين العرب ببيان فساد الأسس التي تقوم عليها فكرة المناسبة، بل قاموا بالكشف عن تلك الأفكار التي تستند في نهاية الأمر على فكرة المناسبة، وبيان فسادها هي الأخرى، يشير محمود فهمي حجازي في هذا الصدد إلى أنه: "قد توهم البعض في عدد من الكلمات مثل: خريز، سهيل، هديل، محاكاة للطبيعة، وأطلق ابن جني على هذه الكلمات اسم الأصوات المسموعات، ولكن هذه الكلمات لا تختلف في شيء عن باقي كلمات اللغة من الناحية الدلالية، إذ أنها لم تكتب قيمتها اللغوية إلا في بيئة محددة، بل كل

¹ ينظر: مرتاض عبد الملك، نظرية اللغة العربية (تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها)، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، دط، 2012، ص170.

² ينظر: شاهين كمال، نظرية النحو العربي القديم، دراسة تحليلية للتراث اللغوي العربي من منظور علم النفس الإدراكي، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 2008، ص131.

منها ذات إيحاء محدد في مجتمع لغوي بعينه دون غيره، فكلمة خريز تؤدي معناها في البيئة اللغوية العربية وتوحي فيها بصوت الماء المتدفق المتلاطم، ولكن هذه الكلمات ليست لها أي دلالة أو معنى أو قدرة إيحائية خارج البيئة اللغوية العربية¹. ويشير إبراهيم أنيس إلى أن الألفاظ "تختلف باختلاف اللغات حتى في الفصيلة الواحدة، فليس لخريز الماء، أو حفيف الشجر، أو مواء الهر، أو نباح الكلب في لغات البشر كلمات مشتركة في لفظها أو في بعض لفظها"².

2.1.1. الاشتقاق الكبير:

أكد عدد كبير من الباحثين على أن الاشتقاق الكبير يقوم في التحليل النهائي على فكرة المناسبة بين الألفاظ والمعاني، أي أنه يفترض أساساً أن هناك "رابطة طبيعية" بين اللفظ والمعنى. يشير إبراهيم أنيس في هذا الصدد إلى أن: "ما يسمى بالاشتقاق الكبير يفسر لنا عادة بأن بعض المجموعات الثلاثية من أصوات ترتبط بعض المعاني ارتباطاً مطلقاً غير مقيد بترتيب، أي أن كل مجموعة منها تدل على المعنى المرتبط بها كيفما اختلف ترتيب أصواتها، وهكذا نرى أن ابن جنى كان ممن يؤمنون إيماناً قوياً بوجود الرابطة العقلية المنطقية بين الأصوات والمدلولات أو ما يسميه بعض المحدثين بالرمزية الصوتية³.

من ناحية أخرى يوضح عبده الراجحي ذلك بقوله: "مما هو متصل بالدراسة المعجمية ما عرض له ابن جنى (ت392هـ) تحت ما أسماه "الاشتقاق الكبير". فقد كان أبو الفتح يعتقد أن اللغة -بأصواتها التي تمثلها الأبجدية- إنما تقدم احتمالات لا نهاية لها من الألفاظ التي ترمز إلى معانٍ، ومن ثم أكد أن تقلبات اللفظ الواحد تؤدي إلى معانٍ متقاربة اعتماداً على ما قرره من وجود علاقة بين اللفظ ومدلوله"⁴.

كما أضاف فؤاد طرزي أن: "الاعتقاد بصحة هذه النظرية يترتب عليه أمران: الأول أن لكل حرف من حروف العربية قيمة دلالية خاصة ولا يغيرها تغير موقع الحرف في اللفظة، أو

¹ ماريو باي، أسس علم اللغة، تح: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 8، 1998، ص13.

² إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص23.

³ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط6، 1978، ص65، 67.

⁴ الراجحي عبده، فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص164.

تغييره بحرف آخر من مخرجه، والثاني أن صوت الحرف هو الذي يؤدي إلى هذه القيمة الدلالية، وفي كل هذين الأمرين ما فيه من مجافاة للواقع¹.

يلخص صبحي الصالح موقف كثير من اللغويين المحدثين بقوله أن: "القيمة العقلية لمعرفة التقاليد المحتملة لمادة ما ليست إلا لغوا وعبثاً، ولولا الرغبة في تبيان مفاستها لما سودنا بياض هذا القرطاس بهذه التقاليد التي تشبه رموز الحساب أو اصطلاحات المنطق، فهي بهذا كله أبعد المباحث عن منهج فقه اللغة الذي لا تدرس فيه إلا الحقائق"².

إن التخلص من سيطرة فكرة المناسبة على أذهان كثير من الدارسين المعاصرين يبدو مستحيلاً، ويتضح ذلك على كل من مستوى الممارسة ومستوى النظرية.

- **أولاً على مستوى الممارسة:** على مستوى الممارسة مازالت فكرة المناسبة توجه الدرس اللغوي العربي بغض النظر عما إذا كان اللغويون العرب على وعي بذلك أم لا. يتضح ذلك من الإشارات المتعددة إلى "الأصوات الطبيعية" و"الدلالة الصوتية" و"الاشتقاق الكبير"، بل و"التصوير اللفظي".

فيما يتعلق بالأصوات الطبيعية أو "الأصوات المسموعات" بتعبير ابن جني (ت392هـ) مازال هناك من يصرح بوجود رابطة طبيعية بين الأصوات التي تصدرها الطبيعة وبين الألفاظ التي تشير إليها. يقول "عبد الصبور شاهين" في هذا الإطار: "كذلك قد عرفت اللغات نوعاً من الكلمات ارتبطت فيه اللفظ بالمعنى، وهي الكلمات التي تحاكي أصواتاً في الطبيعة لمخلوقات الله، كما جاء في العربية من ألفاظ: الحفيف، والخير، والصهيل، والعواء، والصرصرة، والزئير، والبسم، والتتوين"³. أما ما يخص الدلالة الصوتية فإننا نجد بسهولة فيما تنتجه الدراسات اللغوية من يردد أقوال ابن جني في اختيار أصوات بعينها للدلالة على معان بعينها "حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأشياء"⁴.

¹ طرزي فؤاد حنا، الاشتقاق، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص331.

² الصالح صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 2009، ص207.

³ شاهين عبد الصبور، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1986، ص133.

⁴ ابن جني، الخصائص، ج2، ص158.

كما يبيّنه الاستشهاد التالي بوضوح، يقول عبد الغفار هلال أن: "الدلالة الصوتية هي ما يكون بين أصوات بعض الكلمات، وطرائق نطقها وبين معانيها من ارتباط، فقد اكتشف بعض العلماء في طائفة من الألفاظ العربية صلة بين ألفاظها ومعانيها فبينوا أن العربي كان يربط بين الصوت والمعنى، فيجعلهما متشابهين فيدل على المعنى الضعيف بأصوات ضعيفة وعلى المعنى القوي بأصوات قوية، ومن ذلك كلمتا (النضح) و(النضخ) فكلاهما لسيلان الماء ونحوه، أي أن الأول سيلان ضعيف فناسبته الحاء الرقيقة والثاني سيلان قوي فناسبته الخاء الغليظة، ومثلهما (سد) و(صد) فكلاهما لمعنى الحاجز، إلا أن الأول لسد الباب ونحوه وهو ضعيف فاستخدم له السين الضعيفة، والثاني لجانب الجبل وهو قوي فاستخدم له الصاد القوية، وهكذا جعل العربي الصوت في مقابل المعنى المناسب له، وتمتد المناسبة من الحرف الواحد إلى حرفين وإلى جميع حروف الكلمة"¹.

لم يقف المحدثون عند حد القول بوجود رابطة طبيعية بين الألفاظ والمعاني، بل ذهبوا إلى حد القول بأن هناك ألفاظاً "تصور الحدث الذي تدل عليه". يشير محمد الأنطاكي إلى أن هناك من المحدثين من ذهب إلى أن: "الأصوات تدل على معانيها مهما يكن موضعها من الثلاثي، وعلى هذا مضوا يناقشون الثلاثيات العربية كما فعل ابن جني من قبلهم في فعل (بحث)، فقالوا في (غرف): إن الغين تدل على الغموض، وهي بذلك تتناسب أول مرحلة من مراحل حدث (الغرف) عندما يغيب الغارف يده أو مغرفته في السائل، وإن الراء تدل على الحركة، وهي تتناسب المرحلة الثانية من الحدث عندما يحرك الغارف مغرفته في السائل قبل أن يرفعها، وإن الفاء تدل على الظهور والانفتاح والفصل، وهذا يناسب آخر مراحل الحدث عندما يرفع الغارف مغرفته فيفصلها عن السائل ويظهرها بعد أن كانت مستترة"².

¹ عبد الغفار هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1986، ص198.

² الأنطاكي محمد، دراسات في فقه اللغة، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1969، ص295.

وممن أيد هذا الرأي بشدة الدكتور عبد الملك مرتاض¹ حيث أسهب في شرح الكثير من الأمثلة (الشجرة، الحب...) في مؤلفه "نظرية اللغة العربية" والتي أكد فيها على الرابطة الطبيعية بين الألفاظ العربية ومعانيها، عكس ما يزعم دي سوسير في تنظيراته اللغوية من أن وضع اللغة في دلالاتها الأولى اعتباطي، وقد أكد آخرون أيضا "وجود مناسبة بين ترتيب أجزاء الحدث وترتيب مخارج الحروف في الكلمة، فكلمة خرج تبدأ من الحلق صاعدة نحو الفم دلالة على الخروج، وكلمة دخل على عكسها تبدأ بالبدال ومخرجها في أول الفم ثم تأتي الخاء ومخرجها في الحلق، فالفعل يتجه من الخارج إلى الداخل"².

- **ثانيا: على مستوى النظرية:** الأمر الأكيد وجود من يصرح بأن موضوع العلاقة بين اللفظ والمعنى هو من القضايا التي لم تحسم بعد، يصرح أحمد قدور: "لاشك في أن الكثير مما نكره القدماء والمحدثون حول القيمة التعبيرية للحرف الواحد ينبغي أن يؤخذ بالمزيد من الاحتراز حتى لا ينساق المرء وراء بضعة أمثلة لا تكفي لحسم قضية مهمة كهذه"³.

من ناحية أخرى يشير بعض الدارسين إلى أن كثيرا من العلماء تحمسوا لنظرية ابن جني، وقاموا بعملية استقراء واسعة في محاولة لجمع أكبر عدد ممكن من الأدلة والبراهين على صحتها، ومع ذلك لا يزال فيها جوانب ضعف كثيرة، فهي في أغلب الأحيان تطالبنا بالتسليم بأن العرب الأولين أدركوا بالبدهة وحدها ما لم يدركه غيرهم بالروية وإعمال الفكر⁴.

ومما لا يمكن إنكاره أيضا أنه مازال هناك من المحدثين من يصرح بفكرة المناسبة بين الألفاظ والمعاني، ففي العصر الحاضر هناك من يذهب مذهب الخليل وسيبويه وابن جني طائفة من علماء العربية نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر الأستاذ محمد المبارك، والدكتور صبحي الصالح، والأب مرمجي الدومينيكي، وجرجي زيدان، وخير الدين الأسدي.

¹ ينظر: مرتاض عبد الملك، نظرية اللغة العربية (تأسيسيات جديدة لنظامها وأبنيتها)، ص 92.

² ينظر: شاهين كمال، نظرية النحو العربي القديم، دراسة تحليلية للتراث اللغوي العربي، ص 136. نقلا عن: طنطاوي محمد دراز، ظاهرة الاشتقاق في اللغة العربية، ص 302.

³ قدور أحمد محمد، مدخل إلى فقه اللغة العربية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط 4، 2010، ص 132.

⁴ ينظر: الأنطاكي محمد، دراسات في فقه اللغة، ص 335، 336.

وكان من نتيجة الاستقراء الواسع نسبياً الذي قام به هؤلاء الباحثون أن كشفوا عن ظواهر في العربية غريبة لافتة للنظر، لا يستطيع الباحث أن يمر بها من غير أن يقف عندها ويتساءل، فمن ذلك أنهم وحدوا أن صوت الغين إذا جاء في أول الثلاثي العربي دلّ على الغموض والاستتار، مثل: غاب، غار، غاص، غام، غمض، غمر، غمس، غم، غفل، غرب، غرق، غدر، غبر، غص، غبش، غش... الخ، وأن صوت النون إذا جاء في أول الثلاثي دلّ على الظهور، مثل: نبغ، نبش، نبز، نفر، نز، نما، نشر، نهز... الخ، وأن صوت الراء إذا جاء في أول الثلاثي دلّ على الحركة، مثل: ركب، رجع، راح، ركض، رفع، رجف، رسب، ردم، رفس، رحل، رفص، ربا... الخ، وأن صوت الفاء يدل على الفصل والفتح، مثل: فصل، فتح، فرق، فرج، فاح، فسق، فسر، فلق، فلح، فجر، فاه، فر، فصم، فضح... الخ¹.

وإذ يؤكد البحث فكرة المناسبة بين الألفاظ ومعانيها، فإنه من جانب آخر يولي أهمية كبرى لضرورة ربط ذلك بتراثنا اللغوي الذي لم يخف فيه على ثلثة من علماءنا القدامى أن لكل صوت في العربية صنعة ومخرجا، وإيحاء ودلالة ومعنى، وظلا وإشعاعاً، وصدى وإيقاعاً، لا أنه صوت فقط، وأثبتوا القيمة التعبيرية للصوت البسيط وهو حرف واحد في كلمة، كما أثبتوا نفس القيمة للصوت المركب، وهو ثنائي، وتوصلوا كما قال ابن جني - أيضاً - إلى أن في تقديم الحروف ما يضاهي أول الحديث، وتأخيره ما يضاهي آخره، وتوسط ما يضاهي أوسطه، سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب، ومثل لذلك بمادة (بحث) فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة كف الأسد على الأرض، والحاء تشبه المخالب إذا غابت في الأرض، والثاء للنفث والنبش للتراب².

وخلاصة القول أن الخليل (ت170هـ) كان السباق إلى وضع لبنات علم الأصوات، والاشتقاق الكبير، والأخذ بنظرية محاكاة الأصوات الطبيعية في نشأة اللغة، والقائل بتركيب الأدوات والكلمات المركبة، وأن ابن جني أفاد من في دراسات الصوتية، واقتبس منه فكرة

¹ ينظر: شاهين كمال، نظرية النحو العربي القديم، دراسة تحليلية للتراث اللغوي العربي، ص137.

² شاهين محمد توفيق، عوامل تنمية اللغة العربية، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، دط، 1993، ص07.

الاشتقاق، وقويت لديه نظرية المحاكاة في نشأة اللغة، ووافقه في تركيب الأدوات المركبة، وأن الدكتور إبراهيم أنيس صحح نتائج درسهما، ونقل لنا وجهة نظر المحدثين في هذه المسائل المهمة، فأظهر لنا تأييد درس الحديث لآراء الخليل وابن جني¹.

2.1. الدلالة النحوية في نظرية النظم:

يمكن اعتبار نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) والتي عرضها في كتابيه الشهيرين "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" وبصورة خاصة في الأول منها يمكن تنويفا لمناقشات واسعة متشعبة حول الإشكالية التي يطرحها الزوج: اللفظ/المعنى، مناقشات دامت أزيد من قرنين ونصف، وهكذا فطوال الفترة من القرن الثالث إلى الخامس الهجري كانت إشكالية اللفظ والمعنى على رأس القضايا البيانية التي استأثرت باهتمام المتكلمين والبلاغيين فضلا عن النحاة واللغويين وعلماء أصول الفقه، وإذا كان تفكير النحاة واللغويين في هذه الإشكالية قد تركز حول "الإعراب" في ارتباطها بـ"منطق" اللغة العربية، وإذا كان اهتمام الأصوليين من الفقهاء والمتكلمين قد تركز داخل الإشكالية نفسها، على مسألة الدلالة من جهة ومسألة التأويل من جهة ثانية، فإن المتكلمين البلاغيين، والبلاغيين المتكلمين، سيعيشون ذات الإشكالية بتركيز اهتمامهم على جانب آخر، جانب المفاضلة بين اللفظ والمعنى في العملية البيانية البلاغية².

كان الجاحظ (ت255هـ) فيما يبدو أول من دشن النقاش في هذا الموضوع، أو على الأقل هو الذي أعطاه أبعاده الخاصة، وذلك حينما أعلى من شأن اللفظ على حساب المعنى في نص له مشهور يقول فيه: "المعاني مطروحة على الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي

¹ آل ياسين محمد حسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1980، ص497.

² ينظر: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، ج3، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1968، ص366.

صحة الطبع وجودة السبك"¹. وعلى الرغم من أنه أبرز في نصوص أخرى له أهمية "المعنى" في العملية البيانية... يدل على أنه لا يقصد اللفظ المفرد بل ما ينتظم بالألفاظ من العبارات، شعراً ونثراً، الشيء الذي يجعل منه الملهم لنظرية النظم التي سيشيدها الجرجاني. والجدير بالإشارة هنا أن هؤلاء الذين كانوا يعطون الأولوية للفظ في العملية البيانية كانوا يدركون أن ذلك من خصائص اللغة العربية وحدها، وأن الشأن في اللغات الأخرى غير هذا الاتجاه، وذلك ما أكده الجاحظ بنفسه². وإذا كان هؤلاء البلاغيون قد "أخذوا حريتهم" في الإعلان من شأن اللفظ على حساب المعنى في العملية البيانية ناظرين إلى ذلك على أنه من "خصوصية" اللغة العربية، متخذين من "كلام العرب" إطاراً مرجعياً عاماً لهم، فإن المتكلمين الذين خاضوا في مسألة الإعجاز القرآني لم يكونوا يمتلكون مثل تلك "الحرية"، إذ كان عليهم أن يراعوا جانب المعنى في النص القرآني مراعاتهم لجانب اللفظ، ولذلك نجدهم يرجعون بالعملية البيانية البلاغية إلى اللفظ والمعنى معاً، إلى وجود التوافق والتكامل بينهما³.

أسهب الرماني (ت384هـ) القول في البلاغة ومراتبها وشروطها مقررًا - كأبي هاشم - أنها ليست في اللفظ وحده ولا في المعنى بمفرده، بل هي في الجمع بينهما على طريقة مخصوصة حددها بقوله: "إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ"⁴، ويعكس أبو حيان التوحيدي الذي كان مرآة عصره في المجال الثقافي هذا الاتجاه، فيقول: "ومن استشار الرأي الصحيح في هذه الصناعة الشريفة علم أنه إلى سلاسه الطبع أحوج منه إلى مغالبة اللفظ، وأنه متى فاته اللفظ الحر لم يظفر بالمعنى الحر لأنه متى نظم معنى حرًا ولفظًا عبدًا أو معنى عبدًا ولفظًا حرًا فقد جمع بين متنافرين بالجواهر ومتناقضين بالعنصر"، وهذا "لأن المعاني ليست في جهة والألفاظ في جهة، بل هي متمازجة متناسبة والصحة عليهما وقف"،

¹ الجابري محمد عابد، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط9، 2009، ص77، 78.

² ينظر: الجاحظ، كتاب الحيوان، ج1، ص85.

³ الجابري محمد عابد، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، ص79.

⁴ أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن في ثلاث رسائل في الإعجاز، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، القاهرة، ط1، ص69.

غير أن النقلة الأساسية بين هؤلاء الذين يلحون على التوافق والانسجام بين اللفظ والمعنى كأساس البلاغة وبين نظرية النظم كما شرحها الجرجاني إنما نلمسها بوضوح في ما قرره القاضي عبد الجبار في موضوع الإعجاز القرآني. والحق أن تحليلات القاضي عبد الجبار في هذا المجال تخطو بنا خطوات هائلة وحاسمة نحو نظرية النظم الجرجانية وذلك إلى درجة يصعب معها نسبة شيء آخر للجرجاني غير شرح الفكرة وتحليلها وإغنائها بالأمثلة. يقول القاضي عبد الجبار: "اعلم أنّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد من الضم من أن يكون لكل كلمة صفة وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول بالضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام رابع، لأنه إما أن نعتبر فيه الكلمة أو حركاتها أو موقعها، ولا بد من هذا الاعتبار في كل كلمة"¹. إنه كما تجد نظرية "النظم" أصولها فيما ذكرناه تجد جذورها عند النحاة بدءاً من سيبويه إلى السيرافي... وأكثر من هذا استعار عبد القاهر الجرجاني من النحاة... مفهوم "معاني النحو" الذي فسّر به "النظم"، بل إن مفهوم "النظم" ومقوماته الثلاثة (الكلمة، الحركات، الموقع) التي تحدث عنها عبد الجبار قبل، هو نفسه ما كان يعنيه النحاة بـ"معاني النحو"².

ومهما يكن من أمر فإن إعجاز القرآن هو المثير لولادة نظرية النظم ونشأتها، وعلى الرغم من أن فكرة النظم لم تكن بكرة عند الجرجاني فإن الفضل يعود إليه في صبها في إطار نظرية بين أسسها، وحدد معالمها، وأرسى دعائمها القوية، وأثراها بالدراسة العلمية في نسختها التطبيقية والتحليلية للنص إلى أن ارتقت على يديه إلى مستوى النظرية الكاملة³، مضمونها الكامن فيها كمشروع يتجاوز إشكالية اللفظ والمعنى في مستواها العمودي إلى مستوى أرقى من ذات الإشكالية، مستوى العلاقة بين نظام الخطاب ونظام العقل⁴.

¹ ينظر: الجابري محمد عابد، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، ص 80، 81.

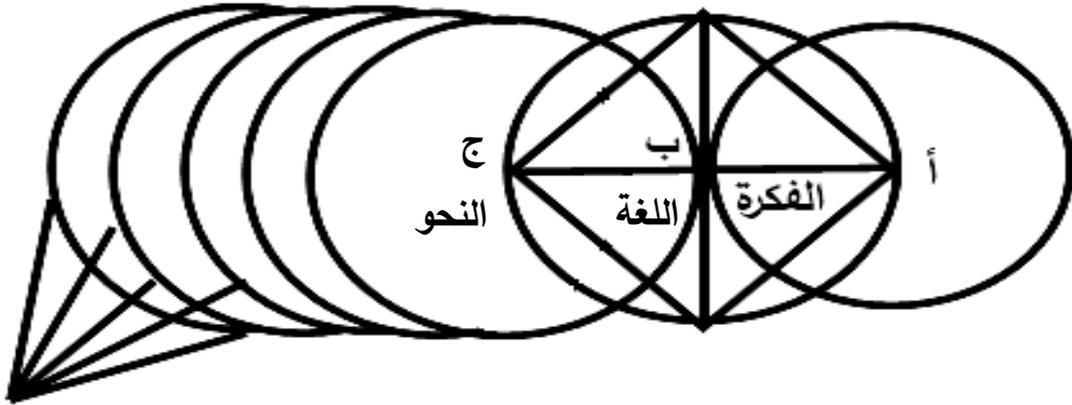
² المرجع نفسه، ص 82.

³ دلخوش جار الله حسين دزه يي، الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (دراسة دلالية)، دار دجلة، عمان، الأردن، ط 1، 2008، ص 16.

⁴ ينظر: الجابري محمد عابد، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، ص 89.

لقد تجاوز النحو عند عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، ومن تبعه دائرة الخطأ والصواب ليدخل دائرة الأنساق التركيبية، ويصبح بؤرة المركز، والمصرف في صناعة نسيج العربية، وفي هذا يقدم دلائل الإعجاز كمنتج إبداعي ليكون منطلقه فيه مستوى النحو، أي رصد جدلية العلاقة داخل منظومة السياق، وعلاقات الطرد، والعكس في الكلم السطحي، والكيف العميق، وتسجيل قيم الأداء الجمالي العميق. يقول السيرافي في هذا الإطار: "إن معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ، وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخي الصواب في ذلك، وتجنب الخطأ من ذلك"¹.

وفي الحقيقة إن عبد القاهر الجرجاني رجل نحو، ولغة، وبلاغة، واللغة في منظوره الكيفي مجموعة من الأصوات التي هي مادتها، وقيمة النحو في هذا العالم هي مفتاح فك قيود مادة هذه اللغة، يخرجها من خزينتها ليجعلها تقصح عن مدلولاتها، لأن النحو هو منطق اللغة المختص بتصريف برامجها التوازنية. إن منظومة الفكر واللغة عند عبد القاهر تتعلقات ببعضها البعض الآخر، وتجري في صورة البيان التالي:



مجموعة العلاقات القائمة بين المعاني

الشكل رقم (05): العلاقات القائمة بين المعاني والفكر عند عبد القاهر الجرجاني.

¹ مندور مصطفى: اللغة بين العقل والمغامرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1، 1974، ص138.

فالنقطة (أ) تتعلق بالنقطة ب والنقطة (ب) تتعلق بالنقطة (ج) والنقطة (ج) = حاصل مجموع العلاقات القائمة بين المعاني.

النقطة ج هي التي تتعلق بالنقطة (أ).

وبهذا تصبح النقطة ج هي مركز قيادة في ترتيب محتويات النقطتين (أ، ب)¹.

خلاصة الوضع أنه لا تتفاضل الألفاظ والمعاني باعتبار صفتي التغير للأولى والثبوت والتجلي للثانية، ذلك لأن اللغة والفكر توأمان، لكن الموقف يجلب بثبات لهما معاً، وهما يدخلان السياق التركيبي، ويساهمان بإنتاج الدلالة الأفقية (دلالة التركيب) والدلالة الرأسية (دلالة التوليد)، وهي التي يسميها الجرجاني (معنى المعنى)، فاللفظ نفسه يفيدك معنى، وهذا المعنى نفسه يؤدي بك إلى معنى آخر، وذلك كما في قولنا (كثير الرماد)، فاللفظ نفسه أي هذه الجملة تفيد معنى ظاهراً من اللفظ مباشرة وهو كثرة بقايا النار، ثم ينتقل الذهن تلقائياً بعد ذلك إلى المعنى الآخر وهو أنه كريم لذلك فهو كثير الطهي للضيوف².

لقد وجد عبد القاهر الإمكانات النحوية قائمة في تركيب الجملة وبنيتها الداخلية، فقاده ذلك إلى فكرة النظم... وهي فكرة قوية الصلة بالإمكانات النحوية، من حيث كانت هذه الإمكانات ذات فعالية خطيرة في أنساق اللغة وأساليبها... كما أنها المدخل الحقيقي لإدراك الإعجاز القرآني، وهذه الإمكانات ليست وفقاً على تغيير أواخر الكلم بالإعراب³.

فالعلاقة التي تحصل بالنظم بين عناصر الكلام «ليست وليدة معناها اللغوي، إذ ليست معاني النحو معاني الألفاظ»، وإنما هي نتيجة ما نسميه اليوم بالوظائف النحوية، أو هي حسب عبارة الجرجاني "توخي معاني النحو في معاني الكلم"، و"لا ترى شيئاً من ذلك يعدو أن يكون حكماً من أحكام النحو، ومعنى من معانيه"، ويمكن أن نقول إن النظم هو "الصورة التي يخرج فيها المعنى"، وهذه الصورة وليدة ثلاثة عناصر: اللفظ والمعنى والنحو، ولكن العنصر المتميز فيها ويعطي للصورة ملامحها الحقيقية هو العنصر النحوي، فمجال العلاقات النحوية هو

¹ مندور مصطفى: اللغة بين العقل والمغامرة، ص 96.

² شامية أحمد، خصائص العربية والإعجاز القرآني في نظرية عبد القاهر الجرجاني، ص 140.

³ محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 1994، ص 43.

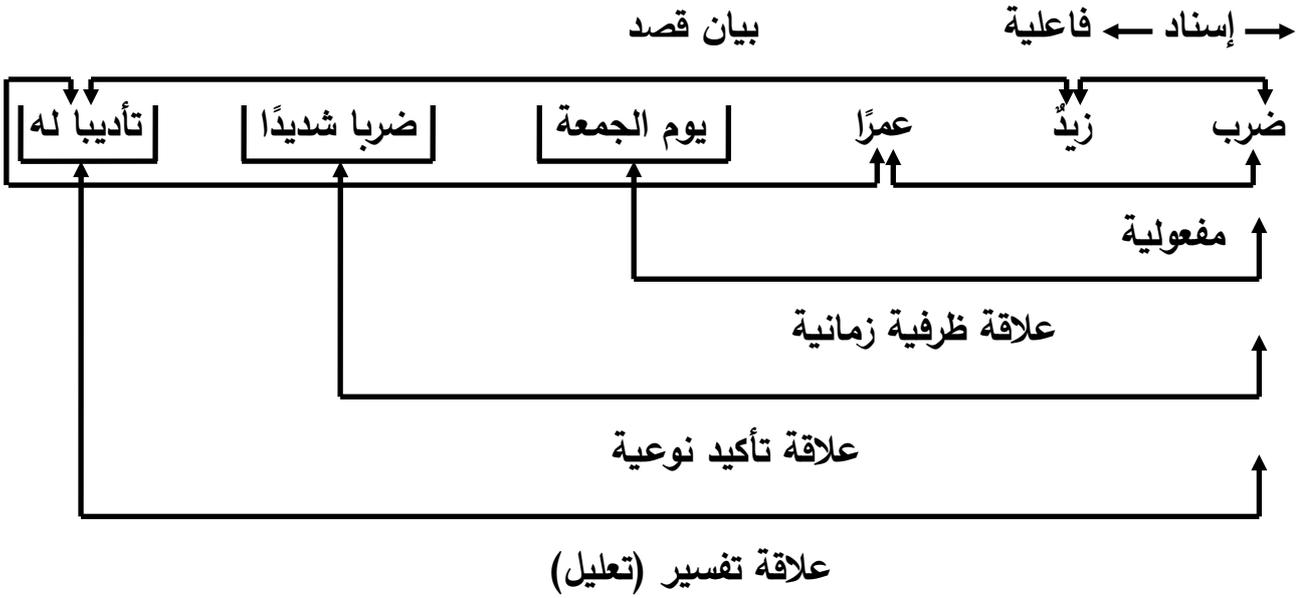
المجال الوحيد الذي يمكن أن يتصرف فيه المتكلم، فلا قدرة لهذا التصرف في الألفاظ ولا في معانيها»¹.

إن عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) قد صاغ نظرية نظرية للدلالة في التراث العربي تعرف بنظرية النظم، وضع فيها قوانين كلية للدلالة اللغوية على مستوى التركيب، وأدخل علم "معاني النحو" أساساً صلباً لهذه النظرية، والفارق بين عبد القاهر وغيره من اللغويين والبلاغيين أنه تنبه لدلالات العلاقات النحوية وتنبه لتأثيرها على الدلالة الوضعية للعلامة اللغوية في سياق بعينه، ولذلك نظر عبد القاهر لدلالة التركيب لا بوصفه حاصل جميع العلامات اللغوية المتضمنة فيه، بل بوصفه حاصل تفاعل دلالات العلامات ودلالات التركيب معاً، "واعلم أن مثل واضع الكلام من يأخذ قطعاً من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة، وذلك أنك إذا قلت: "ضرب زيد عمراً يوم الجمعة ضرباً شديداً تأديباً له"، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معان كما يتوهم الناس، وذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيده أنفس معانيها، وإنما جئت بها لتفيده وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو "ضرب" وبين ما عمل فيه، والأحكام التي هي محصول التعلق، "وإذا كان الأمر كذلك فينبغي أن ننظر في المفعولية من "عمرو" وكون "يوم الجمعة" زمناً للضرب وكون "الضرب" ضرباً شديداً وكون "التأديب" علة للضرب، أيتصور فيها أن تفرد عن المعنى الأول الذي هو أصل الفائدة وهو إسناد "ضرب" إلى "زيد" وإثبات "الضرب" له حتى يعقل كون "عمرو" مفعولاً وكون "يوم الجمعة" مفعولاً فيه وكون "ضرباً شديداً" مصدرًا، وكون "التأديب" مفعولاً له، من غير أن يخطر ببالك كون "زيد" فاعلاً للضرب؟².

¹ المهيري عبد القادر، مساهمة في التعريف بأراء عبد القاهر الجرجاني في اللغة والبلاغة، حوليات الجامعة التونسية، ع11، 1974، ص101، 113-114. وينظر أيضاً: محمد عبد المطلب، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1995، ص65، 66.

² ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص412، 413.

إن هذه العلاقات التي يسهب عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) في تحليلها في عبارة "ضرب زيد عمرًا يوم الجمعة ضربًا شديدًا تأديبًا له" هي العلاقات النحوية التي تجعل العلامات اللغوية ذات دلالة محدودة، وهي علاقات يمكن أن توضع على النحو التالي والذي يكشف أن معنى العلامة الأولى "ضرب" لا يتضح إلا بالعلامة الأخيرة في الجملة:



الشكل رقم (06): دور العلاقات النحوية في تحديد دلالة العلامات النحوية عند الجرجاني

إن هذه العلاقات النحوية «التي تضيف على العلاقات دلالتها من جانب، وهي التي تميز الدلالة اللغوية عن غيرها من الدلالات من جانب آخر، ولذلك يرى عبد القاهر أن اختلاف العلاقات النحوية يؤدي إلى تغير المعنى رغم اتفاق العلامات المستخدمة في سياقين»¹. ويؤكد الجرجاني رأيه بأن نظم الكلام لا يتم بوضع بعضه إلى جانب بعض دون توخي المعاني النحوية، فيضرب لذلك مثلًا بيت أبي تمام:

لعاب الأفاعي القاتلات لعبه وأرى الجنى اشترته أيد عواسل

¹ أبو زيد نصر حامد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط6، 2001، ص90، 91.

ويقول الجرجاني (ت471هـ) لو أنك قررت في هذا البيت أن (لعاب الأفاعي) متبداً أو لعابه خبر كما يوهمه الظاهر، أفسدت عليه كلامه وأبطلت الصورة التي أرادها فيه، وذلك أن الغرض أن يشبه مداده (بأرى الجنى) على معنى أنه إذا كتب في العطايا والصلوات أوصل إلى النفوس ما تحلو مذاقته عندها، وأدخل السرور واللذة عليها وهذا المعنى إنما يكون إذا كان (لعابه) متبداً أو (لعاب الأفاعي) خبر¹.

جاء عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) في الوقت الذي لم تحسم فيه المعركة بين اللفظ والمعنى، جاء حاملاً أفكاراً أخرى فعني بشرح دلالات الألفاظ باختلاف مواقعها في الجمل، واهتم بالتركيب لأنها لا تفيد إلا إذا انتقلت مع جاراتها فيما تهدف إليها هذه الكلمات في الجمل وما تفيده الجمل في ذات النص، والمزية في الكلام تعود إلى نظمه وسبيل المعاني النحوية سبيل الأصباغ التي تعمل فيها الصور والنقوش فتري ذلك قائماً على التخيير والتدبر في المواقع والمقادير وكيفية المزج والترتيب، ليأتي النقش عجباً والصورة رائعة².

3.1.1 القرآن والدلالة النحوية:

1.3.1. خصائص العربية قبل نزول القرآن الكريم:

العرب أمة الفصاحة والبيان، يحبون الكلمة الجميلة والصوت الجميل والأداء الجميل، وينفعلون بالخطبة الجميلة، ويضطربون للكلمة الشعرية... فقد كانوا يعيشون حياة بدائية لا شغل لهم إلا تعاطي الشعر والتفاخر بالبيان.

لعبت أسواق العرب دوراً في ازدهار اللغة لدى العرب فقد كانوا "يقيمونها في أشهر السنة للبياعات والتسوق، وينتقلون من بعضها إلى بعض، فتدعوهم طبيعة الاجتماع إلى المقارضة بالقول، والمفاوضة في الرأي، والمبادهة بالشعر، والمباهاة بالفصاحة، والمفاخرة بالمحامد وشرف الأصل، فكان من ذلك للعرب معونة على توحيد اللسان والعادة والدين والخلق، إذ كان الشاعر أو الخطيب إنما يتوخى الألفاظ العامة والأساليب الشائعة قصداً إلى إفهام

¹ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص284.

² بلعيد صالح، نظرية النظم، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2001، ص142.

سامعيه، وطمعا في تكثير مشاييعه، والرواة من ورائه يطرون شعره بين القبائل، وينشرونه في الأنحاء، فتنتشر معه لهجته وطريقته وفكرته، وأشهر هذه الأسواق: عكاظ ومجنة وذو المجاز، وأولاهن أشهر فضلا وأقوى أثرا في تهذيب العربية¹. واختاروا لغتهم من أفصح اللغات، فكانت أعذبها لفظا، وأبلغها أسلوبا، وأوسعها مادة، ثم أخذ الشعراء يؤثرونها، وينشرونها حتى نزل بها القرآن الكريم، فأتم لها النبوغ والغلبة.

2.3.1. خصائص العربية بعد نزول القرآن الكريم:

من الثابت أن القرآن معجز بكل ما يحمله هذا اللفظ من معنى، «فهو معجز في لفظه وأسلوبه والحرف الواحد منه في موضعه من الإعجاز الذي لا يغني عنه غيره في تماسك الكلمة، والكلمة في موضعها من الإعجاز في تماسك الجمل، والجملة في موضعها من الإعجاز في تماسك الآية، وهو معجز في بيانه ونظمه، يجد فيه القارئ صورة حية للحياة والكون والإنسان، وهو معجز في معانيه التي كشفت الستار عن الحقيقة الإنسانية ورسالتها في الوجود، وهو معجز بمعارفه وعلومه التي أثبت العلم الحديث كثيرا من حقائقها المغيبة»².

والباحث في لغة القرآن والمطلع على أساليب يجد نفسه أمام مستوى رفيع من النصوص من حيث المبنى وجزارة المادة اللغوية ومن حيث قدرة هذه الألفاظ على الإعراب عن دقائق المعاني وخواطر الفكر، ليصل إلى الإعجاز اللغوي للقرآن الكريم، ولقد كان للقرآن الكريم - وما يزال - الفضل الكبير على اللغة العربية كوعاء شرف بحمل معانيه العظيمة، فالباحث في تاريخ القرآن يدنا على أن لغة القرآن قد طبعت العربية بطابع واضح مبين، وقضت بذلك على آثار اللهجات الإقليمية مما حدى بالمستشرق الفرنسي (ريجيس بلاشير) في محاضرة له أن يقول: "ومنذ ظهر الإسلام لم تعد اللغة العربية آلة عادية للكلام والتخاطب، ولا لغة إنسانية محضة بل

¹ زنجير محمد رفعت أحمد، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم، سلسلة الدراسات القرآنية 02، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 2007، ص36.

² ساسي عمار، المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007، ص143.

شيئاً آخر، نعم لن نفهم جوهر العربية وكيانها بل لن نستطيع لها فهما إن نحن أهملنا أهمية هذا الحدث القرآني، هذا الحدث الذي بفضلته تجاوزت اللغة حدود الإنسانية المحضة¹.

عمل القرآن الكريم منذ نزوله على تهذيب اللغة العربية، وبهذا التهذيب تطورت إلى الوصول إلى القمة في الأغراض والمعاني والأساليب والألفاظ: "أما الأغراض فقد اتسعت أيما اتساع بفضل القرآن، وانتشار الإسلام... وقد فتح القرآن الكريم أبواباً كثيرة من فنون القول، فعولجت فيها أمور لم تكن العربية لتعنى بعلاجها من قبل وذلك كمسائل القوانين والتشريع، والقصص والتاريخ، والعقائد الدينية، والجدل فيما وراء الطبيعة، والإصلاح الاجتماعي، والنظم السياسية، وشؤون الأسرة، وأصول القضاء والمعاملات، ودراسة مظاهر الفلك والطبيعة والحيوانات، وهلم جراً، وأما التطور من ناحية المعاني الأخيلة والأساليب، فقد بينها بعد الدارسين بقولهم: "وقد ينجم عن اتساعها وارتقائها في ناحية الأغراض اتساع وارتقاء في ناحية المعاني والأخيلة والأساليب، فقد قويت على تجلية المعاني الدقيقة التي جلبتها الفنون السابق ذكرها، واستخدمت فيها الحجج العقلية، والبراهين النفسية... وأما المفردات ودلالاتها فكان الأثر فيها واضحاً كل الوضوح فقد تجردت كثير من الألفاظ العربية من معانيها القديمة وأصبحت تدل على معان خاصة تتصل بالعبادات والشعائر أو شؤون السياسة والإدارة والحرب، أو مصطلحات العلوم الفنون، ومن ذلك ألفاظ الصلاة والصوم، والزكاة، والحج، والخليفة، والإمام، وأمير المؤمنين، والوالي، والقاضي، والكاتب، والشرطة... وما إلى ذلك من آلاف المفردات التي تستخدم في مختلف الفنون"².

القرآن الكريم حقيقة لغوية معجزة تتجاوز اللغة إلى ما تعجز اللغة نفسها، ويعجز أصحابها عن الإتيان بمثل لغته التي جذبت إليها قلوب الفصحاء من العرب لما انطوت عليه من سحر البيان إلى التأثير في أعماق القلوب... والقرآن الكريم بعد هذا نصل لكل زمان ومكان، غير منحصر بزمان صدوره ومكانه³.

¹ السامرائي إبراهيم، التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1983، ص62.

² مكرم عبد العال سالم، اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1995، ص09، 10.

³ ينظر: نهر هادي، النحو القرآني الدلالي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008، ص05.

وفي ظلال القرآن الكريم نشأت علوم متعددة، وسعت مجال اللغة العربية من حيث دلالة الألفاظ، ومعرفة مخارج حروفها، وما يستتبط من تراكيبيها في مجال القواعد الأصولية، والأحكام الفقهية، فزادت المعاني وازدهرت ونشأت دراسات متعلقة بالقرآن الكريم في مجالات شتى، ملأت المكتبة الإسلامية بمؤلفات ضخمة وقضايا متنوعة في حقل الدراسات القرآنية... وقد أشار ابن خلدون إلى الدراسات الإسلامية التي تمت في حقل القرآن الكريم نذكر أهمها فيما يلي:¹

1. علم القراءات.
2. علم التفسير.
3. علم أصول الفقه.
4. علم الفقه.
5. علم الفرائض.
6. علم الخلافات.
7. الجدل.
8. علم الكلام.
9. علوم اللسان.

فكان القرآن الكريم الأساس الذي انطلقت منه الدراسات اللغوية وغير اللغوية، فشيوع اللحن بين الناس وفساد النطق في ألسنة غير الناطقين بالعربية كان السبب المباشر في نقط المصحف على يد أبي الأسود الدؤلي (ت 69هـ)، ولكنه لم يكن الدافع الرئيس لظهور المؤلفات اللغوية والنحوية وكتب التفسير ومعاني القرآن وإعجازه ونظمه، بل كان الدافع الحقيقي هو محاولة فهم القرآن ودراسة أساليب نظمته ووجوه إعجازه.²

3.3.1. وضع النحو العربي:

لقد كان حرص العرب على القرآن الكريم هو الداعي للحرصهم على اللغة العربية من لحن مما جعل "علماء البصرة والكوفة يجمعون اللغة بألفاظها حتى لا تفنى العربية - لغة الوحي- وحتى تسلم مقاماتها الأصلية وحتى تنفي عنها شوائب اللهجات القبلية وتشويهات الأخلط الأعمجية، وهكذا، أصبح النحو بابا مهما من أبواب العلوم الأولى التي ظهرت

¹ ينظر: مكرم عبد العال سالم، اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم، ص 13. وينظر أيضا: علي عيسى شحاتة عيسى، الدراسات اللغوية للقرآن الكريم في أوائل القرن الثالث الهجري، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2001، ص 21.

² ينظر: الخالدي كريم حسين ناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2006، ص 17.

ونضجت في القرنين الهجريين: الأول والثاني، فقد شغل جيئاً مهما ظهر أثره في عدد المتفرغين له، والعاملين على إحراره في المجالس باسمه، وحبا بالمحافظة على اللغة العربية والوحي الذي كتب بها"¹.

ومع العودة التاريخية إلى البدايات الأولى من التأليف النحوي عند المسلمين... فقد دفعت الأوضاع الجديدة والناشئة التي أعقبت الفتوحات والتوسع العسكري والجغرافي جمهوراً كبيراً من العلماء إلى جمع ألفاظ اللغة، وأشعار العرب في الجاهلية والإسلامي، يحدوهم إلى ذلك أسباب عديدة من أهمها: "حاجة الشعوب الأجنبية التي دخلت الإسلام إلى تعلم لغة القرآن وشيوع اللحن على السنة الموالي، وعلى السنة بعض العرب لاختلاطهم بغيرهم من الشعوب، مما أضعف السليقة العربية التي تجافي الحضارة... وتوافق البداوة والحياة الصحراوية"².

لقد لعب المعنى النحوي دوراً مهماً في تفسير علماء النحو للقرآن الكريم في ذلك الوقت، حيث نلاحظ تفتنهم لدوره القوي في اختلاف المعنى، وهذا -لاشك- نتيجة لجعل القرآن الكريم محوراً أساسياً للحوار في الحلقات العلمية التي كانت تقام لتدريس العلوم اللغوية التي ما قامت أصلاً إلا محافظة على المعنى في القرآن الكريم بعد تفشي اللحن في الإعراب الذي كان سبباً في تغيير المعنى، كما أن ذلك يمكن أن يرجع إلى أن المعاني النحوية أشكلت على المفسرين حتى ملكت عليهم تفكيرهم، وذلك لاحتمال الآية أكثر من معنى نحوي يؤدي كل منها إلى معنى أو يوجه كل منها الآية إلى معنى غير المعنى الذي يوجه إليها المعنى النحوي الآخر"³.

وقد كان اهتمام علماء العربية بالمعنى ودلالاته مبكراً تجلى بشكل واضح في بحوثهم اللغوية والنحوية وفيما صنّفوه من كتب في معاني القرآن ومجازه وإعرابه وفيما وضعوه من معجمات لتفسير معاني الألفاظ، وفيما ألفوه من كتب لتفسير القرآن، وبيان وجوه معاني

¹ علامة طلال، نشأة النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة، دار الفكر اللبناني، لبنان، ط1، 1992، ص20.

² المرجع نفسه، ص19.

³ ينظر: العشيبي بشيرة علي فرج، أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط1، 1999، ص193.

القراءات ودراسة الوجوه والنظائر¹. كما تجلّى في طرائق تفكيرهم النحوي سواء في بحثهم في الأفراد والتنثية والجمع أو التأنيث والتذكير أو التعريف والتتكير أو بحثهم في دلالات الأحوال الإعرابية المختلفة من رفع ونصب وجر وجرم، أو تفريقهم بين مواقع الكلمة المتشابهة كحالات النصب أو حالات الرفع، وتمييزهم بين دلالات الجمل الاسمية والفعلية، وأساليب الكلام بما تشتمل عليه من معاني دقيقة تختص بكل منها.

وكان هذا الاهتمام ينمو ويتطور بمرور الزمن وتطور الحضارة ورفي الفكر، بل أستطيع القول إن المعنى كان ماثلاً أمامهم منذ قيام أبي الأسود الدؤلي (ت69هـ) بتنقيط المصحف الشريف، حيث جعل تلك النقط دلالات على رفع الكلمة أو نصبها أو جرّها أو ما يتبع ذلك من معانٍ وظيفية، وهو ما يبين ما كانت عليه حقيقة التأليف النحوي في القرنين الثاني والثالث الهجريين إذ اهتمت اهتماماً واضحاً بالمعنى، وجعلت الحركات والألفاظ والتراكيب دلائل على المعاني التي كانت بغيتهم في دراسة النصوص القرآنية أو الشعرية².

4.1. الدلالة النحوية القرآنية:

1.4.1. الدراسات الدلالية الأولى عند العرب:

يعد تفسير معاني القرآن الكريم نواة البحث اللغوي عند العرب، أو بداية البحث اللغوي وباكورة البحث الدلالي، جهود المفسرين والفقهاء، والبلاغيين واللغويين والكلاميين في بحث المعنى منذ القرن الأول الهجري، فبحث المعنى أول ما شغل علماء العربية... فقد شرح النبي -صلى الله عليه وسلم- دلالة بعض مفردات القرآن الكريم، ودفع اللبس عما قد يفهم من دلالة بعض المفردات والسياقات وبين المراد من دلالتها، كما أشار إلى المعنى الحقيقي والمجازي، ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري وأحمد، لما نزلت هذه الآية: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام، 82]، شق ذلك على الناس، فقالوا: يا رسول الله! أين لا يظلم نفسه؟ قال: "إنه ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم)

¹ ينظر: الخالدي كريم حسين ناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، ص16.

² ينظر: المرجع نفسه، ص19.

إنما هو الشرك، وأصل الظلم في اللغة وضع الشيء في غير موضعه، ولكن دلالاته على الشرك تتطلب فهم السياق، والصحابة فهموا المعنى المعجمي، ولكن المعنى أوسع دلالة¹.

ولقد كان للصحابة رضوان الله عليهم دور في بحث معاني القرآن الكريم، وفهم أحكامه، وقد سلكوا في دراسة القرآن الكريم مسلكين لمعرفة المعنى: أحدهما بحث معاني الألفاظ مستقلة، وهو ما يعرف بالمعنى المعجمي أو القاموسي، ثانيهما بحث المعنى السياقي، وذلك من خلال معرفة السياق اللغوي والسياق الخارجي، سبب النزول ومكانه وزمنه، وكل ما يتعلق بالنص القرآني في العالم الخارجي، وقد روى العلماء بعضاً من معاني الألفاظ التي بحثها الصحابة رضوان الله عليهم: وقف عمر رضي الله عنه - يخطب، فقرأ على المنبر: {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} [عبس، 31]، فقال هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه، فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر، ووقف يوماً وقرأ على المنبر: {أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ} [النمل، 47]، ثم سأل عن معنى التخوف، فقال له رجل من هذيل: التخوف عندما النقص... مروى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما - أنه قال: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، أنا ابتدأتها².

روي أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم فرحوا حينما نزل قول الله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [المائدة، 03]، لأنها في ظاهر لفظها تخبر تمام الرسالة وكمال الدين، ولكن عمرو رضي الله عنه - فهمها على نحو آخر، فقد بكى عندما سمعها، لأنه أدرك أن وراء هذا الكمال النقص، وأن ذلك يعني نهاية أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم -.

وتوسعت دائرة البحث اللغوي في عصر التابعين، وانفصل التفسير اللغوي عن التفسير المتعلق بالمسائل الدينية، وشمل البحث اللغة من جميع جوانبها وجميع الشعر وما أثر عن العرب، وبدأت مرحلة جمع اللغة ووضع قواعد العربية، والهدف من وراء ذلك فهم القرآن الكريم وكشف أسرارهِ ودلالاتهِ، وذلك عن طريق الإمام باللغة وعلومها، ولهذا انشأت فروع المعرفة

¹ ينظر: عكاشة محمود، الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 2002، ص44.

² ينظر: المرجع نفسه، ص45.

الأولى في أحضان القرآن الكريم وتنوع البحث الدلالي إلى عدة فروع جميعها تقوم على المعنى واللفظ وهي:

- تعدد المعنى واللفظ، ودرس هذا النوع تحت ما يعرف بالوجوه والنظائر أو الأشباع والنظائر، والمشتراك اللفظي، والترادف والأضداد.
- الغريب، ويقوم على دراسة معاني الألفاظ التي هجر استعمالها في حقبة معينة فصارت غريبة وخاصة ألفاظ القرآن الكريم، والحديث الشريف، ثم توسع البحث فشمّل لغة العرب من شعر ونثر.
- الدراسات المعجمية والتي بدأت بجمع اللغة في شكل موضوعات ككتب الشاء والنخل، وكنبات وخلق الإنسان، وغير ذلك من الكتب التي تناولت الكلمات التي تتعلق بموضوع واحد، أو تتبع جميع الألفاظ والمعاني التي تتعلق بلفظ أو بحث موضوع لغوي بتتبع معانيه، مثل: المفردات التي تتعلق بالشاء أو النحل، أو النحل أو الإنسان، وأشهر الكتب في ذلك كتاب "المخصص" لابن سيده، ثم توسع مجال الدراسة وتطور فظهرت المعاجم الجامعة والمرتبة والتي تسلك منهاجاً محدداً في ترتيب كلماتها، ورائد هذا المنهج الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي وضع أول معجم لغوي كامل في العربية (العين).
- القراءات القرآنية وأثرها في الدلالة.
- الاشتقاق.
- المعرب والدخيل والمولد.
- النحت في اللغة¹.

2.4.1. علم النحو والتراكيب القرآنية:

إن الاهتمام بعلم التراكيب هو جانب مهم من علم الدلالة العام لأنه يرتبط بعلم النحو الذي له دور في معرفة معاني التراكيب من حيث الحركات الدالة على ذلك، قال الجرجاني مبيناً أهميته: "...إذا كان قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي

¹ ينظر: عكاشة محمود، الدلالة اللفظية، ص 46-49

يفحتها...¹. وقد اتفق العلماء على «ضرورة النحو ودوره في تفسير القرآن الكريم، إذ بمعرفته يعقل مراد الله تعالى من النصوص والآيات، وما استوعاه في حكم وأحكام منيرة ومواعظ واضحة»².

لقد كان الإعراب من أدوات المفسر لا يستغني عنه، ولا يستطيع أحد أن يفسر بدونه، حتى أن بعض العلماء كان يجعل من إعراب القرآن علماً ويعده من فروع التفسير، وعرف السيوطي (911هـ) النحو بقوله: "صناعة علمية ينظر بها أصحابها في ألفاظ كلام العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم لتعريف النسبة بين صياغة النظم وصورة المعنى فيتوصل بإحداهما إلى الأخرى"³، ويشير هذا التعريف إلى تصور النحو ولوظيفته وله أهمية، فالنحو صناعة علمية تختص بدراسة قوانين التركيب أو النظم العربية ووظائفها ومكوناتها، والصلة بين النمط التركيبي ومدلوله كل ذلك في إطار ما تواضع عليه العرب في استعمالهم لغتهم⁴.

إن السيوطي حين جعل غاية النحو معرفة الشبه بين صيغة النظم وصورة المعنى، يشير إلى فهم لوظيفة النحو أعمق من مجرد كونه قواعد لضبط حركات الإعراب أو حتى بناء الجمل⁵. من المتعارف عليه أن الحياة العلمية العربية نشأت وتطورت في ظل القرآن الكريم... ومن هذه الحقيقة الكبرى في حياة المسلمين كان حركتهم نحو العلم في سبيل "فهم" النص الكريم والوصول إلى ما يحتويه من أحكام... «لأن ارتباط المسلمين بالنص القرآني جعلهم يبدأون بما هو عملي قبل أن يصلوا إلى وضع منهج نظري لكل فرع من فروع البحث التي ارتادوها آنذاك، فكانت قراءة القرآن عن طريق "التلقي والعرض" أسبق من وضع كتب تحدد منهج القراءات، وكان التفسير بالأثر أسبق من غيره من ألوان التفسير، وأسبق - بلا شك - من التأويل، وكان الفقه أسبق من الأصول، ومن هذا التطور العام نستطيع أن نتصور تطور

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص22.

² ينظر: المرجع نفسه، ص92.

³ جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2006، ص14.

⁴ ينظر: الرمالي ممدوح عبد الرحمن، العربية والوظائف النحوية (دراسة في اتساع النظام والأساليب)، ص16.

⁵ ينظر: نهر هادي، النحو القرآني الدلالي، ص34.

الدراسة اللغوية عند العرب، بحيث نراها بادئة بما هو عملي من حيث جمع الألفاظ وضبطها ثم دراسة التراكيب اللغوية قبل الوصول إلى منهج عام في درس اللغة على ما رأيناه بعد ذلك في القرن الرابع»¹، الأمر الذي يتنافى مع القول أن: "حاصل الدرس اللغوي للقرآن الكريم ليس تأويل معنى النص، بل فهم القواعد اللغوية، وقد كان هذا دأب علمائنا الأوائل في النحو والصرف والبلاغة والمعجم"².

يؤكد ذلك ما تثيره بعض الظواهر التركيبية من الإشكالات فيما يتعلق بفهم بعض النصوص، وتعرض الشاطبي لهذه القضية وذلك في ربطه بين الخبر أي النص وبين مقررات الدين الواردة في خبر الله تعالى، وما استدل به في هذا المكان قوله: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء، 141]، فقال الشاطبي: إن حمل على أنه إخبار لم يستمر لخبره لوقوع سبيل الكافر على المؤمن كثيراً بأسره وإذلاله، فلا يمكن أن يكون المعنى إلا على ما يصدقه الواقع ويطرده عليه، وهو تقرير الحكم الشرعي فعليه يجب أن يحمل. لقد صرح النص بأن المؤمن لا يغلبه الكافر أبداً، ولكن ربط ظاهر النص بواقع المسلمين فإننا نجدهم مغلوبين مهزومين من الناحية الواقعية، فوقع تعارض بين ما قرره النص وما هو مشاهد في الواقع.

وهذا يبين لنا أن دلالة التركيب اللغوي في السياق قد لا تكفي لضبط المعنى، وعليه يقام بعملية تأويلية الهدف منها الموافقة بين النص والواقع الذي يتحدث عنه، فإذا وعد الله المؤمنين بالنصر الدائم على الكافرين إلى يوم القيامة، وهو وعد من الله فإذا تخلف معنى النص عن جريانه في الواقع فلا بد من البحث عن دلالة النص على الرغم من وضوحه من الناحية التركيبية، ولهذا كتب في التعليق على هذه الآية كحل للإشكالية الدلالية التي أثارها بأنه: يجوز بقاء الآية على معنى الخبر، ويكون المراد من المؤمنين جماعة المسلمين العاملين بما يقتضيه الإيمان الراسخ من الاستعداد والاتحاد والثبات، والمسلمون لا يغلبون ماداموا كذلك³.

¹ الراجحي عبده، فقه اللغة في الكتب العربية، ص33.

² بوزغاية رزيق، وراقات في لسانيات النص، دار المثقف للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، ط1، 2018، ص06.

³ ينظر: عرابي أحمد، أثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 2010، ص126. نقلاً: الشاطبي، الموافقات، ج1، ص89.

وهنا تصل الأحكام التركيبية ذروتها، إذ تحيلنا إلى أحكام دلالية نستخلصها من المعنى الدائر في البنية العميقة للتركيب الأصلي. ومن هذا المنظور الذي وضع فيه الأصوليون دراستهم لتركيب ما في نص شرعي «نتبين ما يلي:

1. الرؤية المتكاملة لعلماء الأصول عند دراسة نص ما، هذه الرؤية تأسست على أحكام النحو الوظيفي مع ضوابط الأحكام الأصولية.

2. البعد المقاصدي للحكمين النحوي والشرعي، إذ اتخذوا من النحو وسيلة للوصول إلى الأشكال الواقعة للغة.

3. الاهتمام بالمبحث الدلالي، حيث درسوا بعمق مسائل الدلالة وتوسعوا فيها، وأتوا بالجديد أفادت منه اللسانيات الحديثة»¹.

3.4.1. النحو القرآني الدلالي:

إن النحو القرآني «بني على النص القرآني الذي هو وحدة معنوية متكاملة تتجاوز المفردة والجملة وهذا ما يرقى بالنحو القرآني إلى مستوى متقدم من البحث اللغوي ربما يفوق ما وصلت إليه مناهج البحث المعاصر في ما سمي بنحو النص أو علم النص أو لسانيات النص»².

وكانت «مسألة تعارض القاعدة النحوية مع النص القرآني قد شغلت بالباحثين، وفي ظل الدعوات الداعية إلى تيسير النحو العربي التي أصبحت ضرورة ومطلبات ملحا بوجوب تصحيح منهج النحو العربي... وإعادة صلة النحو بالقرآن الكريم المتمثلة بإعادة المعاني إلى النحو في ضوء المنهج الذي رسمه القدماء، إضافة إلى ما أثاره البحث اللساني الحديث من تساؤلات عدة منها: عدم وضوح نظرية نصية في كتب النحو العربي وإغفال النحاة الوحدة النصية في تحليل النصوص، ظهرت الحاجة إلى نحو يستمد أصوله من سند قوي وثابت هو

¹ مزوز دليلة، الأحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة، (دراسة تحليلية نقدية)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص221.

² إسماعيل هناء محمود، النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص07.

نص القرآن الكريم، وهذا النحو يقرب ما تباعد، ويصل ما انفصل التلخص إلى نحو جديد في عرضه، قديم في أصوله وجذوره لتبقى العربية ما بقي القرآن»¹.

والنحو القرآني «من الموضوعات التي كونت تجاهها مميّزًا في الدرس النحوي، يعنى بالمعاني والأساليب والنظم، ويقتضي أن يكون الباحث ملماً بأصوله وأحكامه وما وصل إلينا من تراث ضخم يدل على دقة فهم النحاة في الكشف عن معاني النص الكريم وأسراره المعجزة»².

والناظر في الدراسات النحوية القديمة والحديثة التي عنيت بـ(النحو القرآني) «يجد اختلاف الباحثين في تحديد مفهوم واضح ودقيق لهذا المصطلح، وتحديد أسسه وأصوله، إلا أن تلك المحاولات لم تتعد في مفهومها العام محاولة كيفية فهم الخطاب القرآني، والكشف عن البناء الداخلي لبنية النص القرآني، واستقراء النظام اللغوي والنحوي باستنباط القواعد النحوية وتقرير الأصول النحوية من أبلغ نص وهو (القرآن الكريم)»³.

وضع النحاة الأوائل اللبنة الأولى لنظرية نحوية نصية كشفت عن الملامح الأولى للتفكير النحوي النصي القرآني⁴، انطلقوا فيه من أساس قوي ومتمين وهو نص القرآن الكريم، فقد زهر اتجاه قوي في الدرس النحوي يعنى بالمعاني والأساليب والتراكيب، ونظم الكلام، واعتمد النحاة في استقراء قواعدهم على النص القرآني الكريم وقراءاته، وعناصر معنوية كالقرائن وسياق المقام والأحوال، فبنوا نحوهم على أسس معنوية اهتدى إليها النحاة من عمق تفكيرهم ودقة فهمهم لأساليب القرآن ومعانيه... لكن سرعان ما لبثت أن انقطعت سلسلة البحث النحوي القرآني الخالص، وخفت وميظها على أثر الانحراف في منهج الدرس النحوي الذي حول النحو عن منهجه المعنوي الذي رسم له بادئ الأمر... إلى مسار النحو التعليمي وأحاله إلى نحو جامد وقوالب خالية من روح المعنى والتجديد والابتكار⁵.

¹ إسماعيل هناء محمود، النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، ص 09.

² المرجع نفسه، ص 10.

³ نفسه، ص 17.

⁴ ينظر: بلعيد صالح، مقالات لغوية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، دط، 2004، ص 25.

⁵ ينظر: الحسون خليل بنیان، النحويون والقرآن، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، ط 1، 2002، ص 296.

فالفكر النحوي العربي القديم «قد استهدف أساسا دراسة النص القرآني لفهمه، وتأويله، والوقوف على دلالاته، فمهما تعددت وظائف النحو العربي وتكاثرت... تبقى الوظيفة الأبرز هي أن النحو بأصوله وقواعده وأنظمتها وضوابطه طريق إلى بيان لدلالة وعنصر من العناصر المركزية لتحديد المراد من التراكيب والعبارات التي نتداولها نطقا، وقراءة، وكتابة... وليس من شك في أن الوصول إلى فهم النص القرآني وبيان معاني آياته، واستنباط أحكامه الشرعية والاجتماعية، والثقافية وغيرها... كان أحد الأسباب الجوهرية في نشأة النحو العربي»¹.

وإذا كان القرآن كتاب دين في المقام الأول فإنه كتاب ممثل للغة بأسمى صورها وأعلىها في المقام الأول أيضا من هذا الجانب، لذا يحق للباحث أن يتساءل مع الدكتور خليل بنیان الحسون²:

- كيف نوفق بين كونه كلام الله، وأنه بلغ أعلى مراتب البيان إلى حد الإعجاز، وفيه ما يمنع استعماله، وما لا يجوز؟ ولا يمنع إلا الخطأ؟
- وكيف هو كذلك، وثم يقرن بالخابط والرديء من الكلام، وما ورد في الأشعار والأرجاز؟
- وكيف يكون بلسان عربي مبين، ثم يشتمل على ما خالف القياس المستوي والجاري في الكلام العرب؟
- وكيف يكون "غير ذي عوج" وقد احكمت آياته، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم يكون فيه الشاذ، والمحمول على الضرورة على نحو ما يرد في الشعر، والمحمول على التوهم.

إن الحكم على ما يبدو من القرآن مخالفا للمألوف من كلام الناس، بما يحكم به على غير السوي من كلامهم من شأنه أن يصرف النظر عنه، إذ يكتفي بما حكم عليه به، مما يحول دون الإقدام على تأمل أسرارها، ومعرفة موقعه من إعجازه، وآية ذلك أن الكثير مما حكم عليه بالشذوذ، ومخالفة القياس وغير ذلك بقي محكوما عليه بذلك في كل الكتب التي تعرضت له.

¹ نهر هادي، النحو القرآني الدلالي، ص01.

² ينظر: الحسون خليل بنیان، النحويون والقرآن، ص313.

5.1. الدلالة النحوية بين الحقيقة والمجاز:

يعتبر اللغويون كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيده المتوفي سنة 188هـ أقدم الكتب التي تناولت المجاز، وقد عرض فيه مؤلفه لكيفية التوصل إلى فهم المعاني القرآنية بمقارنتها بالأساليب العربية في الكلام وطرقها في الإبانة عن المعنى، ولم يقصد أبو عبيدة بالمجاز هنا ما اصطلح عليه البلاغيون فيما بعد من استعمال اللفظ أو التركيب في غير المعنى الذي وضعته له العرب لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي في المجاز اللغوي أو إسناد الشيء إلى ما ليس من حقه أن يسند إليه في المجاز العقلي¹.

إن التأويل المجازي «يعتبر من الأسباب التي أدت إلى إسهام المفكرين الإسلاميين في القرن الثالث الهجري وما بعده إلى التعامل مع النص القرآني، حيث كانت كل فرقة تعتمد قاعدة في الاحتجاج وأن المتلقي قد يضطرب بين الحقيقة والمجاز قربا وبعداً متأرجحا بين الأمرين، وهذه معاناة قد تؤدي إلى الخطأ والصواب في التأويل»².

ويتمثل ذلك في أن «يسوغ كل من المتكلم والمتلقي في الخطاب لنفسه الخروج من المعنى اللفظي إلى معنى خفي ويعول فيه على ذكائه وخياله، فإذا انحرفت دلالة اللفظ عن المؤلف الشائع، سمي ذلك مجازاً ولا تستحق هذا الوصف إلا إذا أثارت في ذهن السامع أو القارئ غرابة أو طرافة، وتختلف هذه الإشارة من شخص إلى آخر وحسب الوسط الاجتماعي والثقافي الذي ينتمي إليه المرء، وحسب تجربته مع دلالة الألفاظ. وقد كان التعبير عن الأساليب المجازية لدى سيبويه بلفظ الاتساع، ويعد منه قوله تعالى: {بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} [سبأ، 33]، فالليل والنهار لا يمكنان ولكن المكر فيهما»³. ويلحظ لدى سيبويه (ت180هـ) أيضاً اقتران السعة بالإيجاز والاختصار، فيتحدث عن باب "استعمال الفعل في اللفظ لا في

¹ ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص66، 67.

² عرابي أحمد، جدلية الفعل القرآني عند علماء التراث، دراسة دلالية حول النص القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2010، ص09.

³ سيبويه، الكتاب، ج1، ص176.

المعنى لاتساعهم في الكلام والإيجاز والاختصار"¹، وعدّ منه قوله تعالى: {وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا} [يوسف، 82]، فيقول: إنما يريد أهل القرية فاختصر وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان هاهنا. ونجد استخدام هذه الكلمة على يد أبي عبيدة معمر بن مثنى التميمي (ت210هـ) الذي ألف كتابه (188هـ) بما هو كشف عن الألفاظ في مواضعها من النص القرآني... كتابه "المجاز في غريب القرآن"، "مجازات القرآن، قطرب النحوي (206هـ)"، "مجاز القرآن، أبو زكرياء الفراد (ت207هـ)" وهما كتابان لم يصلأ إلينا"².

ولم تعش كلمة "مجاز" في ظل هذا المفهوم اللغوي بل تعدته إلى معناها كمقابل للحقيقة، أي التي استعملت في غير ما وضعت له في أصل اللغة، ونلاحظ ذلك فيما أورده الجاحظ (ت255هـ) من شواهد كثيرة من مادة "أكل" كقوله تعالى: {إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً} [النساء، 10]، وقوله: {أَيُّحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ} [الحجرات، 12]، ويعلق عليها بأن "هذا أكله مختلف وهذا أكله مجاز"³.

وبجانب هذين المفهومين لكلمة "مجاز" نجد مفهوماً ثالثاً يظهر في الدراسات القديمة يراها بمعنى الأسلوب وطريقة الأداء، يقول ابن قتيبة: "وللعرب المجازات، ومعناها طرق القول ومآخذه، فمنها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح والكناية والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجمع، ومخاطبة الجمع خطاب الواحد، والواحد خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، ولفظ العموم لمعنى الخصوص"⁴.

¹ سيبويه، الكتاب، ج1، ص211، 212.

² ينظر: عبد الجليل محمد بدري، المجاز وأثره في الدرس اللغوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1986، ص43.

³ ينظر: الجاحظ، كتاب الحيوان، ج1، ص05-10.

⁴ أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد (ابن قتيبة الدينوري)، تأويل مشكل القرآن، شرح ونشر: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ط3، 1981، ص20، 21.

تلك هي الخطوط العريضة لمبحث المجاز في الدراسات القديمة، وما عداها كان زيادة في التفصيل والتفريع، أو تأصيلها للبحث بوضع أسس فلسفية ولغوية، أو تطبيقاً له بضرب الشواهد والأمثلة. ولما كان المجاز -الذي هو أحد مقاصد علم البيان الرئيسية- متفرعاً في الأغلب عن المعنى الحقيقي، فقد احتيج إلى ذكر الحقيقة، وبيان مفهومها.

عرف ابن جنى (ت392هـ) الحقيقية بقوله: "إن الحقيقة ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة والمجاز ما كان بضد ذلك"¹. وعرفها ابن فارس (ت395هـ) بقوله: "فالحقيقة: الكلام الموضوع موضعه الذي ليس باستعارة ولا تمثيل، ولا تقديم فيه ولا تأخير"².

وحسب الفقرة السابقة وبمفهوم دلالة المخالفة فإننا نستدل بذلك على تعميم دلالة المجاز، فهو يشمل دلالة الألفاظ وكذلك خرقه المعيارية في التراكيب والأساليب من حيث الترتيب والتقديم والتأخير. ومعنى ذلك أن الحقيقة هي الأصل والمجاز فرع عنها، فالحقيقة هي: "الشيء الثابت قطعاً وبقيناً، يقال: حق الشيء إذا ثبت، وهو اسم الشيء المستقر في محله، فإذا أطلق يراد به ذات الشيء الذي وضعه واضع اللغة في الأصل كاسم الأسد للبهيمة وهو ما كان قادراً في محله والمجاز ما كان قادراً في غير محله"³.

المعنى الاصطلاحي للمجاز فهو مستمد من الأصل اللغوي، ويعد الجرجاني (ت471هـ) من أدق من بحث في الكشف عن العلاقة بين اللغة والاصطلاح في اشتقاق لفظ المجاز، فالمجاز عنده: "مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعدها، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة، وصف بأنه مجاز على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو المكان الذي وضع به أولاً"⁴. مما تجدر الإشارة إليه عدم اكتفائه (الجرجاني) بتحديد العلاقة بين الأصل والفرع في عملية العدول عن أصل اللغة، متجاوزاً ذلك إلى تأكيد ضرورة "مجانسة

¹ ابن جنى، الخصائص، ج2، ص442.

² أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: مصطفى الشويبي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، دط، 1977، ص149.

³ علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات (قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة)، حققه: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، دط، ص80.

⁴ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، حققه: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، السعودية، ط1، 1991، ص342.

المعنى المنقول له اللفظ إلى معناه الأول حيث توافر المناسبة في وجه النقل، كتسمية الاعتدال غصنا... لافتراع الغصن استقامة... فجاء النقل متساوقا في مناسبته مع المعاني الجديدة دون النبو عنها في شيء¹.

دلالة الألفاظ في النص تتغير لأسباب اجتماعية وثقافية، حيث نرى مجيء الإسلام أحدث في نقل استخدام الألفاظ من الحقيقة إلى المجاز تطورا، فلفظ - الصلاة مثلا - أصبح يطلق على الحقيقة الشرعية، أي من المعنى اللغوي إلى المعنى الاصطلاحي... فقد كانت الصلاة في اللغة بمعنى الدعاء، ثم أصبحت تطلق ويراد بها العبادة المخصوصة ولا يفهم منها إلا ذلك، فإذا أردنا دلالتها على الدعاء فلا بد من القرينة الصارفة إلى ذلك المعنى، فأصبح المجاز أصلا والحقيقة مجازا عرفا، أي أن اللفظ تطور دلاليا، ويبعد غاية البعد أن يكون قوله -عليه الصلاة والسلام-: "لا يقبل الله صلاة بغير طهور"، أن يكون مراده الدعاء من حيث هو الدعاء². وعلى هذا يمكن القول: «إن مفهوم الدلالة المجازية عند الجرجاني يرتكز إلى الأسس الآتية:

1. نقل دلالة اللفظ.
 2. القرينة الدالة على مجازية النقل.
 3. الملاحظة أو الملازمة بين المنقول له والمنقول عنه. 4. نوع الملازمة.
- والجرجاني في ذلك ينطلق من أن علم البيان يبحث في (معنى المعنى)، أي في تعلق المدلول الأصلي بالمدلول المجازي، إذ أن اللفظة الموضوعية أصلا بالمطابقة لمدلول أصلي تحيل بسبب علاقة ما على مدلول آخر³.
- وعليه، فالدلالة المجازية: «هي التي تقابل الدلالة الحقيقية، أي تقابل الدلالة الأولى في الوضع، وهي أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفرض بك ذلك المعنى إلى معنى آخر⁴.

¹ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص304.

² ينظر: عرابي أحمد، جدلية الفعل القرآني عند علماء التراث، دراسة دلالية حول النص القرآني، ص38.

³ فاخوري عادل، علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيميائية الحديثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 2004، ص53.

⁴ ينظر: جوزيف فندريس، اللغة، ص254. وينظر أيضا: العزاوي عقيد خالد حمودي، يعقوبي عماد بن خليفة الدايني، الدلالة والمعنى، دراسة تطبيقية، دار العصماء، سوريا، ط1، 2014، ص341.

فالدلالة المجازية تمثل الدلالة الثانية إذ يخرج الكلام إلى معان جديدة غير تلك التي يوجبها ظاهره، وهي معان يعقلها السامع من المعنى الظاهر، فإذا كانت المعاني الناشئة بالألفاظ لا تحتاج إلى العلم بالمواضعة، «فإن العلم بالمعاني الثواني المدلول عليها بالمعاني الأول المدلول عليها بالألفاظ إنما يتحصل بطريق الاستنباط والاستدلال والتعقل»¹.

ووجه الدلالة المجازية عرفي وهو ما يعرف بالوضع النوعي التأويلي، أما النوعي فوضع كذا بإزاء علاقة كذا، وأما التأويلي فبقريئة كذا، ومن ثمة فدلالة المجاز على المعنى مطابقية لأنها دلالة اللفظ على تمام الموضوع له².

والذي يظهر أن المجاز أو الدلالة المجازية التي سماها سيبويه بالاتساع، وعناها شيخ الإسلام ابن تيمية بالحقيقة في محلها، وورسمها ابن القيم بالحقيقة السياقية، هي في الدلالة المعتمدة في اللغة العربية وإن تعدد اصطلاح العلماء لها.

تتعلق طبيعة الخلاف بين المثبتين للمجاز والنافين له بالجانبين النظري والتطبيقي، وحاول كل طرف منهما أن يبرهن على خلاف ما ينفيه الآخر من الجانبين النظري والتطبيقي، "فالقائلون بالمجاز هم أكثر علماء العربية، وهم القائلون به مطلقاً سواء كان في القرآن أو الحديث، إذ من قال به فيهما قال به في اللغة من باب أولى، كما يلزم من إثبات المجاز في اللغة إثباته في القرآن أيضاً، وقد قسم العلماء في ذلك إلى خمسة مذاهب: (الأول): الجواز مطلقاً وهو رأي الجمهور"، (الثاني): المنع مطلقاً وهو المنسوب للأستاذ الأسفرايني وأبي علي الفارسي، (الثالث): المنع في القرآن والجواز في غيره، (الرابع): المنع في القرآن والحديث والجواز في غيرهما، (الخامس): الجواز مع التحفظ، ويمثل هذا الاتجاه الأخير ابن حزم الظاهري، فيقول: "إنه لا يجوز استعمال المجاز في خطاب الله ورسوله إلا إذا أورد به النص، أو أقام عليه الإجماع أو ضرورة حس"³.

¹ موسى محمد حسنين، التصوير البياني (دراسة تحليلية لمسائل البيان)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1993، ص07.

² ينظر: عبد الجليل محمد بدري، المجاز وأثره في الدرس اللغوي، ص132.

³ أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت476هـ)، التبصرة في أصول الفقه، تح: محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط1، 1403هـ، ص177.

وقال ابن جنبي (ت392هـ) مؤكداً وجود المجاز في لغة العرب: "اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة، وذلك عامة الأفعال"¹، وقال في موضع آخر: وكذلك قولك: ضربت عمراً مجازاً أيضاً من غير جهة التجوز في الفعل وذلك أنك إنما فعلت بعض الضرب لا جميعه، ولكن من جهة أخرى وهو أنك إنما ضربت بعضه لا جميعه ولا تراك تقول: ضربت زيداً ولعلك ضربت يده أو أصبعه أو ناحية من نواحي جسده، ولهذا إذا احتاط الإنسان واستظهر جاء يدل البعض، فقال: ضربت زيداً أو وجهه أو رأسه..."².

هناك من أنكر المجاز في اللغة «الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني والأستاذ أبو علي الفارسي أستاذ ابن جنبي وابن القاص، ومنهم من أنكر المجاز في القرآن بخاصة عدّ منهم ابن القاص الشافعي، وابن خويز منداذ المالكي وداود الظاهري وابنه، وأبو مسلم الأصبهاني»³.
والحجة لهؤلاء سواء كانت صادرة عنهم أو منقولة عليهم تتلخص في معالم منها التحديد الزمني، إذ لا يعلم التي تكون الحقيقة ومتى كان المجاز خاصة أن الدلالة غير ذاتية سواء كانت المقارنة بين الأصلي وغير الأصلي في الذات كتسمية المطر سماء، أو المعنى كوصف الشجاعة والبلادة وأن العرب وضعت السبع للأسد وللشجاع⁴، لكن وإن كان التاريخ غير معلوم «بيد أن السبع لا ينصرف إلى الشجاع إلا بقريئة ولو كان حقيقة فيهما لكان تناولهما واحداً، ومنها الإخلال بالتفاهم وأنه مع القريئة حقيقة، ومعلوم أن الشرط لصحة المجاز علاقة وقريئة، ويعود الخلاف لفظياً»⁵. ومنها -فيما يخص القرآن- أنه لا يعدل إلى المجاز إلا لضيق الحقيقة وهو مستحيل على الله، ورد بأن هذا باطل، "ولو سقط المجاز من القرآن سقط شطر الحسن"⁶.
ومنها الاشتقاق التجوزي، إلا أنه «لا يجوز وصف الله سبحانه وتعالى بالتجوز، لكن نقول إن

¹ ابن جنبي، الخصائص، ج2، ص447.

² المرجع نفسه، ج2، ص450.

³ بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت794هـ)، البرهان في علوم القرآن، ج2، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1957، ص255.

⁴ ينظر: عبد الجليل محمد بدري، المجاز وأثره في الدرس اللغوي، ص131.

⁵ ينظر: جلال الدين السيوطي، المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص366.

⁶ ينظر: ابن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، ص18. وينظر أيضاً: أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص400.

هذا يمثل خطأ بين الأمور الشرعية والأمور اللغوية. ومنها أن المجاز كذب والقرآن منزّه عن ذلك، والجدار لا يريد والقرية لا تسأل، لكن لو سأل لوقع الجواب»¹.

ويلخص رأي المنكرين للمجاز في حجتين أولاهما أن المجاز كذب والكذب محال على الله، وثانيهما أن الإلتجاء إلى المجاز هو عجز عن التعبير بالحقيقة والعجز على الله محال². وقد يفتح المجاز أبوابا لا حصر لها، ويؤدي إلى نتائج خطيرة في العقيدة ولهذا كان النصيون يرون أن المجاز عندهم بهذا المعنى هو وجه من وجوه التعدي، وكان ابن قيم الجوزية (ت751هـ) يطلق عليه: "الطاغوت الثالث"³، وهو من الذين رجحوا نفي المجاز من القرآن الكريم واعتبروه مجرد استعمال جائز في اللغة.

ويبين ابن قيم الجوزية (ت751هـ) أن المجاز قد يكون مغالطة يتعمدها القارئ، ويكون الغرض منها إضفاء المعنى القائم في النفس على العبارة أو اللفظ وتحميله ما لا يحتمل، ومن ذلك قوله تعالى حكاية عن النمرود "أنا أحي وأميت" من قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى } [البقرة، 260]، فتشبت نمرود بالمجاز للتمويه والمكابرة الكاذبة (القتل حقيقة عند الله ومجازا للنمرود، أما الدليل الثاني من الآية فلا مجاز فيه)، وتمسك إبراهيم بالحقيقة لتبكيته وإثبات عجزه وتكذيبه فيما ادعاه من الألوهية كاذبا⁴.

¹ ينظر: عبد الجليل محمد بدري، المجاز وأثره في الدرس اللغوي، ص131. وينظر أيضا: العزاوي عقيد خالد حمودي، اليعقوبي عماد بن خليفة الدايني، الدلالة والمعنى، دراسة تطبيقية، ص356.

² عرابي أحمد، جدلية الفعل القرآني عند علماء التراث، دراسة دلالية حول النص القرآني، ص55.

³ محمد بن محمد بن عبد الكريم (ابن القيم الجوزية)، مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة، تح: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص231.

⁴ ينظر: أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبى (ت471هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، تح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1995، ص90.

2. المقاربة المعاصرة للدلالة النحوية:

1.2. الدلالة النحوية بين الاعتباطية والعقلانية:

زعم معظم النحويين التقليديين أن الفصائل النحوية كانت أساساً دلالية¹، ومع هذا ذهب أكثر اللغويين المعاصرين إلى القول بأن النحو يجب أن يبقى متميزاً عن علم الدلالة، وأن الفصائل النحوية يجب أن تعرّف كلية بالنظر إلى صورة اللغة (Form) أي الملامح الملحوظة بالفعل².

يمثل الاتجاه البنيوي الاتجاه الغالب على البحث اللغوي في النصف الأول من القرن العشرين، وإليه يعود الفضل في التأسيس المعرفي لعلم اللسانيات بضبط موضوعه وترتيب وجهات النظر فيه وبناء بعض المناويل الناجعة في وصف مظاهر أساسية في الألسن البشرية، وقد تحددت ملامح البحث اللغوي في النصف الثاني من هذا القرن بالنظر إليه... وقد كان البحث اللغوي في هذه الفترة استمراراً لبعض الفرضيات البنيوية بقدر ما كان محاولة قطع معها. إن هذا الاتجاه قد تأسس على القطع مع النحو المقارن وهو الجدول المعرفي المسيطر في القرن التاسع عشر، ومع التفكير اللغوي الأوروبي القديم المنبثق عن التفكير الفلسفي الإغريقي.

تمثلت إضافة البنيويين في إعادة تعريف موضوع وبيان الأولوية المعرفية للدراسة الآنية على الدراسة الزمانية، ثم في الإلحاح على أن الكيانات اللغوية ليست كيانات مادية لا رابط يجمعها وإنما هي كيانات علائقية منتمية إلى نظام مجرد من القيم المحض، وبناء على مفهوم القيمة الذي أسس لمفهوم النظام وللفضل بين الآنية والزمانية ثم الفصل المنهجي بين اللسان والكلام ثم ترتيب مستويات الظاهرة اللغوية إلى كلام/لسان/لغة.

أما القطع مع التفكير الأوروبي اللغوي القديم فيتمثل في الفرضيات التي عرفت بنظرية العلامة اللغوية التي اشتهر بها دي سوسير (De Saussure)، فقد كان السائد أن العلامة

¹ ينظر: الحباشة صابر، أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب، مقاربات عرفانية تداولية، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص19.

² ف.ر. بالمر، علم الدلالة إطار جديد، تر: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 1995، ص181.

اللغوية علامة على شيء خارج العالم اللغوي، وأن للأفكار وجودًا مستقلاً عن اللغة وسابقاً لها، وقد تنكب دي سوسير هذا الطرح وقال إن العلامة اللغوية كائن ثنائي يتكون من التحام دال بمدلول التحام وجهي الورقة، وهو التحام ينشأ عنه توليف يمثل شكلاً لا مادة، بحيث يمتنع تعريف أحدهما بمعزل عن الآخر، لقد كان لهذا القول بعد منهجي كبير لأنه أسس لاستقلالية المبحث اللغوي وكانت له كثيراً من الأقوال الفرعية والنتائج الإجرائية على صعيد تحديد الروائز اللغوية¹.

لقد كانت فرضية استقلالية البنية اللغوية مؤسسة في سياقها التاريخي لاستقلال علم اللسانيات بموضوع مستقل ومنهج خاص يميزه من العلوم التي كان لها تناول في نطاق اهتماماتها بالألسنة البشرية وخاصة الفلسفة وعلم المنطق.

ويمكن القول إن الفرضيتين المؤسستين للمدارس البنيوية هي الفرضيتان التاليتان:

- التسليم بأولوية البنية على العناصر المكونة لها ويترتب عنه أن ما يحدد هوية عنصر هو جملة العلاقات التي يعقدها مع غيره من العناصر المنتمية معه إلى نفس البنية.
- القول باستقلالية البنية اللغوية وما يترتب عنها من فرضيات فرعية كالقول باعتبارية العلامة اللغوية أو نسبتها مفيدة من ذلك السياق التاريخي لأنها تجنب إسقاط بنية لسان على لسان آخر وهو أمر حصل بالفعل في تاريخ التفكير اللغوي الأوروبي، وحصل كذلك عند إقبال الأوروبيين على وصف الألسن الغربية عنهم سواء في القارة الأمريكية... أو في باقي القارات.

وفي نطاق تفادي هذه الأخطاء في الوصف اللغوي يتنزل الحذر المنهجي من المعنى الذي اتخذ تاريخياً صياغتين متطابقتين الأهداف والنتائج وإن اختلف ظاهر اللفظ وتباينت المنطلقات المعرفية والسياقات الحضارية².

¹ ينظر: مجدوب عز الدين وآخرون، إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، قرطاج، تونس، دط، 2012، ص 05، 06.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 06، 07.

يمثل لويس هيلمسليف (L.HjelmsLev) (ت1965م) في اللسانيات الأوروبية أوضح صياغة للحذر المنهجي من المعنى وقد عرضه في مقدمته لنظريته في اللغة التي نقتبس منها الشاهد التالي: "لا يمكن للمعنى أن يعرف إلا من خلال تشكل ما وبدون ذلك لا يكون له وجود علمي، ولهذا السبب يستحيل إتخاذ المعنى أساسا للوصف اللغوي، سواء تعلق الأمر بمعنى المضمون أو بمعنى التعبير"¹.

لقد نظر فرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure) (ت1913م) إلى المعنى على أنه «نتيجة لرمز لغوي مكون من الارتباط البنيوي بين الموضوع الخارجي وبين الصورة الذهنية لذلك الموضوع، هذا الارتباط البنيوي هو ارتباط عشوائي اعتباطي»².

إن من أقدم الصياغات ما نجده عند سايبير... وكان رأيه أساسا أنه مادام لكل لغة تركيب صوري مختلف فإنها تتمثل عالما مختلفا³. لقد فهم سايبير المعنى على أنه عملية عالية من التفكير والتجريد... واعتبر القضية الدلالية قضية عالمية بالرغم من أنها تحدد من خلال الشكل اللغوي في كل لغة من لغات العالم⁴.

وقد أخذ ليونارد بلومفيلد (L.BloomFiled) (ت1949م) خطأ مماثلا لسبب مختلف هو أننا يجب أن نكون "علميين" وأن دراسة المعنى كانت مسألة واهية في النظرية اللغوية، ولهذا أكد أن الملامح الصورية -لا المعنى- لا بد أن تكون نقطة البدء في المناقشات اللغوية⁵.

أما الصياغة الثانية فيمثلها بلومفيلد، وقد أفضت به المنطلقات السلوكية التي اعتمدها في كتابه اللغة 1933م، والتي كان يروم من ورائها تأسيس دراسة علمية موضوعية إلى تبني المثير والاستجابة لترتيب الظواهر اللغوية وتعيين المعطيات التي تدخل في موضوع البحث اللساني، وبناء على ذلك عرف دلالة شكل لغوي ما بكونها وضعية المتكلم التي ينطلق به

¹ مجدوب عز الدين وآخرون، إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ص06، 07.

² الوعر مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، مدخل، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1988، ص81.

³ ف.ر. بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ص181.

⁴ ينظر: الوعر مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، مدخل، ص82.

⁵ ينظر: ف.ر. بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ص182.

باعتباره مثيراً والجواب الذي يثيره لدى السامع، ولما كانت وضعية المتخاطبين التي تدفعهم للكلام تشمل كل الأحداث والموجودات التي تكون محيطها كان تقديم تعريف علمي صحيح لدلالة أي شكل لغوي من أشكال أي لسان يقتضي بالضرورة تعريفاً علمياً مستقصياً لكل هذه المكونات وهو ما يخرج عن طاقة البشر ويعني تعذر القيام به، وفي هذا الإطار ننزل قوله: إن ضبط الدلالة هو نقطة الضعف في دراسة اللغة¹.

والواقع لقد كان عالم اللسانيات الأمريكي بلومفيلد «أكثر تطرفاً في نظريته للمعنى نظرية بنيوية تتفق مع الفلسفة السلوكية، فقد اعتبر المعنى دلالة معجمية قادرة على التغيير والتبدل من معنى إلى آخر طبقاً لاختلافات الوحدات اللغوية وتنوعها، ولكن العملية الآلية التي تحدد هذه الوظيفة الدلالية ليست عملية ذهنية فكرية، إنها عملية سلوكية متأثرة بالمحيطات الخارجية والفيزيائية»².

كان رأي بلومفيلد أن «دراسة المعنى أضعف نقطة في الدراسة اللغوية وأن من الأوفق أن نحدد مجال علم اللغة بالمساحة التي يمكن ملاحظتها وتجربتها وقياسها قائلاً: نستطيع أن نعرف معنى صيغة كلامية معينة بشكل صحيح عندما يتعلق هذا المعنى بأمر لدينا عنه معرفة علمية»³.

وقد أدت تصدعات بلومفيلد هذه إلى «إهمال المعنى بل وأحياناً مهاجمته بعنف على الرغم أنه داخل في المجالات دراسية أخرى مثل المنطق والفلسفة أو علم النفس، كما أدى إلى تبني بعضهم منهجاً يقوم على اعتبار الخصائص الشكلية للغة وبخاصة التركيبات النحوية كجوهر اللغة، ولهذا نجد كثيراً من الدراسات اللغوية التركيبية في أمريكا قد اتجهت إلى استخدام المعنى بقدر يسير للمساعدة فقط في تطوير دراساتهم الفونولوجية»⁴.

¹ ينظر: مجدوب عز الدين وآخرون، إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ص 08.

² الوعر مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، مدخل، ص 82.

³ العزاوي عقيد خالد حمودي، اليعقوبي عماد بن خليفة الدايني، الدلالة والمعنى، دراسة تطبيقية، ص 67. نقلاً: علم الدلالة السلوكي لبلومفيلد، ص 11، 12.

⁴ المرجع نفسه، ص 68.

ومما تحجج به ف.ر. بالمر قوله: «إن هناك حجتين حسنيين لإبعاد المعنى عن النحو، أعنى فيما يخص النحو الصوري: الحجة الأولى أن المعنى يكون غالباً غامضاً، وفصائل المعنى ليست مصورة على نحو دقيق... والحجة الثانية أننا حتى عندما نستطيع أن نحد الفصائل الدلالية والنحوية على نحو مستقل فإنهما غالباً لا يتوافقان»¹.

ولا يعني هذا القول بلومفليد ولا القول السابق لهيلسليف استبعاداً مبدئياً للمعنى، فبلومفليد يقول في نفس السياق في مستهل الفصل التاسع المخصص للدلالة: "إن دراسة أصوات الخطاب دون اعتبار دلالتها هو من الأوهام، وإنما المقصود والتأسيس لدراسته دراسة موضوعية والتوتي من مزالقة"². وعندما ندخل في علم تفصيلي للنحو، نجد العلاقة المتبادلة بين النحو وعلم الدلالة تصبح أضيق فأضيق حتى نصل إلى مرحلة من الصعب فيها - إن لم يكن من المستحيل - أن نعلن ما إذا كانت الفصائل صورية أو دلالية³.

نشأ علم الدلالة البنيوي من التوازي في التحليل بين كل من الدال والمدلول، وبالنسبة إلى اللسانيات البنيوية، فإن قوانين المعنى محتواة في قوانين العلاقة، وتتسم وحدات المعنى تماماً مثل وحدات العلامة، بسمتي الاختلاف والتقابلية، فكما أن الصوتم ليس له وجود مادي ثابت، ولا يمكن تعريفه إلا في تقابله مع غيره من الصوتم، فإن المعنى ليس سوى اختلاف ضمن نسق معجمي وما نسميه معنى الكلمة يتكون من كل ما يدور "حول" هذه الكلمة... من هنا فإن المعنى هو شكل وليس جوهرًا (ذهنياً أو اجتماعياً)، والطريقة التي يؤدي بها المعنى نفسياً أو في وضعية تخاطبية ما ليست أساسية مثلما أن تحقيق الصوتم صوتياً ليس أمراً أساسياً⁴.

¹ ف.ر. بالمر، علم الدلالة، إطار جديد، ص182.

² عز الدين مجدوب وآخرون، إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ص09.

³ ف.ر. بالمر، علم الدلالة، إطار جديد، ص184.

⁴ ينظر: الحباشة صابر، تحليل المعنى، مقاربات في علم الدلالة، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011، ص39.

2.2. ظاهرة التعدد في الدلالة النحوية:

يمثل ظهور المدرسة التوليدية أبرز الأحداث العلمية التي سيطرت على البحث اللغوي في النصف الثاني من القرن العشرين، وهو حدث لا يستمد أهميته من أهمية الفرضيات التي تبنتها هذه المدرسة فحسب على الصعيدين اللساني والابستمولوجي، وإنما أيضا من خلال ما أثارته من سجال وجدل وما أفرزته من نظريات منافسة طورت المدرسة التوليدية نفسها وطورت البحث اللساني عامة¹.

لعل أبرز تحول أدخلته المدرسة التوليدية مع تشومسكي (Chomsky) في الأبنية التركيبية 1957م، وفي مظاهر من النظرية التركيبية 1965م، هو أنها «حددت مهام جديدة للوصف اللغوي لم تسبق إليها، وأخطرها طموحها لبناء أنحاء شكلية للألسنة البشرية بالمعنى الرياضي المنطقي الدقيق في شكل خوارزميات قابلة للبرمجة الإعلامية»².

إنها ترمي «إلى ما تسميه العلوم الصحيحة منولا صريحا للسان الذي تصفه وللملكة اللغوية التي تسوده، ومن خصائص هذا التصور استعداد اللساني المتواصل لتعديل هذا المنوال وتغييره والتخلي عنه لأنه يتبنى تصورا للعلم افتراضيا استنباطيا بالمعنى الذي حدده كالروبر»³. ويمثل التحول الحاصل في مضمون النعت "شكلي" شاهداً على التحول التاريخي ونقطة القطع مع البنيوية.

لقد ساهمت الثورة اللسانية التي تمت على يد العالم اللساني الأمريكي تشومسكي (Chomsky) في إنهاء تلك المناقشات الحادة، خاصة عند وضع كتابه المسمى المباني التركيبية (Syntactic Structures) علم اللسانيات في مرحلة متقدمة من الزمن الذي كان علماء اللسانيات يتوقعونه⁴.

¹ ينظر: بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية، مقارنة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2012، ص35 وما بعدها.

² مجدوب عز الدين وآخرون، إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ص10.

³ المرجع نفسه، ص11.

⁴ الوعر مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديثة، مدخل، ص28.

ينظر النحو التوليدي إلى اللسانيات باعتبارها «جزءًا من علم النفس ومن العلوم الطبيعية، إن من يتكلم لغة بعينها يكون ممتلكا لنظام من المعرفة ممثلا بطريقة في ذهنه، ومن هنا يكون لهذا النظام صورة مادية في دماغه»¹. ولئن كانت المدرسة التوليديّة تشارك عامة المدارس البنيوية وحتى القديمة رغبتها في وصف السلوك اللغوي للناطقين بلسان ما وفهم القوانين المسيرة لاستعمالاتهم والبحث في ما يمكن أن تشترك فيه عامة الألسن. وأظهر دليل على استيعابهم للحصيلة البنيوية إقرارهم بجملة المنطلقات التي اشتهر بها البنيويون مثل التمييز بين معنى الجملة وبين تركيبها وتمييزهم بين الجمل اللاحنة والجمل غير اللاحنة وإقرارهم بأن الدراسة الشكلية للتركيب لموضوعيتها وتقدم البحث اللغوي فيها تسبق منطقيا الدراسة الدلالية وتمهد لها، وقد ترجموا هذه المبادئ في أمرين:

- أولا في هندسة المنوال الذي تصوره لتمثيل الملكة اللغوية سواء في صورته الجميلة أو في ترتيب مستوياته الفرعية، فالمكون الدلالي الذي يقتصر دوره على مجرد التأويل، وقد رأوا أن يعطوا الأولوية لظواهر التركيب عبر الدلالة رغم وعيهم بأن الحدود الفاصلة بين المبحثين غير واضحة في هذا المستوى من البحث لأن الجانب التركيبي هو الذي تتوفر حوله معطيات وثيقة.

- ثانيا في ترتيب المكونات الفرعية لهذا المكون المركزي، فهذا المكون يشتمل على مستويين، مستوى البنية العميقة التي تشمل جملة المؤثرات النسقية ومستوى البنية السطحية التي نفضي إليها بعد إدخال التحويلات².

فقد كانت المدرسة البنيوية تعتبر دراستها دراسة شكلية لأنها تقيم وصفا للألسنة البشرية على خصائصها البنيوية والعلائقية بالاعتماد على أسس مفهومية أو معنوية، أما تشومسكي فقد اعتمد المعنى الصوري المعمول به في الرياضيات والمنطق الصوري ليحدد خصائص الأنحاء الخاصة بالألسنة البشرية وخصائص النظرية اللسانية العامة. وتخالفهم جميعا في عزمها بناء

¹ جحفة عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000، ص44.

² ينظر: مجدوب عز الدين وآخرون، إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ص13، 14. وينظر أيضا: جحفة عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص59.

وصف صريح بالمعنى الرياضي لهذين المستويين قابل للدحض حسب ما يريه عليه الباحث من اختيارات لتفسر الوقائع اللغوية.

ويمكن أن نجزم بأن ما أظهر مآثر تشومسكي على البحث اللغوي هو إدخاله صياغة المناويل بالمعنى الجاري في العلوم الصحيحة وتوطيده لها ضمن البحث اللساني، وعلى هذا النحو يعرف النحو الصريح بكونه "دولاباً محدوداً قادراً على توليد عدد لا يتناهى له عد من الجمل النحوية وإسناد كل جملة منها آلياً وصفاً بنيوياً"... وقد تركز اهتمامه على تحديد أليق المناويل الشكلية لبناء نحو صريح ملائم للألسنة البشرية، وفي نطاق هذا المسعى أعاد صياغة المناويل الجارية عند البنيويين ضمن الشروط الصورية... وبين عدم ملاءمتها¹.

وكان مما عابه عليها أنها لا تفي بالمظهر الخلاق للغة والمتمثل في القواعد التكرارية التي يقتضيها المنوال اللغوي، وعزا غياب هذا التصور عند البنيويين إلى غياب الأدوات الفنية التي بني عليها تصورهم في وقتهم إذ لم تظهر للعيان إلا لاحقاً ضمن الدراسات المنطقية وفي نطاق البحوث التي تناولت أسس الرياضيات، أما العيب الآخر فهو أنهم بنوا تصوراً مبسطاً للبنية اللغوية أي لعلاقة الدال بالمدلول ورأى أن ثنائية الصوت والمعنى ومكوناتها وعلاقات بعضها ببعض هي أكثر تشعباً مما توحى به كتابات أسلافه مما يحتم في نظره مضاعفة مستويات هذا الدولاب وتدقيق وظائفها وتنويع العلاقات التي تعقدها عناصرها ومكوناتها، وفي هذا الصدد يمثل فصله بين البنية السطحية والبنية العميقة الذي شهر شاهداً كافياً.

أما المأخذ الثالث فيتعلق بكيفية فهم استقلالية البنية اللغوية وما يترتب عن التسليم بها من نتائج على مستوى أهداف النظرية اللسانية وإجراءاتها، ولئن أمر هو وأصحابه بأهمية هذه الفرضية في التأسيس لاستقلال المبحث اللغوي فإنهم رأوا أن المدارس اللسانية عموماً وبصفة أخص أنصار بلومفيلد وهيلسليف قد أسرقوا في النتائج التي بنوا عليها هذا القول وجاوزوا بها القصد وظنوا أن القول بها مطلق وهو في الواقع مقيد بالسياق التاريخي الذي نشأت فيه

¹ ينظر: مجدوب عز الدين وآخرون، إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ص 11. وينظر أيضاً: الوعر مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديثة، ص 59.

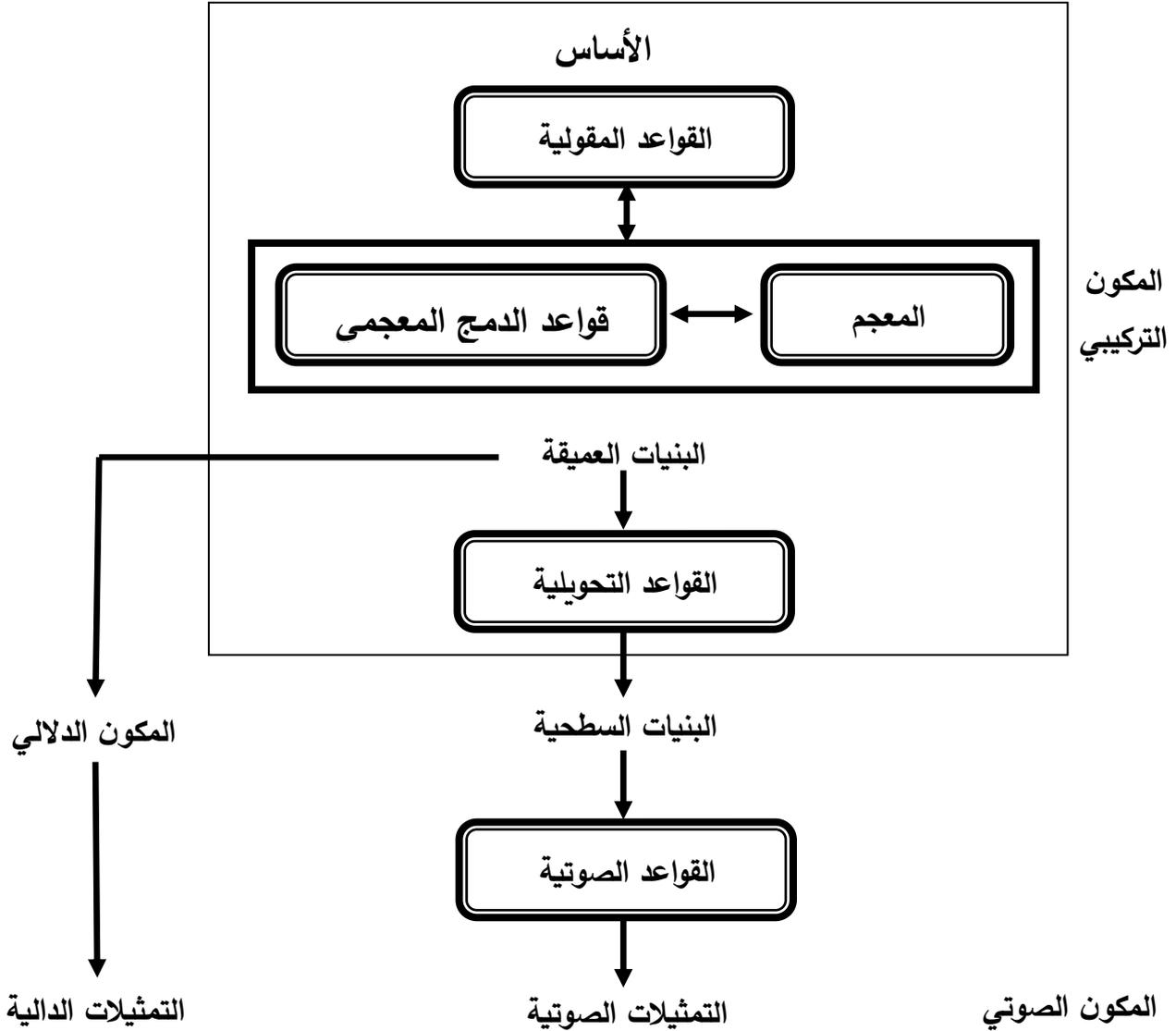
وبالمدارس السابقة لهم التي كانوا يساجلونها وهم ينازعون نظرية الغلوسيماتيك في كون التسليم بنسبة الكيانات اللغوية على مستوى الأصوات ومستوى المعاني وتغير تجلياتها واختلاف بدائلها في مختلف الألسن البشرية يستلزم بدهاء استحالة البحث عن شبكة من العناصر الصوتية الكونية واستحالة البحث عن من العناصر الدلالية الكونية، ويرفضون تسوية البلومفيلديين دلالة الأشكال اللغوية بوضعية المتكلم مما يعني إقصاءها من الدرس اللغوي.

وبناء على ذلك افترض تشومسكي في موال 1965م ثلاثة مكونات أساسية¹: مكون محوري، هو المكون التركيبي وهو الذي يشتمل على القواعد التكرارية ويسمح بتوليد ما لا يتناهى له عد من الجمل مقرونة بوصفها الإعرابي الذي توفرها مجموعة المؤشرات النظرية وما طرأ عليها من التحويلات، ومكونين تأويليين هما المكون الصوتي والمكون الدلالي وهو ما يعني أن وصفك لجملة من الجمل في لسان يستلزم الاعتماد على هذين المكونين وما يشتملات عليه من عناصر صوتية كونية وعناصر دلالية كونية، لذلك يجب على اللساني أن يضع نظرية عامة في العناصر الصوتية الكونية ونظرية في العناصر المعنوية أو الدلالية الكونية، فالتوليديون لا يريدون إنكار الصوتم والنكوص بالبحث وحصره في الجانب الصوتي وإنما يريدون حصر العناصر الصوتية القابلة لأن تؤدي وظيفة في الألسنة البشرية وضبط توليفتها والقوانين المسيرة لها على نحو ما صنع جاكوبسون (R.Jakobson) وهال (M.Hall)، أما فيما يتعلق بالنظرية الدلالية فإنها مشروع يفترضونه لم يملؤوه بعناصر جاهزة سلموا بها حدسيا أو استقدموها جاهزة من اختصاص آخر وهم يقرون بضالة الحصيلة المعرفية فيه على عكس المكون الصوتي ويكولون أمر تأنيته إلى تقدم البحث².

¹ المكون التركيبي: هذا المكون هو المكون التوليدي في القواعد التوليدية والتحويلية، ويتألف من المكون الأساسي (يحتوي على مجموعة قواعد بناء أو قواعد تكويني، وعلى معجم يشتمل على المداخل المعجمية)، ومن المكون التحويلي.

² ينظر: مجدوب عز الدين وآخرون، إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ص12، 13. وينظر أيضا: الزناد الأزهر، نظريات لسانية عرفنية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص64.

ينطلق تشومسكي في مؤلفه هذا من الفرضية الأساس التالية: «إن كل جملة تتوافر على بنيتين: بنية عميقة وبنية سطحية يتم الربط بينهما بواسطة مجموعة من القواعد التحويلية، حيث إن كل زوج (بنية عميقة وبنية سطحية) يتوافر على تأويل دلالي وتأويل صوتي»¹.



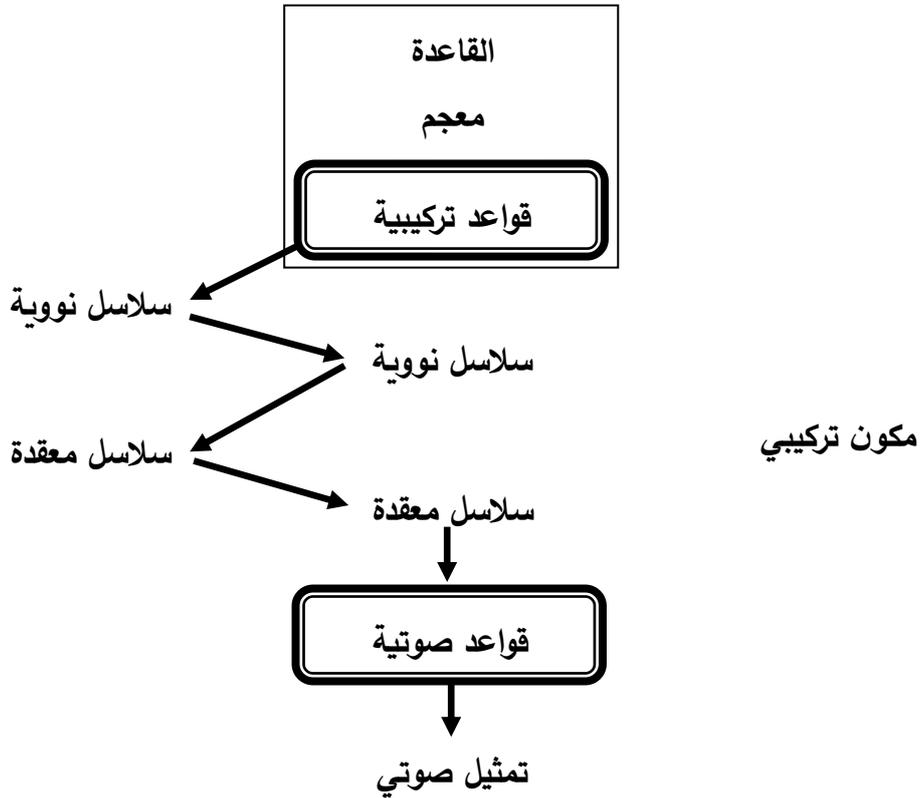
الشكل رقم (07): مكونات النظرية المعيارية عند تشومسكي

¹ مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأذنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص110.

يتضمن هذا المكون التحويلات التي هي عبارة عن قوانين متشعبة يبدل كل منها مشيراً ركنياً بمشير ركني آخر وتدرس العلاقات القائمة بين الجمل¹.

- **المكون الصوتي:** ويبحث في القواعد التي تصف الجملة بواسطة التمثيلات الفونيتيكية المأخوذة من النظرية الألسنية العامة، ويتكون من المعجم الفونولوجي ومن القواعد الفونولوجية².

- **المكون الدلالي:** يتناول المكون الدلالي القضايا المتعلقة بالدلالة أو بالمعنى فيدرس دلالات العناصر اللغوية وسيلتزم وضع مجموعة قواعد متناهية بإمكانها تحليل الجمل المحتملة واللامتناهية وتقديم التفسير الواح الذي يشرح كيف يستطيع متكلم اللغة أن يفهم جمل لغته. وقد كانت مبنية النحو منظمة عموماً على الشكل الآتي³:



الشكل رقم (08): بنية النحو في النظرية المعيار لتشومسكي

¹ ينظر: ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1986، ص145.

² ينظر: المرجع نفسه، ص137.

³ ينظر: جحفة عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص60.

ترتبط النظرية التأويلية بين البنيات التركيبية والتمثيلات الدلالية (أو التأويل الدلالي) عن طريق قواعد الإسقاط، وتشتغل هذه القواعد من خلال الضم المحكوم بقيود الإنتقاء، إذن لدينا خصائص دلالية ترتبط بالمكونات، ولدينا قواعد إسقاط تمدنا بقراءة معنية (أو بقراءات) حين تحترم الخصائص الدلالية للمكونات بعضها البعض، أي عندما تكون متلائمة، وتتم هذه العمليات داخل البنية العميقة، والجمل التي لا تحترم قواعد الإسقاط، إسقاط المعلومات المعجمية في كل من الدلالة والتركيب، تعتبر جملاً غير نحوية بالمعنى الواسع، أو تعد (شبه جملة) بحسب تعبير كاتز، وهذا النوع من الجمل (أو الملغمات) تمنعها قيود الإنتقاء التي تشكل عنصراً فعالاً في قواعد الإسقاط.

إن ناتج قواعد الإسقاط يجب أن يكون نحويًا (بالمعنيين التركيبي والدلالي) وما لم يكن كذلك اعتبر خارقاً لهذه القواعد، أو نقول إن لم يمر في مراحل اشتقاقه من هذه القواعد¹.

اقتصر البحث على المستوى الدلالي عند البنيويين على صعيد الكلمة وتركز على تحليل الحقوق الدلالية أو التحليل السيمي للوحدات المعجمية، ويتمثل المنعرج الذي أحدثه منوال تشومسكي 1965م في أنه دمج التحليل الدلالي للمعجم مع التحليل التركيبي للجملة، وسيصبح إنجاز هذا التوليف بين الدلالة النحوية والدلالة المعجمية الرهان الأول للدرس اللساني في النصف الثاني من هذا القرن ومحور كل التوترات المفهومية ومصدر الخلافات.

وفي هذا السياق تعتبر الدلالة التوليدية ثمرة من ثمار هذا التحول التاريخي المشار إليه وعاملاً من عوامله². تقتزن «النظرية التفسيرية في علم الدلالة بالتحول المنهجي لمسار الدراسة اللسانية الذي حدث في ظل النظرية التوليدية والتحويلية، وهو التحول الذي يعد قفزة نوعية في مجال الدراسة التركيبية والدلالية على حد سواء»³.

¹ ينظر: جفّة عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص 76، 77.

² ينظر: مجدوب عز الدين وآخرون، إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ص 14. وينظر: جفّة عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص 78.

³ حساني أحمد، مباحث في اللسانيات (مبحث صوتي، دلالي، تركيبية)، ديوان المطبوعات الجامعية، ط 1، 1999، ص 173. وينظر: محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ص 33. وينظر أيضاً: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، ص 96.

يعتقد تشومسكي بأن النظريات الدلالية «ليست نظريات تامة ومضبوطة ودقيقة، وهي بالتالي ليست قادرة على وضع معيار دلالي دقيق يمكن من خلاله تحديد طريقة معينة قادرة على تحديد ما هو نحوي، وما هو ليس بذلك، من هنا يرى تشومسكي أن العملية النحوية مستقلة عن العملية الدلالية، بالرغم من وجود بعض العلاقات النسبية بينهما، وفي رأيه أنه من الأفضل أن نضع تحليلاً نحويًا واضحًا يمكن أن يدعم الدلالات اللغوية بدلًا من بناء النحو على أسس دلالية... فهناك جمل غير نحوية ولكنها مقبولة ومستساغة من الناحية الكلامية، وفي الوقت نفسه هناك جمل نحوية غير مقبولة أو مستساغة كلاميًا، من هنا فإن معيار النحوية يمكن أن يتداخل مع معيار الدلالة... لذلك فقد حذب تشومسكي فصلهما إلى معيارين منفصلين»¹.

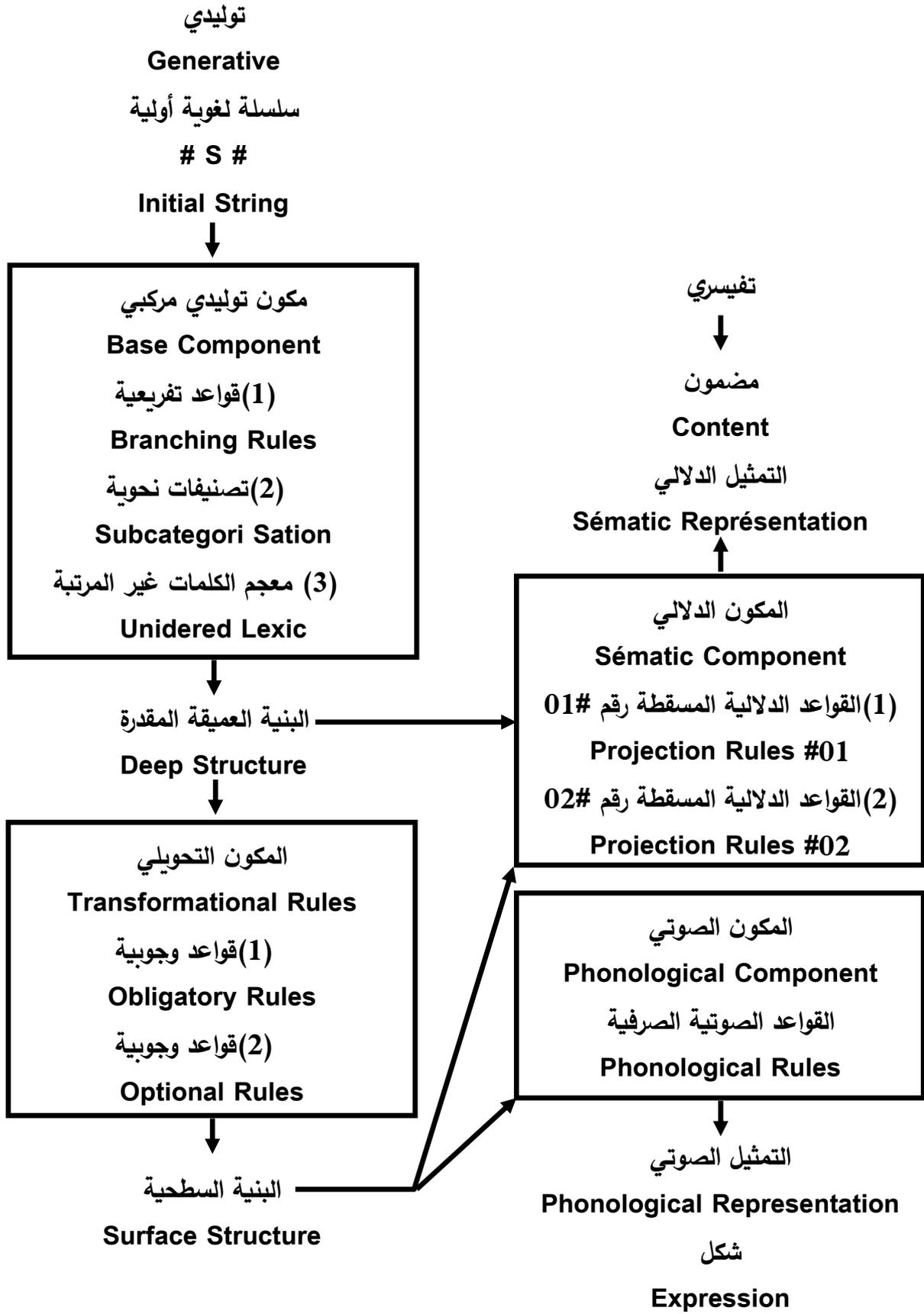
يعدل تشومسكي في كتابه "دراسات الدلالة في القواعد التوليدية 1972م بعض مسائل النظرية النموذجية كما وردت في كتاب "ملاح النظرية التركيبية" تحديد الدلالة «بصورة أساسية، ضمن البنية العميقة حيث يتم وضع معاني المفردات والعلاقات النحوية الأساسية (الفاعل، المفعول به...) للتمثيل الدلالي، إلا أن بعض القضايا اللغوية المحدودة لا بد لإعطائها التمثيل الدلالي من عناصر معينة يجري إدخالها في المكون التحويلي، كما هو حال مسائل الابتداء (Focus) والكمي (Qwanti Ficateur) والنفي وبعض الظروف (even, only) وبعض الأفعال المساعدة»².

وهكذا نرى أن تشومسكي يعدل نظريته لعام (1965م) مفسرًا الحركة التوليدية للنحو تفسيرًا دلاليًا معتمدًا إلى حد ما على المعنى، وربما يظهر هذا التعديل اللساني من خلال هذه الصورة:³

¹ الوعر مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديثة، ص101، 102. وينظر: حلمي خليل، مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2013، ص165.

² ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص22.

³ ينظر: الوعر مازن، قضايا أساسية في علم اللسان الحديث، ص103.



الشكل رقم (09): التعديلات اللسانية على النظرية النموذجية لتشومكسي 1972م.

3.2. الدلالة التوليدية:

مع النموذج السابقة (أي نموذج مظاهر النظرية التركيبية) اتضحت الأجوبة عن أسئلة عديدة منها ما يتعلق باعتبار الدلالة مكونا من مكونات النحو، واستقلالية التركيب عن المعنى، والقول بتوليدية التركيب وتأويلية الدلالة ووجود مستوى تركيبى هو البنية العميقة، والقول أيضا بارتباط الدلالة بالبنية العميقة فقط، وهي أسئلة وأجوبة فجرت خلافات كثيرة قادت إلى إنشاء نظريات جديدة، وبالفعل أدت الإشكالات المشار إليه إلى ظهور الخلافات التي قادت في النهاية إلى بروز تصورين جديدين هما¹:

- الدلالة التأويلية ويمثلها كلا من تشومسكي وكاتز (Katz) وجاكندوف (Rey Jakendoff). انطلقت الدلالة التوليدية في بداية أمرها من بعض الأفكار التي كانت ترى أنه لا وجود لمستوى اسمه البنية العميقة، على الأقل بالصورة التي اقترحها تشومسكي في النموذج المعيار². ويمثل التوليدية الدلالية تيارًا من اللسانيين التوليديين الذين يتبنون مبادئ تشومسكي ومنطلقاته، ولكنه تكوّن شيئًا فشيئًا انطلاقًا من نقده لمنزلة المكون الدلالي في منوال 1965م وحصر دوره في الوظيفة التأويلية، وقد سموا أنفسهم من باب السجال مع هذا المنوال دلالة توليدية لإبراز ما يميزهم عنه وما يخالفونه به³.

تعتمد الدلالة التوليدية على «إيضاح أن البنية الدلالية هي البنية الأساسية لتحديد معنى الجملة، أما العلاقات النحوية فليست سوى وسيلة شكلية لتحويل البنية العميقة وهي دلالية في الأساس إلى بنية سطحية. والذي قام بهذه النقلة في الدرس الدلالي النحوي هو كاتس وفودور ثم أيدهما تشومسكي، ثم تلاهم بعد ذلك زملاء له عمقوا البنية الدلالية واعتبروا أنها هي البنية الأعمق واهتموا باشتقاق المعنى منها خاصة عندما يحدث خرق لقيود الاختيار⁴.

¹ يمكن اعتبار سنة 1968م بداية ظهور التصورات التي تتسبب لأصحاب الدلالة التوليدية... ويضم تيار الدلالة التوليدية مجموعة من الأسماء منها: بول بوسطال، شارل فيلمور، جون روس، جورج ماكولي، إيمون باح، جورج لاكوف وغيرهم. ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأندوني: مفاهيم وأمثلة، ص123.

² ينظر: المرجع نفسه، ص124.

³ ينظر: مجدوب عز الدين وآخرون، إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ص15.

⁴ حسنين صلاح الدين صالح، الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، دت، ص131.

1.3.2. التناقض الداخلي:

تتعلق أول مظاهر التناقض في تناقص تمييز تشومسكي بين الكفاءة والإنجاز والوظيفة التأويلية للمكون الدلالي، فقد سبق أن أَلح تشومسكي على أن مصطلح التوليد عنده بعين المعنى الرياضي الذي يفيد بصفة أدق التعداد من (عدّد) وأنه لا يمكن تأويل لفظ التوليد على أنه يفيد الإنتاج، فهذا المصطلح محايد بين المتكلم والمخاطب ولا يتبنى وجهة نظر واحد منهما، أما وقد خص المكون الدلالي بالوظيفة التأويلية فلم يعد محايداً وأصبح متبنيًا لوجهة نظر المخاطب، وهو تناقض ينعكس على فرضية أساسية أخرى هي فرضية استقلال البنية اللغوية وما ترتب عليها من إيلاء التركيب المنزلة الأولى على الدلالة، وقد بين التوليديون قصور هذا المنوال التأويلي انطلاقاً من عدم انطباقه على وضعيات التواصل عن تفسير مظاهر جوهريّة في الملكة اللغوية مثل ظاهرة اللبس وقدرة المتكلم على تعيينه وحرية إيقاعه والقدرة على رفعه ومثل القدرة على شرح الكلام والإبانة عنه بلفظ آخر.

أما على مستوى الوصف اللغوي فقد كان من اليسير إبراز الصعوبات التي يواجهها عذا المنوال في تفسير ما يعرف بقيود الانتقاء المعجمي، وتبين هذه القرائن مجتمعة هشاشة التمييز بين التركيب والدلالة الذي يتمسك به أنصار الإتجاه التوليدي السني.

وقد بين "ميشال غالْميش" (M.Galmiche) أن يقود الانتقاء وقضايا التوارد المعجمي ظواهر دلالية لا تحيط بها خصائصها التركيبية، وإنما تحددها قواعد دلالية انطلاقاً من مضمونها الدلالي الذي يشمل مفهوم الاقتضاء وإمكانيات الشرح والتفسير، وقد بدؤوا بدحض العلاقة التي افترضها تشومسكي بين البنية العميقة والبنية السطحية، والتي حصلها أن التحويلات لا تغير شيئاً من المعنى المفترض في البنية العميقة فبينوا بطلان ذلك انطلاقاً من شواهد معينة تهم المسورات والنفي، وانتهى بهم الأمر إلى الطعن في فائدة البنية العميقة ذاتها باعتبارها بنية تركيبية، واقتراح نحو على أساس دلالي¹.

¹ ينظر: مجدوب عز الدين وآخرون، إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ص15، 16.

2.3.2. مميزات الدلالة التوليدية:

تميزت أعمال الدلالين التوليديين أيضا برؤية واسعة وشمولية للعمل اللساني، استطاعت إلى حد كبير وفي صورة مغايرة لما كان عليه الأمر سابقا معانقة الفعل اللغوي في أبعاده الواقعية المتنوعة، وفي هذا السياق اقترح لايكوف الربط بين النظرية اللسانية والمنطق الطبيعي الذي يأخذ بعين الاعتبار في تحليله الطبيعة المعقدة للقضايا اللغوية جملة من الظواهر الشائكة التي أهملها التحليل اللساني التوليدي في صورته المعيارية، مثل:

- التضمنات (Présuppositions).

- مسلمات المعنى (Les Postulats du Sens).

- منطق العوالم الممكنة (La Logique des Mondes Possibles).

وغيرها من القضايا اللغوية المعقدة التي كانت في السابق حكراً على دارسي المنطق وفلسفة اللغة، إن المنطق الطبيعي هو الدراسة الإمبريقية لطبيعة اللغة والاستدلالات البشرية¹.

من الافتراضات الهامة التي دافعت عنها الدلالة التوليدية نذكر بإيجاز ما يلي:

- لا وجود للتركيب باستقلال عن الدلالة.

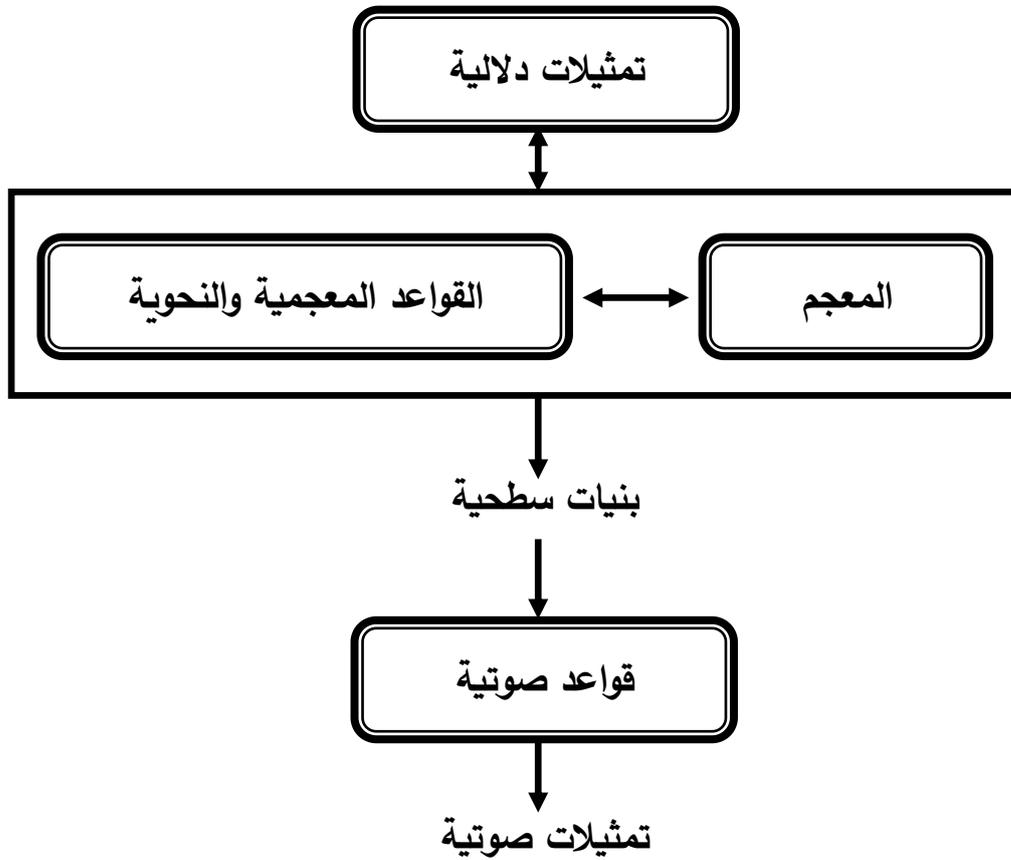
- مستوى البنية العميقة ليس ضرورياً ولازماً.

وبدلاً من البنية العميقة، هناك من جهة التمثيلات الدلالية التي يحددها التكوين السليم، ومن جهة ثانية هناك التمثيلات السطحية التي تخضع بدورها لشروط التكوين السليم، ويكون دور التحويلات الربط بين التمثيلات الدلالية والتمثيلات السطحية.

يجب التخلي كلياً عن مفهوم البنية العميقة الذي يميز بين التركيب والدلالة، وعن التمييز الحاصل بين التحويلات وقواعد التأويل الدلالي، مع الإبقاء على نسق واحد من القواعد يوجد بين البنية الدلالية والبنية السطحية عبر مراحل، ولا يمكن القول عن هذه القواعد إنها تركيبية أو دلالية، فالنحو لا يولد مجموعة من البنيات السطحية، وإنما مجموعة من الاشتقاقات على شكل قيود اشتقاقية وهي نوعان:

¹ ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، ص 125.

- قيود اشتقاقية محلية (Contraites Derivationnelles Locales)، تتعلق بالتحويلات، تتعلق بالمؤشرات المركبية المتأخية وهي المركبات التي تدخل في علاقة تحويلية.
- قيود اشتقاقية عامة (Contraites Derivationnelles Globales)، تنطبق على المؤشرات غير المتأخمة، وهي قيود على تأليف العناصر التي يمكنها أن تظهر في البنية الدلالية وعلى التنسيقات التي يمكنها أن تظهر في البنية السطحية وعلى الاختلافات الممكنة بين مراحل الاشتقاق¹، كما يوضحه الشكل الآتي:



الشكل رقم (10): بنية النموذج المعدلة في الدلالة التوليدية

¹ ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، ص 160.

4.2. الدلالة النحوية في النحو العرفني:

إن مطلب تأسيس نظري للبحث الدلالي العام كان ولا يزال دأب الدراسات التي تناولت مسألة "المعنى"، ورمت إلى بلورة أفكارها ضمن رؤى تنظيرية تتوخى الشمولية في الدراسة والعالمية في الأهداف، وإن التراكم الفكري اللغوي منذ مدرسة "براغ" التي ركزت اهتمامها على الصوت والدلالة، ومدرسة "كوبنهاجن" التي اهتمت بدراسة العلامات اللغوية، قد رسم للغويين المحدثين اتجاهها يكاد يكون واضحا نحو إرساء علمي لنظرية الدلالة، ولا يمكن في هذا الوضع إغفال الجهد المضني الذي قدمه العالم اللغوي دي سوسير، إذ كانت لآرائه وأفكاره ومنهجه في الدراسة الألسنية أكبر الأثر في مسار علم الدلالة الحديثة.

إن تحقيق هدف إثبات معنى محدد للكلمة أو الجملة كان دأب علماء اللغة والفلسفة والمنطق، آخذين في ذلك بمستويين اثنين هما: مستوى التركيب ومستوى المضمون، وهما معياران أساسيان ولكنهما لا يكفيان لتحديد شامل كامل لدلالة الجملة أو الكلمة، ومن أهم النظريات المعاصرة التي قدمت معايير أولية لمسألة المعنى: النظرية الإشارية، النظرية التصورية، النظرية السلوكية، النظرية السياقية، النظرية التحليلية، النظرية التوليدية، النظرية الوضعية المنطقية في المعنى، النظرية البراجماتية، نظرية "مور وكواين"¹.

1.4.2. الدلالة العرفنية:

لم يكن الدالليون التوليديون الاتجاه الوحيد الذي جادل الاتجاه الألسني التوليدي، إذ أن «المدرسة التوليدية قد ولدت كذلك اتجاهها في البحث اللساني قام بوصفه رد فعل عليها ومناهضا لها وإن كان يشاطرها الرأي في بعض اختياراتها النظرية خاصة في اعتماد المعطيات البيولوجية في البحث اللساني، غير أنه على عكس الدلالة التوليدية لا يتبنى المنطلقات

¹ ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2001، ص 85، 86. وينظر أيضا: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1985، ص 96 وما بعدها.

الابستمولوجية للتوليدية، بل تأسس على رفض تصورات المعرفة العلمية الذي اعتمده تشومسكي والطعن في الفرضيات المتعلقة بالصعيد اللغوي»¹.

اللسانيات العرفنية، بشكل عام، هي فرع من اللسانيات تقترح تحليل اللغة انطلاقاً من افتراض أن الملكات اللغوية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بسائر الملكات المعرفية من قبيل الإدراك المفهومة²، وهي تنقسم في المطلق إلى اتجاهين كبيرين متصارعين: الأنحاء العرفنية والنحو التوليدي في آخر تطور له (البرنامج الأدنوي أو الأدنوية)³.

ظهر "علم الدلالة العرفني" في ثمانينات القرن العشرين جزءاً لا يتجزأ من اللسانيات العرفنية، ولئن لم تكن حركة نظرية محكمة، فإنها عارضت استقلالية النحو والمنزلة الثانوية التي نزلها علم الدلالة في النظرية التوليدية للغة، كما حملت أفكار أساسية عن تصور اللسانيات العرفنية للغة، الإيمان بمرونة المعاني السياقية والتداولية، والاقتناع بأن المعنى ظاهرة عرفنية تمس تخوم الكلمة، والمبدأ القائل بأن المعنى يشتمل على سمة المنظورية. وقد اجتمعت الخصائص السابقة ضمن عدد من النظريات اللسانية العرفنية، إضافة إلى بعض الخصائص الأخرى أهمها عدم التسليم بالشكلنة في الوصف والتحليل، ورفض اعتبار اللغة مكوناً مستقلاً بذاته عن سائر المكونات الذهنية، وفي عنايتها بالدلالة في جميع مظاهرها كجزء هام من التصورات العرفنية، ويمكن عدّ أربع مساهمات نظرية مخصوصة لعلم الدلالة العرفني في دراسة معنى الكلمة وهي:

- النحو العرفني (لانفاكر)، نظرية الاستعارة المفهومية (لايكوف)، نظرية العرفنة المجسدة (لايكوف وجونسون 1999م)، نظرية المزج (فوكونيائي وتورنر 1994-1998م)⁴.

¹ عز الدين مجدوب وآخرون، إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ص 16.
² الحباشة صابر، نوافذ المعنى، إطلاقات متجددة على علم الدلالة العرفني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012، ص 49.

³ الزناد الأزهر، نظريات لسانية عرفنية، ص 27.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 70.

2.4.2. المنطلقات الاستمولوجية:

وأول ما ينتقدونه احتذاء تشومسكي العلوم الصحيحة واعتماد الشكلنة الرياضية في بناء المناويل النحوية فشككوا في هذه المنطلقات واعتبروها عيوباً وعوائق معرفية تحجب حقيقة الظاهرة اللغوية وراء صحة منطقية موهومة، ويلحون على أن اللسانيات علم إنساني لا يفيد فيه التدقيق الرياضي المنطقي الجاري في العلوم الصحيحة، ويرون أن الأخرى هو الاستفادة من علم النفس ومنجزاته، ويمكن أن نبوب مقترحات هذا الاتجاه في مجالين هما مجال الدلالة المعجمية وصياغة أنحاء عرفانية.

وهم يستفيدون من علم النفس وتطوراته التي ظهرت في أعمال "إ.روش" (E.Roch) حول مفهوم المقالات التي عرفت بنظرية الطراز، وتندرج أعمال هذه الباحثة في نطاق البحث عن مبادئ كونية للمعرفة البشرية مستقلة عن الأنظمة الثقافية، تحدها تجربتنا الإدراكية.

ويمتاز هذا التصور بعدد من الخصائص منها:

- أولاً: أنه يقطع مع المقولات الأرسطية، ويعني ذلك أنه لا يحدد المقولة بجملة من الخصائص الضرورية والكافية.
- ثانياً: أنه يقول بتفاعل النشاط اللغوي مع الأنشطة العرفانية الأخرى مثل الإدراك ولا يقول بعضو مختص بالملكة اللغوية.
- ثالثاً: يفترض أن الملكات اللغوية ثابتة عرفانية لا جملة من القواعد الشكلية.
- رابعاً: يفترض رسوماً عامة لها مقبولية عرفانية تفسر بها الظواهر اللغوية وتبنى بها مناويل وصفية¹.

3.4.2. الصعيد اللغوي:

نهضت اللسانيات العرفانية على «نقض تيارات سابقة نقضا منهجياً بالأساس، فكان الخروج عن المنهج الإجرائي القائم على الوصف البنوي والتوزيعي وعلى المنهج الشكلي بما في ذلك الأنحاء المركبية والتحويلية والمقولية الرياضية، وعلى المنهج المنطقي القائم على

¹ ينظر: مجدوب عز الدين وآخرون، إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ص16، 17.

شروط الصدق أو الشروط الضرورية والكافية»¹. بنى أصحاب هذا الاتجاه على هذه المقدمات المعرفية «جملة من الفرضيات اللغوية قامت على مناقضة أقوال البنيويين والتوليديين الذين يعتبرونهم اتجاهاً واحداً ويقولون إن الفروق بينهم ثانوية.

- أولاً: يقولون بأسبعية الفكر على اللغة ويرفضون استقلال البنية اللغوية وما ترتب على القول بها من فرضيات فرعية مثل القول بأن النظام اللغوي يقوم على القيم الخلافية أو القول باعتبارية العلامة اللغوية، ولذلك يبنون وصفهم اللغوي على المقاييس المعنوية وهم بذلك يلتقون مع الدلالة التوليدية.

- ثانياً: ينفون الطابع المنطومي للمنوال اللغوي والقول باستقلالية مكوناته الفرعية وهو فصل نجد جذوره في تمييز البنيويين بين مستويات لغوية مختلفة مثل التمييز بين الصوت والصرف وعلم الإعراب والمعجم، وقالوا بدل ذلك باسترسال هذه المكونات الفرعية.

وإذا قارنا هذين التيارين بالاتجاه التوليدي السني قلنا إن كان الانتقال من الدلالة التأويلية في النظرية المعيار إلى الدلالة التوليدية عدولاً عن القول بمركزية الإعراب إلى القول بمركزية الدلالة كان الانتقال من الدلالة التوليدية إلى الدلالة العرفانية انتقالاً من القول بالبعد المنطقي للدلالة وموضوعيتها إلى القول بالبعد التفاعلي والتصوري لها، وقد تجسم ذلك في مفهوم الطراز والمناويل العرفانية المؤتملة والفضاءات الذهنية»².

فلا مجال للفصل بين المعرفة والاستعمال كما هو الحال في التوليدية (النحو المضمّر/ النحور المظهر أو القدرة أو الإنجاز)، فالمعرفة هي الاستعمال والعكس قائم إذا العارف باللغة هو العارف بما به يكون استعمالها³.

وقد كان للدلالة العرفانية صلات وثيقة بالدلالة التوليدية جعلت "لايكوف" (G.Lakoff)

يعتبر الدلالة العرفانية نسخة منقحة من الدلالة التوليدية⁴.

¹ الزناد الأزر، نظريات لسانية عرفنية، ص 27.

² مجدوب عز الدين وآخرون، إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، ص 17، 18.

³ ينظر: الزناد الأزر، نظريات لسانية عرفنية، ص 33.

⁴ ينظر: مجدوب عز الدين وآخرون، إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين،

4.4.2. بعض مشاكل الدلالة التوليدية:

ما يمكن ملاحظته من خلال الدراسة السابقة أن مصطلح النظرية اللغوية يدل على «اكتمال في الرؤية وحصول النتيجة العلمية غاية البحث واطراد في السنن اللغوية، لكن المبحث الدلالي الحديث لم تكتمل حلقاته بعد، فلا زالت توجد الإضافات العلمية التي تقدم تأويلات جديدة لظاهرة لغوية تخص الدلالة، ومع ذلك تأسست نظريات تناولت مسألة "المعنى" من كل جوانبها مما أدى إلى تشعب البحث في متعلقات المعنى اللغوي وغير اللغوي، وحاولت تقديم معايير موضوعية تتحسم معها كل قضايا الدلالة موضوع الخلاف بين اللغويين، غير أنها فتحت عوالم أخرى جديدة لتتسع معها رقعة البحث الذي تباينت فيه آراء العلماء في التناول وطرائقه، والتأويل ومعاييره، ووجدت بين ذلك أفكار رغم أهميتها إلا أنها لم ترتق إلى مصاف النظرية العلمية وذلك لافتقارها إلى صفة الشمولية في التناول ووقوعها أسيرة لمناخ فكري -إيديولوجي- ساد العصر»¹.

ويتفق كثير من اللغويين الغربيين مع الرؤية السابقة في صعوبة المبحث الدلالي قياساً إلى البحث اللغوي، يقول ف.ر. بالمر: "إن علم الدلالة ليس فرعاً من الدراسة مفرداً، وندمجاً على نحو جيد، فهو ليس مستوى من مستويات علم اللغة معرفاً بوضوح، وليس حتى مساوياً لعلم الأصوات أو علم النحو، بل إنه مجموعة من الدراسات تهدف إلى استخدام اللغة بالنظر إلى وجوه مختلفة وكثيرة من الممارسة، وإلى السياق اللغوي وغير اللغوي، وبالنظر إلى المشتركين في المحادثة ومعرفتهم وممارستهم، والحالات التي تكون فيها المعلومة المحددة وثيقة الصلة... ومع ذلك يجب أن نقبل حقيقة أنه لن يحدث "تغيير مفاجئ كبير"، فتعقد علم الدلالة هو وجه واحد فحسب من تعقد اللغة الإنسانية، وما نستطيع أن نقوله لن يكون دقيقاً، وفي الغالب سيثير الجدل، فليست هناك إجابات سهلة"².

¹ منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 99.

² ف.ر. بالمر، علم الدلالة، إطار جديد، ص 235.

ترجع مدى صعوبة بناء نظرية دلالية قائمة على مفاهيم مثل المرجع والسلوك أو الأفكار، نظراً إلى «نقصها التجريبي، وعدم كفايتها النظرية أو على مفاهيم مثل الاستعمال أو النية إلى كونها مفاهيم واسعة يصعب ضبطها وتبنيها في تفسير ظاهرة المعنى، إلا أن هذه الاقتراحات وإن فشلت في إعطاء صياغة دقيقة للمعنى، فهي تسلم بوجود معنى لصيق بالتعبير التي ينتجها المتكلم، ولكن الاختلاف قائم في مصدر هذا المعنى وكيفية بنائه»¹.

إن أغلب الطروحات تجمع على أن «التركيب لا يترجم الدلالة (والعكس صحيح)، فالتركيب لا يعكس الدلالة على طريقة المرآة، كما أن المقولات التركيبية لا تقابلها بالضرورة مقولات دلالية، غير أن هذا لا يعني أن هناك تناقضاً في البناء النحوي الداخلي بين التركيب والدلالة»². وجملة القول أن «البحث عن ما له معنى في اللغة وما لا معنى له قد أخذ من فكر العلماء المحدثين كثيراً، وما استقر لديهم هو صعوبة المسلك نحو تحديد معنى الجملة تحديداً تاماً، واستحالة إقامة معيار صارم ثابت يمكن بواسطته رصد دلالة الجملة»³. وإنما يبدو أن فكرة المعنى مصادرة أساسية لا نسلم بإدراكها دون بحث، نسلم بأن كل إنسان يستخدم اللغة ويألف استخدامها معقولاً قادر على إنه ينقل معنى ما يقول إلى الآخرين وأنه يفهم ما يقول وما ينقل⁴.

¹ جحفة عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص37.

² المرجع نفسه، ص10.

³ ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص109.

⁴ ينظر: محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ص136.

الفصل الثاني

الدلالة النحوية في

المستوى الإفرادي

1. مباحث في اللفظ والمعنى الإفرادي:

1.1. طبيعة المعنى الإفرادي.

2.1. أثر السياق في دلالة اللفظ.

3.1. البناء بين اللفظ والمعنى.

2. الدلالة النحوية في المستوى الصوتي.

1.2. علاقة الصوت بالدلالة.

2.2. الدلالة النحوية للعلامة الإعرابية في الأسماء.

3.2. الدلالة النحوية للعلامة الإعرابية في الأفعال.

3. الدلالة النحوية في المستوى الصرفي:

1.3. دلالة أقسام الكلم.

2.3. دلالة الصيغ الصرفية.

1. مباحث في اللفظ والمعنى الإفرادي:

1.1. طبيعة المعنى الإفرادي:

1.1.1. الدلالة الإفرادية:

قليلة هي الدراسات التي تعالج مشكلة طبيعة الكلمة العربية وصورتها، يوازيها الكثير من الخط وعدم الوضوح في التنظير للكلمة في البحث اللساني الحديث بصفة عامة... وواضح أن هذا التشتت ناتج بالأساس عن كون ماهية الكلمة متعددة الأبعاد والجوانب، فالكلمة ذات متميزة بعلامتها الصرفية والتركيبية والدلالية والمعجمية والصواتية... الخ، ومن أجل رصد هذه السمات وهذا التميز تعددت النظريات والمقاييس للفصل بين ما يمكن معالجته في التركيب أو المعجم أو الصرافة أو الصواتة، مدرجة معالجة الكلمة داخل هذا الكون أو ذاك¹، ويبدو أن مزيلة الوحدة اللغوية "الكلمة" تأخذ بعدين: الاستقلال التركيبي عن باقي المكونات المؤلفة معها، والارتباط اللزومي بين عصري العلامة اللسانية: اللفظ والمعنى.

يعد الهنود أول من تناول دراسة اللفظ والمعنى، كما جذبت هذه الدراسة اهتمام اليونانيين الذين طال بحثهم لعدة قرون في العلاقة بين الدال والمدلول، وكان للعرب في هذا شأن عظيم فمنذ القرون الأولى كان البحث في دلالة الكلمة من أهم ما تنبه إليه اللغويون واهتموا به اهتماما كبيرا لما لها من أثر واضح في تبيان أحكام الدين وفهم روح العقيدة فهما صحيحا، وما الأعمال العلمية المبكرة عندهم كضبط المصحف الشريف إلا خير دليل على ذلك.

إن جميع المدارس اللسانية، تقريبا، «أولت اهتماما بالمعنى، وأدخلته ضمن جهازها التفسيري فحتى المدرسة البنيوية التي لم تحتف بالدلالة المعجمية في أول أمرها اهتمت في فترة لاحقة بالمعنى، حيث درست العناصر اللغوية باعتبارها قائمة على نظام قيمة التخالف»².

¹ ينظر: الفاسي الفهري عبد القادر، البناء الموازي (نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة)، دار توفيق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990، ص37. وينظر أيضا: عبد الحميد عبد الواحد، الكلمة في اللسانيات الحديثة، قرطاج للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط1، 2007، ص07. وينظر أيضا: فؤاد بوعلي، الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص387.

² عيسوي عبد السلام، في البنية النحوية، دار التونسية للكتاب، تونس، ط2، 2016، ص202.

لقد شكل اللفظ والمعنى «قضية خلاف عند العلماء، وافتعل بعض المحدثين صراعا بين القدماء ليس له سند أو حجة معقولة... من القدماء من كان ينتصر للفظ على حساب المعنى، وأن منهم من كان ينتصر للمعنى على حساب اللفظ، وقد وضع علماء العربية شروطا كفصاحة اللفظ وبلاغة التراكيب»¹، تجعل من بناء الكلمة في العربية بناء هرميا سلميا.

يرى عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) أن الخواص الأساسية للوسيط اللغوي يتمثل في كونها دالة من جهة، ومحايطة ومرنة من جهة أخرى، إذ لو فرضنا "أن تتخلع من هذه الألفاظ التي هي لغات، دلالتها، لما كان شيء من أحق بالتقديم من شيء ولا تصور أن يجب فيها ترتيب ونظم"². إن الدلالة هي «التي تجعل الكلام ممكنا إذاً، أو بعبارة أخرى هي شرط الإمكان بالنسبة للنظم، ومجال عمله كذلك، باختصار وكما يقول (باختين): إن الدلالة هي التي تجعل من الكلمة كلمة، ولهذا فإننا نجد عبد القاهر الجرجاني يعترض اعتراضا شديداً على من يقرون (البيان اللغوي) بخيره من العلامات الأخرى من خط وعقد وإشارة ونسبة، وذلك لتميز النظام الدلالي الذي يتوفر عليه الوسيط اللغوي، ومغايرته لما تحتويه الوسائط والأنظمة الأخرى من نظام الدلالة»³. رغم تقديم اللسانيات، فإن تعريف الكلمة مازال يطرح مشكلا مستمرا، وذلك راجع لتعدد وتمظهراتها من جهة، واختلاف المستويات التي تتجاذبها من جهة أخرى⁴.

إن معنى الكلمة ينحصر في المعجم الذي يقع في نقطة تقاطع بين مختلف المستويات اللسانية، إذ لا يتعلق بالدلالة وحدها، وإنما يتعلق بالأصوات والصرف والتركيب أيضا، لذا يمكن عد (المعجم) المدونة الرئيسية والأساسية لمعاني الكلمات، وإن لم يف باستيعاب جميع المعاني، ولذا أرجع علماء الدلالة ذلك إلى عدة أنواع من المعاني لا بد من الإشارة إليها⁵:

1. المعنى الأساسي الأولي: وهو الذي يسمى المعنى التصويري أو المفهومي أو الإدراكي،

وهو العامل الرئيسي للاتصال اللغوي والتفاهم ونقل الأفكار.

¹ عكاشة محمود، الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 2002، ص37.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص50.

³ النعمان طارق، اللفظ والمعنى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 2003، ص93.

⁴ تورابي عبد الرزاق، صرف تركيب العربية، دار توفيق للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2015، ص39.

⁵ ينظر: العزاوي عقيد خالد حمودي، اليعقوبي عماد بن خليفة الدايني، الدلالة والمعنى، دراسة تطبيقية، ص86 وما بعدها.

2. المعنى الإضافي أو الثانوي أو التضمني: وهو ذلك المعنى المضاف إلى المعنى التصوري، وهو غير ثابت ولا شامل، وإنما يتغير بتغير الثقافة أو الزمن أو الخبرة.
3. المعنى الأسلوبي: وهو الذي تحدد ملامحه الظروف الاجتماعية والجغرافية.
4. المعنى النفسي: وهو مرتبط بما يملكه الفرد من دلالات ذاتية لذلك اللفظ.
5. المعنى الإيحائي: وهو المعنى المستتبط من الدلالة الكامنة في المفردات اللغوية لما تؤديه هذه الأخيرة من وظائف بناء على ما تتميز به من شفافية معينة، وقد ربط أولمان (Ulman) هذا المعنى بالمستويات اللغوية اللغوية الآتية: التأثير الصوتي، التأثير الصرفي، التأثير الدلالي (المجازي).

إن بنية الكلمة تعكس معرفة مستتبعة منظمة، ليست اعتباطية، لها ضوابطها التي لا تختلف عن ضوابط المقولات الأكبر أو الأصغر منها، وكلما تقدم البحث اللساني النظري المقارن كان الكشف عن هذا النظام الداخلي¹.

2.1.1. الدلالة اللفظية:

هي الدلالة التي تتحقق من معاني الألفاظ، قال الشريف الجرجاني (ت816هـ): "الدلالة اللفظية الوضعية، وهي كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه"². وبالرغم من بدهة هذا التعريف، وتسليم أكثر الناس به تبدو الكلمة غامضة ما يدل على مدى ضعف وجهة النظر القائلة بأن الكلمة هي وحدة ذات معنى، وحدة تفرض وجودها على الذهن، فبعض الدراسات تقرر في ذلك أن كلا من المعجم وعلم الدلالة الذي يتصل به، "ماذا لا يستعصيان على المحاولات الرامية إلى إخضاعهما إلى بنية أو نظام مثلما هو الشأن في العلوم الصحيحة وبعض العلوم اللسانية والإنسانية"³.

¹ ينظر: تورابي عبد الرزاق، صرف تركيب العربية، ص83.

² علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص111. وينظر أيضا: عكاشة محمود الدلالة اللفظية، ص08.

³ عبد الدايم محمد عبد العزيز، النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص247، 248.

3.1.1. الدلالة المعجمية:

وتمثل وحدانية المعنى، وثبوت العلاقة بين الكلمة (الدال) والمسمى (المدلول)، «فكل لفظ يقابله معنى مركزي، أو مسمى ثابت في المحيط الخارجي، فلكل كلمة مدلول موجود في حياتنا تشير إليه هذه الكلمة وتعينه، وبها تتم عملية التواصل اللغوي بين الناس في حدودها وإمكاناتها، وأغراضها الدنيا، وقد قال بهذه الدلالة علماءنا القدامى منذ بداية البحث اللغوي عندهم، وبنوا أغلب معاجمهم في ضوءها ثم صارت هذه الدلالة نظرية خاصة من نظريات المعنى عند المحدثين أطلقوا عليها نظرية (مساواة معنى الكلمة بمدلولها)¹.

إن الدلالة المعجمية «دلالة عرفية لا تخضع لأي قاعدة أو علاقة محدد تربط الدال بالمدلول ولكنها ناتجة عن الوضع الذي اتفق عليه أهل كل لغة»².

إن للألفاظ معناها، ولكنه لا يلحظ فيها، فالمرء لا يفهم معنى الكلمات التي لا يعرفها ولا يستطيع أن يشتقها، كل ما يمكن أن يلاحظه في كلمة ما هو شكلها الصوتي، حين تنطق أو شكلها الكتابي حين تكتب³.

4.1.1. المفردات المضافة:

يبدو تركيب الإضافة في التراكيب الأساسية التي يقوى استخدامها في هذا الديوان، إذ يتوسع في الإتيان به، ويكثر من الاعتماد عليه في التعبير حتى أضحى واحداً من أهم ميزاته الأسلوبية، ولعل ذلك يرجع إلى ما تنتج الإضافة من توليد معان جديدة دقيقة من خلال الربط بين لفظين متجاورين، وكذلك ما تهيئه من نفاذ إلى الجزئيات والمعاني الخفية التي قد لا تؤديها اللفظة المفردة، ولذلك يعمد الشاعر إلى ما تنتج هذه التراكيب من تداخل بين الألفاظ بغية الوصول إلى معانيه البعيدة.

¹ نهر هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص177.

² خويلد محمد الأمين، دلالة البنى النحوية والسياقية عند ابن جني في كتاب الخصائص، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2015، ص93.

³ ينظر: لوبنر سبستيان، علم الدلالة (مدخل)، ص68.

وفضلا عن التوسع في استخدام هذه التراكيب كميًا، فإن شاعرنا نوع طرائقه التعبيرية من الناحية التركيبية والأسلوبية، وتجاوز الطريقة الشائعة أيضا في الإضافة إلى وجوه أخرى تضيف على هذا المنحى ملامح خاصة.

في نمط أول تأتي الإضافة مألوفة من ناحية التركيب، لكن وجه الغرابة فيها يأتي من اختيارات الشاعر لألفاظ المضاف والمضاف إليه، فهو يعمد إلى الجمع بين ألفاظ جديدة لم تألف اللغة الجميع بينهما، مما يؤدي إلى إبداع تركيب جديد يحمل معنى مختلفا نابعا من رؤية الشاعر وتجربته، ومن أمثلة هذه التراكيب:¹ (صلاة اليقين، حمم الجراح، وهج الكتاب، مواويل الحجارة، قيم الدعارة، زمن المشاتل، حرب الخسارة، سهيل الأغنيات، زبد القذارة، جبين الأغنيات، ضوء الوعود، غاية الصحو، مرايا المرافي، صرح التجني، وحش الجماد، شرك الظلام، حقول الغرام، مئزر القبر، معبر الاثم، بهي الملام، مرهف الظل، وحدة الالتحام، اجتثاث المنافي، نبرة العطر، حكمة الطور، اغترار الفيافي، هزيل المثاني، هراء المراس، انشطار التواسي، اعتناق الثلوج، نورس الطهر، ضباب الخلود، اخضرار الوعود، انخفاض السجود، عصمة الأخدود، مقلب النور، قدر المسافة، لظى العنقود، ساعة الصفر، معراج القبلية، شيطان السوء، خمر الحضرة، ناسوت الكون، نور الطور).

فهو في كثير من هذه التراكيب يولد استخدامات جديدة عندما يؤلف بين ألفاظ متباعدة، ظل أكثرها غامضا عصيا على الفهم الصريح.

وفي نموذج ثان يبالغ شاعرنا في استخدام صيغ الإضافة المكررة، ولا يكتفي بإضافة واحدة، ويتوسع في وجه جواز هذه المبالغة حتى أضحي عنده نمطا شائعا أساسيا، لا يأبه إلى طول الجملة وما يمكن أن تؤدي به إلى ثقل وتعقيد في محاولة منه إلى النفاذ إلى المعنى البعيدة الذي يريد القبض عليه، ومن أمثلة هذه الإضافات المكررة: (ابن وحش الجماد، سكب وهج الفتون، مدار اغتصاب الأغاني، خلع نعال المراس، أوجاع حملك، ساعة صب الريح، صنيع لقاء البرق، بركان مفاتها، محراب عفتها، حبال مدينتنا، أقدام مدائنها).

¹ ينظر: حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2000.

ففي هذه التراكيب وما يمثلها يميل شاعرنا إلى تكرار الإضافة، ويصل بها إلى وجوه من التعقيد وغرابة التعبير، لأنه يضيف إلى اللفظة ما يزيد غموضاً لا ما يوضحها أو يخصصها كما هو مألوف الإضافة.

أما النمط الثالث الذي برز في تراكيب الإضافة في ديواننا، فهو تلك التراكيب المتوصل إليها بإضافة الاسم إلى نفسه، دون اسم آخر، ومثل هذه الإضافة لا تعرف أو تخصص لأن الاسم يتعرف بغيره، ويتخصص بإضافته إلى سواه، أما إضافته إلى نفسه فلا تزيده إلا مزيداً من الغموض، وقد ورد هذا النمط من تراكيب الإضافة المكررة في مواضع قليلة جداً، ومن أمثلة ذلك ما يلي: (عيد الأعياد، قتيل القتيلة، قدر الأقدار، سكر السكر، مفتاح الفتح، سر الأسرار، نور الأنوار، زهر الأزهار).

ورغم ما في مثل هذه التراكيب من غموض وغرابة، إلا أن طريق تلك المعاني الدقيقة يبقى رهن قراءة عميقة ترتكز على أن النظر في البنية الدلالية للمضاف وللإضافة إليه، يمكن أن "يسمح بتفصيل أنماط العلاقات الدلالية في البنيات الإضافية بشكل أوسع وأدق مما يوجد في أغلب الأنحاء، ومنها التقليدية التي لم تقف بما فيه الكفاية عند بنيات الرؤوس وما يضاف إليها"¹. قراءة لا تعامل بنية الإضافة كنوع من المشترك اللفظي، ولكن نعددها مجموعة من المعاني المبنية أو المتعالقة على أساس معين تقوم على نوع من التعدد الدلالي غير الاعتيادي بالصورة التي توضحها المعالجات التقليدية.

5.1.1. الألفاظ الصوفية:

تميزت التجربة المعاصرة ببعد صوفي حرر الأنا من القيود الحسية والحقلية ودفع بها نحو مغامرة الوجود، ذات الأبعاد اللامتناهية المفتوحة على احتمالات تختبر طاقات الخلق الكامنة... حيث يلعب الكائن في العالم دوره في الخرق الجوهرية لأبنية العالم وللكشف عن إضاءات الكينونة، يتضح ذلك جلياً، مثلاً في قول الشاعر عبد الله حمادي:²

¹ غاليم محمد، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة (مبادئ وتحاليل جديدة)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007، ص100.

² حمادي عبد الله، ديوان البرزخ والسكين (شعر)، ص85.

تَكَرَّرْتُ حَتَّى اِخْتَوَيْتُ الْوُجُودَا وَأَلْهَمْتُ حَتَّى افْتَرَعْتُ الْخُدُودَا
وَجِئْتُكَ "بِالْعَرْشِ" طَوْعَ ابْتِسَامَةٍ لِأَسْقِيكَ فِيهِ اغْتِصَابًا وَدُودَا
مَدَدْتُ لَكَ الصَّدْرَ جِسْرًا لِتَرْقِي إِلَى "سِدْرَةِ" الْوَعْدِ كَيْ مَا تَسُودَا

وتعلق شعراء العصر الحديث واضح بأعلام المتصوفة القدامى، فنهلوا منهم معظم المصطلحات الدالة على الوصال والفناء والسكر والمحبة والأنا، ووظفوها في أشعارهم، لذلك لم يعن المبدع برصف الكلام وضم بعضه إلى بعض، بقدر ما كفته الإشارة والتلميح، والجمع بين المتناقضات، فخرجوا باللغة ودلالة كلماتها إلى معاني مختلفة فاقت الدلالة الوضعية المعروفة، وفي هذا الإطار خط كثير من شعر عبد الله حمادي، يقول مثلاً:¹

فَأَنَا الْمَعْشُوقُ وَعَاشِقُهُ وَأَنَا الْمَقْتُولُ وَقَاتِلُهُ
وَيَكُونُ الْحُبُّ بِدَايَتِهِ وَيَكُونُ الْقَصْفُ نِهَائِيَتُهُ
فَيَعُودُ السُّكْرُ لِسُكْرَتِهِ وَيَعُودُ الْبَدْرُ لِطَلْعَتِهِ

فالشاعر العربي المعاصر لم يجد ذاته وسط التطور الحضاري الذي يعيشه بما فيه من أفكار ومذاهب شتت تفكيره، إلا بطرق باب التصوف طلبا لعالم يسوده الصفاء والارتقاء بالنفس البشرية التي صارت تتوق للبحث عن الحقيقة، والنفوذ إلى كنه الأشياء، وانشغال الشاعر المعاصر بكثرة العموم والأزمات وعيشه في عالم الاغتراب والضياع والوحدة، مع سفره الدائم في عوالم البحث عن العالم الحقيقي، ويتجلى ذلك في شعر عبد الله حمادي في قوله (مثلاً):²

تَطَهَّرَ لِتَرْقِي مَصَافَ الطَّهَارَةِ وَتُعْلِنُهَا حَضْرَةً وَدَعَارَةَ
فَعَتَّقُ التَّجْرُدَ سِرًّا مُبَاحٍ تُنْقِئُهُ مُحَدَّثَاتُ الْحَضَارَةِ
وَبُرْجُكَ مَهْمَا ابْتَلَّتْهُ النُّجُومُ سَيَسْهَدُ يَوْمًا طُقُوسَ الْإِمَارَةِ

أصحاب هذا التوجه من الشعر ممن "يؤثرون الإشارة وعدم البوح... فالإشارة تطلق الفكرة وتحررها على حين أن العبارة تقديها وتحدها"³.

¹ حمادي عبد الله، ديوان البرزخ والسكين (شعر)، ص154.

² المصدر نفسه، ص89.

³ نفسه، ص116.

(في عَمَاءٍ بِالْقَصْرِ)، (وَالْمَدِّ...)، (تمثّل بشراً سويّاً.!)، (يتماهى البرزخ الوهاج)، (مؤفد
"بِدِحِيهِ الْكَلْبِي"...)، (يَهْبُ الْمُطْلَقُ...)

كثير من التفصيلات لا تترك عملاً للإيحاء الذي تتمتع به لغة الشعر، وعليه كانت
السمة الغالبة على هذا النوع من الكتابة التي تحبب القليل من الكلام لفهم الكثير المتخفي في
خلجات هذا النص الغامض¹.

(مَدِينَتِي...)، (مُصَادِرَةٌ وَقَلْبُهَا مُحْتَارٌ)، (جَمَالُهَا مُصَعَّرٌ)، (يُحَرِّكُ الْأَحْجَارَ)، (فَطَرَتْهَا
"الْيَمِينِ")، (نَزْوَتْهَا "الْيَسَارُ")، (وَعَشْفُهَا مُمَزَّقٌ)، (أَيُّهَا تَخْتَارُ؟)

6.1.1. النداء:

لغة: النداء مأخوذ من "ندى الصوت بمعنى بُعده، ومنه فلان ندى الصوت أي بعيده، أو مأخوذ
من قولهم: ندى الصوت بمعنى حسن"². وندى الصوت بحد مذهبه والنداء ممدود والدعاء أرفع
الصوت وقد ناديته نداء³. والنداء الظهور والدعوة والصرخ⁴. "مصدرها نادى مناداة ونداء
الرجل صاح به"⁵.

اصطلاحاً: وهو "تنبية المنادى وطلب الإقبال منه بحرف من حروف النداء، أو أنه التصويت
بالمنادى ليميل ويعطف على المنادي"⁶. ويتفق أغلب النحاة على أن النداء هو الإنشاء الطلبي،
يقول الفارابي (ت339هـ): "فإن النداء يقتضي (يطلب) به أولاً من الذي نودي الإقبال بسمعه
وذنه على الذي ناداه منتظراً لما يخاطبه به بعد النداء"⁷.

¹ حمادي عبد الله، ديوان البرزخ والسكين (شعر)، ص113.

² اللبدي محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1،
1985، ص20.

³ أبو منصور بن أحمد الأزهرى (ت370هـ)، تهذيب اللغة، ج14، تح: يعقوب عبد النبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة،
القاهرة، ط1، ص192.

⁴ شعبان عبد العاطي وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص912.

⁵ فوال بابتي عزيزة، المعجم المفصل في النحو العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص1098.

⁶ موفق الدين يعيش بن علي، شرح المفصل للزمخشري، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001، ص316.

⁷ أبو نصر محمد الفارابي، كتاب الحروف، حققه: محسن مهدي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط2، 1990، ص162.

وقد ذهب سيبويه (ت180هـ) إلى أن "أول الكلام أبداً النداء إلا أن تدعه استغناءً بإقبال المخاطب عليك فهو أول كلام لك به تعطف المكلم عليك"¹.

إن أغلب كلامنا «يطرد وفق منوال المخاطبة وضرورة وجود مخاطب في أعم الأحوال، فمستويات النداء تعدد من نداء (الأخر) بمختلف مقاصده إلى نداء (الأنا) بمختلف أغراضه إلى نداء الكائن الحي عاقلاً أو غير عاقل إلى نداء الكائن المعنوي: (الأمل، الخير، الحب...الخ) قريباً كان أم مستحيلاً، فالجمل الندائية "تضفي على التركيب شحنة إبلاغية هامة"²... وهي جمل نحوية قائمة على بنية سطحية إنشائية وبنية مضمرة خبرية، ويمكن أن تتصل بمركبات نحوية داخل مكونات الجملة البسيطة والجملة المركبة³، وتترجم هذه الصور المتعددة للنداء بتراكيب وأبنية لغوية تقريباً كلها في طيات ديوان البرزخ والسكين قيد الدراسة.

تواترت بنية النداء في ديوان "البرزخ والسكين" ل: عبد الله حمادي خمسين مرّة، استخدم في جميعها الأداة (يا) مذكورة في أغلب الحالات، وانفردت الأداة (يا) بتراكيب بنية النداء في كل أحوال المنادى ولم يظهر أي أثر لأدوات النداء الأخرى.

وبناء على ذكر الأداة وحذفها وزعنا بنية النداء على نمطين اثنين هما:

• النمط الأول: النداء بـ(يا) مذكورة:

تواترت بنية هذا النمط تسعا وثلاثين مرة ورد أغلبها في قصيدة "رباعيات آخر الليل" وقد صنفناها حسب موقع حرف النداء وجملة النداء والمنادى في الصور الآتية:

- الصورة الأولى: حرف نداء + منادى معرفة + جملة جواب النداء. ومن أمثلة هذا التركيب قوله: يَا عَرِيرٌ بِمَا تُجِنُّ الْمَرَايَا؟⁴.

وقد جاءت جملة النداء في هذا المثال جملة استفهامية تدل على أن الشاعر في معرض تذكير لمخاطبه ومناديه بجملة من الأمور، و ينتظر منه هو نفسه تقريرها بدلا عنه.

¹ سيبويه، الكتاب، ج1، ص316.

² منير سلطان، بديع التراكيب في شعر أبي تمام، الكلمة والجملة، ج1، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط3، 1997، ص256.

³ ينظر: المنصف عاشور، بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، دط، 1991، ص86.

⁴ حمادي عبد الله، ديوان البرزخ والسكين (شعر)، ص71.

ومن أمثلة هذه الصورة التركيبية، والتي جاء فيها المنادى نكرة مقصودة قوله: يا مليكا أتأسر الطير قسراً أم تقيم من المذابح قسراً؟

وفي مثل هذه الأمثلة التركيبية الشعرية يحاول الشاعر تحقيق غاياته من خلال التركيز الكبير على مكونات الشكل التركيبي وحركات الإعراب والبناء وعلاقة التابع للمنادى، ومدى تلاؤم الموقع مع الحركة الإعرابية، أو تأثير اللاحق على السابق، كما في قوله في نفس القصيدة¹: يَا جَزَائِرَ بُشْرَى وَمَلَمَّةً (بفتح جزائر)، يَا جَزَائِرَ فِي المَحْفَلِ عَيْدُ (بتسكين جزائر)، يَا جَزَائِرَ أُمَّ الأَجْيَالِ (دون شكل جزائر).

- الصورة الثانية: حرف نداء + منادى شبيه بالمضاف + جملة جواب النداء، ومن أمثلة هذه الصورة التركيبية في الديوان قوله²: (يا امرأة من عَصْرِ التُّوتِ مَا أَشْهَى الجِسْرَ وَلَعْنَتَهُ). ويرتبط دلالة مضمون النداء ارتباطاً وثيقاً بما اتصل من تمام معنى المنادى (المرأة)، فإن أباحت لنفسها اللغوية والخروج عن المألوف فإنها ستؤثر تأثيراً عميقاً في مريدها ولو دفع لذلك ثمننا باهضاً من الطرد واللعن.

- الصورة الثالثة: جملة جواب نداء محذوفة + حرف نداء + منادى مضاف (مركب وصفي وبياني). وردت هذه البنية التركيبية في قوله³:

(...) يَا أَرْضَ أُغْنِيَةِ إِذَا مَا أَوْرَقَتْ حِمْمُ الجِرَاحِ عَلَى الثَّرَى كِي تُثْمِرَا

في دعوة واضحة للقارئ لمحاولة الإمساك بدلالة الجملة المحذوفة في ضوء ما أسبغها الشاعر من صفات مكثفة أحاط بها مناديه.

- الصورة الرابعة: حرف نداء + منادى مضاف + جملة جواب نداء. ومن أمثلة ذلك قوله⁴:
يَا امْرَأَةَ البَلُورِ وَتُوتِ الأَحْرَاشِ البرِيَّةِ دَعِينِي يَهْزِمُنِي اللَّيْلُ وَتُرْهِقُنِي الطُّرُقَاتُ الوَهْمِيَّةِ

¹ حمادي عبد الله، ديوان البرزخ والسكين (شعر)، ص21، 22.

² المصدر نفسه، ص155.

³ نفسه، ص28.

⁴ نفسه، ص143.

والملاحظ في هذا المنوال التركيبي للنداء، أيضا خروج الشاعر كعادته عن الصورة المعتادة للنداء، وكأنه يريد إيصال دلالات معينة عبر تلك الخطابات المطولة والأوصاف المسبغة على مناديه وعدم التزامه بما تعارف عليه النحاة من أحوال النداء في مثل تلك الأحوال.

- الصورة الخامسة: جملة جواب النداء + حرف نداء + منادى + جملة جوانب النداء، وردت بنية هذا الشكل التركيبي ثمانية وعشرين مرة في الديوان، ومن بين النماذج التركيبية لذلك، قوله في قصيدة "رباعيات آخر الليل"¹:

(...) فَاسْرِجِ الْآتِي يَا غَرِيرًا غَادِرُ شَاطِئِ الرَّحْفِ لِاخْتِرَاقِ الدِّيَاجِي

وهذا الشكل التركيبي للنداء هو أحد أهم أنماط النداء في الشعر المعاصر والشاعر عبد الله حمادي واحد منهم، حيث يتم فيه توزيع مضمون جملة جواب النداء على طرفي جملة النداء، لتتوزع تبعاً لذلك الدلالة وتتنشظى ويصبح الوصول إليها يحتاج قراءة أعمق خاصة عندما نجده يسمح لمناديه أن يتحرر ويتقلت من تلك القواعد والأصول الموضوعية خاصة عند النحويين المعاصرين.

• النمط الثاني: النداء ب(يا) محذوفة:

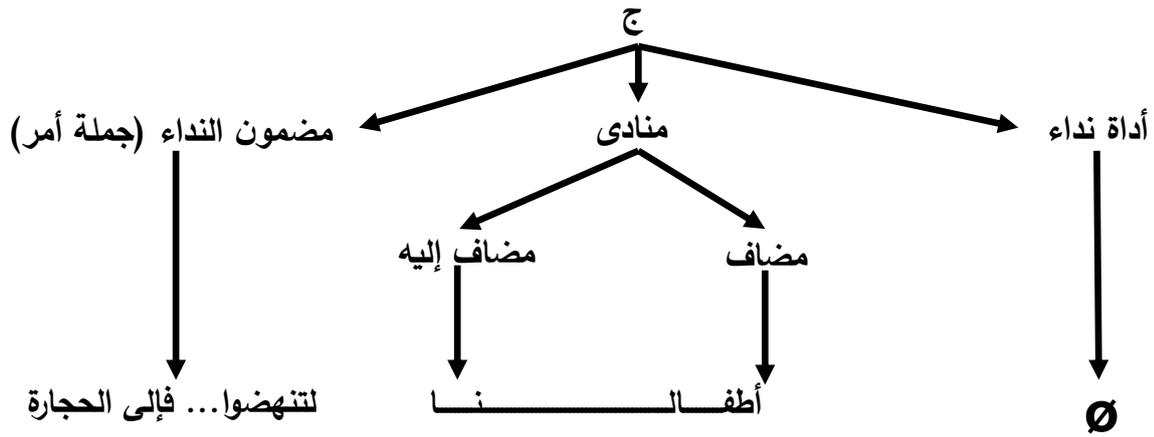
وردت بنية هذا النمط التركيبي سبع مرات في مواضع متفرقة من الديوان، ومن أمثلة ذلك قوله²:

... أَطْقَانَا .. أَنْ الْأَوَانُ لِنْتَهَضُوا .. فَأَلِي الْحِجَارَه

وعلى منوال هذا النمط التركيب ي المحذوف منه حرف النداء (يا) جاءت تقريبا كل الأمثلة التي نسجها الشاعر في المواقف الأخرى، حيث كانت كلها تقريبا خاضعة للصورة البنيوية الآتية:

¹ حمادي عبد الله، ديوان البرزخ والسكين (شعر)، ص41.

² المصدر نفسه، ص31.



الشكل رقم (11): الصورة البنيوية للنمط التركيبي للنداء محذوف أداة النداء (يا).

إن أهمية المنادى وقيمتها الكبيرة إضافة إلى أهمية موضوع النداء الكبيرة، جعلت منها حجر الأساس في مثل هذه التراكيب دون الالتفات إلى حرف النداء، فالبديل الذي يمكن أن يحقق أحلامنا (الأطفال)، ووسيلة المقاومة (الحجارة) ثم التركيز عليها قصدًا في المثال السابق في إشارة دالة للمعنى المقصود.

2.1. أثر السياق في دلالة اللفظ:

إن معرفة مادة الكلمة وأصلها الاشتقاقي وصيغتها لا تكفي غالبًا لتحديد معناها تحديدًا تامًا ودقيقًا، إن الدلالة المعجمية وإن مثلت "الناحية الجامدة السكونية من اللغة"، إلا أن كثيرًا من الألفاظ ما يكون عامًا متعدد الدلالة، بمعنى أنه على الرغم من كونه كان معنى مطلقًا عائمًا لا تتحدد دلالاته أحيانًا إلا من خلال الكلام الذي يرد فيه أقول على الرغم من هذا اختلف علماءنا في بيان دلالة كثير من الألفاظ على آراء شتى، ولهذا وجدنا بين أيدينا عشرات الكتب بل مئات فيما عرف ب(كتب غريب القرآن) أو (اللغات في القرآن) أو (لغات القرآن) أو (غريب الحديث) تناولت بالتفسير والتأويل شرح معاني بعض الكلمات الواردة في القرآن الكريم¹.

¹ ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص290. وينظر أيضا: مرتاض عبد الجليل، التحليل البنيوي للمعنى والسياق، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2010، ص49. وينظر أيضا: خويلد محمد الأمين، دلالة البنى النحوية والسياقية عند ابن جني في كتاب الخصائص، ص89.

وكان علماءنا القدامى قد قرروا من قبل: "أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى يليها وأن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر ما يقع من نحو (سبق) إلا بإيراد معنى يمثل في أحسن الأحوال صورة ذهنية مطلقة لذلك المعنى، أما إذا نظرنا معنى (س=ب=ق) داخل التراكيب التي ترد فيها أستطعنا أن نحدد معنى دقيقا لهذه المادة اللغوية¹.

يحدد السياق دلالة الكلمة على وجه الدقة وبواسطة تتجاوز كلمات اللغة حدودها الدلالية المعجمية المألوفة لتفرز دلالات جديدة، قد تكون مجازية، أو إضافية أو نفسية، أو إيحائية، أو اجتماعية، أو غير ذلك من الدلالات التي سماها بعض المحدثين، بمسميات خاصة، أو اصطلح عليها آخرون بمصطلحات معينة... إننا في البحث عن دلالة الكلمة معجميا لا نقوم في الواقع إلا بالبحث عن الرابط الأولي الذي يربط اللفظ بوصفه صوتا في الشيء في عالمه المعين، وهذه العملية في تسمية الأشياء والاصطلاح عليها بكلمات نقل ذهني مطلق لا يربط الكلمة بغيرها من الكلمات².

والبحث عن دلالة الكلمة لابد أن يجري من خلال التركيب والسياق الذي ترد فيه، حيث ترتبط الكلمة بغيرها من الكلمات مما يمنح كلا منها قيمة تعبيرية جديدة، ويفرض عليها قيما دلالية بحيث يتحدد كلّ منها بدلالة قارة دون سائر الدلالات التي يمكن لهذه الكلمة أو تلك أن تحملها أو تؤديها، "إن الكلمات في الواقع ليست لها معان محددة وإنما لها استعمالات"³.

ولهذا يؤكد الدالليون ضرورة البحث عن دلالة الكلمة داخل السياق، لأن "معنى الكلمة هو مجمل السياقات التي يمكن أن تنتمي إليها"، ومن هنا كانت القاعدة في علم اللغة بوجه عام أن الكلمة الواحدة تعطي من المعاني والدلالات بقدر ما يتاح لها من الاستعمالات... فمعنى الكلمة كما يقول لودفيغ فتغنشتاين: "ليس له ثبات أو تحديد... واللغة ليست حسابا منطقيا دقيقا

¹ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص71. وينظر أيضا: مرتاض عبد الجليل، التحليل البنوي للمعنى والسياق، ص14، 84. وينظر أيضا: لوينر سبيتان، علم الدلالة (مدخل)، ص118.

² ينظر: نهر هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص192.

³ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص290. وينظر: مرتاض عبد الجليل، التحليل البنوي للمعنى والسياق، ص79.

لكل كلمة معنى محدد، ولكل جملة معنى محدد، ولكل الجمل وظيفة واحدة.. وإنما تتعدد معاني الكلمة بتعدد استخداماتها لها في اللغة العادية... وأن الكلمة مطاطة تتسع وتضيق استخداماتها حسب الظروف والحاجات"¹.

إن دلالة الكلمة وقوتها التعبيرية... لا تتأتى من معناها المعجمي وحده لكونه معنى مفتوحاً ومطلقاً وعائماً، وغير محدد، بل يتأتى من طبيعة السياق اللغوي (Linguistic Context) الذي ترد فيه محكوماً بالسياق المقامي (Context of Situation) أو السياق الاجتماعي (Social Context) الذي تستعمل فيه بعناصره وظروفه وملابساته وحيثياته².

إن الكلمة في السياق تستوعب زيادة على معناها المعجمي قيماً دلالية محددة وقيماً إضافية أخرى، من انتماء إلى قسم من أقسام الكلام، واكتساب القدرة على ما نسميه (المقولات الصرفية) من اشتقاق وجمود، أو زيادة، أو حذف... الخ، وعلى ما نسميه (المقولات النحوية) من جنس وعدد، وتعريف، وتكثير، وزمان ومكان، وفاعلية ومفعولية، وحالية، وتمييزية، وغير ذلك من مشمولات الكلام الأساسية (المسند والمسند إليه) وامتداد العملية الإسنادية، أو قيودها، ومتعلقاتها الدلالية³، «فالوحدة المعجمية قبل كل شيء وحدة لغوية داخل نظام لغوي، بنيت وفق قواعد اللغة، ويمكن أن تتركب ضمن ضمام وجمل»⁴.

إن الكلمة خارج السياق «تحمل معها كل ما يمكن أن تثيره من دلالات، يحتمل أن تؤديها ولهذا لا يمكن الوقوف على المعنى المحدد للكلمة إلا من خلال إنجازها أو آدائها في سياق مقالي ومقامي محددين»⁵، كما أن انفتاح الكلمة لا ينبغي أن يفهم على أنه في ممارسة

¹ محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، ص106.

² ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص69. وينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص108.

³ ينظر: علي محمد محمد يونس، المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص119، 120.

⁴ لوينر سبتيان، علم الدلالة (مدخل)، ص113.

⁵ نهر هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص214.

دور المانح للمعنى فحسب، بل تنتفح الكلمة لقبول المعاني التي نجحت السياقات في منحها الكلمة¹.

عند تأمل أنواع الدلالة التي فصلنا القول فيها نقف على أن للكلمة معنيين: أولهما: معنى معجمي أو أساسي، أو لنقل حرفي يشير إلى بعد دلالي مجرد (دعائم) و(ضيق) في الوقت نفسه، لكونه لا ينبئ عما في الكلمة المفردة من دلالات أوسع وأشمل من معناها المعجمي المعهود، وثانيهما: معنى سياقي، فالكلمة المفردة لا تتجز مهمتها الدلالية على الوجه الأكمل إلا ضمن السياق الذي ترد فيه²، ولهذا السياق بدوره بعدان أساسيان: الأول: داخلي، أو لنقل (مقالي)، وهو بعد سياقي لغوي (Linguistic Context) صرف، يتأسس على وفق طبيعة التركيب أو التشكيل أو المكون النحوي الذي ترد فيه المفردات، حيث يعلق بعضها ببعض على وفق الأنظمة، والقواعد، والضوابط المعتمدة في لغة ما، وهذه القواعد والأنظمة هي التي تعمل على تحديد القيمة الدلالية لكل كلمة داخل التركيب اللغوي. "إذ أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديداً مؤقتاً، والسياق هو الذي يفرض قيمة دلالية واحدة بعينها على الكلمة، على الرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، والسياق - أيضاً- هو الذي يخلص الكلمة من الدلالة الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة حضورية"³. «فالكلمات ليست لها معان وإنما استعمالات، ونحن في الواقع لا نبحث عن معنى الكلمة المعينة، وإنما نبحث عن استعمالها»⁴.

¹ ينظر: النعمة مقبول علي بشير، الاتساع في المعنى، دراسة في جزء عم يتساءلون، عالم الكتب، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص86.

² أطلق عليها الدكتور إبراهيم أنيس على التوالي: الدلالة الهامشية والدلالية المركزية. ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص106. وينظر أيضاً: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص37.

³ جوزيف فندريس، اللغة، ص231.

⁴ جون لاينز، علم الدلالة، تر: مجيد عبد الحليم الماشطة، حليم حسين فالح، كاظم حسين باقر، مطبعة جامعة البصرة، العراق، دط، 1980، ص23.

وثانيهما: (بعد خارجي)، أو (سياق غير لغوي)، أو (سياق موقف) أو مقام محدد

الخلفية غير اللغوية المحيطة بالعملية اللغوية، ومن مشمولات هذا السياق الآتي:¹

- القرائن الخالية، وأنماط الوقائع المحيطة بالمقابل اللغوي.
- الأبعاد اللغوية الثقافية المتعددة، سواء أكانت ثقافية محضة وهنا نكون مع (السياق الثقافي)، أو اجتماعية (السياق الاجتماعي)، أو دينية (السياق الديني)، أو سياسية أو بيئية... الخ.
- الحالة النفسية أو العاطفية لأطراف العملية اللغوية، وهنا نكون مع (السياق العاطفي)، والدلالات الإيحائية أو الضمنية.
- مدى تعلق النص الذي بين أيدينا كأسبغه من نصوص.

3.1. البناء بين اللفظ والمعنى:

إن اللغة كما يتصورها المبدعون من علمائنا أمثال الخليل وسيبويه وابن جني وغيرهم ممن ظهر في الصدر الأول، «هي قبل كل شيء استعمال ثم استعمال الناطقين بها أي إحداثهم لفظا معينا لتأدية معنى وغرض في حال الخطاب تقتضي هذا المعنى وهذا اللفظ وليست فقط صوتا ولا نظاما من القواعد ولا معنى مجردا من اللفظ الذي يدل عليه ولا أحوالا خطابية معزولة عن كل هذه الأشياء»².

لقد شكلت الكلمة أو المقولة في الفكر النحوي العربي «مدخلا أساسيا في دراسة اللغة، لأنها أبرز ما يتلقاه المستمع والقارئ على السواء، وأبسط وحدة دالة في الكلام العربي، وأول حالات التركيب والتواصل الإنساني، فما دام الغرض من وضع الألفاظ لمسمياتها تمكين الإنسان من تفهم ما يتركب من تلك المسميات بواسطة تركيب تلك الألفاظ المفردة، فإن كل حديث عن التراكيب ومقتضياتها، وعن الجمل وصورها، يلزمه الابتداء بالمقولات وأصنافها

¹ ينظر: علي محمد يونس، المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، ص121. وينظر أيضا: عمر أحمد مختار، علم الدلالة، ص27 وما بعدها.

² الحاج صالح عبد الرحمن، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ط1، 2007، ص175.

وأدوارها الوظيفية»¹. فما علاقة بنية الكلمة بمعنى الكلمة؟ وإذا كان لكل كلمة معنى فهل لكل كلمة بناء؟ وما هو البناء قبل ذلك؟

البناء كما يقول ابن فارس (ت395هـ): "ضم الشيء بعضه إلى بعض"². ويطلق أيضا على المبني كما في لسان العرب، وقال الزبيدي (ت1205هـ) "يقال: بناه بينيه بنيا وبناء وبنى وبنيانا وبنية وبناية"، ويطلق البناء عنده أيضا على المبني، كما يطلق البناء على الجسم... وقال ابن الأعرابي: البناء: الأبنية من المدر والصوف وكذلك البناء من الكرم وكأنهم سموه بناء لما لزم ضربا واحداً فلم يتغير تغير الإعراب سمي بناء من حيث كان البناء لازما موضعاً لا يزول من مكان إلى غيره³.

ويعرف الرضي الاستراباذي (ت686هـ) بدقة عجيبة ما يقصد من بناء الكلمة أو الصيغة في النحو العربي قائلاً: «المراد من بناء الكلمة ووزنها وصيغتها هيئتها التي يمكن أن يشاركها فيها غيرها، وهي عدد حروفها المرتبة وحركاتها المعينة وسكونها مع اعتبار الحروف الزائدة والأصلية كل في موضعه، فرجل مثلاً على هيئة وصيغة يشاركه فيها عضد، وهي كونها على ثلاثة أولها مفتوح وثانيها مضموم، وأما الحرف الأخير فلا تعتبر حركته وسكونه في البناء، فرجلٌ ورجلاً ورجلٍ على بناء واحد، وكذا جَمَل على بناء ضرب، لأن الحرف الأخير لحركة الإعراب وسكونه وحركة البناء وسكونه، وإنما قلنا "يمكن أن يشاركها" لأنه قد لا يشاركها في الوجود كالحَبُك... فإنه لم يأت له نظير، وإنما قلنا "حروفها المرتبة" لأنه إذا تغير النظم والترتيب تغير الوزن كما تقول: يئس على وزن فَعَلٍ وأيس على وزن غَفَلٍ، وإنما قلنا "مع اختيار الحروف الزائدة والأصلية" لأنه يقال إن كَرَمَ مثلاً على وزن فَعَّلٍ ولا يقال على وزن فَعَّلَلٍ أو

¹ بوعلي فؤاد، الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص385.

² أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، مقاييس اللغة، ج1، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، دط، 1979، ص302. وينظر أيضاً: هنداوي عبد الحميد أحمد، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008، ص20.

³ محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، ج10، تح: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، دط، 1965، ص46.

أفعل أو فاعل مع توافق الجميع في الحركات المعيّنة والسكون، وقولنا: "كل في موضعه" لأن درهم ليس على وزن قَمَطْر لتخالف مواضع الفتحتين والسكونين، وكذا نحو بيطر مخالف لشَرِيفَ في الوزن كتخالف موضع الياءين، وقد يخالف ذلك في أوزان التصغير»¹.

والحروف الأصول في الكلمة هي حروف صامتة أو ساكنة تكون المادة الأصلية أو المادة الخام، مما يعطي للعربية طبيعتها الاشتقاقية، هذه المادة الأصلية للكلمة تحمل عادة معنى عاما مشتركا تُشترك فيه مجموعة من الكلمات التي يمكن أن تكون مجالا دلاليا واحداً، فكلمات من نحو كتب وكاتب واستكتب ومكتب وكاتب ومكتوب وكتاب وكتب وغيرها، كلها كلما لها معنى مشترك واحد يتعلق بفكرة الكتابة عموماً، وهو الذي توحى به الحروف الأصول الثلاثة الكاف والتاء والباء، ويشبه ابن يعيش هذه المادة الأصلية في الكلمات بـ"الذهب تصاغ منه ضروب من الصور نحو الحلقة والخاتم وغيرهما"، ويقول: "الفروع كثيرة والأصل الذي هو الذهب واحد موجود في كل فرع منها"².

إن دلالة البناء عرضة للتغيير تبعاً لما يلحقه من تغيير في هيأته أو صيغته زيادة أو نقصاناً أو يكون مشتركاً لمعان مختلفة ومتنوعة بسبب الاستعمالات المختلفة التي يستعمل فيها، وما يحمل من دلالات تاريخية أو اجتماعية أو دينية أو جغرافية، وما فيه من إحياء بمعناه وإشعار بدلالة على المعاني الثانوية التي تلقي بظلالها على دلالة الكلام فتوجهها إلى فيض واسع من الدلالات لتعدد احتمالات دلالات البناء الواحد، حيث تتنازعه بوصفه دالاً، مدلولات معجمية وتركيبية متراكبة ووضعية تغير مدلوله، ولا يتضح المراد منها إلا من خلال السياق... وإن الاشتراك في البناء قد يكون له غرض وهو التوسع في المعنى فثمة تغيير داخلي للبناء وتغيير خارجي، فأما الأول فيلحق ظاهر البناء لفظاً، وذلك بتغيير هيأته أو صيغته، وأما الثاني فيلحق مضمونه ومحتواه فيتحول بدليل خارجي أو بدونه³.

¹ الحاج صالح عبد الرحمن، منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2012، ص 167، 168. وينظر:

حمد عبد الوهاب حسن، النظام النحوي في القرآن الكريم (دلائل الكلم)، ص 208.

² ينظر: عبد الحميد عبد الواحد، إسهام النحاة القدامى في ضبط معنى الكلمة، ندوة المعنى وتشكله، ج 2، مج 18، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 2003، ص 589.

³ ينظر: حمد عبد الوهاب حسن، النظام النحوي في القرآن الكريم (دلائل الكلم)، ص 205.

وإذا كان اختلاف الحركات للبناء يغير دلالاته فمن باب أولى أن يكون اختلاف الصيغ دالا على اختلاف دلالاتها، لأن الحركات والسكون تولد في "بنية الكلمة معنى جديدًا في الأغلب، فقد يكون للكلمة الواحدة أكثر من معنى بحسب اختلاف الحركات في بنيتها، وذلك نحو (حلم)، فلم بفتح اللام أي رأى في المنام، وحلمٌ بضم اللام صار حلِيمًا وحليم الأديب بكسر اللام إذا فسد وتثقب"¹.

إن الواضع الحكيم عند وضعه اللغة «كان يرغب في إنشاء آلية سيميائية للتعبير عن مقاصده، فكانت كل البناءات قوالب للمعاني المقصودة لذا كان كل تغيير أو تحويل يمس البنية له دلالة معينة، فعندما نحول الفعل (كسر) إلى (انكسر) لم نغير البنية فحسب، بل غيرنا المعنى من الفعل إلى الانفعال... ولهذا كان حضور معاني الأبنية أساسيا داخل كتابات الدارسين القدماء»².

وإن لم يضبط النحاة معنى الكلمة العربية بوجه عام، فلهم الفضل في ضبط معنى الغالبية العظمى من الكلمات، ويكفي أنهم توصلوا في مرحلة أولى إلى التفريق بين ما هو قياس وما هو سماعي... والنوع الثاني أعم وأكثر من الأول... لم يقف جهود النحاة عند هذا الحد، وإنما حاولوا إثبات جملة من الخصائص المشتركة اللازمة لكل الكلمات بصفة عامة، بكيفية تقترب إلى حد بعيد مما وصل إليه بعض اللسانيين المحدثين في ضبطهم لجملة من الميزات المشتركة التي تتميز بها الكلمة عن غيرها من الكلمات.

نجد بوادر هذا عند ابن يعيش (ت643هـ) في شرحه لكلام الزمخشري فيما يتعلق باسم الجنس مثلا، إذ يقول: "اعلم أن اسم الجنس ما كان دالا على حقيقة موجودة وذوات كثيرة، وتحقيق ذلك أن الاسم المفرد إذا دل على أشياء كثيرة، ودل مع ذلك على الأمر الذي وقع به تشابه تلك الأشياء تشابها تاما حتى يكون ذلك الاسم اسما لذلك الأمر الذي وقع به التشابه، فإن ذلك الاسم يسمى اسم الجنس، وهو المتواطئ كالحیوان الواقع على الإنسان والفرس والثور

¹ السامرائي فاضل صالح، الجملة العربية والمعنى، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص222.

² فؤاد بوعلي، الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي، ص477.

والأسد، فالتشابه بين هذه الأشياء وقع بالحياة (أو بالأحرى بالحيوانية) الموجودة في الجميع¹. والملاحظ أن هذه الخصائص المشتركة هي من قبيل [+حيوان]، [+آدمي]، [+ذكر]، [-أنثى]... الخ، وهي نفس العناصر الدالة التي أطلق عليها اليوم مصطلح السيميم (Seméme)، أي أصغر وحدة دلالية تتألف منها الكلمة، وبناء على هذه العناصر تتألف الكلمات داخل الجملة ويتحقق معناها².

والكلمة عند ابن يعيش (ت643هـ) أبنية مختلفة قائمة على جذر واحد تتعاقب عليها مجموعة المعاني، هذه المعاني - في الحقيقة - هي معان لغوية كالفاعلية والمفعولية والمصدرية والآلية والمضي والحال وغيرها، وهذه المعاني هي ما يعبر عنه الاشتقاقيون بالمعاني اللغوية الطارئة على الكلمة، بهذا المعنى تصبح الكلمة عنده ما تكون من أصل لفظي مع معنى لغوي كأن نقول مثلا إن "ضرب" تتكون من الضاء والراء والباء مع زمن ماض، و"ضارب" تتكون من الضاء والراء والباء مع صيغة اسم الفاعل، و"مضروب" تتكون من الضاء والراء والباء مع صيغة اسم المفعول... الخ، وبناء على هذا يمكننا أن نلاحظ:

1. أن الأصل أصلان: أصل لفظي يتمثل في الحروف الأصول التي تقوم عليها جملة من الكلمات، وأصل معنوي وهو ما يعبر عنه بالمعنى المشترك العام الذي نجده في مجموع هذه الكلمات.

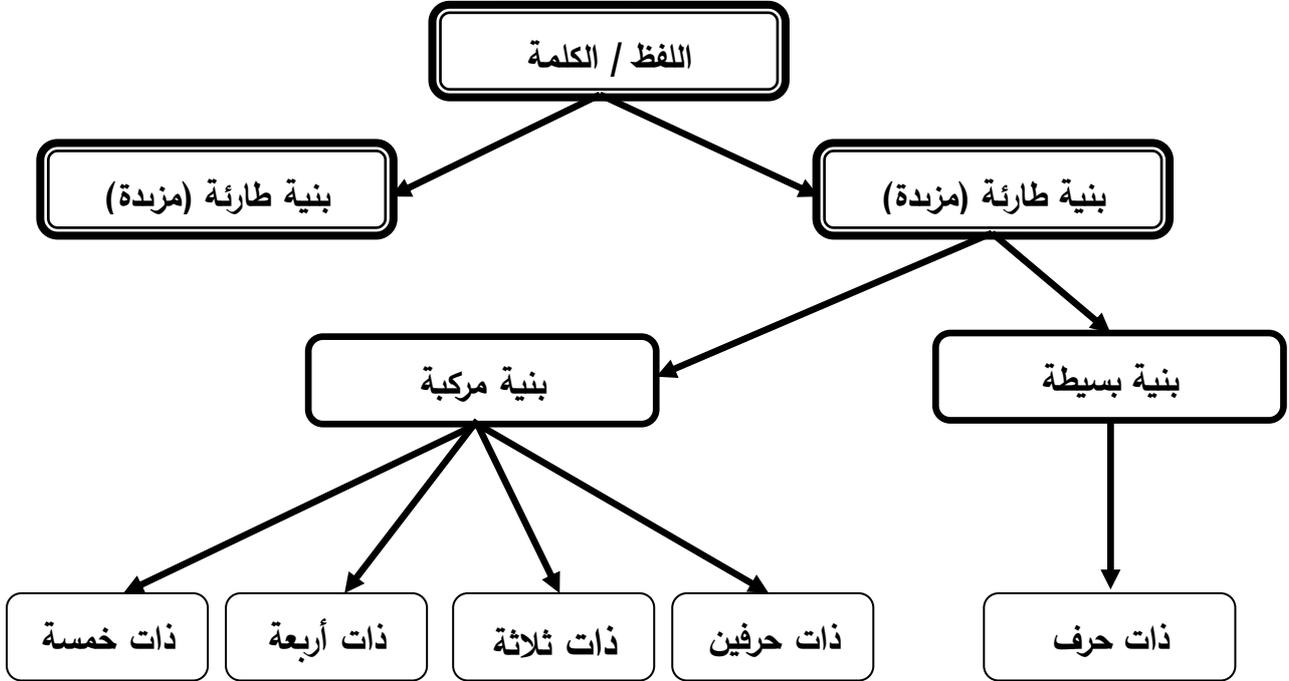
2. أن المعنى معنيان: المعنى العام المشترك الذي سبق أن ذكرناه والمعنى الطارئ على الكلمات المتولدة من بنية الكلمات أو صيغتها.

وعليه يمكننا اعتبار أن الكلمة في اللغة العربية تقوم على أصل لفظي مع أصل معنوي مع معنى لغوي طارئ، وإذا كان المعنى الأصلي معنويا يستمد من الحروف الأصول فإن

¹ ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ج1، ص26.

² ينظر: عبد الحميد عبد الواحد، إسهام النحاة القدامى في ضبط معنى الكلمة، ندوة المعنى وتشكله، ج2، ص592.

المعنى اللغوي الطارئ يستمد من بنية الكلمة أو من صيغتها أي من الحركات والسكنات الملحقة بالحروف الأصول مع اعتبار الحروف الزائدة¹. وهو ما يوضحه الشكل الآتي:²



الشكل رقم (12): تركيب الكلمة في اللغة العربية

إن هذه المعاني التي تقوم عليها الكلمة.. وخاصة عند ابن جنهي وابن يعيش والاستراباذي لا تشمل في الحقيقة إلا الأفعال والأسماء المشتقة من دون أن تستطيع العثور على جملة من الكلمات الأخرى، وخاصة الظروف والكلمات المبهمة أو الموغلة في الإبهام، إلا أن هذه المعاني صالحة في مجملها في انطباقها على الكلمة العربية وخاصة منها القابلة للاشتقاق³.

¹ ينظر: عبد الحميد عبد الواحد، إسهام النحاة القدامى في ضبط معنى الكلمة، ندوة المعنى وتشكله، ج2، ص590. وقد أطلق عليهما الدكتور عبد الملك مرتاض مصطلحي الدلالة الصغرى والكبرى، وينظر: مرتاض عبد الملك، نظرية اللغة العربية (تأسيسيات جديدة لنظامها وأبنيتها)، ص81، 83.

² ينظر: الودرني أحمد، قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن 7هـ/13م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دط، 2004، ص207.

³ ينظر: عبد الحميد عبد الواحد، إسهام النحاة القدامى في ضبط معنى الكلمة، ندوة المعنى وتشكله، ج2، ص591.

2. الدلالة النحوية في المستوى الصوتي:

1.2. علاقة الصوت بالدلالة:

يعد الصوت وسيلة ضرورية لمعرفة كيفية عمل اللغة "ومرد ذلك أن الكلمة هي الحروف، والحروف أصوات متقطعة على وجه مخصوص، وهو ما يقود إلى التحديد الاستقرائي المتصاعد من الجزء إلى الكل لأن الحروف أصوات مفردة إذا ألفت صارت ألفاظا، والألفاظ إذا ضمت المعاني صارت أسماء والأسماء إذا تتابعت صارت كلاما، والكلام إذا أُلصق صار أقاويل فتتكامل على هذا النمذ مهجة الخطاب"¹.

وترتبط الأصوات في كل لغة بعضها ببعض ارتباطا وثيقا، فهي "تكون نظاما متجانسا مغلقا، تتسجم أجزاؤها كلا فيما بينها، هذه هي أول قاعدة من قواعد الصوتيات، وهي ذات أهمية قصوى لأنها تثبت أن اللغة لا تتكون من أصوات منعزلة بل من نظام من الأصوات"².

جرى على هذا التأسيس مذهب العلماء من الشرق ومن الغرب، قدامى ومحدثين، فقد التفت ابن جنبي (ت392هـ) إلى الفوارق الموجودة بين الأصوات وإلى القيم التعبيرية الناشئة عن ذلك، وقد ربطها في كتابه الخصائص باللغة بل جعلها (اللغة) مؤلفة من أصوات، فقال: "حدها أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"³، وهي (الأصوات) عند الجاحظ (ت255هـ) "آلة الفهم والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف"⁴، وذهب جلال الدين السيوطي (ت911هـ) إلى أن: "أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعة كدوي الريح وحنين الرعد، وخزير الماء، وسُحّيح الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس، ونزيب الطبي، ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد"⁵، وما يجب التأكيد عليه هنا، أن الصوت اللغوي للإنسان "يختلف عن سائر الأصوات التي تحدث عن أسباب وأدوات أخرى... ومعروف

¹ المسدي عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط2، 1986، ص254.

² جوزيف فندريس، اللغة، ص62.

³ ابن جنبي، الخصائص، ج1، ص34.

⁴ الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط3، 2003، ص79.

⁵ جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ص14.

أن دراسة (الصوت) عامة موضوعه علم الطبيعة، أما الصوت اللغوي فهو موضوع علم الأصوات اللغوية¹، كما أن القوانين الصوتية "لا تشبه حتى قوانين الطبيعة والكيمياء، فالذي يجمع بين حالين متتابعين في لغة واحدة إنما هو رباط تخلقه وليس رباطا طبيعيا"²، ولا يتفق هذا القول مع خصائص اللغة العربية دائما، الدكتور عبد الملك مرتاض مثلا يرى أنه إذا كان مما لاشك فيه أن "الصوت يلعب دورًا مهما في إبداع المعنى والإيحاء به، فكل صوت في تركيب الألفاظ العربية يؤدي وظيفة دلالية تعوم في المنظومة الصوتية العامة للحروف المركب منها اللفظ"³، فإنه أيضا "حين تطلق اسما على معنى تراعي فيه علاقته الطبيعية والمنطق والوضع، ولا نجد أي لفظ اعتباطي، وذلك فيما تابعا من سيرة خصائصها الصوتية وعلاقتها بالدلالة العميقة، فهي في كثير من أطوارها تراعي العلاقات الصوتية بالعلاقة الدلالية لكيما يتطابق الصوت مع مضمونه"⁴، مقدما تحليلا صوتيا دلالية لبعض الكلمات الدالة على صحة رأيه، مثل: الشجرة، والحب، والهوى...⁵.

ومن الدراسات المعاصرة المهمة في هذا المجال ما قدمه ياكوبسون من دراسة حول "الصوت والمعنى" في محاضراته الشهيرة للأفكار الشائعة حول الأصوات وأثرها في المعنى، وما شكلته من قاعدة حقيقية لعلم اللغة البنيوي، انطلاقا من فكرة (الفونيم) وما تميزت به من ثبات ووضوح، وبما احتوته من توضيح للعلاقات الضدية بين الأصوات في مباحث العلاقة بين الإشارة والمعنى أو اللفظ والدلالة⁶.

ولذا يعد التحليل الصوتي مستوى أساسيا من مستويات التحليل اللغوي، كما أنه (الصوت) يلعب دورًا مهما في إبداع المعنى والإيحاء به، كما أنه لا يجب أن يغيب عن بالنا

¹ السعمران محمود، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1997، ص99.

² جوزيف فندريس، علم اللغة، ص72.

³ مرتاض عبد الملك، نظرية اللغة العربية (تأسيسيات جديدة لنظامها وأبنيتها)، ص97.

⁴ المرجع نفسه، ص94.

⁵ نفسه، ص95، 96.

⁶ ينظر: رومان ياكوبسون، ست محاضرات في الصوت والمعنى، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994.

أبدأ في تقديمنا كل عنصر من عناصر القصيدة وربطه بالعناصر التي تنشئ لنا وحدة واحدة¹. فالأصوات الموجودة في النصوص الأدبية وخاصة منها الشعرية ذات قيمة إبداعية ينبغي لأجلها الاهتمام بالعلاقة بين الصوت والمعنى، ف"البنية الصوتية للنص تشكل مستوى من العلاقات الفوقية بحيث يعكس نفس الذي تتميز به البنية الدلالية".

وقد سمح لنا استقراء ديوان "البرزخ والسكين" ل: عبد الله حمادي اكتشاف أهم الظواهر الصوتية المميزة لشعره، والمتمثلة في:

1.1.2. مظل الصوت ودلالته:

من الظواهر الصوتية البارزة في ديوان "البرزخ والسكين" المقاطع الصوتية الطويلة المؤلفة من صامت وصائت طويل، سواء أكان الصائت الطويل ألفا أم واوا أم ياء، ولا تكاد تخلو منها قصيدة، مما جعلها ظاهرة شديدة الجلاء تشيع في سائر جوانب الديوان، وقد سماها ابن جني (ت392هـ) (مظل الحركات) إذ يقول: "والحروف الممطولة هي الحروف الثلاثة اللينة المصوتة، وهي الألف والياء والواو، اعلم أن هذه الحروف أين وقعت، وكيف وجدت ففيها امتداد ولين نحو قام، وسير عليه، وكتاب وعجوز... إلا أن الأماكن التي يطول فيها صوتها، وتتمكن مدتها ثلاثة؛ وهي أن تقع بعدها، وهي سواكن توابع لنا (هو منهن) وهو الحركات من جنسهن الهمزة، أو الحرف المشدد، أو أن يوقف عليها عند التذکر"².

ومن أمثلة هذه الظاهرة الصوتية ما ورد بشكل واضح في قصيدة "رباعيات آخر الليل"³، فالبيت الشعري الواحد أحيانا لا تكاد تخلو مفردة من مفرداته من مظل صوت: (غاية الصحو، يا غريرا، غادر شاطئ الزحف، غامر، مرايا المرافي، اجتباء القطاف، تعدو إلى المرايا خيولي، يا شديد العناد، أن تخوض التماذي، يا سجيننا ويا قرير العيون، ذاك فثيتاري فاعتمده نذير...).

¹ عبد الإله حامد حمادة، دراسة منهجية تطبيقية شعر محمود غنيم نموذجاً، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010، ص100. وينظر أيضاً: أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1983، ص07.

² ابن جني، الخصائص، ج3، ص121، 125.

³ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص40.

ومن أمثلة ما وقف عليه قصد التذكر من هذه المظاهر الصوتية ما ورد في قصيدة "أطفالنا.. فإلى الحجارة"¹، فقد جاءت لفظة (أطفالنا...) مع وقفة تليها مباشرة، ليمنح القارئ فرصة ليتذكر معه حال أطفالنا في فلسطين، ويبني معه ما يمكن أن يشملته تركيب الخبر المحذوف لهذا المبتدأ. ويشبه ذلك ما ورد في قصيدة "مدينتي"²، حيث تم فيها تكرار المبتدأ من ثلاثين مرة مع ترك فسحة للتأمل والتذكر من القارئ عساه يستكمل الخبر الناقص من خلال تذكرها يمكن أن تكون عليه مدينة الشاعر.

ولم ترتبط دلالة التذكر بهذه الظواهر الصوتية في ديوان "البرزخ والسكين" فقط، بل منحت الصيغة الصوفية في شعر عبد الله حمادي في ديوانه هذا، دلالة أخرى لهذه الظواهر، ففي قصيدة "البرزخ والسكين"³ يمثل امتداد الصوت الآتي من المقاطع الطويلة في ألفاظ مثل: (أيقنت أي أنا، يا جسداً محفوفاً بالظلمات، تنهشني، ألود، الأقدار، الطرقات معراج، الأجراس النارية، الأشواق، أطوار، إبحار، التوحيد، ألواح، القبلات، الظلمات، هباء، الصلوات، رائحة النور، الفاسق، المأجور، المعشوق، المقتول، المخمور...) انسجاماً مع دلالاتها الخاصة المتمثل في مناجاة الشاعر العاشق للذات العليا، الراغب أبداً بالوصول.

2.1.2. التكرار:

وهي أيضاً من الظواهر الصوتية البارزة في ديوان "البرزخ والسكين) لـ: عبد الله حمادي، ومفهوم التكرار ببساطة أن "يأتي المتكلم بلفظ ثم يعيده بعينه سواء أكان اللفظ متفق المعنى أو مختلفاً، أو يأتي بمعنى ثم يعيده، وهذا من شرط اتفاق المعنى الأول والثاني، فإن كان متحد الألفاظ والمعاني فالفائدة في إثباته تأكيد ذلك الأمر وتقريره في النفس، وكذلك إذا كان المعنى متحداً، وإن كان اللفظان متفقين والمعنى مختلفاً فالفائدة من الإتيان به الدلالة على المعنيين المختلفين"⁴.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص30.

² المصدر نفسه، ص101.

³ نفسه، ص116.

⁴ عبيد محمد صابر، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، دراسة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2001، ص182، 183.

وحين يوظف التكرار في العمل الأدبي فإن قدرته على التأثير في هذا المجال تتجاوز هذه الفائدة، إذ يعمل على إنتاج فوائد جديدة داخل كيان العمل الأدبي... غير أن طبيعة التجربة الأدبية -ولاسيما الشعرية منها- هي التي تفرض وجودًا معينًا ومحددًا من التكرار، وهي التي تسهم في توجيه تأثيره وآدائه، ويقر القدماء عموماً بأن التكرار سنة من سنن العرب في كلامها، وقد عزاه ابن فارس (ت395هـ) إلى "إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر"¹.

وربما بلغت ظاهرة التكرار في القصيدة العربية الحديثة «أقصى تأثير وحضور لها، إذ أسهمت كثيرًا في تثبيت إيقاعها الداخلي وتسويغ الإتكاء عليه مرتكزًا صوتيًا يشعر الأذن بالانسجام والتوافق والقبول، وصولاً إلى تشكيل البنية الدلالية للقصيدة من خلال فعاليته التي تتجاوز حدود الإمكانيات النحوية واللغوية الصرف، لتصبح أداة موسيقية دلالية في آن معاً»². إن الباحث في أشكال التكرار في ديوان "البرزخ والسكين" ل: عبد الله حمادي يجده متنوعاً جداً، ويمكن رصد أهمها وأوسعها انتشاراً في الديوان في الصور الآتية:

1.2.1.2. التكرار الاستهلاكي:

وهو تكرار يضغط فيه على حالة لغوية واحدة وتوكيدها عدة مرات بصيغ متشابهة ومختلفة من أجل الوصول إلى دلالة معينة، تبرز هذه الصورة مع أول قصيدة في الديوان "جزائر"³، حيث كرر الشاعر لفظ "جزائر" أكثر من مرة في مستهل أبياته الشعرية ولا يخفى ما لدلالة ذلك من حب للوطن ووجد وهيام به من خلال تكرار فضائله وحسناته على الشاعر. ويتضح هذا النوع من التكرار بشكل أفضل من خلال نماذج بعض الكلمات (أسماء، أفعال، حروف) المكررة في الديوان.

¹ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص158.

² محمد صابر عبيد، القصيدة الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، دراسة، ص183، 184.

³ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص19.

عدد مرات التكرار	الكلمة المكررة	القصيدة
03	جزائر	جزائر
09	غنيت	أرض الحرية
07	يا جزائر	//
13	وطن	وطن
06	أطفالنا	أطفالنا... فإلى الحجارة
04	أيكفي	حلم أزيله
06	أنت	رباعيات آخر الليل
31	مدينتي	مدينتي
12 المقطع 06 فقط	من	لا يا سيدة الإفك

2.2.1.2. التكرار الختامي:

ويختار الشاعر فيه مقاطع (كلمات متقافية) لختم الأبيات، و"الحد في انتخابها أن تشترك في الحرف الأخير (الروي) وفي العلامة الإعرابية التي تتحملها في غير تحديد لأقسامها الصرفية، والمعول في هذا إنما هو الصورة الإيقاعية (إيقاع الوزن الصرفي) التي تترتب عن بنية الكلمة، أو ما يسمى بهندسة الخواتم"¹.

وإذا كانت هذه الظاهرة معروفة في الشعر العربي فإن اللافت في شعر عبد الله حمادي في ديوانه "البرزخ والسكين" أطرافها وتنوعها، وجريان الصيغة الواحدة منها في القصيدة الواحدة جريا يكاد يعرف به استعماله.

وفي تتبعنا لهذه الظاهرة في هذا الديوان تبين لنا أن إيقاع المقاطع ظاهرة لازمة فيها ومتنوعة الصياغة، بعضها ضعيف الأطراد في حين يتردد استعمال أبنية أخرى بكثرة على زنة أبنية مهيمنة مثل: (أفعلها، تفعلها، فعيلة...)، وهي تتحو منحى نتجيا في تكثيف دلالي وإيقاعي يتمركز في خواتيم أبيات القصائد، كما في قصيدة "الجزائر"² التي تنتهي أبياتها

¹ ينظر: حيزم أحمد، فن الشعر ورهان اللغة، بحث في آليات الخطاب الشعري عند البحري، دار صامد للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط2، 2012، ص65.

² حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص26، 27، 28، 29.

الشعرية بالمقاطع الآتية: (مزهرا، تنمرا، تبصرا، يتصورا، تحضرا، تثمرا، تعذرا، تجرجرا، تدمرا، تعطرا...). ومن المقاطع التي جاءت على وزن (فعيلة) التي اختارها عبد الله حمادي كمقاطع ختامية لأبياته الشعرية ما جاء في قصيدة "حلم أزيله"¹ ما يلي: (أصيلة، جميلة، خليلة، القبيلة، الخميلة، الظليلة، الحصيلة، النحيلة، الطويلة، الكحيلة، الضئيلة، ثقيلة، القتيلة، الكليلة، العليلة، بليلة، الجميلة، أزيله).

3.2.1.2. تكرار تراكمي (لا شعوري):

وهو تكرار لمجموعة من المفردات، سواء على مستوى الحروف أم الأفعال أم الأسماء تكراراً منتظم، لا يخضع لقاعدة معينة سوى لوظيفة كل تكرار وأثره في صياغة مستوى دلالي محدد. ونمثل لهذه الظاهرة الصوتية في قصيدة "مدينتي"²، حيث تم تكرار لفظ (مدينتي) واحد وثلاثون مرة في هذه القصيدة، بمعدل مرتين أو ثلاثة في كل مقطع شعري منها.

2.2. الدلالة النحوية للعلامة الإعرابية في الأسماء:

تدل النصوص التي امتلأت بها كتب النحو العربي على أن العلامات الإعرابية أعلام على معان، كما أثبتنا سابقاً، وهي أيضاً من دلائل الاسم لأنه هو المعرب دون غيره بدليل أن الأصل فيه الإعراب وما بني منه فرع عليه، لأن الإعراب هو "الإبانة عن المعاني بالألفاظ"³، وهي معاني الفاعلية، والمفعولية، والإضافة، وذلك لأن حركات الإعراب تنبئ عما يعتور الأسماء فيها لجمودها وملازمتها لصورها وأبنيتها، ولم تكن فيها أدلة على المعاني بل كانت مشتركة، فجعلت حركات الإعراب فيها منبئة عنها ودلائل على الاسمية، و"الإعراب في أصله الفرق بين اسمين في كلام واحد أو لفظين مجتمعين في قصة لكل واحد منهما غير معنى صاحبه، ففرق بين إعرابها للدلالة على اختلاف معناها"⁴.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص36.

² المصدر نفسه، ص101.

³ ابن جني، الخصائص، ج1، ص35.

⁴ علي أبو الحسن بن اسماعيل بن سيدة (ت458هـ)، المخصص، ج4، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996، ص94.

فالمعرب ما كانت الاسمية فيه غالبية لظهور دلالته على مسماه وكما له بالإعراب، لأن "الإعراب من كمال الاسم"¹، وذلك داخل التراكيب لأنه خارجها لا يوصف بإعراب أو بناء، لأن التركيب هو الموجب للإعراب بحسب مراد المتكلم، فالموجد لهذه المعاني الفاعلية والمفعولية والإضافة. يقول الجرجاني: "اعلم أن الكلام مداره على ثلاثة معان: الفاعلية، والمفعولية، والإضافة، فالرفع للفاعل، والنصب للمفعول، والجر للمضاف إليه، وما خرج عن هذه الأقسام فمحمول عليها وليس بأصل، فالمحمول على الفاعل المبتدأ والخبر واسم كان وأخواتها وخبر إن وأخواتها، والمحمول على المفعول خبر كان واسم إن والحال والتمييز... وإعراب الفعل غير حقيقي كله إذ لا يتصور فيه فاعلية ولا مفعولية ولا إضافة"².

يتبين مما سبق أنه لا بد من العناية بدلالة الرفع أو النصب أو الجر أو الجزم، لأنها أعلام معاني الابتداء أو الفاعلية أو العمدة، والفضلة وما ألحق بها والإضافة، ولكل دلالة تختلف عن الأخرى، فدلالة الرفع هي الإخبار والعناية بها أكثر من غيرها، لأنها مقصود الكلام والغاية منه، وتليها دلالة النصب لأنها تخصص الحدث بدليل أنها تصحب الفعل وما جرى مجراه فيما أشبهه، ثم دلالة الجر لأنها إخبار غير تام بدليل تعلقها بالحدث تكميلاً له وارتباطهما المعنوي، وذلك في أشباه الجمل³، وسيأتي تفصيل كل دلالة لاحقاً.

خصص سيبويه (ت180هـ) في الكتاب باباً للحديث عن مجاري أواخر الكلم من العربية⁴، وحدد فيها العلامات الإعرابية والشروط التي تتحكم فيها، وهي أساساً عدم اللبس والنتقل⁵، فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل، نحو (رجل) و(ذهب، يذهب،

¹ أبو عمرو عثمان بن الحاجب (ت646هـ)، كتاب أمالي ابن الحاجب، ج1، تح: فخر صالح سليمان قدارة، دار الجيل، بيروت، دط، ص113.

² عبد اللطيف محمد حماسة، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2001، ص232. وينظر: عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت337هـ)، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط6، 1996، ص69.

³ ينظر: حمد عبد الوهاب حسن، النظام النحوي في القرآن الكريم (دلائل الكلم)، ص328، 329.

⁴ ينظر: سيبويه، الكتاب، ج1، ص13.

⁵ ينظر: مكرم عبد العال سالم، شرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف لمسعود بن عمر سعد الدين تفتزاني، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط8، 1997، ص50، 104.

أذهب) و(سوف وثم)، ومجاري أواخر الكلم ثمانية جمعها من أربعة أضرب: النصب والفتح والجر والكسر، والرفع والضم والجرم والوقف، فالمجاري (العلامات الإعرابية) التي يحدثها العامل هي النصب والجر والرفع والضم والجرم، ومجاري البناء التي لا ترتبط بعامل هي الفتح والكسر والضم والوقف، وعلامات الإعراب (عند سيبويه) خاصة بالأسماء المتمكنة والفعل المضارع، وعلامات البناء تكون لما هو غير متمكن وما هو غير مضارع لفعل أو اسم، نحو (سوف وأين وحذار وحيث وكم وثم...) .

ولما كان عملنا مقتصرًا على تحديد حركات الإعراب فإن مرورنا بحركات البناء (الفتح والضم والكسر والوقف) عارض، وسنهتم بحركات الإعراب (النصب والرفع والجر والضم) التي وزعها سيبويه (ت180هـ) على الأقسام الثلاثة للكلم وخص كل قسم منها بنوع من أنواع الإعراب وبحركة من حركاته، فجعل للاسم المعرب الرفع والنصب والجر، وجعل للفعل (المضارع) الرفع والنصب والجرم لأن الجرم في الأفعال نظير الجر في الأسماء، والأسماء ليس لها في الجرم نصيب كما ليس للفعل في الجر نصيب، وخص الأسماء المبنية والأفعال الماضية والحروف بحركات البناء¹.

إضافة لما سبق ربط النحاة العرب ألقاب الإعراب بمخارج المصوتات، كما عللوا اختصاص الرفع بالضممة، والنصب بالفتحة، والجر بالكسرة، "فجعلوا المتقدم من الأشكال للمتقدم من المعاني في النفس، ولما كان مخرج الضمة هو أرفع من مخرج الفتحة والكسرة، سمو المعنى الذي تدل عليه الضمة، والضمة نفسها رفعا، وسموا المقابل لها خفضا، وسموا المتوسط نصبا، تشبيها بهذه الحروف في مخارجها، أعني في مخرج الحرف الواحد"².

وأضاف ربطهم ألقاب الإعراب بكيفية الصوت دليلا على أن هذه الحركات الإعرابية هي من صفات الصوت، فتسميتها بالرفع والنصب والجر لأنه (الصوت) يرتفع عند ضم الشفتين، وينتصب عند فتحهما، وينخفض عند كسرهما، وينجزم عند سكونها، كما أصل لذلك

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب، ج1، ص19.

² ديدوح فرح، دراسة المصوتات العربية عند الفلاسفة المسلمين، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ديدوش مراد، الجزائر، دط، 2014، ص93.

من قبل أبو الأسود الدؤلي، ولأن الفعل لا يكون له أكثر من فاعل واحد، وقد يكون له مفعولات كثيرة، فرفع الفاعل لقلته، ونصب المفعول لكثرتة، وذلك ليقبل في كلامهم ما يستقلون، ويكثر في كلامهم ما يستخفون¹.

وقد وصل النحاة الإعراب الداخل على الاسم بمفهوم حرف الإعراب أي أواخر الكلم وأطرافها موقع الدلالة على الوظائف، فالعلامة الدالة على محل الرفع أو النصب أو الجر لاحقة عرضية تزول بزوال السبب واختلافه أي بالعامل. وتكون الحركات طارئة على الأسماء "بعد حصولها بحروفها كلها وأبنيتها" في نظر الزجاجي (ت337هـ)²، وقد مثل الإعراب بالألوان والأجسام، فالجسم عنده "أقدم من العرض واللون الأسود عرض في الشيء الأسود، والمرئيات هي الأجسام الملونة، واللون ملازم للجسم، وهو يرى أن الاسم المعرب جسم موجود بصفاته الإعرابية كالمشاهد من الجسم الملون"³.

لم تلق هذه الجهود العملية الكبيرة الرضى الكافي عند بعض الدارسين المعاصرين⁴، الذين وإن اعترفوا بالقيمة العظيمة لهذه النتائج العملية المتوصل إليها، إلا أن ذلك لم يثنهم عن عدّ بعض الأخطاء وقلة التوفيق في رأيهم التي صاحبت هذا الجهد العلمي المتميز، ومن بينها: أنهم نظروا إلى الحركات على أنها أضعف من الحروف، والدراسات المعاصرة ترى عكس ذلك، ولم يوفقوا في فهم العلاقة بين الأصوات الساكنة والحركات لسيطرة فكرة أصول الكلمات على أذهانهم، فهي (الأصول) مكونة من الأصوات الساكنة فقط، كما أنهم لم يفرقوا بين الحركات القصيرة والطويلة... تسند ادعاءاتهم تلك بعض النتائج الهزيلة المعتمدة على ما أتاحتها بعض الوسائل العلمية الحديثة في إطار الدرس اللغوي المعاصر، والتي لا يمكن لها أن تصمد أو

¹ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج1، ص49. وينظر أيضا: عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت337هـ)، الإيضاح في علل النحو، ص93.

² ينظر: عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص131.

³ المرجع نفسه، ص98.

⁴ ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2000، ص426، 427. وينظر أيضا: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ط2، 1950، ص39. وينظر أيضا: عبد اللطيف محمد حماسة، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص139.

تقارن بالإرث النحوي العربي الذي تتغذى نظرياته وآراؤه من تراكيب لغوية معجزة ليس للبشر فيها حظ، وقد تشرف بعض الأساتذة الأفاضل¹ من أقطار الوطن العربي ببيان ذلك.

1.2.2. دلالة الرفع:

في أدبيات النحو العربي يقدم الرفع على النصب، ويقدمان على الجر، فالرفع يقدم لأنه عمدة ولا يخلو منه كلام، والنصب قد يقع موقع العمدة، والجر خاص بالإشراف وهو الاسم، ويرى ابن جني (ت392هـ) أن الرفع أصل يتفرع عند النصب والجر، بل ويصرح "أن الاسم في حال الرفع لا إعراب فيه لأنه بداية وأصل، ووجد الأصل مرفوعاً"². وقد أكد النحاة أن الابتداء هو عامل رفع في الجملة الاسمية المحضة ينبنى على التقدير والموضع والإسناد إلى الاسم في أول مواقعه الكلامية أي موقع التعرض لعناية المتكلم المباشرة به في التخاطب... فكأن الرفع حالة نموذجية اسمية موضعية، أي تتصل بالبعد المكاني الذي يلي العامل، وهي رغم ثقلها الصوتي كثيرة في الاستعمال، ويصور نمط تفسيرها عند النحاة نزعة عقلية مجردة تذكرنا بما يحدث في الرياضيات من اعتبار الواحد أول العدد رغم اكتشاف الصفر، فكأن الرفع أصل رغم اعتبار السكون والاختلاف في دلالاته³.

وفي قصائد ديوان "البرزخ والسكين" ل: عبد الله حمادي تظهر هذه الخاصية (الاعتماد على المرفوعات) جلية بصورة واضحة، وفي مواضع كثيرة جداً بدءاً بعنوان ديوانه (البرزخ والسكين)، ومن أمثلة ذلك أيضاً: (جزائر، أرض الحرية، وطن، قصيدة الجزائر، قدر، غرس، حلم أزيل، وفاء، منية القلب، غايه الصحو، أنا، أنت، أنت، هذا ظالم، حبك، منزر، سر، معبر الإثم، هو، هي نوبة الشوق، حالك اليوم، نبرة العطر، ظل أنفاسي، لحنك المرخي، حكمة المسرى، ملتقى السحر، حلمك، مخلب، النور، مورد القول، قدر المسافة، مداري، هواك، عتق

¹ ينظر: عبد الغفار هلال، تجويد القرآن الكريم من منظور علم الأصوات الحديث، خير الدين نسيب، الأسلوب والأداء في القراءات القرآنية، دراسة صوتية تباينية، شريف استيتية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، عباس محمود العقاد، اللغة الشاعرة.

² ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص488، 714.

³ ينظر: المنصف عاشور، بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، ص335، 336.

التجرد، وهجُ الكون، رحلة الصبر، قبْرُك، موعِدُ العفو، نشوَةُ العشق، نظرةُ الحب... الفلكُ، السفرُ، خيالٌ، النارُ، الصمتُ، المطرُ، الأرضُ...). والدلالة التي تتشترك في توظيف كل تلك الأسماء المرفوعة الواقعة مبتدأ هي ثبات تلك القيم المختلفة في نفسه وديمومتها، ومحاولة إيصال ذلك إلى القارئ مثل: حب الوطن، حب الخالق والتقرب إليه، الدفاع عن القضايا المصيرية للأمة.

إن توظيف عبد الله حمادي للأسماء عامة، والمرفوعة فيها خاصة في ديوانه "البرزخ والسكين" يكاد يطغى على شعره، فقد تقرأ قصيدة كاملة دون أن تعثر ولو على فعل واحد¹. كما أنه قل أن يستخدم الفاعل اسماً مرفوعاً، بل يميل في أغلب الأحيان إلى استداله بضمائر متصلة مختلفة، وهذه القضية تمثل موضوعاً خلافياً، فقد اعتبر جل النحاة أن الرفع في أكثر من سياق من كتبهم يشبه الواحد في العدد، فهو "أول الإعراب لأنه سمة الفاعل والمبتدأ وما ضارعهما"².

وقد أثار الرفع قضية تتصل بأول المرفوعات في نمطي الجملة العربية، هل هو المبتدأ أم الفاعل، وهل يحمل أحدهما على الآخر، وقد أجاب الخليل عن سبب جعل الرفع للفاعل قائلاً: "الرفع أول حركة، والفاعل أول متحرك، فجعلوا أول حركة لأول متحرك"³. وأفضت آراء النحاة في القضية إلى نقاش أولوية الجملة الاسمية على الجملة الفعلية، ويبدو أن القضية لم تجلب انتباه الدارسين المحدثين كثيراً، يقول الدكتور كريم حسين ناصح الخالدي: "والضمة تقود إلى السياق الاسمي، أي أن اللفظة المرفوعة في تأليف اسمي يدل على الثبوت والاعتیاد، فالعربي حينما يسمع الاسم مرفوعاً ينصرف ذهنه إلى هذا المعنى، أما إذا سمعه منصوباً انصرف ذهنه إلى حدث وقع في ذلك الاسم"⁴. والذي لا شك فيه قيمته أن النحاة

¹ ينظر: حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 19.

² عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، ص 124.

³ عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، مجالس العلماء، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1983، ص 224. وينظر: المنصف عاشور، بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، ص 331.

⁴ الخالدي كريم حسين ناصح، البديل المعنوي من ظاهر الحذف، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2007، ص 36.

بينوا من خلال مناقشتهم واختلافهم في الموضوع آراء هامة صادرة عن نظرية الإعراب والعامل وموقع الاسم منها¹.

وما نؤكدده هو معنوية الرفع وقوة حضور المتكلم في إعراب الأسماء التي اعتبرها النحاة محل العمل وبث المعاني المختلفة في ميدانها، فبين المبتدأ والخبر والفاعل لا يوجد غالب ولا مغلوب، وإنما الموجود هو حضور المتكلم في العمل المعنوي أمام المحلات الإعرابية الاسمية التي يرسل فيها مقصوده بصورة مباشرة في الجملة الاسمية وبصورة غير مباشرة أي بفضل آلة الإعراب، وهي الفعل في الجملة الفعلية، فالتكلم باعتباره المهندس الأول للرفع يجلب انتباه المخاطب إلى محطة المخبر عنه المسند إليه بمنهجين هما الابتداء بالاسم أو الابتداء بالفعل².

2.2.2. دلالة النصب:

صنف النحاة الأسماء المنصوبة باعتماد جملة من المقاييس العامة والخاصة، أهمها حكم النصب ومدى قوة الصلة بين المفعول والفعل العامل ودرجات احتياج العامل إلى وسائط حرفية تجعله يلاقي مفعوله ومحلّه.

ومن المعروف أن النحاة صنفوا المنصوبات ثلاثة أنواع، خمسة أصلية وثلاثة فرعية وما يحمل عليها ويجري مجراها... وبرروا حكم النصب في هذا الصنف من المكونات بتعددتها ومن ثمة كثرتها في الاستعمال، فسيبويه (ت180هـ) يرى المتعاملين بالكلام "يدخلون المفعول فيه الفعل ويشغلونه به كما يفعلون ذلك بالفاعل، فكما لم يكن للفعل بد من فاعل يعمل فيه كذلك أرادوا أن يكثر المفعول الذي يعمل فيه"³.

إذا رجعنا إلى كتب النحو فإننا نلاحظ أن باب منصوبات الأسماء تفوق بكثير باب المرفوعات والمخفوضات لأنها تشمل طبقات مختلفة ليس هناك ما يجمع بينها دائماً، فباب المرفوعات سبعة تشمل الفاعل، ومفعول المبني لغير الفاعل، والمبتدأ والخبر، واسم كان وأخواتها، وخبر إن وأخواتها، والتابع للمرفوع، ويشمل باب المخفوضات ثلاثة أقسام هي:

¹ ينظر: المنصف عاشور، بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، ص340.

² المرجع نفسه، ص350.

³ سيبويه، الكتاب، ج4، ص78.

مخفوض الحرف، ومخفوض الإضافة، والتابع للمخفوض، أما باب المنصوبات فخمسة عشرة، تشمل المفاعيل المختلفة (المفعول به وفيه ومع له ولأجله والمطلق)، والحال، والتمييز، واسم لا النافية للجنس، والمستثنى، والمنادى، وخبر كان وأخواتها، واسم إن وأخواتها، وخبر ما الحجازية، والتابع للمنصوب¹.

يرى بعض الدارسين وعلى رأسهم إبراهيم مصطفى أن علامات الإعراب دوال على معان، وانتهى إلى أن الضمة على الإسناد والدليل أن الكلمة المرفوعة يراد أن يسند إليها ويتحدث عنها، والكسرة علم الإضافة وإشارة إلى ارتباط الكلمة بما قبلها بأداة أو بغير أداة، ولالإعراب الضمة والكسرة فقط، أما الفتحة فلا تدل على معنى عنده فليست بعلم إعراب، ولكنها حركة خفيفة مستحبة عند العرب. والحقيقة أن الفتحة شأنها شأن العلامات الأخرى فهي تدل على وظيفة نحوية بعينها كالمفعولية والظرفية، وهناك العديد من المكونات التي تحمل هذه العلامة لتمييزها عن سائر المكونات التي تحمل الضمة أو الكسرة على أواخرها، ومن هذه المكونات التي تقترن بها علامة الفتحة ما يؤدي وظائف المصادر والمفعول المطلق والمفعول به ومع له وفيه والحال والتمييز وبعض الصفات التي تتبع موصوفا منصوبا واسم (إن) وأخواتها وأخبار (كان) وأخواتها... الخ.

إذا أردنا أن نبين أثر الدلالة في تحديد حالة النصب أو المعاني التي يقترن بها نصب الأسماء، فهناك ثلاث دلالات في هذا الشأن هي: تخصيص دلالة عموم علاقة الإسناد، ودلالة الحدث أو المعنى الفعلي، ودلالة قطع النعت. فأما دلالة عموم علاقة الإسناد من أي جهة فهي كبرى هذه الدلالات والمعنى الأساسي للنصب، وقد أشار إليها الدكتور تمام حسان عند حديثه عن التخصيص بوصفه "قرينة معنوية كبرى تقترن بها الأسماء"²، وتندرج هذه الدلالة فيما وضعه النحاة تحت مفهوم "الفضلة" واقتران النصب به³.

¹ ينظر: تورابي عبد الرزاق، صرف تركيب العربية، ص 245.

² تمام حسان، اللغة العربية مباحا ومعناها، ص 194، 195، 199.

³ يوافق الباحث على ضرورة استعمال مصطلح "التخصيص" بدل مصطلح "الفضلة" تجنباً لما يمكن أن يوحي به مصطلح "الفضلة" من أن المنصوبات لا تمثل طرفاً مهماً في الجملة، وهو الأمر الذي يعده منافياً للحقيقة في معظم أنواع المنصوبات.

وغني عن الذكر أن نقول أن دلالة التخصيص لها فروع كثيرة تفسر نصب كثير من المنصوبات المشهورة، ومثال ذلك أن المفعول به منصوب لأنه يخصص عموم علاقة الإسناد بدلالة التعديّة، والحال منصوبة مثلاً، لأنها تخصص عموم الإسناد بدلالة الملابس وهكذا¹. إن قراءة فاحصة لديوان "البرزخ والسكين" ل: عبد الله حمادي تبلغنا إلى تلمس الخصائص الدلالية للنصب في المواضع الأكثر تناوباً الآتية: الحال والاسم المنادى، والمفعول به.

- **الحال:** نصب الحال دلالياً يدخل في إطار قرينة النصب الاسمي الكبرى، وهي تخصيص عموم علاقة الإسناد، لأن الحالية فرع عن هذه القرينة، كما أنها ترتبط كثيراً بالفعل، وذلك لأنه هو عامل هذه الوظيفة في الغالب، ولأنها من ناحية أخرى تخصصه بوصفه طرفاً في الإسناد، ويأتي محل النصب على هذا الأساس بعد تمام المسند والمسند إليه أو بعدهما والمفعول به أي بعد العمدة والفضلة.

- **الاسم المنادى:** اعتبر النحاة النداء ركناً من أركان الكلام، بل عدّه سيبيويه (ت180هـ) أول الكلام قبل الاستفهام والخبر، حيث يرى "أول الكلام أبداً النداء إلا أن تدعه استغناء بإقبال المخاطب عليك، فهو أول كلام لك به تعطف الكلم عليك، فلما كثرو كان الأول في كل موضع حذفوا منه تخفيفاً لأنهم مما يغيرون الأكثر في كلامهم حتى جعلوه بمنزلة الأصوات وما أشبه الأصوات من غير الأسماء المتمكنة"². ويشغل الاسم المنادى حيز المفعول به المنصوب من حيث المحل، وإضافة إلى قسمة النداء: المفرد والمضاف، ذكر سيبيويه نوعاً ثالثاً سماه الممطول.

وقد اختلفوا في تفسير نصب محل الاسم المنادى، واعتبار موضعه من المفعولية، ولاحظوا أن كثرة النداء في الكلام هي التي تفسر اختزاله في منبه ومنبه إليه سواء أكان اسماً علماً أم إضافياً أم نكرة مقصودة طويلة كماً كالذي ذكره في الاسم الممطول، فالمنادى ورد في أسلوب إنشائي يصوت به المتكلم، وقد خزل فعله ليحافظ على طبيعة الكلام الإنشائية لا

¹ حامد عبد السلام السيد، الشكل والدلالة (دراسة نحوية للفظ والمعنى)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2002، ص81.

² سيبيويه، الكتاب، ج2، ص208.

الخبرية، وهكذا أضمّر الفعل والفاعل إضمارًا وجوبًا لتحقيق المعنى الإنشائي المتصل بالنداء الذي يستحيل تمثيله بفعل عوضًا عن أداة النداء، وقد صور تصورًا طريفًا يدل على وجه هام من وجوه الشكلنة والتجريد¹.

هناك سبب لفظي ذكر في تفسير النصب وقيل إن له تأثيرًا ملحوظًا عليه، وهذا السبب هو "الطول أو التركيب"، فأما الطول فقد أشار إليه سيبويه (ت180هـ) نقلًا عن الخليل وبه فسر نصب المنادى، وينبني على رأيه أنه «حينما يطول المنادى بالإضافة أو الوصف أو بأية طريقة أخرى، فإنه ينصب أن يبني على الفتح، ومثال ذلك: يا عبد الله، يا رجلا صالحا ويا زيد بن عمرو، أما حينما يقصر المنادى بأن يكون مفردًا أو نكرة مقصودة فإنه يبني على الضم»².

3.2.2. دلالة الجر:

الجر هو حظ الاسم عند النحاة، وقد عرفوه على أساسه بالنظر إلى غيره من أقسام الكلام، فالجر سمة اسمية لا فعلية ولا حرفية، وقد فرقوا بين الاسم والفعل انطلاقًا من وجوده في الاسم وحده وعدمه من الفعل، فالجر عند سيبويه (ت180هـ) "للاسم لا يجاوزه والرفع والنصب يَنْتَقِلَانِ إلى الفعل". ويقول في المناظرة بين الاسم والفعل: "إن الجزم في الأفعال نظير الجر في الأسماء، والأسماء ليس لها في الجزم نصيب كما ليس للفعل في الجر نصيب"³. ساد في التراث النحوي افتراض يتمثل في القول باحتمال الضمير في الحروف دلاليًا، فالمتفق عليه انعدام الضمير فيها، وإنما يضمّر في الأفعال والأسماء الجارية مجراها لقوة دلالتها على الفاعلين⁴، إلا أن تحليل معاني الحروف في العلاقات التريكية جعل النحاة يؤولون الدلالة على أساس احتمال الحدث والفعلية والفاعلية، فحرف الجر (من) دال على معنى ابتداء

¹ ينظر: المنصف عاشور، ظاهرة الاسم في التفكير النحوي (بحث في مقولة الاسم بين التمام والنقصان)، سلسلة اللسانيات، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، ط2، 2004، ص393.

² سيبويه، الكتاب، ج2، ص182، 183.

³ المرجع نفسه، ج1، ص17، 19.

⁴ ينظر: أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب (ت567هـ)، المرتجل في شرح الجمل، تح: علي حيدر، دمشق، دط، 1972، ص182.

الشيء، و(في) لها معنى استقر أو مستقر حسب اختلافهم فيها، وقد ذهب سيبويه إلى اعتبارها جملة فعل وفاعل مقدر في استقر، و(إن) تدل علىؤكد وأخواتها كلها في المعنى فعل وفاعل وسميت هذه النواسخ بالحروف المشبهة بالأفعال، و(إلا) تدل على أستثني، و(يا) على أنادي، و(الواو) على الجمع والعطف، فكأن هذه الحروف تختصر الفعل والفاعل معا.

وقد أكد النحاة دور الحروف في الاختصار والاختزال النحوي، واعتبروها الأصل في إفادة المعاني، رغم أنها أدنى الوحدات النحوية لكنها كما نلاحظ تتضمن النواة الإسنادية، فابن يعيش (ت643هـ) يقول مثلا: "إن حروف المعاني جمع جيء به نيابة عن الجمل ومفيدة معناها من الاختصار والإيجاز"، ويضيف متحدثا عن حروف الجر: "وحروف الجر جاءت نائبة عن الأفعال التي هي بمعناها"، وليس في الكلام حرف جر إلا وهو متعلق بفعل أو ما هو بمعنى الفعل في "اللفظ والتقدير"¹.

فهذه الكلم التي لا معنى لها إلا في غيرها تعليلية محضة وتختزل الجمل والأفعال، فهي ليست باسم ولا فعل لا تسند ولا يسند إليها، فما أقوى نحوها ودلالاتها، وهي حروف وأصغر ما يوجد في النظام اللغوي وأكبر الوحدات معنى ونيابة عن أكبر الوحدات النحوية، وهي الجملة ونيابة عن أقوى أصناف العوامل أي الفعل، هي من أشد العلامات نقصانا وأشدّها احتياجا إلى الغير وأقواها دلالة واختزالا.

3.2. الدلالة النحوية للعلامة الإعرابية في الأفعال:

تتعلق دلالة العلامات الإعرابية في الأفعال بالفعل المضارع فقط دون الماضي والأمر لأنهما مبنيات، ومن ثم لا يكون للحديث عن دلالة الإعراب فيهما مجال، رغم أن هناك رأيا آخر في هذه المسألة للدكتور مهدي المخزومي الذي يرى أن الفعل المضارع مبني مخالفا البصريين والكوفيين²، فاختلاف حركات أواخر الفعل المضارع -عنده- للدلالة على الزمن فقط

¹ ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ج7، ص07-09.

² ينظر: أبو البركات بن الأنباري (ت577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تح: جوده مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2002، ص434، 435.

لا لأنه معرب¹. وهذا رأي شاذ لا يؤخذ به، فالجمهور لا يتفق معه في حصر دلالاته في الزمن فقط، ومن ثم فلا يمكن اعتباره مبنياً.

يحدد البصريون ثلاثة أسباب لتأكيد أن الإعراب دخل الفعل المضارع لضرب من الاستحسان ومضارعة الاسم²، ويقصرون دلالة العلامة الإعرابية على الأسماء، وقالوا إن «إعراب الفعل محمول على الاسم، وهو رأي يلغي دعواهم في الإعراب كونه مميز للمعاني وفارقاً بينها، ويرى بعض الدارسين أنه كان "يجب عليهم أن ينظروا في المعاني التي تفيدها إعراب الفعل، ويجعلوا إعراب الفعل قسماً مستقلاً بنفسه لكنهم صعب عليهم أن تكون للعلامات الإعرابية دلالات أخرى غير الفاعلية والمفعولية والإضافة، فهان عليهم إفراغها من معانيها، وأن يجعلوا إعراب الفعل غير أصيل وغير حقيقي»³، وهذا واضح من كلام الرضي (ت646هـ) المشهور الذي يقول فيه "إن الأسماء معانيها طارئة لازمة وهي متعددة، لذا تحتاج إلى العلامات المختلفة لتميزها، أما الفعل فليس له إلا معنى واحد طارئ هو كونه عمدة، لذا فهو ليس في حاجة إلى علامة، ومن ثم أصبح الإعراب في الأسماء مختلفاً عن الإعراب في الفعل"⁴.

أما فيما يتعلق برأي الكوفيين في دلالة العلامة الإعرابية في المضارع، فهم يرون أن الإعراب أصيل فيه، وأنه دخل للدلالة على المعاني الوظيفية التي تعتوره كما دخل الأسماء لهذه الغاية، "لأن اللبس الذي أوجب الإعراب في الأسماء موجود في الأفعال في بعض المواضع"⁵، وحثهم في ذلك أنه إذا كان الفعل عموماً يقوم بوظيفة المسند، فإن هذا ليس معناه

¹ المخزومي مهدي، في النحو العربي (نقد وتوجيه)، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص134.

² ينظر: أبو البركات بن الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، ص434. وينظر أيضاً: ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ج7، ص11.

³ عبد اللطيف محمد حماسة، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص237.

⁴ ينظر: أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر (ابن الحاجب)، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ج1، تح: يحي بشير نصري، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ط1، 1993، ص54.

⁵ جلال الدين السيوطي، همع الهوامع في شرح الجوامع، ج1، تح: عبد العال سالم مكرم، عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دط، 1992، ص44.

كله لأنه معناه في التركيب والجملة فقط، لكن الفعل له قبل ذلك معنى أساس مجرد في نفسه هو دلالاته على الزمن والحدث، يقول ابن عصفور (ت669هـ): "وكذلك الفعل يدل على حدث وعلى زمان، ويكون موجبا ومنفيا ومستقهما عنه إلى غير ذلك من المعاني التي تعثور الأفعال"¹.

إن كثيراً من الدارسين المعاصرين مثل الدكتور محمد كامل حسين والدكتور السيد حامد هلال وهنري فليش... يرون أن إعراب الفعل المضارع يتجه غالباً نحو تخصيص دلالاتي (الحدث والزمن)، وأنه يتغير من أجل تحديد الحلالات المعينة التي تكتنفها، أي أن الفعل المضارع ينبغي أن ينظر إليه على أنه إلى جانب قيامه بوظيفة المسند وهذا هو معناه الوظيفي في الجملة- يدل على معان أخرى تتعلق بدلالته الأساسيتين: الحدث والزمن، وبذا يكون تغير العلامة الإعرابية فيه دالاً على هذه المعاني، هذا بالإضافة إلى أننا ينبغي أن نتنبه إلى أن هذا الإعراب يتأثر بالأدوات كثيراً وخاصة في حالتي النصب والجزم².

ومن هذه المعاني المرتبطة بكل حالة من حالات إعراب الفعل المضارع ما يلي:

- أن رفع الفعل المضارع يختص بحالة "الإخبارية"، ويقصد بها أن الفعل يعطي خبراً مستقلاً غير معلق بشيء، وأن جملته تقدم مضمونها بطريقة غير مشروطة.
- أن نصب المضارع يختص بحالة "الإنشائية"، ويقصد بها أن الفعل في حالة النصب يكون معلقاً دائماً، ومعنى ذلك أنه يكون في طريقة إلى أن يكون إثباتاً أو نفياً، أي أنه لم يشرع فيه بعد، وهناك استثناءات غير ضارة لهذه القاعدة، وبناء عليه يرتبط نصب الفعل المضارع بما يرد قبله من أفعال تدل على الإرادة والنية، نحو: أرجو أن تساعدني.
- أما بالنسبة للفعل المضارع المجزوم فلم يربط بدلالة واضحة، وإنما اكتفى بالإبقاء على مصطلح "الجزم" فيه مع تسميته بـ"غير التام المجزوم".

¹ أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي (ابن عصفور الاشيلي)، شرح جمل الزجاجي، ج1، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ص21.

² ينظر: حامد عبد السلام السيد، الشكل والدلالة (دراسة نحوية للفظ والمعنى)، ص98.

1.3.2. دلالة الرفع:

لرفع المضارع في معظم حالاته دلالة عامة ترتبط به، سواء أكان مستقلا أم مسبوqa بأداة معينة كالفاء والواو وحتى، ومع مثل هذه الأدوات خاصة يكون للرفع وظيفة على قدر كبير من الأهمية، لأن النصب يقع معها أيضا، ومن ثم يكون كل من الرفع والنصب في الفعل المضارع بعد هذه الأدوات مشيرا إلى دلالة معينة ومحكما بها في الوقت نفسه.

فأما الدلالة الخاصة بالرفع هنا فنرى أنها دلالة حدوث الفعل وتقريره، بمعنى أن الفعل المضارع يدل على أن حدوث الفعل أمر حاصل فعلا ومقرر، وغالبا ما يساعد على إدراك هذا التقرير وتأكيده اقترانه بالقطع والاستئناف وزمن الحال¹.

إن توظيف الأفعال المضارة في ديوان "البرزخ والسكين" ل: عبد الله حاميد بارز بشكل لافت من حيث الكم الهائل للأفعال المضارة المستخدمة وما ترتبط به من حقول دلالية، كما أن توظيفها في تراكيب الديوان بأسلوب مميز سهل من إيصال الدلالات وتقريب المسافة بين الشاعر والقارئ، ومن بين الأفعال المضارة التي استخدمها الشاعر: (تختال، أختار، تستشف، يمج، يصد، تعشق، يحز، تفجر، تهب، ترد، تنهض، تغازل، تركب، تقيم، نحمد، أغمد، تضمر، تأسر، تقيم، تناشد، يلف، أشد، يذرع، تموج، يشع، يمسك، يصبغ، يهب، يحرك، تلعق، أعلم، يلجم، يقرع، تسبق، يستل، يحيئ، توزع، يهدب، ينتهب، يراود، يبقى، أبقى، يخشى، تأتي، تعدو، يزدهي، يرتدي، يسعى، أرى، يخبو، ترى، تتقي، يجزي، يتماهى، يتساوى، يتجلى، يوارى، يتدلى، سوف أبقى، سوف أغمد).

شكل الحضور القوي للأفعال المضارة في تراكيب الديوان في مواضع كثيرة مركز الثقل ونقطة الارتكاز لتشكيل الدلالة المقصودة في كثير من الأحيان يقول مثلا:²

يَشَعُّ وَيَخْبُو بَرِيْقُ التَّمْنِي وَيُمْسِكُ صَوْتِي بَصِيصُ التَّأْنِي

¹ ينظر: حامد عبد السلام السيد، الشكل والدلالة (دراسة نحوية للفظ والمعنى)، ص100-103. وينظر أيضا: عبد الله بن يوسف (ابن هشام الأنصاري)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج2، ص481، 482.

² ينظر: حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص83.

فقد استهل شطربي البيت بفعل مضارع وعطف على الأول منهما بفعل مضارع آخر للدلالة على حيرته واضطراب أمره المستمرين دون وجود بواذر أو علامات تشير إلى نهاية لهما.

كما أن بعض المقطوعات الشعرية افتتحت تقريبا جميع تراكيبها بأفعال مضارعة تدل في مجملها على رغبة الشاعر الشديدة الانتقال إلى حال أفضل تكون معها كثير من مظاهر حياته الحالية قد تغيرت إلى الأفضل، من ذلك ما جاء في أحد مقاطع قصيدة "يا امرأة من ورق التوت"، حيث بدأ التراكيب الشعرية فيها بالأفعال المضارعة الآتية¹: (أتأهب، أهش، أعيد، أرد، يعيد، أمد، أمني، أبذر، يعود، أنشر، أكتب، يعرش، أحرق، يقاوم، تأسرني)، وفي المقطع الثاني² من قصيدة "لا، يا سيدة الإفك" أيضا استهل جميع التراكيب الشعرية تقريبا بالأفعال المضارعة الآتية: (تنهال، تعبر، تقيم، ترفع، تبيح، تعتصر، تسكر، تتوسد، يکنف، ينتحر)، كما تكرر ذلك في المقطع الخامس من نفس القصيدة³.

برع الشاعر عبد الله حمادي في توظيف الأفعال المضارعة المحققة لدلالات بعينها بطرق تركيبية تجاوزت الحالات التي حددها النحاة لرفع المضارع، ويكون للدلالة فيها أثر واضح، ومما رصدناه في ديوانه "البرزخ والسكين" ما يلي:

- إسناد مجموعة كبيرة من الأفعال المضارعة إلى مسند إليه واحد في عملية تكرارية لتحقيق دلالة معينة كما في قصيدة "وطن"⁴، حيث أسندت الأفعال المضارعة الآتية: (يكبر، يعظم، يسكن، يصعد، يخفق، يعشق، يشدو، يعدو، يبهر، يحيا) إلى المبتدأ (وطن) للدلالة على القيمة العالية للوطن ذات صور متعددة التي تزداد بمرور الزمن.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص152.

² المصدر نفسه، ص157.

³ نفسه، ص160.

⁴ نفسه، ص25.

- تراكيب خاصة بشكل الفعل المضارع فيها أساسًا هاما لتقرير الدلالة المقصودة كما في قصيدة "مدينتي"¹، حيث يقول: (مدينتي مورطة، في حرب "لا يجوز")، فدلالة هذا التركيب متوقف أساسا على فهم الدلالة المقصودة من الفعل المضارع "يجوز".
- اتصال ذات الشاعر تركيبيا في أكثر من موضع بالفعل المضارع مباشرة، كما في قوله: (يرزقني، تتجاذبني، تسألني، ترهقني، تغمرني، تتسلقني، تسكنني، يعذبني، يسرقني، يعاودني، ينشرني، يغمرنني، ينهيني، يهزمني، يركبني، تتوعدي، يأسرني، يسلبني، يعبرني، يؤيني، يمنحني، يعمرني، يهجرنني، يطرحني...).
- تعدد تراكيب المسند إليه مع فعل مضارع مكرر²، فقد تكرر مثلا الفعل المضارع (أسأل) خمس مرات مع تراكيب متنوعة في كل مرة، تعكس دلالة الاحتياج المتعدد الجوانب الذي يعاني منه الشاعر ويطلب تحقيقه. وقد تكرر في ذلك في مواضع مختلفة من الديوان منها ما ورد في قصيدة "حلم أزلية"، حيث استعمل الشاعر الفعل المضارع مع حرف الاستفهام (الهمزة) أربع مرات مع تراكيب مختلفة تدل على حسرته المتكررة والمتلاحقة جراء فقد حبيبه.

2.3.2. دلالة النصب:

للمعنى أثر واضح في بيان مواضع نصب الفعل المضارع يضاف إلى أثر الأداة التي تعد قرينة كبيرة في هذا الشأن مميزة للنصب عن الرفع، وذلك لأن المضارع لا ينصب إلا بأداة، ويتضح أكثر المعنى أكثر خاصة مع الأدوات التي يجوز أن يرفع المضارع بعدها وأن ينصب. وإذا كان الدلالة العامة التي تستدعي رفع المضارع هي كون حدوثه أمراً حاصلًا فعلاً ومقرراً، ويساعد في الدلالة على هذا الاقتران بمعنى الاستئناف وزمن الحال فإن هذا الفعل ينصب إذا كان نتيجة أو غرضاً أو غاية لما سبقه أو كان دالاً على المعية والاستثناء، وآدائه لهذه المعاني يجعله مقترناً كثيراً بالزمن المستقبل -أو على الأقل- معلقاً.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص102.

² المصدر نفسه، ص164.

إن قراءة متفحصة في ديوان "البرزخ والسكين" ل: عبد الله حمادي تقود إلى قلة ورود الأفعال المضارعة المنصوبة، وعدم تركيز الشاعر كثيرًا على التراكيب المتعلقة بها، إلا ما شكل من استمرارية لتشكيل الدلالة فيما وظفه من أفعال مضارعة مرفوعة كما بيناه في المبحث السابق، وما اتفق مع ذلك من أداة النصب (أن) المصدرية التي تخلص الفعل المضارع إلى الاستقبال الذي ينشده الشاعر في جوانب شعره.

وقد ارتبطت أغلب الأفعال المضارعة المنصوبة في ديوان "البرزخ والسكين" بالأداة (أن) مع حضور ضعيف للغاية لبقية الأدوات الأخرى مثل: كي، لام التعليل، وحتى وأو. ومن تلك المواضع قوله في مكانة الجزائر حاضرًا ومستقبلًا:¹

قَدَّرَ الْجَزَائِرِ أَنْ تَكُونَ الْأَكْبَرَا وَتَكُونَ سِفْرًا لِلشَّهَادَةِ أَحْضَرَا

وفي شوقه الممتد لمحبوبه دون توقف يقول:²

سُنَّةُ الْكَوْنِ أَنْ يَظَلَّ سَجُودِي مُفْذَعَ الشَّوْقِ فِي هَوَى الْمَفْقُودِ

رغم أن النحاة يتفقون على نصب الفعل المضارع عندما يسبق بـ(أن) المصدرية و(لن)، ويخلص مع هاتين الأداتين للاستقبال، ويسبق مع (أن) خاصة بما يفيد الشك وغير الثبوت كالطمع والرجاء والظن، إلا أن الشاعر في البيت السابق إلتمز بالأصل الأول من القاعدة النحوية السابقة وتمرد على الشق الثاني منها الناتج عن استقراء النحاة للتراكيب اللغوية العربية، فقد غير هذه الوضعية من إفادة الشك وغير الثبوت إلى إفادة الثبات والتأكد، فهو مقتنع تمام الاقتناع ومؤمن أشد الإيمان بأن نوازع الشوق في هوى محبوبه لا يزيداها مرور الأيام إلا ثباتا وتأصيلا في أعماقه، حتى أنه عدّها من السنن الكونية.

¹ ينظر: حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 26.

² المصدر نفسه، ص 79.

3.3.2. دلالة الجزم:

- من المعلوم أن الجزم حالة إعرابية خاصة بالفعل المضارع دون غيره والمعنى المؤدى لهذه الحالة هو دلالة الفعل على حدث ناقص، وذلك في ثلاثة مواضع:
- الأول: إذا كان فعلا منفيا أو منهيًا عنه نحو: لم يحضر، لا تكذب.
 - الثاني: إذا كان دالا على أمر لا يقع إلا إذا أطيع، ويتمثل هذا في المضارع المسبوق بلام الأمر نحو: لتقل خيرًا أو لتصمت، والمضارع في هذا يشبه الأمر شكلا ومعنى.
 - الثالث: إذا كان فعلا معلقا وقوعه على فعل آخر، وهذا يشمل المضارع المجزوم في جواب الطلب نحو: لا تعصي الله تتل رضاه، فنيل الرضا أمر معلق على عدم العصيان، كما يشمل هذا أيضا الفعل المضارع الواقع جوابا لشرط جازم نحو: إن تقم أقم، فالفعل الثاني (أقم) مجزوم لأن وقوعه معلق على حدوث الفعل الأول، بالإضافة إلى وجود الأداة التي تسمح بذلك، وأما الفعل الأول فهو مجزوم لأنه ناقص الدلالة أيضا، حيث إنه شرط ولم يقع، وينبغي أن يضاف هذا الفعل إلى فعل الموضع الأول.
- إن نظرة متفحصة في ديوان "البرزخ والسكين" ل: عبد الله حمادي تكشف ندرة توظيف الأفعال المضارعة المجزومة، وقلة صورها إلا ما تعلق في مواضع قليلة جدًا بالنهي، كما في قوله: "لَا تَنْتَهِكْ بِالْإِسَاءَةِ ظَنِّي"¹، و"لَا تَلْمَنِي فِي حَبِّهَا وَهَوَاهَا"²، و"لَا تُعِيدِي عَلَيَّ الظُّلَامِ ظَلَامِي"³، و"لَا تَنْقِي بِنُورِ الضَّلَالَةِ"⁴.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 81.

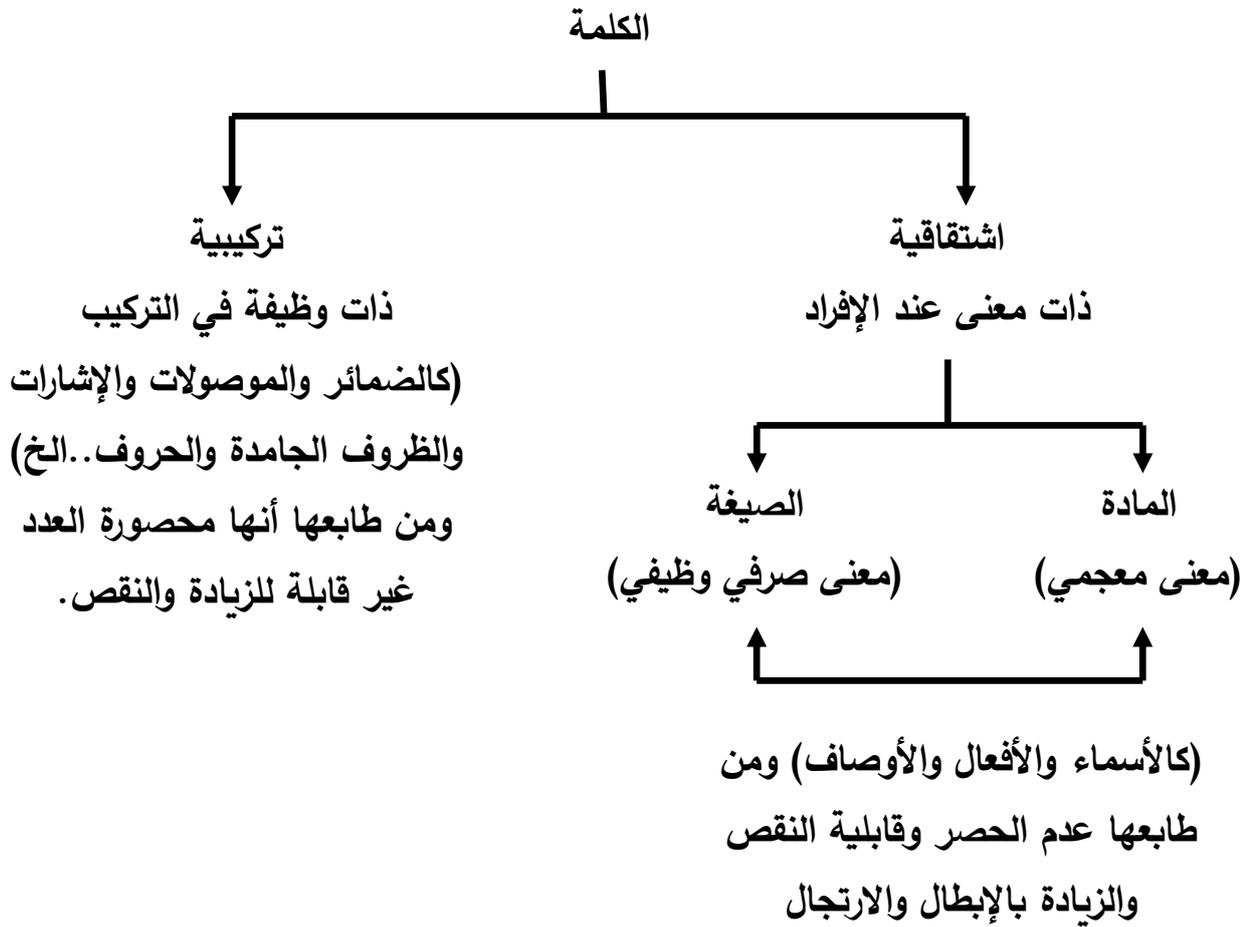
² المصدر نفسه، ص 23.

³ نفسه، ص 93.

⁴ نفسه، ص 97.

3. الدلالة النحوية في المستوى الصرفي:

صنف النحاة الكلم إلى: اسم وفعل وحرف، ويرى البعض فهم (تمام حسان مثلاً) أن أعم تصنيف للكلمات في اللغة العربية هو تقسيم الكلمات بحسب الاشتقاق والجمود، وهو أعم من التصنيف الأول، لأن قسمين من أقسام الكلام ربما وقعا (بصفة عامة) تحت قسم الكلمات المشتقة وهما: الاسم والفعل، ويبقى الحرف خالصاً للجمود، ويرى تمام حسان أن التعبير الأدق عن هذه المسألة يبدو من الجدول الآتي¹:



الشكل رقم (13): تصنيف الكلم عند تمام حسان.

¹ ينظر: تمام حسان، الأصول دراسة إبستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (النحو، فقه اللغة، البلاغة)، عالم الكتب، القاهرة، دط، 2000، ص 115.

1.3. دلالة أقسام الكلم:

1.1.3 دلالة الأسماء:

إن هيئة الكلمة المؤلفة تؤثر في دلالة الكلام وتوجهه إلى معنى دون غيره ولاسيما المشترك في الصيغ بين الصفات والمصادر أو بين المصادر والجموع، وكذلك العاملة منها وغير العاملة، ولهذا قال ابن جني (ت392هـ): "فالتصريف إنما هو لمعرفة أنفس الكلمفات الثابتة، والنحو إنما هو لمعرفة أحواله المتنقلة، ألا ترى أنك إذا قلت: قام بكرٌ، ورأيت بكرًا، ومررت ببكرٍ، فإن إنما خالفت بين حركات حروف الإعراب لاختلاف العامل، ولم تعرض لباقي الكلمة وإذا كان كذلك فقد كان من الواجب على من أراد معرفة النحو أن يبدأ بمعرفة التصريف لأن معرفة ذات الشيء الثابت ينبغي أن يكون أصلها لمعرفة حاله المتنقلة"¹.

الاسم بحسب الوضع الأولي يقام لأقسام الكلم الثلاثة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة، 31]، لأن اللغة فيها أسماء وأفعال وحروف ولا يصح أن يعلم الأسماء دون غيرها، ولكن لما كانت الأسماء هي الأقوى لاستحالة الاستغناء عنها في الكلام المفيد، خصت بالذكر لأنه قد يستغني عن الفعل والحرف، أما الاسم فلا بد من جعله أحد ركني الجملة المفيدة، لأن الفعل مع الفعل لا يكون كلاما وكذلك الحرف مع الحرف والاسم مع الاسم يكون كلاما مفيدًا، لأن الاسم ما يعرف به ذات الشيء، وقد قويت الأسماء بدلالاتها التامة على مدلولاتها لأن الاسم ما دل على المسمى دلالة بيان الاستقلال بالمفهومية²، وقيل في حده "هو كلمة دلت على معنى كائن في نفسها، أي في نفس الكلمة، والمراد بكون المعنى في نفسها أن تدل عليها بنفسها من غير حاجة إلى انضمام كلمة أخرى لاستقلالها بالمفهومية"³.

¹ ابن جني، المنصف في شرح كتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني، ج1، تح: إبراهيم مصطفى عبد الله أمين، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط1، 1954، ص04.

² ينظر: أبو عمرو عثمان بن الحاجب (ت646هـ)، كتاب أمالي ابن الحاجب، ج3، ص106.

³ عبد الله بن أحمد الفاكهي (ت972هـ)، شرح كتاب الحدود في النحو، تح: المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1993، ص46.

يؤكد ذلك ابن جني (ت392هـ) قائلاً: "لابد لكل كلام مفيد من الاسم، وقد تستغني الجملة المستقلة على كل واحد من الحرف والفعل، فكلما كانت الأسماء من القوة والأولية في النفس والرتبة على ما لا خفاء به جاز أن يكتفي بها مما هو تال لها ومحمول في الحاجة إليها عليها"¹. لأن المعنى الوظيفي لا يكون إلا بين طرفين أحدهما ينبغي أن يكون اسماً.

والمواضيع التي تعكس ذلك كثيرة في ديوان "البرزخ والسكين" ل: عبد الله حمادي، ويمكن المثل لذلك بمفردتي "البرزخ" و"السكين" اللتان تمحور حول معنيهما الديوان تقريباً، "فالبرزخ هو"منطقة العبور، الحد الفاصل بين أشياء متناقضة، أو بين شيئين متناقضين، البرزخ في القصيدة هو الفصل بين الأمل واليأس، بين النبل والتفاهة، وبين الطهر والعفونة، طهر الحياة الأولى، طهر الخلق والخلقية، وعفونة الإنسان بما آل إليه من شراسة وتوحش ودناءة²، أما "السكين" هذه الكلمة الثانية أصلها اللغوي من السكون ضد الحركة، سكن يسكن سكونا إذا ذهب حركته³. "فالسكين، إذن، من خلال نقله لكائن من الحركة إلى السكون هو برزخ لأنه يفصل بين الحياة والموت، كما يفصل بين أي شيئين متصلين أو يقسم الواحد إلى نصفين أو شيئين كفصله للرقاب عن الأجساد أو الأرواح عن الأبدان"⁴.

لقد تفرد الاسم بدلالته على المسمى ذاتاً كان أم معنى غير مشخص، والذات المشخصة عاقلة أم غير عاقلة كالإنسان والحيوان والجماد والمعاني أسماء الأحداث الصادرة عن الذات كالعلم والكلام والكتابة والقراءة أو التي تقبلها الذوات كالهلاك والمرض والموت والنمو والفناء، وهي التي يخبر عنها، وذلك بالإسناد إلى مدلولها إسناداً تاماً دالاً على الثبوت والدوام كالجملة الاسمية أو دالاً على الموصوف كالجملة الوصفية أو دالاً على الحدوث والتجدد كالجملة الفعلية.

¹ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج1، ص42، 44.

² صحراوي عبد السلام، قراءة في قصيدة (البرزخ والسكين)، سلطة النص في ديوان البرزخ والسكين للدكتور عبد الله حمادي (دراسة نقدية)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002، ص59.

³ أبو الفضل جمال الدين بن محمد المكرم (ابن منظور ت711هـ)، لسان العرب، ج13، ص211.

⁴ خميسي سعد، تجلية فلسفية صوفي في قصيدة (البرزخ والسكين)، سلطة النص في ديوان البرزخ والسكين للدكتور عبد الله حمادي (دراسة نقدية)، ص139.

إن الأصل في الاسم الدلالة على الثبوت لاقتصاره على مدلوله، مشخصاً كان أم غير مشخص كأسماء الأحداث، وعلامة ذلك الضمة وما ينوب عنها، إن خرج عن الأفراد إلى التثنية والجمع، فإذا عدل إلى الفتحة تحول الاسم المسند إليه إلى معمول للفعل وتتغير دلالاته من الثبوت إلى الحدوث وتنتقل وظيفته من الإسناد إلى التخصيص، وذلك في المفعولية، واسم الحدث يتحول من الاسمية إلى الفعلية، نحو: سلام عليكم، وسلاماً عليكم، وويل له، وويلاً له، كما جاء التفريق بين الثبوت والحدوث في قوله تعالى: {قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ} [هود، 69].

واختص الاسم بالإسناد إليه لدلالاته على الذات أو اسم المعنى المتحدث عنه، ولا يقوم بهذه الوظيفة سواه، وهو أهم ما يتسم به الاسم، وهو الذي يفصله عن غيره مما عد منه، فالضمير يدل على الحضور أو الخطاب أو الغيبة، ولا يدخل على مسمى، لذلك يتطفل عليه الحرف، فيجري مجراه في البناء وعدم الإضافة والافتقار وحرمانه المحل الإعرابي في الفصل والتوكيد فيؤدي معنى الاختصاص والقصر، وكذلك اسم الإشارة والموصول والشرط والاستفهام بدليل ملازمتها البناء بسبب التضمن والافتقار والدلالة على العموم، ومنها الأعداد والمكاييل والظروف بدليل حاجتها إلى التمييز وتقلبها في المعاني بحسب ما تضاف إليه والوصف يدل على موصوف، وهو في حقيقته فعل مبالغ فيه¹.

والإعراب من دلائل الاسم لأنه هو المعرب دون غيره بدليل أن الأصل فيه الإعراب وما بني منه فرع عليه، لأن الإعراب هو "الإبانة عن المعاني بالألفاظ"²، وهي معاني الفاعلية والمفعولية والإضافة وغير ذلك لأن حركات الإعراب تنبئ عما يعثور الأسماء منها لجمودها وملازمتها لصورها وأبنيتها، ولم تكن فيها أدلة على المعاني بل كانت مشتركة، فجعلت حركات الإعراب فيها منبئة عنها ودلائل على الاسمية، و"الإعراب في أصله للفرق بين اسمين في كلام واحد أو لفظين مجتمعين في قصة لكل واحد منهما غير معنى صاحبه، ففرق بين إعرابها للدلالة على اختلاف معناها"³.

¹ ينظر: حمد عبد الوهاب حسن، النظام النحوي في القرآن الكريم (دلائل الكلم)، ص 39.

² ينظر: ابن جني، الخصائص، ج 1، ص 35.

³ المرجع نفسه، ج 14، ص 94.

فالمعرب ما كانت الاسمية فيه غالبية لظهور دلالاته على مسماه وكما له بالإعراب، لأن "الإعراب من كمال الاسم"¹، وذلك داخل التركيب لأنها خارجها لا يوصف بإعراب أو بناء... لذلك كان الأصل في الأسماء الإعراب، وهي محل علامات الإعراب وموطن المعاني المتعاقبة، والمعرب هم الاسم الدال على مسماه والمحمل بالمعاني الزائدة على مدلوله بسبب التركيب، فالاسم دال على مدلول معين وإعرابه دال على وظيفته في التركيب.

2.1.3. دلالة الأفعال:

نال الفعل حظاً من الاهتمام مثله مثل الاسم، فخص بتعريفات كثيرة مختلفة وليس من السهل الوقوف على تعريف واحد منها جامع مانع يخلو من الماطعن والانتقادات، إلا أن ذلك الاختلاف الحاصل لم يمنع النحاة من وضع علامات شكلية تميزه عن قسمة الكلمة الآخرين، بلغت بضع عشرة علامة²، ذكر منها ابن مالك (ت672هـ) بعضها في ألفيته المشهورة بقوله:³

بِتَا فَعَلَّتْ وَأَتَتْ وَيَا إِفْعَلِي وَتُونِ إِقْبَلْنَ فِعْلٌ يَنْجَلِي

والمقصود بها تاء الفاعل وتاء التأنيث الساكنة وياء الفاعل ونون الوكيد الخفيفة أو الثقيلة، وقد أضيف لها بعض العلامات الأخرى مثل: قد والسين وسوف، ولم، وأن الخفيفة المصدرية، وأن الخفيفة الشرطية والتصرف⁴.

كل هذه التعريفات والحدود للفعل كانت محاولة للنحاة لتمييز الفعل عن غيره من أقسام الكلام وخاصة الاسم، ورغم ذلك بقي الاختلاف وارداً في انتماء كثير من الكلمات لأحد القسمين السابقين مثل: حبذا، عسى... كما أننا يمكن أن نجمل كل تلك التعريفات والحدود في منحيين اثنين: أولهما يشير إلى قضية المعنى أو الحدث والزمان، وثانيهما يستند إلى الوظيفة

¹ ابن الحاجب، كتاب أمالي ابن الحاجب، ج3، ص113.

² جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990، ص09.

³ عبد الحميد محمد محي الدين، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مكتبة دار التراث، القاهرة، دط، 1999، ص22.

⁴ ينظر: سخيني هشام محمد علي، نظام الفعل في اللغة العربية، أطروحة ماجستير في الآداب، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1994، ص09.

النحوية، وسيناقض البحث أهم جوانب التعريفات المتعلقة بالمنحى الأول لاتصالها القريب بمبحثنا من ذلك:

- اقتصار بعض التعريفات على جانب الزمن وحده من نحو ما نجده عند الكسائي والفراء، ربما تجدر ملاحظته أن هذا التعريف ليس بحاجة إلى نظر وتأمل لأنه مرفوض لطابعه الفضفاض ولعدم دقته لأنه قد يشمل ظروف الزمان المختلفة وكل الأسماء الدالة على الزمان في ذاته ك"الصباح" و"الغبوق" و"الليلة" وغيرها.

- النوع الثاني ما يجعل الفعل ينحصر في المعنى مع الاقتران بالزمن، يقول الزمخشري في ذلك: "الفعل ما دل على اقتران حدث بزمان"¹، ويعدل ابن يعيش (ت643هـ) هذا الحد قائلاً: "الفعل كل كلمة تدل على معنى في نفسها مقترنة بزمان"².

من هذا التعريف الأخير نتبين أن الفكل كلمة، والكلمة كما ذكرنا منها ما يدل على معنى في ذاته، وهي الأسماء والأفعال، ومنها ما يدل على معنى في غيره وهي الحروف، وما دل على معنى في ذاته إما أن يجيء مقترنا بزمان وهو الفعل ألا وهو الاسم، وكل فعل استفاد منه الحدث وزمن وقوع هذا الحدث، وبالتالي ليس من الضروري التدقيق في هذا الزمن على رأي ابن يعيش، كأن نضيف الزمن المحصل أو الزمن الماضي أو المستقبل وغيره.

ودلالة الفعل على الحدث والزمان من جهة لفظه هي دلالة مطابقة والزمن في المصدر يختلف عما هو عليه في الفعل لأن الزمن في المصدر هو من خارجه أو بتعبير آخر هو من لوازمه وليس من مقوماته³.

من التعريفات التي يمكن اعتبارها بديلاً للتعريفين السابقين ما يضيف الزمان عبارة "محصل" مثلما نجده عند أبي البركات الأنباري (ت577هـ) في قوله: "الفعل لك لفظة دلت على معنى تحتها مقترنا بزمان محصل"⁴.

¹ ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري، ج4، ص207.

² المرجع نفسه، ج7، ص02.

³ نفسه.

⁴ عبد الرحمن بن محمد كمال الدين الأنباري، أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، مصر، ط1، 1999، ص35.

والغرض من إضافة هذه العبارة هو الفرق بين الزمن الحاصل في الفعل وزمن المصدر، ذلك أن المصدر يدل على زمن وإن كان مطلقاً أو غير مقيد، مثلما تدل أسماء الفاعلين والمفعولين على ذلك في حالات أيضاً، باعتبار أن المصدر يدر على حدث، وكل حدث لا بد أن يكون في زمن، وهذا القيد مثلما رأيناها مع ابن يعيش غير محتاج إليه، لأن الزمن وإن كان مقوماً من مقومات الفعل فهو ليس من مقومات المصدر.

وبالنظر إلى صيغة عدم الوضوح التي تصاحب مصطلح "المحصل" استعاض بعض النحاة عن هذه الكلمة بكلمات أخرى تدل على الزمن من قبيل ما نجده عند الزجاجي (ت337هـ) في قوله: "الفعل ما دل على حدث وزمان ماض أو مستقبل"¹، أو ما نجده عند ابن الحاجب (ت646هـ) في قوله: "الفعل" هو ما دل على معنى في نفسه مقترنا بأحد الأزمنة الثلاثة"²، أو ما نجده قبل هذا وذاك عند سيبويه (ت180هـ) في قوله: "الفعل أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع"³.

يتبين مما سبق ذكره اعتماد أغلب النحاة اعتبار الفعل ما تضمن معنى، وأن هذا المعنى المستفاد هو الحدث، هذا بالإضافة إلى اقتران الحدث بالزمن، غير أن ما يمكن أن نقف عليه فيما يتعلق بهذه الحدود ما يتميز به حد سيبويه من بقية الحدود، إذ يتضمن عبارات جديرة بالوقوف عليها من ذلك أن الفعل "أمثلة" أي صيغ أو أبنية مختلفة، والبنية هي الهيئة التي تكون عليها الكلمة، وهيئة الفعل تختلف بلاشك عن هيئة الاسم، وللفعل كما هو معلوم أبنية مختلفة أو صيغ مختلفة، ولا يخفى من جهة أخرى أن هذه الأمثلة مأخوذة من المصادر، مما يدل على أن المصدر أصل المشتقات مثلما هو شائع عند البصريين، أما الجانب الثالث من جوانب هذا الحد فهو الاقتران بالزمن، والزمن كما توحى به عبارة سيبويه إما ماضي أو حاضر أو مستقبل، وهنا يجب أن نفرق بين وقوع الحدث في زمن ما، وهو ما تدل عليه صيغ وأوزان الأفعال، أي وظيفتها الصرفية المركبة من الحدث والزمن، وبين مكان الحدث أو زمانه أو آتته،

¹ عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، الجمل في النحو، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984، ص01.

² ابن الحاجب، أمالي ابن الحاجب، ص815.

³ سيبويه، الكتاب، ج1، ص12.

وهو ما تدل عليه الوظائف الصرفية لكلمات مثل أسماء المكان أو الزمان أو الآلة، وهي تدرج لذلك تحت مفهوم الاسم. أما المعنى الصرفي للأفعال بشكل عام، فهو الدلالة على الحدث والزمان معاً، ودلالة الفعل على الزمن دلالة ضمنية، ومعنى الزمن أو الحدث هو جزء من دلالة صيغة أو وزن الفعل، وهما وظيفتا الفعل الصرفية¹.

إن الفعل عبارة عن حركة الفاعل أو الحدث وهذه الحركة متأتية من كونه يدل على الحدوث والتجدد، وبناء عليه يتبين السبب في عمل الفعل، لأن الفعل إيجاد الأثر في الشيء والفعل مقيد بزمن، في حين أن الاسم غير مقيد بزمن من الأزمنة فهو أشمل وأعم وأثبت "ولكون الاسم دالاً على الثبوت كان الوصف بالاسم أقوى من الوصف بالفعل"، قال تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ} [الذاريات، 24-25]، فقد جعل السلام الأول بالنصب والثاني بالرفع ففرق بين الاثنين ولم يسو بينهما، وذلك "لأن إبراهيم عليه السلام أراد أن يرد عليهم بالأحسن، فأتى بالجملة الاسمية فإنها أدل على الدوام والاستمرار، لأن الفعل لا بد فيه من الإنشاء عن التجدد والحدوث فلما قالوا: سلاماً قال: سلام عليكم مستمر دائماً"².

وهذا ما يفسر لنا عند قراءة ديوان "البرزخ والسكين" قلة اعتماد الشاعر عبد الله حمادي على الأفعال ضمن التراكيب الشعرية في الديوان، قياساً إلى كثرة اعتماده على الأسماء وتوظيفها حتى أنه في بعض المقاطع الشعرية تكاد تخلو إلا من فعل أو فعلين فقط، كما أشرنا إلى ذلك في موضع سابق، ولا يعني ذلك حكماً عاماً فأحياناً نلاحظ حضوراً قوياً للأفعال في ديوان "البرزخ والسكين" يتناسب اختيارها مع تحقيق الدلالة المرجوة عند الشاعر، كما حثه على الاستمرار في مقاومة المحتل حتى تحقيق النصر، وإصراره على التقرب من معشوقه حتى ينال رضاه في موضع آخر... وهذا ما يؤكد أن الفعل يشكل ركناً أساسياً يقوم عليه بناء الجملة، لا تستغني عنه دائماً، وهو أيضاً أحد الأقسام المهمة التي التي يقوم عليها الكلام، لأنه يدل على

¹ ينظر: حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط2، 1998، ص57.

² محمد الرازي فخر الدين (ت604هـ)، تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج28، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1981، ص212.

معنى، وهو الحدث أو المصدر أو اسم الفاعل والفعل مشتق منه ويتضمن الدلالة على الفاعل وحركته المتمثلة بدلالته على الزمن العام أو المطلق ويتخصص بالزوائد واللواحق والسوابق والتضعيف علاوة على الحركات، فأحرف المضارعة تنقله من التحقيق والوقوع في الماضي إلى المتصور في الحال والاستقبال، وتغيير البنية بالضبط يحوله من المعلوم إلى المجهول، وأحرف الزيادة والتضعيف في الثلاثي المجرد الذي على وزن (فَعَلَ) و(فَعِلَ) و(فَعُلَ) تدل على معاني الدخول في الزمان والمكان، مثل أصبح وأمسى وأصحر، وللدلالة على وجود الشيء على صفة معينة مثل أبخلته أي وجدته بخيلاً، وللدلالة على السلب نحو أحصد الزرع أي استحق الحصاد، وللدلالة على الكثرة نحو أشجر المكان أي كثر شجره، وللدلالة على الصيرورة نحو أورقت الشجرة أي صارت ذات ورق.

3.1.3 دلالة الحروف:

انصب اهتمام الدراسات النحوية المعاصرة على المعاني التركيبية ودلالاتها في دراسة التراكيب اللغوية، لأنها المعول عليها في الفهم والإفهام، والكلمات في السياق تحمل معاني الاسمية أو الفعلية أو الحرفية، ولكل سمات وخصائص يعرف بها، فقد يدخل فيها ما ليس موضوعاً لها أصلاً في حد الاسم أو الفعل أو الحرف اعتماداً على ما تؤديه من معنى داخل التركيب وما تدل عليه، وذلك بالتطفل أو السلب أو التركيب، والحرف أكثر الأقسام تطفلاً لعدم استقلال مدلوله بذاته، لأنه وضع أصلاً لأداء المعاني في غيره أو للتفريق فيما بينها، فكان لمعنى الحرفية دلائل تستحق الوقوف عليها¹.

إن المعاني لا تثبت على حال، وهي تحل في ألفاظ لم توضع لها أصلاً تبعاً لمراد المتكلم وتجويده لها بالتحسين أو بالمبالغة أو بالإيجاز أو الاستعارة، والألفاظ أوعية المعاني، لذا كانت المقاييس في الغالب معنوية، والعربية في استعمالها للألفاظ مرنة لا تتقيد بحدود ثابتة بين الكلمات، فقد تستعمل الاسم استعمال الحرف، والفعل استعمال الاسم أو استعمال الحرف لدلالة معينة، وذلك بالنقل وتعدد المعنى الوظيفي للبنى الصرفي الواحد، وهو موضوع واسع في

¹ ينظر: حمد عبد الوهاب حسن، النظام النحوي في القرآن الكريم (دلائل الكلم)، ص78، 79.

التركيب اللغوية وأساليبها المتنوعة يقوم على التفريق الدقيق بين أقسام الكلم من حيث المبنى والمعنى، ولا بد أن يتضافراً في التفريق الدقيق بين الأقسام الأخرى.

ليس للحروف دلالة معجمية قاطعة¹، بيد أننا سنقف على تعدد معانيها في أثناء دراستنا لبنيتها في التراكيب الواردة في ديوان "البرنخ والسكين) ل: عبد الله حمادي، ومتابعة التراكيب التي ترد فيها ما يؤكد معناها الوظيفي، أما خصائصها فكثيرة منها:

- ربط الأسماء بالأفعال والأسماء بالأسماء والجمل بالجمل تعبيراً عن علاقة سياقية، كثرة دورانها في الكلام، عدم دخولها في جدول تصريفي، كونها مبنية إطلاقاً، تنوعها بين منفصل ومتصل، لزومها موقعا معينا في السياق، عدم قبولها خصائص الاسم أو الفعل مجتمعة.

ويعد الدكتور عبد الملك مرتاض من أشد المدافعين عن أهمية الحروف ودورها البالغ في اللغة العربية خاصة، ويخالف كثيراً من النحاة القدامى والمعاصرين في كثير من القضايا المتعلقة به، من ذلك أنه يرى أن كل جملة تبتدئ بحرف يجر ما بعده بحرف الجر (لا بالإضافة)، يتلوها اسم فهي "جملة حرفية"، ذلك أن الحرف في تمثله لهذه المسألة ليس مجرد تابع لغيره في الكلام، ولكنه لفظ كامل الوظيفة الدلالية والنحوية والتركيبية²، فالحرف عنده ليس لغوا من الكلام، ووظيفته مركزية وليست ثانوية، لأن الثانوي ما نستطيع الاستغناء عنه، وله وظيفة مساوية لأي وظيفة لفظ آخر في الكلام، محملا المسؤولية في ذلك للنحو العربي الذي "جعل الحروف بمثابة حمار الكلام وأتان النحو، فجردها من مكانتها الكاملة في اللغة جاعلا إياها آخر التقسيم، مع أن الحروف كثيراً ما يكون لها شرف الصدارة، هي أيضا في الكلام كما في الباء الجارة في (بسم الله الرحمن الرحيم)³، والحرف عنده شديد التمكن في الكلام لاحتفاظه بحالته لابنائية لا يتغير ولا يتبدل⁴، في حين أن الأسماء والأفعال تتبدل أحوالها تبعاً لتصريف وظائفها الإعرابية، وما لا يتغير أبداً هو أقوى مما يتغير لأدنى حال تطراً عليه، ولذلك نجد

¹ ينظر: عماد عبد الحي، البنى والدلالات في لغة القصص القرآني، دراسة فنية، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص35.

² مرتاض عبد الملك، نظرية اللغة العربية (تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها)، ص118.

³ المرجع نفسه، ص124.

⁴ نفسه، ص126.

الحرف أحيانا مصدر لسلسلة من الألفاظ المتتابعة بفعل تأثيره في الأول منها، كما في قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} [الفاتحة، 01-03]، فهنا نجده يعمل في سبعة ألفاظ تمضي كلها مخفوضة على أنها أبدال من اسم الجلالة الأول، مذعنة لحرف الجر (ـ) الدال هنا معنويا على الاستحقاق، واللام في العربية من أكثر الحروف في بناء نسج الكلام العربي وروداً حتى إن بعضهم يصل بوظائفها الدلالية إلى ثلاثين وظيفة.

وللحروف سمات تفصلها عن غيرها، فمن حيث الرتبة فإنها تتصدر مدخولها كحروف الجر والعطف والاستثناء وواو المعية والحال، وتعد الرتبة قرينة لفظية تعين على تحديد المعنى المقصود، كما أن مفتقرة إلى الضمائم إذ لا يكتمل معناها إلا بها، فلا يفيد حرف الجر إلا مع المجرور ولا العطف إلا مع المعطوف، والتي تلازم الجمل مفتقرة إلى ذكرها كاملة بعدها، ولا تحذف إلا مع القرينة التي يمكن بها فهم المراد¹.

والمتمعن في التراكيب الشعرية في ديوان "البرزخ والسكين" ل: عبد الله حمادي يكتشف حضوراً لافتاً لتوظيف حروف الجر وحروف العطف في تنوع تركيبها واضح متناسب مع الدلالات التي يريد الشاعر إيصالها للقارئ من ذلك قوله²:

(أَيَقْنْتُ أَنِّي أَنَا...)، (في خَارِطَةِ المَوْجِ)، (مَفْتُونٌ بالرُّعْبِ)، (تَنْشُرُنِي غَانِيَّةً من عصر الزُّورِ). فقد وظف في هذه المقطوعة الشعرية ثلاثة أنواع من حروف الجر (في، الباء، من) في تناغم مع المفردات الأخرى بما يسهم في إيصال المعنى إلى القارئ.

وتتفق جميع الحروف في التعبير عن علاقات في السياق والتعبير عن العلاقة معنى وظيفي لا معجمي، فلا وسيلة للتعليق خارج السياق، إذ الربط بين أجزاء الجملة يكون ما يعرف بـ(الأسلوبية) كأسلوب النفي والشرط والاستفهام وغير ذلك، فالحروف قرائن لفظية تعبر عن العلاقات، كما أنها أداة لإيجاد المعاني في غيرها، وهذا ما يفصلها عن الأسماء والصفات والأفعال، وهي تنهض بمعاني النفي والتوكيد والاستفهام والأمر باللام والعرض والتحضيض

¹ ينظر: حمد عبد الوهاب حسن، النظام النحوي في القرآن الكريم (دلائل الكلم)، ص77.

² حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص140.

وغير ذلك، ومن القصائد التي احتوت أكثر هذه المعاني المذكورة في "ديوان البرزخ والسكين" لـ: عبد الله حمادي قصيدة "أطفالنا... فإلى الحجارة"¹.

إن الثراء التركيبي الذي حظي به ديوان "البرزخ والسكين" لـ: عبد الله حمادي يؤكد وجهة النظر السابقة، ويدلل عليها من خلال التراكم المتنوعة التي حفل بها الديوان من ذلك ما نجده خاصة في القصائد الأخيرة من الديوان، والتي كان الحضور فيها قويا لدلائل الحرفية المتعددة، الشيء الذي أثرى الدلالة كثيرا، وأعطاهما بعدًا أكبر من المتعارف عليه، يقول الشاعر عبد الله حمادي في أحد هذه المقاطع²: (يا امرأة تتهشني في السرِّ)، (وتتشرني للموج)، (ما أجمل أن ترسو حرائقنا)، (على شفة يئسكها المطر الدافئ)، (وأعراس من نور فوقيه)، فكل حرف من حروف الجر السابقة ساعد على خلق معنى يختلف عن المعاني التي ارتبطت بالحروف الأخرى وهذا ما أدى إلى سعة المعاني وتعدد النسب الرابطة بين المفردات.

2.3. دلالة الصيغ الصرفية:

للدلالة الصرفية أهمية بالغة بحكم اهتمام النظرية الصرفية بدراسة بنية الكلمة في اللغات الطبيعية، فهي تعالج سيرورة ائتلاف وحدات دنيا لتشكيل الكلمة، وتقارب التركيب الصوري للكلمات، كما تحاول أن تدرس البنيات الصرفية (Morphological Structures) التي توفرها الأنساق الصرفية للغات الطبيعية، وهدفها الأقصى إيضاح شكل تفاعل الصرف مع التركيب والصواتم والمعجم³. فالكلمة لا تأتي من المعجم مصرفة، وإنما تصرف في التركيب عندما تلتصق باللواصق التصريفية التي تكون مسقطة في الشجرة التي تمثل لبنية الجملة⁴.

¹ ينظر: حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 30.

² المصدر نفسه، ص 142.

³ ينظر: الملاح أحمد، الزمن في اللغة العربية (بنياته التركيبية والدلالية)، دار الأمان، الرباط، ط1، 2009، ص 204.

⁴ تبنى هذا التصور عدد من الدارسين التوليديين مثل تشومسكي (1981-1986م) و(1987 Pollok، 1988 Ouhala). لقد طرحت العلاقة بين التركيب والصرف مجموعة من المحاور التي شغلت البحث اللساني خلال السبعينات والثمانينات من بينها: - برنامج البحث في التوازنات الصورية بين البنيات الصرفية والبنيات التركيبية. - تأثير البنية الصرفية في البنية الموضوعاتية. - دراسة التوافق أو عدمه بين البنية الصرف-تركيبية والبنية الصرف-صواتية. - برنامج بيكر (1985) حول الإدماج.

وتعد دراسة البنية الصرفية في النظام اللغوي مرتكزاً مهماً وباباً ثابتاً ملحظاً إضافياً ثابتاً في مناهج التحليل النحوي الحديث وهذا بعض ما عرف للعرب مؤرخو علم اللغة، إذ يعدونهم من أول من عني بالعلاقة بين صيغة الكلمة على مستوى الصرف ووظيفتها في التركيب على مستوى النحو، وذلك لأن الصيغة تدل على النسبة الرابطة لأجزاء الجملة، فهناك علاقة وثيقة بين المستويين الصرفي والنحوي، "واللغة العربية محظوظة جداً بوجود هذه الصيغ الصرفية لأن هذه الصيغ تصلح لأن تستخدم أداة من أدوات الكشف عن الحدود بين الكلمات في السياق، ويشكو معظم لغات العالم من عدم وجود مثل هذا الأساس الذي يمكن به أن تحدد الكلمات والباحثون في لغات غير لغاتهم جديدة عليهم يعانون التعب والمشقة اللذين يجدونها في سبيل هذا التحديد فيعمدون إلى كل الوسائل الممكنة يستخدمونها في هذا الغرض ويظهر القسر والعسف في استخدامها واضحاً، فأما اتخاذ الصيغة الصرفية أداة من أدوات خلق الحدود بين الكلمات في السياق فميزة اللغة العربية من كبريات ميزاتها التي تفاخر بها"¹.

إن الأحداث إذا صدرت عن فاعل أو وقعت على مفعول أو اتخذت حرفاً أو آلة لا بد لها من هيئة (صيغة) تكشف عن معناها، فالصيغة هي الآلة الرابطة والكاشفة للحدث أو المتصف به، وهي معنى حرفي يؤدي نسبة معينة، وذلك في الأفعال والمصادر والصفات، فالفعل بمادته دال على الحدث وبصيغته دال على انتساب الحدث إلى فاعل، وقد كان الرأي السائد بين النحويين إن مادة الفعل تدل على (الحدث)، وهو معنى مستقل بنفسه، وصيغته تدل على الزمن، وهو معنى مستقل أيضاً، قال ابن جني (ت392هـ) في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية: "فمنه جميع الأفعال ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة ألا ترى إلى (قام) ودلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه"².

¹ تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص210.

² ينظر: ابن جني، الخصائص، ج3، ص98.

إن رصد التغيرات الصرفية للصيغ المشتركة يظهر العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى الفرعي، فالنظام الصرفي في أي لغة لا يثبت على حال، ويسود التغييرات الصرفية "اتجاهان عامان: الأول مبعثه الحاجة إلى التوحيد، ويميل إلى إقصاء العناصر الصرفية التي أصبحت شاذة، والآخر مبعثه الحاجة إلى التعبير، ويميل إلى خلق عناصر صرفية جديدة"¹، كما أن اشتراك الصيغ في المادة لا يعني قيام إحداها بوظيفة الأخرى، بل يعني ملاحظة المقصود من التغييرات فيها، لأنها تكشف العلاقة بين الحدث والذات، لذلك كانت عاملاً نحويًا، ودالة على القصد لدلالاتها على النسبية بأنواعها، "فليس هناك علم للدلالة بلا دراسة للصرف، أي دراسة الصيغ، ويجب هنا أن نخطط طريقة لوصف الصيغ، وأن نرى المقصود بالوظيفة الأصواتية والوظيفة الصرفية، والوظيفة النحوية كأجزاء من مركب وظيفي يلح في دراسة أي صيغة لغوية"²، ويؤكد الدكتور تمام حسان هنا على أن أول ما يعني به النظام الصرفي هو "تقسيم الكلام انطلاقًا من دلالاتها وتقلباتها، فأما من حيث الدلالة فالمقصود بها وظائف أقسام الكلم التي تكون لها بينها عند الاستعمال، وهذا التناول الذي ينبتي على وجه نظر تركيبية هو التناول الوحيد الذي يربط النظام الصرفي بالناحية السياقية وهي في أساسها سمة من سمات النظام النحوي... ولا يقف النظام الصرفي عند هذا الحد، وإنما يعمل على إنشاء علاقة بين أصل الوضع وبين بعض الصيغ... ويربط التحول من الأصل إلى الفرع بطرق إجرائية أدواتها مما أطلقنا عليه اسم: "ظواهر طلب الخفة"³.

إن الصيغ الصرفية تجمع الصلب والرخو والمتقارب في المخارج والمتباعد، وهي تتوالى في الرصف بحسب الاختيار المناسب للمراد، وتتضبط بأوزان لها دلالات عرفية قابل لظلال من المعاني الجديدة بالرصف الماهر نسجا وتنظيمًا وترتيبًا⁴.

¹ جوزيف فنديس، اللغة، ص 203.

² تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 287، 288.

³ تمام حسان، مقالات في اللغة والأدب، ج 2، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2006، ص 90.

⁴ ينظر: حمد عبد الوهاب حسن، النظام النحوي في القرآن الكريم (التنكيث والتبكيث)، ص 160.

وانطلاقاً من ذلك فإننا في هذا الجزء من البحث سنهتم بدراسة الكلمة اسماً كانت أو فعلاً في التراكيب الشعرية لديوان "البرزخ والسكين" ¹: عبد الله حمادي في محاولة للوقوف على كيفية توظيف عبد الله حمادي للبنى الصرفية المختلفة في تحميل المعاني المختلفة، حيث إن التغيير في مبنى الكلمة يتبعه تغيير في معنى الكلمة، وإن أي زيادة لا بد أن يتبعها زيادة في المعنى، ولاشك أن تلك الدراسة الصرفية لا يمكن أن تتم بمعزل عن السياق الذي ترد فيه التراكيب الشعرية، لأن البنية الصرفية الواحدة قد تحتل أكثر من معنى، فلا بد حينئذ في ضوء سياق تلك الأشعار من تحديد معنى واحد يتلاءم مع وضع الكلمة في التركيب.

1.2.3. البنية الصرفية للفعل وعلاقتها بالمعنى:

سنتناول في هذا المبحث ما يختص بتصريف الفعل في ديوان "البرزخ والسكين" كأوزان الفعل المجرد والمزيد، وكيفية صوغ المضارع، ومعاني الأبنية، وتوكيد المضارع بإحدى النونين، والهدف من ذلك ليس حصر جميع صيغ الأفعال الواردة في الديوان، وإنما الهدف هو دراسة بعض هذه الصيغ الفعلية التي تحتاج إلى تحليل صرفي حتى يتضح معناها، ومن ثم يتبين لنا الوقوف على كيفية توظيف عبد الله حمادي للأبنية الصرفية المختلفة للفعل وتصاريحها المختلفة في أداء المعنى المراد، وملاحظة ما لأبنية الفعل المجردة من معانٍ مختلفة مستعملة في سياقات متنوعة، وما للزيادة في بنية الفعل في تغيير في المعنى الذي تحمله الصيغة، كدلالة (الفاعل) على المشاركة، ودلالة (استفعل) على الطلب، والمادة الأصلية للفعلين واحدة وهي (فَعَلَ).

ويستخدم عبد الله حمادي الفعل المضارع كثيراً في دلالة خاصة يريد إيصالها من خلال التراكيب المشتملة على هذه الأفعال بكثرة¹، ففي مقطع واحد، مثلاً، نجده قد وظف ثلاثة عشر فعلاً مضارعاً مرة واحدة بمعدل فعل لكل جملة (سطر شعري)، وهذه إشارة قوية على توجيه الدلالة المقصودة في هذه التراكيب.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 161.

1.1.2.3. أوزان الفعل المجرد:

ينقسم الفعل إلى مجرد ومزید، والمجرد وهو ما خلا من الزوائد، له بناءان: ثلاثي ورباعي، والرباعي يأتي على وزن (فعلل)، وقياس مضارعه أن يأتي بضم أوله وكسر ما قبل آخره، ويكون لازماً نحو: عربد، ومتعدياً نحو: دحرج، وقد يصاغ من اسم رباعي لعمل بمسماه نحو: (قرمص القرموص)، أو لمحاكمته نحو: (عقرب الشيء)، إذا لواه كالعقرب أو لجعله في شيء نحو: (فلقلت الطعام)، أو لإصابته نحو: (عرقبه) إذا أصاب عرقوبه، أو لإصابه به نحو: (عرجنه) أي أصابه بعرجون، أو لإظهاره نحو: (عسلجت الشجرة) أي أخرجت عسالجها، وقد يصاغ من مركب لاختصار حكايته نحو: بسملت وحمدلت.

وقد يكون لموافقة الثلاثي المضاعف الذي زيد فيه حرف للتكثير نحو: (فككبوا فيها) و(قدمم عليهم) ذلك أن الثلاثي المضاعف مثل (كب) وهو ما كان عينه ولامه من جنس واحد قد يزداد عليه حرف للتكثير، فيقال (كببه) وهذا هو الأصل، ولك أن تبدل المزيد حرفاً مماثلاً للفاء فتقول (ككببه)، وقد سمع عن العرب الوجهان في أفعال كثيرة فيدل على أنه مقيس¹.

ومما ورد في الديوان من ذلك قوله في "قصيدة الجزائر"²

وتَهَرَّ مِنْ عُرْفِ البُطُولَةِ فِتْنَةً وتَضَوَّعَ مِنْ أَلْقِ الفِدَائِ تَجْمُهُرًا
نَطَقَتْ بِهِ الرَّجْمُ المَصُونُ طَهَارَةً فَأَنْهَالَ سَيْلًا بِالخِصَالِ مُزْمَجِرًا
وَعَدُّ الخُلُودِ وَإِنْ تَبَاطَأَ وَعْدُهُ دَرَبٌ عَلَى شَفَةِ الخَيْالِ تَجْرَجِرًا

فقد استعمل الأفعال الرباعية (جمهر، زمجر، جرجر) المناسبة لسياق وصف عظمة الجزائر، إضافة إلى بعض الأفعال الرباعية الأخرى³ والمكررة أحياناً مثل: (بعثر، أورك، أوقد، أبحر، أسرج، أثمر، أقبر، أبهر، هدهد).

¹ ينظر: محمد بن عبد الله بن مالك الطائي (ت672هـ)، شرح التسهيل لابن مالك، ج3، تح: عبد الرحمن السيد، مجد المختون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1990، ص448، 449.

² حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص26، 27، 28.

³ ينظر: أنطوان عبدو، مصطلح المعجمية العربية، الشركة العالمية للكتاب طباعة ونشر وتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1991، ص243.

ومن ذلك أيضا (صَلَّصَ) الذي اختاره الشاعر ليعبر بدقة كبيرة عن شدة اشتياقه وانتظاره لأدنى إشارة من محبوبه، ولو كانت المقدمات لذلك حتى صليل الباب أو قبله، يقول¹:
(أنت لم تَبِتْ مثل الذي)، (يطيرُ به القلب)، (إذا اهتَزَّ باب الدَّارِ)، (أو صَلَّصَ القُفْلُ!).

أما الثلاثي فإنه يأتي على ثلاثة أوزان: (فَعَلَ، فَعُلَ، فَعِلَ). أما (فَعَلَ) فالقياس في مضارعه أن يأتي على وزن (يفعلُ)، وقد ذكر الصرفيون أن هذا الوزن يغلب على "أفعال الطباع ونحوها كحَسَنَ، وقُبْحَ، وكَبُرَ، وصَغُرَ، فمن ثم كان لازما"². ومما جاء في الديوان على (فَعَلَ، يفعلُ) دالا على فعل الطباع: (كَبُرَ) كما في قوله³: (يَكْبُرُ عَزِي في حُضْنِ الوَجَعِ اللَّيْلِ). والطباع هنا معنوية وليست حسية، في دلالة على شدة حاجته وتزايدها لعطف محبوبه. ومما ورد أيضا: (شَمَخَ) في قوله⁴:

دُكُوا أَعَالِيَهُ التي شَمَخَتْ مَرَابِلُهَا المَعَارَهُ

والقياس في مضارع (فَعَلَ) أن يأتي على وزن (يفعلُ) وهو "يكثر فيه العلل والأحزان والأضداد، ك: سَقِمَ، ومَرِضَ، وحَزِنَ، وفرِحَ، وتَجِيءُ الألوان والعيوب والحلي كلها عليه"⁵. والقياس في مضارع (فَعَلَ) أن يأتي على وزن (يفعلُ) إذا كانت فائؤه واو، أو إذا كانت عينه أو لام ياء، أو إذا كان مضاعفا لازما. ومن أمثلة ذلك قول عبد الله حمادي في المقطع السادس عشر من "رباعيات آخر الليل"⁶:

(...) حُلْمُكَ ارْتَجَّ مُنْذُ وَلَّتْ حُيُولِي مُدْبِرَاتٍ صَهِيلَهَا تَنْدِيدًا

فالفعل (ولى) في البيت السابق فائؤه واو، ومن ثم فقياس مضارعه أن يأتي على (يولي) بكسر العين.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص129.

² السيد أحمد محمد عبد الراضي، التوظيف الدلالي للمعطيات الصرفية والنحوية في ديوان ابن هانئ الأندلسي (ت362هـ)، ص31. نقلا: المفتاح في الصرف للجرجاني، ص48.

³ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص162.

⁴ المصدر نفسه، ص34.

⁵ السيد أحمد محمد عبد الراضي، التوظيف الدلالي للمعطيات الصرفية والنحوية في ديوان ابن هانئ الأندلسي (ت362هـ)، ص32. نقلا: المفتاح في الصرف للجرجاني، ص48.

⁶ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص71.

ومن ذلك أيضا قوله: ¹

يَشْعُ وَيَخْبُو بَرِيْقُ التَّمْنِي وَيُمْسِكُ صَوْتِي بَصِيصُ التَّأْنِي

فالفعل (شع) ثلاثي مضاعف لا لام، لذا جاء مضارعه في البيت بكسر العين (يشع) وهذا هو القياس. ومما ورد أيضا بضم العين (شد، يشد) بمعنى جذب الشيء إلى جهة ما، كما في قول الشاعر عبد الله حمادي: ²

فَأَنْشُدِ الصَّبْرَ مِنْ بَقَايَا جُدُورٍ كَيْ تَشُدَّ إِهَابَكَ لِلتَّعَافِي

وهكذا فإن تحديد الباب الصرفي الذي ينتمي إليه الفعل يساعد في تحديد معناه، وذلك في ضوء السياق الوارد فيه. والقياس في (فعل) أن يأتي على وزن (يفعل) إذا كان مضاعفا متعديا، أو إذا كانت عينه أو لامه واوا، أو إذا أريد به المفاخرة ما لم يوجد به داع من دواعي الكسر، فإذا لم يدل على المفاخرة رد إلى الأصل فيه، فإذا كان أصله الكسر كسر وإذا كان أصله الفتح فتح، ومن ذلك قول عبد الله حمادي: ³ (فَحَايِلُهُمْ تَدُكُّ بَرَاءَةَ النُّفُوسِ)، فالفعل (دك) ماض ثلاثي مضاعف متعد، لذا جاء مضارعه في البيت بضم العين، ومنها أيضا (لف) الذي جاء مضارعه (تلف) بضم العين في قوله: ⁴ (وَتَلْفُ حَنِيَاهَا أُرَاقٌ).

وفي قصيدة "وطن" ⁵ وردت مجموعة كبيرة من الأفعال الدالة على الفخر، جاءت كلها مضمونة العين مثل: يكبر، يعظم، يسكن، كما في قوله: (وَطَنٌ يَكْبُرُ وَطَنٌ يَعْظُمُ)، (وَطَنٌ يَسْكُنُ فَوْقَ الْأَنْجُمِ).

وخالف الشاعر عبد الله حمادي القياس السابق، فقد وردت مجموعة أخرى من الأفعال في القصيدة الفخرية نفسها إلا أنها لم تأت في مضارعها على وزن (يفعل) بل جاءت بالفتح (يفعل) مثل: يخفق، يعشق، يبهر، كما في قوله: صدري يخفق قلب يعشق.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 83.

² المصدر نفسه، ص 91.

³ نفسه، ص 102.

⁴ نفسه، ص 140.

⁵ نفسه، ص 25.

ويأتي (فَعَلَ) على وزن (يفعل) إذا لم يدل على مفاخرة، وكانت عينه أو لامه حرفا حلقيا (الهمزة والهاء والحاء والخاء والعين والغين)، بشرط أن لا يكون مضاعفا، وألا يشتهر بكسرة مثل (بات، يبيت)، أو بضممة مثل (خطب، يخطب)، وباب (فَعَلَ) لخفته لم يختص بمعنى من المعاني، بل استعمل في جميعها لأن اللفظ إذا خف كثر استعماله، واتسع التصرف فيه¹، ومن المعاني التي يأتي لها: "غلبة المقابل، والنيابة عن (فَعَلَ) في المضارع واليائي العين، وإطراد صوغه من أسماء الأعيان لإصابتها، أو إنالتها، أو عمل بها، وقد يصاغ لعملها، أو عمل لها أخذًا منها، كما يأتي للجمع والتفريق والإعطاء والمنع والامتناع والإيذاء والغلبة والدفع والتحويل أو التحول والاستقرار والسير والستر والتجريد والرمي والإصلاح والتصويت"².

ومن ذلك قوله³: (ما أجمل أن تُبعثَ طفلا مَغْرُورًا)، فالفعل (بعث) عينه حرف حلقى، ومن ثم فالقياس في مضارعه أن يكون بفتح العين، فيقال (تبعث).

2.1.2.3. أوزان الفعل المزيد ودلالاتها:

الفعل المزيد هو ما كان فيه حرف من حروف الزيادة المجموعة في (سألتمونيها)، وأقصى ما يمكن أن يصل إليه الفعل بعد الزيادة هو ستة أحرف، ومن ثم يزداد على الرباعي المجرد حرف، وحرفان، ويزاد على الثلاثي حرف وحرفان وثلاثة، وكل زكيادة لابد أن تكون لمعنى غالبا، وفيما يلي الصيغ التي يأتي عليها الفعل المزيد ودلالاتها:

• المزيد الثلاثي:

- أفَعَلَ: وهذه الصيغة مزيدة بهمزة، وتأتي لمعاني التعدية ك(أقامه)، أو الكثرة ك(أضب المكان)، أو الصيرورة ك(أغد البعير)، أو التعرض ك(أبعته)، أو السلب ك(أشكيتته)، كما تأتي لتدل على مصادقة الشيء على صفة مُشتقة من الفعل الثلاثي ك(أحمده)، كما تأتي الدلالة على البلوغ نحو (أعشرت الدراهم)، و(أمسينا)، و(أنجدنا) أو موافقة (فَعَلَ) ك(أحزنه)،

¹ ينظر: رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي (ت686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، حققه: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، مجدي محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1982، ص70.

² ابن مالك، شرح التسهيل لابن مالك، ج3، ص442.

³ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص143.

أو مطاوعته كـ(أفشع السحاب)¹. واستخدام الشاعر لهذه الصيغة في الديوان "البرزخ والسكين" واضح ومتعدد المواضع والدلالات، من ذلك ما ورد من استعمال مكثف لهذه الصيغة في "قصيدة الجزائر"² وما اشتملت عليه من تعدد للدلالات، يقول مثلاً:

عَمَلَاةٌ فِي لَحْنِهَا وَمُضَائِهَا لَوْ أَلْبَسُوهَا لِلْغَرَامِ تَعْنَبَرَا

أي أن الجزائر الكبيرة لو ألبست للغرام لمسه من طيبها ورائحتها الزكية الكثير، وقد وظف الشاعر عبد الله حمادي هذه الصيغة في أماكن أخرى منها: (أوقدها الجمال، أنبتها التراب، أفرزها المكان، أودعها الزمان، أوفدها السلام، أسرجها الجهاد...).

- **فَعَّلَ**: وتأتي لمعاني التعدية مثل (أدّب)، والتكثير مثل (غلّقت)، والسلب مثل (قرّدت)، والتوجه مثل (شرّقت، غرّبت)، والاختصار مثل (أمّنت)، والنسبة مثل (عدّلت، فسّقت). ومن أمثلة ذلك مما ورد في الديوان مما يدل على السلب قوله³: (وَكَبَّلَتْ خُطَاَهَا مَسِيرَةً الْمِحْنَ)، فمدينته التي تنن تحت وطأة المحن المختلفة قد سلبتها انطلاقتها وحرّيتها.

ومن أمثلة هذه الصيغة أيضاً ما وظفه الشاعر في قصيدة "أطفالنا.. فإلى الحجارة"⁴، حيث ناسبت دلالتها المختلفة المعاني العميقة التي تجيش في صدر الشاعر مثل: (وحكموا قيم الدعارة، وعلقوه على سطوح مستشارة، تقدّموا، دوسوا الإشارة، وتشتت كل دراه، دنّسوا حرماً مزارة). إن الأفعال السابقة (حكّم، علّق، قدّم، شتّت، دنّس) إضافة إلى ما قدمته صيغتها (فعل) من دلالات مختلفة خدمت المعاني المقصودة عند الشاعر، فإن ورودها بصيغة الجمع أضاف لها دلالة الاشتراك في نسبة هذه الأعمال لأكثر من واحد.

- **تَفَعَّلَ**: ويرد للمعاني الآتية: مطاوعة (فعل) نحو (أدّبت الصبي فتأدّب)، والتكلف نحو (تحكّم)، والتجنب نحو (تأثم)، والصيرورة نحو (تأيمت)، والإتخاذ نحو (توسّد)، والتلبس

¹ ينظر: ابن هشام الأنصاري (ت 761هـ)، نزهة الطرف في علم الصرف، تح: أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط1، 1990، ص110، 111.

² حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص26، 27، 28، 29.

³ المصدر نفسه، ص107.

⁴ نفسه، ص30، 31، 32، 33.

بأصله نحو (تَقَمَّصْتَ)، ومواصلة العمل في مهلة نحو (تَجَرَّعَ)، وموافقة استفعل نحو (تَكَبَّرَ) وموافقة المجرد نحو (تَعَدَّاهُ)، وموافقة (فَعَلَ) نحو (تَوَلَّى). وقد جاء في ديوان "البرزخ والسكين" للدلالة على التمهّل والتدرّج قوله¹: (تَطَلَّعْتُ لِخَارِطَةِ الْجَسَدِ الْمَحْمُومِ)، (تَرَشَّفْتُ الرِّغْبَةَ وَالرَّغْشَةَ)، فالفعلان (تَطَلَّعَ) و(تَرَشَّفَ) دلاً على العمل المتكرر في مهلة. ومما اختص به الشاعر عبد الله حمادي في تراكيبه الشعرية، أيضاً في ديوانه "البرزخ والسكين" توظيف هذه الصيغة (تَفَعَّلَ) بصورة تجعلها المسيطرة على التركيب مع تحميلها الجزء الأكبر من الدلالة التي يقصدها الشاعر، كما في قوله مخاطباً مدينته²: (تَعَجَّلِي ... تَخَيَّرِي)، (تَوَدَّدِي ... تَفَجَّرِي)، فالأفعال (تَعَجَّلَ، تَخَيَّرَ، تَوَدَّدَ، تَفَجَّرَ) التي جاءت متتالية وعلى نفس الصيغة تحمل دلالة الحيرة والتمزق والصفات المتناقضة التي عاشتها الشخصية الجزائرية في زمن ما.

- **فاعل:** تأتي هذه الصيغة للمعاني الآتية³: تقاسم الفاعلية والمفعولية لفظاً، والاشتراك فيهما معنى، مثل (ضارب زيدٌ عمرًا)، وموافقة (أفعل) مثل (تابعت الصوم وأوليت) أي أوليت بعضه بعضها وأتبعته، وموافقة المجرد مثل (جاوزت الشيء) بمعنى جزته، والإغناء عنهما، فمثال ما أغنى عن المجرد (قاسى) و(بال به) و(بارلك الله فيه)، ومثال ما أغنى عن (أفعل) وارىت الشيء بمعنى (أخفيته) و(راءيته) بمعنى أريته غير ما أقصده. وقد جاءت هذه الصيغة في الديوان للدلالة على تقاسم الفاعلية والمفعولية لفظاً، وتشاركهما فيهما معنى، كما في قوله⁴:

شَبَّبْتُ وَأَغْلَظْتُ الْيَمِينَ وَعَاهَدْتُ أَنْ لَا تَدُوبَ إِذَا الْمَكَانُ تَصَحَّرَا

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص147.

² المصدر نفسه، ص114.

³ ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل لابن مالك، ج3، ص453، 454.

⁴ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص27.

فالجزائر وقعت هنا فاعلا، وضمير الغائب العائد على أهلها المتصفين بالشجاعة والأخوة والنضال... مفعولا به، فقد تقاسما الفاعلية والمفعولية لفظا، واشتركا في المعنى في الوقت نفسه، حيث إن كلا منهما (الجزائر والشعب) فاعلا ومفعولا به في المعنى.

قلّ ورود هذه الصيغة وتوظيفها في تراكيب الديوان الشعرية، ومن ذلك (ناشد ص38، ضايق ص83، باغت ص103، عاود ص147، راود ص149، طارد ص150، سافرت ص156) إلا أنه في موضع واحد من الديوان عاد الشاعر عبد الله حمادي إلى أحد أهم خصائصه الأسلوبية التي تفرّد بها، حيث يحمل هذه الصيغة العبء الأكبر من المعنى المقصود وذلك بتوظيفها أكبر عدد من المرات محملة بدلالات مختلفة كما في قوله¹: (لا شيء يقاوم هذا الجسد)، (كابرتُ؟؟ ناضلت)، (أحكمت القيد)، (سافرتُ)، (تأسرني فاكهة التوت). فجميع محاولاته للتخلص من تبعات الخضوع والأسر باءت بالفشل، يدل على ذلك (تأسرني فاكهة التوت).

- تَفَاعَلَ: وهو يكون للاشتراك في الفاعلية لفظا، وفيما وفي المفعولية معنى، كـ(تضاربوا)، كما يأتي الإظهار ما ليس بحاصل نحو (تغافل)، كما يأتي لمطاوعة (فاعل) نحو (تباعدا)، كما يأتي بمعنى (فعل). لم تحضر هذه الصيغة أيضا (تفاعل) كسابقتهما (فاعل) كثيرا في الديوان، من ذلك (توافد ص30، تناغم ص26، تباطأ ص28، تناسل ص33، تراءى ص36، تقاذف ص81، تجاذب ص118). وقد وردت هذه الصيغة في الديوان بالمعنى الأخير (معنى فَعَلَ) وذلك في قوله²:

هُوَ نُذِرٌ وَإِنْ تَبَاعَدَ عَهْدٌ كَانَ فِيهِ دَمُ النُّدُورِ عَظِيمًا

فالفعل (تباعدا) بمعنى (بَعُدَ).

- افْتَعَلَ: وتجيء لمطاوعة (أَفْعَلَ) نحو (أنصفته فانصف)، ومطاوطة (فَعَلَ) نحو (غممته فاغتم)، وللاِتِّخَاذِ نحو (اشتويت اللحم)، أي اتخذته شواء، وينبغي ألا يكون أصل (افتعل) حينئذ مصدرًا.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص152.

² المصدر نفسه، ص73.

كما يجيء لموافقة (تفاعل) نحو (اجتوروا) بمعنى (تجاوزوا)، كما يجيء لموافقة (تَفَعَّل) نحو (ابتسم) فهي بمعنى (تبسّم)، كما يجيء أيضا لموافقة (استفعل) مثل (ارتاح واستراح)، وموافقة المجرد مثل (اقتدر) فإنه موافق لـ(قَدَرَ)، و(استمع وسمع). كما يجيء للتسبب نحو (اعتمل)، وعبر سيبويه (ت180هـ) عن هذا المعنى بالتصرف¹. ووضحه الرضي الاستراباذي (ت686هـ) فقال: "أي: الاجتهاد والاضطراب في تحصيل أصل الفعل، فمعنى (كسب): أصاب، ومعنى (اكتسب): اجتهد في تحصيل الإصابة بأن زاول أسبابها، فلهذا قال الله تعالى: "لها ما كسبت"، أي اجتهدت في الخير أولاً، فإنه لا يضيع "وعليها ما اكتسبت"، أي لا تؤاخذ إلا بما اجتهدت في تحصيله وبالغت فيه من المعاصي، وغير سيبويه لا يفرق بين (كسب) و(اكتسب)"².

وظف الشاعر عبد الله حمادي هذه الصيغة بشكل لافت في ديوانه "البرزخ والسكين" حيث إن حضورها كان منتشرا في الديوان بشكل أكبر بكثير من بعض الصيغ السابقة، واشتملت على دلالات متنوعة حسب السياق الذي وردت فيه، وتكررتلك الميزة الأسلوبية له في تراكيب ومواضع مختلفة من الديوان، والتي يوظف فيها أكبر عدد ممكن من المفردات التي لها صيغة (افتعل) هذه المرة، والمحملة بدلالات متنوعة تدعو القارئ للاستئنا سبها قصد إدراك المعنى المقصود، من ذلك ما ورد من مقاطع شعرية في قصيدة "لا، يا سيدة الإفك"³، مثلا: حيث حضرت الصيغة (افتعل) من خلال مجموعة من الأفعال هي: (اقترف، انتهك، التمس، انعتق، ارتكب، ارتد...).

- **انفعل**: المطرد فيه أن يكون مطاوعا (فَعَلَ) بشرط أن يكون دالا على معالجة وتأثير، ويقل مجيئه مطاوعا لـ(أَفْعَلَ)، كما قد يجيء مشاركا للمجرد مثل (انطفأ، طفاً)، وقد يغني عنه مثل (انطلق) بمعنى ذهب، وقد يغني عن أفعل مثل (انحجز) إذا أتى الحجاز⁴.

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4، ص74.

² رضي الدين الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص110.

³ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص156.

⁴ ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل لابن مالك، ج3، ص457، 458.

وقد جاء في الديوان مطاوعا لـ (فَعَلَ) وذلك في قوله¹ مثلا: (من ضوء ينحسر غيبا)،
(من جرم ينعنق قهرا). فـ (انْحَسَرَ) مطاوع (حَسَرَ) و (انْعَتَقَ) مطاوع (عَتَقَ).

- استفعل: وهذا الوزن يأتي للطلب نحو (استعان واستغفر)، والتحول نحو (استحجر الحجر)،
والإتخاذ نحو (استعبد عبدا)، ولإلغاء الشيء بمعنى ما صيغ منه نحو (استعظمه) أي وجده
عظيما، ومطاوعة (أفعل) نحو (أكانه فاستكان)، وموافقة (أفعل) نحو (استحصد الزرع
وأحصد)، وموافقة (تفعل) نحو (استكبر وتكبر)، وموافقة المجرى نحو (استغنى وغنى)،
والإغناء عن المجرى نحو (استأثر واستحيا واستتكف)، والإغناء عن (فعل) نحو (استرجع)
إذا قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فلم يجيء على (فعل) كما جاء أمّن إذا قال: آمين،
و (سبح) إذا قال: سبحان الله².

لم ترد هذه الصيغة في ديوان "البرزخ والسكين" إلا في مواضع قليلة جدا، وهي: (استثمر
ص 28، استشف ص 28، استباح ص 55، استضاف ص 55، استشار ص 37، استصاغ
ص 81، استقبل ص 103)، إضافة إلى ما عودنا عليه الشاعر عبد الله حمادي من تكثيف
للصيغة في موضع ما، مع تحميلها لدلالات متنوعة تخدم معنى مقصود، مثلما ورد في "قصيدة
الجزائر"³:

في ظلّ مُنْجِبَةِ الأمانِي اسْتُكْرِهَتْ لُغَةُ الطُّفُوسِ إِذَا التَّجَلَّى اسْتُحْضِرَا
وَاسْتُلْهِمَتْ لُغَةَ الحُضُورِ فَأَوْرَقَتْ مَوَالٍ فَيَضُّ لِلتَّوَكُّلِ أَنْكَرَا

فلاشك أن ما يقصده الشاعر عبد الله حمادي من هذين البيتين يتوقف بدرجة كبيرة على
الصيغة (استفعل) التي تكررت ثلاث مرات في قوله: (استكره، استحضر، استلهم).

- أفعال، وافعال: وهما للألوان⁴، وهذا هو الكثير، نحو (احمرّ) و (احمارّ)، والفرق بين
الصيغتين أن (افعل) يكون للون ثابت، أما (افعال) فيكون للون غير ثابت. وقد يأتي (افعلّ

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 161.

² محمد بن عبد الله بن مالك الطائي (ت 672هـ)، شرح التسهيل لابن مالك، ج 3، ص 457.

³ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 29.

⁴ ينظر: ابن هشام الأنصاري، نزهة الطرف في علم الصرف، ص 113.

وأفعالاً) للدلالة على عيب نحو (اعرجّ واعراجّ)، وقد يأتي لغير لون أو عيب. ولم يرد في ديوان "البرزخ والسكين" ما يمثل دلالة هذه الصيغة.

• أوزان الرباعي المزيد:

- تَفَعَّلَ: مثل (تدحرج) ويكون مطاوعاً لـ(فعلل).
- افعلل: مثل (حر نجم) وهو من الرباعي مثل (انفعل) من الثلاثي.
- أَفَعَّلَ: نحو (اقشعرّ)، (اطمأن).

2.2.3. البنية الصرفية للاسم وعلاقتها بالمعنى:

من أهم القضايا الصرفية الخاصة بالاسم عند الصرفيين أوزان الاسم المجرد والمزيد، وأبنية المصادر، والمشتقات، والتأنيث، وحركة عين جمع المؤنث السالم، وأوزان جموع التكسير. واختار الباحث في هذه الدراسة التركيز على دراسة البنى الاسمية الصرفية التي يختلف معناها بحسب اختلاف اشتقاقها، نظراً لأن هدف البحث هو توضيح العلاقة بين بنية الكلمة ومعناها، ومن ثم تناولت أبنية المصادر الواردة في الديوان، حيث بينت الفروق الدلالية بين الأوزان المختلفة للمصادر، كما بينت أبنية المشتقات، وبينت أهمية السياق في بيان نوع المشتق، فقد تأتي بنية صرفية واحدة عند عبد الله حمادي محتملة لأكثر من معنى، وعندها يكون السياق هو الفيصل في تحديد معنى واحد من عدّة معانٍ مختلفة، فكلمة (مختار) مثلاً مشتركة بين عدّة مشتقات: اسم الفاعل واسم المفعول والمصدر الميمي واسمي الزمان والمكان¹.

1.2.2.3. أبنية المصادر:

• المصدر الأصلي:

عرفه ابن هشام (ت761هـ) بقوله: "اسم الحدث الجاري على الفعل"²، وهو يصاغ من الثلاثي وغير الثلاثي. أما صوغه من الثلاثي فيتخذ أوزاناً كثيراً كلها سماعي، وقد حاول الصرفيون تقليل دائرة السماع وذلك بوضع ضوابط لهذه الأوزان تقوم على ملاحظة الوزن

¹ ينظر: السامرائي فاضل صالح، الجملة العربية والمعنى، ص170.

² ابن هشام الأنصاري، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، 1992، ص357.

الغالب في مصدر كل مجموعة من الأفعال تشترك في خصائص معينة: كأن تكون دالة على معنى معين، أو تتفق في الوزن، وهي غالبية، إذ يد يشذ عنها بعض الأفعال الواردة عن العرب، وهي تعيننا على الإتيان بمصادر للأفعال التي لم يرد لها عن العرب مصادر، وذلك على الوزن الغالب في أمثال تلك الأفعال مما ورد لها مصدر عن العرب¹.

تزدحم البنى الصرفية للاسم في ديوان "البرزخ والسكين" ازدحاماً شديداً عكس ما وجدناه من ندرة في استعمال لبعض الصيغ الصرفية للأفعال، فالاسمية هي الطابع المميز لشعر عبد الله حمادي في ديوانه "البرزخ والسكين"، فالمصادر الأصلية مثلاً وأوزانها المختلفة يعج بها البيت الواحد من شعره، يقول عن الجزائر²:

وتكون همساً للخُودِ ونشوةً ونَهَارُ أنسٍ قَدْ تَتَاغَمَ مُزْهراً

فالفعل (هَمَسَ) ورد مصدره على (هَمَسَ) و(خَلَدَ) على (خُلُودِ) و(نَشَوَ) على (نَشْوَةَ) و(أَنَسَ) على (أُنَسَ) و(زَهَرَ) على (مُزْهَرٍ)، واستعمال كل هذه المصادر في بيت واحد هي كما ذكرنا سابقاً من أهم الخصائص التركيبية التي تميز بها أسلوب عبد الله حمادي.

أما الرباعي فإن كان على وزن (فَعَلَ) فيأتي على تفعيل إن كان صحيح اللام نحو قول الشاعر عبد الله حمادي³: (مَدِينَتِي... مَدِينَةُ الشَّهِيدِ وَالنَّسَبِيحِ)، ويأتي على وزن (تَفَعَّلَ) إن كان معتل اللام نحو (نمى تنمية)، وإذا كان مهموز اللام جاء على (تَفَعَّلَ) وهو الغالب نحو (جَزَّأً تَجَزِّيَةً)، كما يأتي على (تفعليل) فيقال (جَزَّأً تَجَزِّيَةً). أما الخماسي فإن كان على وزن (تَفَعَّلَ) فيأتي على (تَفَعَّلَ) نحو (تَكْذَبُ، تَشْوَقُ).

• اسم المصدر:

وهو ما دل على معنى المصدر الأصلي، ويختلف عنه في أن حروفه تقل عن حروف المصدر الأصلي، ومن نماذجه في الديوان: (عطاء) في قول الشاعر عبد الله حمادي⁴:

¹ ينظر: الراجحي عبده، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1، 2004، ص 66.

² حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 26.

³ المصدر نفسه، ص 103.

⁴ نفسه، ص 26.

وَوَرِيدٌ حُبٌّ بِالْعَطَاءِ تَفَجَّرًا

وتكون عرقا بالأخوة نابضا

فالمصدر الأصلي هو إعطاء.

• المصدر الميمي:

وهو "مصدر يدل على ما يدل عليه المصدر العادي، غير أنه بميم زائدة"، ويصاغ من الثلاثي على وزن (تَفَعَّل) مثل (طَلَعَ مَطْلَعًا)¹، ومن أمثله في الديوان²، يقول عبد الله حمادي واصفا مدينته بأنها: (محكمة، ومنفى، ومجلس هجين، ومفخرة، ومهزلة).

وللتعبير بالمصدر الميمي في الأبيات التي وردت فيها الكلمات السابقة بدلا من المصدر الأصلي فائدة دلالية، حيث حمل المصدر الميمي في كثير من التعبيرات معنى نهاية الأمر، وعاقبته، والدخول في حال جديدة تختلف عن سابقتها تماما.

• اسم المرة:

وهو اسم يدل على معنى المصدر الأصلي، مع دلالاته على حدوث الحدث مرة واحدة، ويصاغ من فعل تام متصرف غير قبلي لا يدل على صفة لازمة، ويأتي من الثلاثي على وزن (فَعَّلَة) نحو (جَلَسَ، جَلَسَة)، فإن كان المصدر الأصلي على وزن (فَعَّلَة) جيء بعده بوصف دال على المرة مثل (رحمة واحدة)، ويأتي من غير الثلاثي على وزن مصدره الأصلي مع زيادة تاء نحو (انطلق، انطلاقة)، فإن كان المصدر الأصلي مختوما بالتاء جيء بوصف يدل على المرة أيضا مثل (أعان، إعانة واحدة)، ومما يدل علنالمرة في الديوان (حضرة) في قوله³:

(من خمر الحضرة)، ف(حضره) اسم مرة من (حضر).

2.2.2.3. أبنية المشتقات:

• اسم الفاعل:

هو ما دل على الحدث وصاحبه، ويصاغ من الثلاثي على وزن (فاعِل)، ومن غير الثلاثي على وزن مضارعه مع إبدال حرف المضارعة ميما مضمومة وكسر ما قبل الآخر،

¹ الراجحي عبده، التطبيق الصرفي، ص72.

² حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص30.

³ المصدر نفسه، ص162.

ويصاغ من (فَعَلَ) لازماً ومتعدياً، ومن (فَعِلَ) متعدياً. أما صوغه من (فَعِلَ) اللازم، و(فَعَلَ) وهو لا يكون إلا لازماً، فسماعي، ويكون مراد به حينئذ التجدد والحدوث. فمما جاء في الديوان من (فَعَلَ) المتعدي (ظالم) في قوله¹:

ظَالِمٌ أَنْتَ مُشْرَبٌ بِالْخِصَامِ تُضْمِرُ الْعَذْرَ فِي بَصِيصِ الْمَلَامِ

ومما ورد من اسم الفاعل المصاغ من غير الثلاثي (مُشْرَبٌ) في البيت السابق فـ(مُشْرَبٌ) اسم فاعل من الفعل الرباعي (أَشْرَبُ)² الدال على شدة خصومة مخاطبه وامتلاؤه بهذه الصفة القبيحة، فعبر عن شدة التداخل والتعمق بالعقد الميمي (مُشْرَبٌ)، وتوظيف الشاعر لصيغتين مختلفتين لاسم الفاعل في تركيب واحد هي خصائصه الأسلوبية التي ألفاناه في إيصال المعنى.

• صيغة المبالغة:

وهي صيغ تؤدي ما يؤديه اسم الفاعل، مع زيادة المبالغة في الحدث، ودلالة على التكرير، وأشهر أوزانها (فَعُولٌ، فَعِيلٌ، فَعَّالٌ، مَفْعَالٌ، فَعِلٌ).

لقد حضرت صيغ المبالغة في ديوان "البرزخ والسكين" حضوراً قويا لتتناسبها مع المعاني، ومما ورد على (فَعُولٌ) في قوله³:

لَحْنُكَ الْمُرْخِي فِي صَبَابِ الْخُلُودِ مُورِقَ الْوَعْدِ مُسْتَبَاحَ الْخُدُودِ

فـ(الخلود) مبالغة في (خالد). ومما ورد على (فَعِيلٌ) أكثر من مرة في بيت واحد لتأكيد الدلالة عبر أكثر من صيغة قوله⁴:

يَا سَجِينًا وَيَا قَرِيرَ الْعُيُونِ يَا ضَنْبِنًا بِسَكْبِ وَهَجِ الْفُنُونِ

فـ(سجينا، قريير، ضنبينا) كلها تضافرت كصيغ مبالغة لأداء المعنى.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص49.

² ينظر: داود محمد محمد، القرآن الكريم وتفاعل المعاني (دراسة دلالية لتعلق حرف الجر بالفعل وأثره في المعنى في القرآن الكريم)، ج2، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2002، ص522.

³ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص69.

⁴ المصدر نفسه، ص51.

• اسم المفعول:

وهو ما دل على الحدث ومن وقع عليه، ويأتي من الثلاثي على وزن (مفعول) ومن غير الثلاثي على وزن المضارع مع قلب حرف المضارعة ميما مضمومة، وفتح ما قبل الآخر. وقل توظيف صيغة اسم المفعول في الديوان إلا ما تذر.

ومما جاء في الديوان على (مفعول) من الثلاثي (مشرع) في قوله¹: (فبيت هذا مشرعه)، (وبيت ذاك معلنه). فالفعلان (أشرع، أعلن) رباعيان جاء منهما اسم المفعول من (مشرع، معلن). ولما جاء على وزن (فعل) في قوله²: (أيقنت سرايا بحريا)، (يختط طريق عنايتنا ...). ف(طريق) هنا بمعنى (مطروق) وهي أبلغ منها.

ومما جاء على وزن (فعل) (عزة، همّة) في قوله³: (غَنَيْتُ الْعِزَّةَ وَالْهِمَّةَ)، (يا جزائر بُشْرَى وَمَلَمَّةَ). ومما جاء على وزن (فعل) (صهر) في قوله⁴:

وَهَجُ الْكَوْنِ مُفَعَّمٌ لَا يُطِيقُ صَهْرَ أَوْجَاعِ حِمْلِكَ الْمُتَجَافِي

ف(صهر) هنا بمعنى (المصهور).

• الصفة المشبهة:

هي اسم مصوغ للدلالة على الثبات والدوام، وتصاغ من الثلاثي اللازم غالبا، وتأتي على عدة أوزان، ومما جاء منها في الديوان:

- (فعل): مثل (مطي) في قوله عن الجزائر⁵:

حَمْرَاءَ أَسْرَجَهَا الْجِهَادُ مَطِيَّةً لَتَصُدَّ كَيْدًا لِلظَّلَامِ وَتَغْفِرَا

وهي الصيغة الوحيدة الموجودة في الديوان.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص115.

² المصدر نفسه، ص156.

³ نفسه، ص22.

⁴ نفسه، ص91.

⁵ نفسه، ص27.

- (أَفْعَلُ): في دل على حلية أو عيب أو لون مثل (أسود) في قول الشاعر¹: (الصَّمْتُ والأَغْنِيَاتِ الحِيَارَى)، (تَتَسَلَّقُنِي، تُوقِظُ دَوِيَّ الصَّبَّةِ)، (والمطر الشَّوِيُّ الأَسْوَدُ).
- (فِعِيلُ): مثل (ربيع) في قول الشاعر²:
- وتكونَ حُلْمًا بِالْفُتُوَّةِ يَانِعَا وربيعَ عُمُرٍ بِالنَّضَارَةِ أَجْهَرَا
- (فِعَالُ) نحو (قطاف) في قوله³:
- مَعْقِلُ السِّرِّ أَنْ تَكُونَ وَفِيًّا تُجْزِرُ الوَعْدَ وَاجْتِنَاءَ القِطَافِ
- (فُعَالُ): مثل (صُعار) في قوله⁴:
- فَحَبْلُ اللَّيَالِي مُرَاقُ السَّوَادِ عَلَى وَجَنَّتِيهِ صُعَارُ التَّجْنِي
- (فِعْلُ): مثل (مِلْحٌ) ونحو (عِتْقُ) في قول الشاعر⁵: (ثُرَابِكُ عِتْقٌ وَنَصْرٌ وَعِيدٌ).
- (فَيْعِلُ) مثل (سَيِّدٌ) في قوله⁶: (لا يا سيدة الماء العَطْشَى)، (ومُعْجِزَةُ الآيَاتِ التَّكْلِى...).
- (فَاعِلُ): مثل (عاشق) في قوله⁷: (عاشِقٌ جِنْتُ)، (ومن خلفي قَوافِلُ)، (وأمامي بَرَزْخٌ).
- نلاحظ أن هذا الوزن يتفق مع وزن (اسم الفاعل) ولكن الذي يفرق بينهما هو المعنى، فإذا كان المراد من الوصف دلالاته على الثبوت والدوام كان صفة مشبهة، وإذا أريد التجدد والحدوث كان اسم فاعل.
- (مَفْعُولُ) مثل (مَعْمُورٌ) في قوله⁸: (يَمْنَحْنِي العَيْبَةَ فِي القُبْلَةِ...)، (في لحن الزمن المعمور)، (بآذان الصُّبح). وهذا الوزن يتفق مع اسم المفعول أيضا، والفيصل هو المعنى دائما، حيث تدل الصفة المشبهة على الثبوت كما في البيت السابق، واسم المفعول على التجدد والحدوث.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص124.

² المصدر نفسه، ص26.

³ نفسه، ص43.

⁴ نفسه، ص83.

⁵ نفسه، ص20.

⁶ نفسه، ص162.

⁷ نفسه، ص121.

⁸ نفسه، ص165.

• اسم المكان:

وهو اسم مصوغ للدلالة على مكان وقوع الحدث، ويصاغ في الثلاثي على وزن (مَفْعَل) إذا كان الفعل الثلاثي صحيح الآخر مكسور العين في المضارع نحو (مجلس)، ويصاغ على وزن (مَفْعَل) إذا كان ثلاثياً معتل الآخر نحو (مرمى)، أو مضموم العين في المضارع نحو (مقعد) أو مفتوح العين في المضارع نحو (مبكى) في قول عبد الله حمادي¹:

مِنْ كُلِّ مِحْجَرَةٍ يَدِّ دَكَّتْ عَلَيَّ "الْمَبْكِي" جِدَارَهُ

فـ(المبكى) هنا من (بكى، يبكي)، والمعنى دعوة الأطفال إلى حمل الحجارة والتعاون على دكِّ حائط المبكى الذي يتخذه اليهود في فلسطين المحتلة مكاناً لممارسة شعائرهم الدينية المزعومة.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص31.

الفصل الثالث

الدلالة النحوية في

المستوى التركيبي

1. مباحث الدلالة النحوية التركيبية:

1.1. مفهوم الدلالة التركيبية.

2.1. الدلالة التركيبية في التراث.

3.1. الدلالة التركيبية في الدراسات المعاصرة.

4.1. علاقة التركيب بالدراسة في الاتجاه التوليدي التحويلي.

5.1. خصائص الدلالة التركيبية.

6.1. أثر التركيب في الدلالة.

2. التقديم والتأخير:

1.2. التقديم والتأخير في سياق الإثبات. 2.2. التقديم والتأخير في سياق النفي.

3.2. التقديم والتأخير في سياق القصر والاستثناء (إنما)

4.2. التقديم والتأخير في سياق الاستفهام.

3. الدلالة النحوية للذكر والحذف:

1.3. ذكر المبتدأ وحذفه.

2.3. ذكر الفاعل وحذفهما.

3.3. حذف المفعول به.

4.3. الحذف للعموم.

5.3. ذكر المفعول للتقرير.

4. الدلالة النحوية للفصل والوصل:

1.4. الفصل في التراكيب التي لها محل من الإعراب.

2.4. الفصل في التراكيب التي لا محل لها من الإعراب.

3.4. الوصل في التراكيب التي لها محل من الإعراب.

4.4. الوصل في التراكيب التي لا محل لها من الإعراب.

1. مباحث الدلالة النحوية التركيبية:

1.1. مفهوم الدلالة التركيبية:

تعد بنية التركيب البنية الأساسية، إذ هي المستوى الذي تتمحور فيه البنيتان المفردتان الصوتية والصرفية، كما تعتبر مجالاً لتجليات البنية الدلالية، وتتجسد بنية التركيب على المستوى اللغوي في الجملة، التي تمثل بنية أساسية صغرى وفي النصوص التي تمثل البنيات الكبرى¹. إن الظاهرة النحوية هي "التركيب النحوي للغة، إذ أن التركيب النحوي هو الطارئ الجديد على الكلمات، حيث يتم تركيب الكلمات معاً نحويًا بعد بنائها صرفياً من أجزائها الدالة على المستوى الصرفي"².

إن أساس التركيب النحوي في الجملة المفيدة أو الكلام يعتمد على الإسناد، فالتركيب المفيد لا يكون مفيداً إلا إذا ورد على صورة خاصة من التأليف، فلا بد أن يكون لكل كلمة تعلق بالأخرى على السبيل الذي به يفيد الكلام تمام الفائدة، ولقد ارتبط النحو بفكرة الإسناد منذ نشأته كما يلاحظ في كتاب سيبويه، فمفهوم الإسناد عنده يتمثل في علاقة ربط بين ركني الجملة الاسمية في البناء الاسمي، وبين ركني الجملة الفعلية في البناء الفعلي.

يرتكز تأليف التركيب اللغوي على ثلاثة مكونات لغوية أساسية:

أ. **المسند:** وهو اللفظ الذي لا يستغني عنه المسند إليه، ولا يجد المتكلم فيه بدءاً، كما ذكره سيبويه، أو هو الحكم المراد إيعازه إلى المحكوم عليه. وموضع المسند في العربية هو الفعل والخبر، واسم الفاعل والمصدر النائب عن فعل الأمر.

ب. **المسند إليه:** وهو الوحدة اللغوية التي لا يستغني عنها المسند، أو هو الجزء المحكوم عليه، كالفاعل ونائبه، والمبتدأ أو ما أصله مبتدأ، كاسم كان وأخواتها.

¹ ينظر: بن خوية راجح، جماليات القصيدة الإسلامية المعاصرة (التركيب الشعري)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2013، ص05.

² حمد عبد الوهاب حسن، النظام النحوي في القرآن الكريم (دلائل الكلم)، ص10. وينظر أيضاً: شنوقة السعيد، في الأسس العامة لتحليل الجملة عند العرب، مجلة التواصل، جامعة عنابة، ع08، 2001، ص116.

ج. **الفضلة:** وتدخل التركيب كعنصر إضافي على العلاقة الإسنادية وهي متعلقة بذلك الملحق الذي يضاف إلى المسند والمسند إليه¹.

فالإسناد «دلالة تركيبية في العربية الفصحى، وهو إما إسناد في الجملة الاسمية أو الجملة الفعلية»². والإسناد في اللغة العربية «يكفي فيه إنشاء علاقة ذهنية بين المسند والمسند إليه دون التصريح بالعلاقة بينهما نطقاً أو كتابة، فأساس اللغة لا يقوم على ما تحويه من كلمات، وإنما يقوم على تركيبها الخاص... ولفظ الإسناد أعم من لفظ الإخبار لأن الإخبار ما احتمل الصدق والكذب فلم ينطق إلا على ما احتملها، والإسناد ينطلق على ما احتملها وهو الخبر وعلى ما لا يحتملها كالاستفهام والأمر والنهي وما أشبه ذلك مما ليس بخبر، فكل خبر مسند وليس كل مسند خبر»³.

فالإسناد تركيب دلالي يختزل دلالة النحو الأساسية في علاقاتها بالمتكلم، وباعتباره علاقة دلالية نحوية مجردة ينعقد بها المعنى الذي يتصرف كلاماً يحسن السكوت عليه، ويتخصص إما قيمة إثباتية موجبة هي الصورة البسيطة المثلى للخبر وهو الواجب، وإما قيمة سلبية هي الصورة المجسدة للاستفهام والأمر وما يكون بمنزلة مما سماه سيبويه غير واجب⁴.

2.1. الدلالة التركيبية في التراث:

كانت دراسة التراكيب تسير جنباً إلى جنب مع دراسة المفرد في التركيب، فلم يفرق النحاة بين دراسة أحوال المفرد في التركيب وبين دراسة التركيب نفسه بأحواله المختلفة، وما يطرأ عليه من تغيير من حذف وتقديم أو تأخير وفصل أو وصل ونحو ذلك من العوارض التي تؤثر في بناء الجملة وتحيل معناها إلى معنى آخر، ولا بد أن أذكر نا أن مصطلحات مثل

¹ ينظر: بن عيسى عبد الحلیم، البنية التركيبية للحدث اللساني، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، دط، 2006، ص99.

² شعير محمد رزق، الوظائف الدلالية للجملة العربية، دراسة لعلاقات العمل النحوي بين النظرية والتطبيق، ص36.

³ بلعيد صالح، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 1994، ص102.

⁴ ينظر: خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001، ص618.

التركيب أو الجملة أو النظم أو الائتلاف أو التأليف أو التعليق أو الضم ذات دلالات متقاربة يراد بها ضم الألفاظ بعضها إلى بعض أو نظمها في بناء متكامل المعنى يفيد المخاطب ما يحسن السكوت عليه¹.

والنظم في اللغة «التأليف، أما في الاصطلاح: فهو تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني، متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل»². وفي ذلك يقول الجرجاني (ت471هـ): "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخل بشيء منها"³.

ولم يقف الجرجاني (ت471هـ) عند هذا الحد، وإنما وضح وجوه التعليق وسبل الربط في نظام التركيب اللغوي في العربية بتحديدته شبكة من العلاقات التشكيلية القائمة بين الوحدات المورفولوجية، وهي: الاسم والفعل والحرف، التي أدرك قيمتها وتظن إلى أن أساس المستوى التركيبي والدلالي هو المستوى الصرفي لأنه لا يتصور وجود علم للدلالة بلا صرف⁴.

وقد وجد النحاة الكلام يأتي على فرعين رئيسيين من التراكيب⁵:

1. التراكيب التي تدل على معنى التجدد والحدوث والتغيير وهي ما كان معبرا عنها بالفعل وما يأتلف معه.

2. التراكيب التي تدل على معنى الثبوت والاستقرار وهي ما كان معبرا عنها بالاسم وما أتلّف معه. أما ما عدا ذلك فقد اختلفوا في إرجاعه إلى النوعين بحسب اجتهادهم.

وعلى هذا فالنظم في اللغة يتعلق بكل ما له صلة بكيفية ضم الكلمات بعضها إلى بعض في تراكيب صحيحة نحويا، فهو يمثل القواعد التي ترتب الكلمات بناء عليها، كقواعد

¹ ينظر: الخالدي كريم حسين ناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، ص313.

² الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، ص310.

³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص70.

⁴ ينظر: دلخوش جار الله حسين دزه يي، الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (دراسة دلالية)،

ص18. وينظر أيضا: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص292.

⁵ ينظر: الخالدي كريم حسين ناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، ص326.

التقديم والتأخير، والحذف والتقدير، ويتضمن الوسائل التي يتسعان بها لتأليف الجمل وترتيب الكلمات وفق قواعد اللغة، مثل وسائل الربط والوصل بين المفردات، فهو تأليف يراعى فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وما تفرضه طبيعة ذلك المنظوم من أصول يجب أن تتبع¹.

إن ما أشيع بعد ظهور مصطلح النظم لعبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، والتغيير الذي أحدثه في ميدان الدراسة اللغوية حيث صرح بضرورة دراسة المعاني النحوية من خلال دراسة التركيب لا يعني إيقال القدماء في دراسة المفرد والابتعاد عن دراسة التراكيب، فالنحاة الأوائل هم رواد لأكثر المباحث التي تتعلق بالتركيب (النظم): «إذ درسوا أحوال اللفظ في ضوء علاقته بغيره من الألفاظ في التركيب... ولم يضع النحاة هذه القواعد أو الأصول أو الأحكام بمنأى عن إدراكهم معاني التركيب... وقد أدرك عبد القاهر الجرجاني -شأنه شأن سائر النحاة- أن النحو ليس المصطلحات أو الأحكام اللفظية، وإنما هو الكشف عن المعاني ووضع الوسائل المعبرة عنها بصيغ وعبارات ومصطلحات وأحكام»².

3.1. الدلالة التركيبية في الدراسات المعاصرة:

شكلت آراء دي سوسير وفرضياته منعرجا حاسما في الدراسات اللسانية الحديثة خاصة ما تعلق منها بالمفردة ودورها في التركيب ودلالاته، وقد اعتبر أن التركيب هو الأساس المادي لمفهوم التعااقبية، إذ أنه يمثل تركيب ناقص: خاصة ما تعلق منها بالمفردة ودورها في التركيب ودلالاته، ربطا بين عنصرين أو أكثر تجمعهما علاقة صوتية وصرفية ونحوية، يقول: "فالتركيب يشكل دائما من وحدتين متعاقتين أو أكثر، وهذا المفهوم عنده يعكس علاقة الإسناد بين الاسم والفعل، أو بين الاسم والاسم وقد يتوسع إلى عدد غير محدود من الوحدات، ومن المؤكد أن الخطية سمة اتصلت مباشرة بالوصف التركيبي الذي يعكس قيمة الكلمة بالنظر إلى ما يحيط بها من عناصر سابقة لها أو لاحقة"³.

¹ ينظر: شعير محمد رزق، الوظائف الدلالية للجملة العربية، دراسة لعلاقات العمل النحوي بين النظرية والتطبيق، ص18.

² الخالدي كريم حسين ناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، ص313، 314.

³ ينظر: فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يؤتيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، دط، 1985، ص149.

وتبرز القيمة بتظافر القرائن اللفظية والمعنوية، وبتشكيل علاقة تبادلية بين الكل والأجزاء، يقول دي سوسير: "فقيمة الكل هي في أجزائه كما أن قيمة الأجزاء تأتي من مكانتها في هذا الكل أو ذلك، ولهذا فإن أهمية العلاقة التركيبية بين الجزء والكل كأهميتها بين الأجزاء فيما بينها"، ويصل إلى نتيجة هامة: أن الجمل هي النمط الأفضل في التركيب، بيد أنها تنتمي إلى الكلام الذي يتصف بعدم خضوعه للنظام، إنه يتصف بالحرية الفردية¹.

تتحكم آلية التثبيت والانتقاء في تشكيل التراكيب، والربط بين الوحدات اللغوية للتعبير عن الموقف الذي نريده، فالتقابل الثنائي موجود بين الصوت وأثره الدلالي أو الصورة الذهنية²، وبين الصيغة والمعنى، "فهناك إذن تشابه مزدوج بين المعنى والمبنى طورًا وطورًا آخر في الشكل أو في المعنى ليس غير³. فالمتكلم إذا قال «أنجزت خمس مقالات، فالدلالة التركيبية تتأثر بتغيير جزء صغير في الجملة، فإن المتكلم في الجملة السابقة قد اختار كلمة "أنجز" من مجموع الخيارات الممكنة مثل: كتبت أو أعددت ونحوهما، واختار التاء المضمومة (تاء الفاعل أو المتكلم) بلا من الضمائر الدالة على جماعة المتكلمين (ن) أو تاء التخاطب، أو (تا) المخاطبين، أو ضمير المخاطبين (تم)، أو ضمير الغائب (هو، هي...)، واستبعد من التركيب واحدًا، واثنين وثلاثة ونحوها، واستبعد محاضرات، أو دروسا، أو رسائل...»⁴.

ويفرق الغربيون بين علم النحو وعلم التراكيب، فيجعلون علم التركيب أعم وأشمل بحيث يشمل علم الصرف وعلم النحو ويسمونه "علم القواعد"، يقول ماريو باي: «فالتغييرات الحادثة هنا داخل الكلمات نفسها تشكل موضوع علم الصرف (Morphology) الذي يختص بدراسة الصيغ، وتنظيم الكلمات في نسق معين يشكل موضوع علم النحو (Syntax)، وإن الصرف والنحو ليكونان ما يسمى بعلم القواعد (Grammar) أو التركيب (Structure) أو قوانين المرور

¹ ينظر: فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، ص151.

² المرجع نفسه، ص152.

³ نفسه، ص158.

⁴ مزوز دليلة، الأحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة، (دراسة تحليلية نقدية)، ص307.

التي لا يمكن أن تنتهك تجنباً للوقوع في ورطة تفوق تيار المعاني المتدفق الذي يربط متكلماً بآخر، وتوقف التفاهم الذي هو الهدف الأساسي أو الوحيد للغة»¹.

4.1. علاقة التركيب بالدراسة في الاتجاه التوليدي التحويلي:

تميزت الدراسات اللسانية الأمريكية باهتمامها الشديد بالدراسات الصوتية والصرفية والتركيبية، مقابل إغفال تام لقضايا الدلالة والمعنى. ولاحقاً طرحت قضية الدلالة في النظرية التوليدية التحويلية وذلك لمعرفة دورها وموقعها من الدراسة، إذ من المفترض أن يكون لها دوراً وظيفية تؤديها إلى جانب التركيب، ولكن ما علاقتها بالتركيب؟ وهل يمكن الحديث عن تركيب ودلالة أم تركيب دلالي؟

تتلخص منوالات تشومسكي بالنظر إلى العلاقة بين التركيب والدلالة في منوالين

أساسيين هما:

1.4.1. منوال الأبنية النحوية:

ظهر سنة 1957م، وتتركز أسسه في توليد الجملة وعناصر النحو الأساسية، ويقوم

على ما يلي:

- **تعريف النحو:** يعرف تشومسكي النحو بأنه: "الدراسة التي تعالج البنية التركيبية والتي تعرف في معناها الواسع بمقابلتها للدلالة في معناها الضيق بمقابلها للصوتية، وعلم الصرف"². فالنحو مستقل عن الدلالة، وليس جزءاً منها، بل هي مقابلة له مثلما هو مقابل لعلم الصرف، والواضح أن فصل هذين المستويين يجعل الدلالة خارجة عن المجال التركيبي، بحيث تعكس استقلالية التركيب كفايته في تحليل المعطيات اللسانية في النظرية، "فالبنية التركيبية بنية شكلانية تشتغل مستقلة عن المعطيات الدلالية، وأن نظام القواعد تكونه في مستوى الأساس مكونات تركيبية تكفي لتوليد الجمل"³.

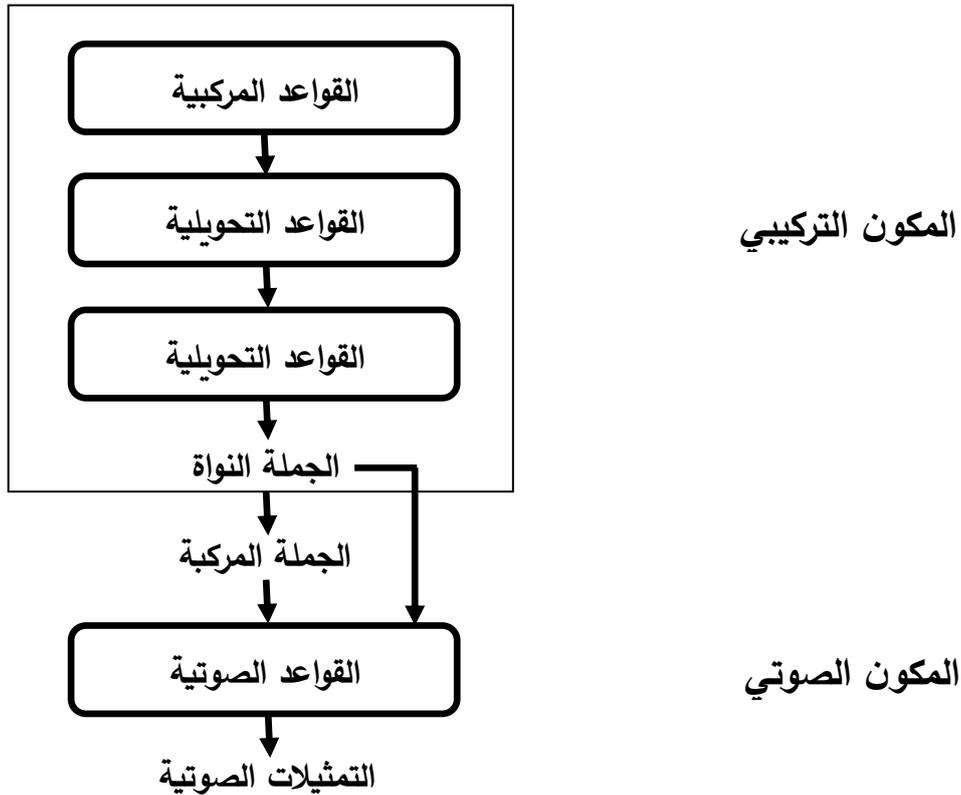
¹ ماريو باي، أسس علم اللغة، ص53.

² ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأندوبي: مفاهيم وأمثلة، ص36.

³ مزوز دليلة، الأحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة، (دراسة تحليلية نقدية)، ص352.

ويبدو أن تشومسكي مدفوع بقوة عناصر النظرية النموذجية، ووضعتها إلى التصريح قائلاً: "إننا مجبرون على القول بأن النحو مستقل عن الدلالة"¹، فالفصل بين التركيب والدلالة يقتضي منا تحديد مفهوم النحوية التي لا ترتبط بالمعنى، فهي في نظره "لا تختزل في مفهوم ذو دلالة"²، فالجملة «إذا كانت خاضعة لقواعد النحو توصف بأنها نحوية، حتى وإن كانت عديمة المعنى نحو: الجبل يحمل رسالة إلى الحاكم، وهي في نظر تشومسكي جملة أصولية إذ لا يجب أن نخلط بين مفهوم الأصولية وبين دلالة الجملة»³، وهذا يقودنا إلى افتراض أن تشومسكي يفرق بين نوعين من القواعد: تركيبية ودلالية، ويمكننا أن نرسم هيكل النموذج الوارد في البنيات التركيبية كما يلي:⁴

هيكل البنيات التركيبية



الشكل رقم (14): غياب الدلالة في نموذج تشومسكي الأول.

¹ نعوم تشومسكي، البنى النحوية، تر: يؤيل يوسف عزيز، منشورات عيون، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1987، ص19.

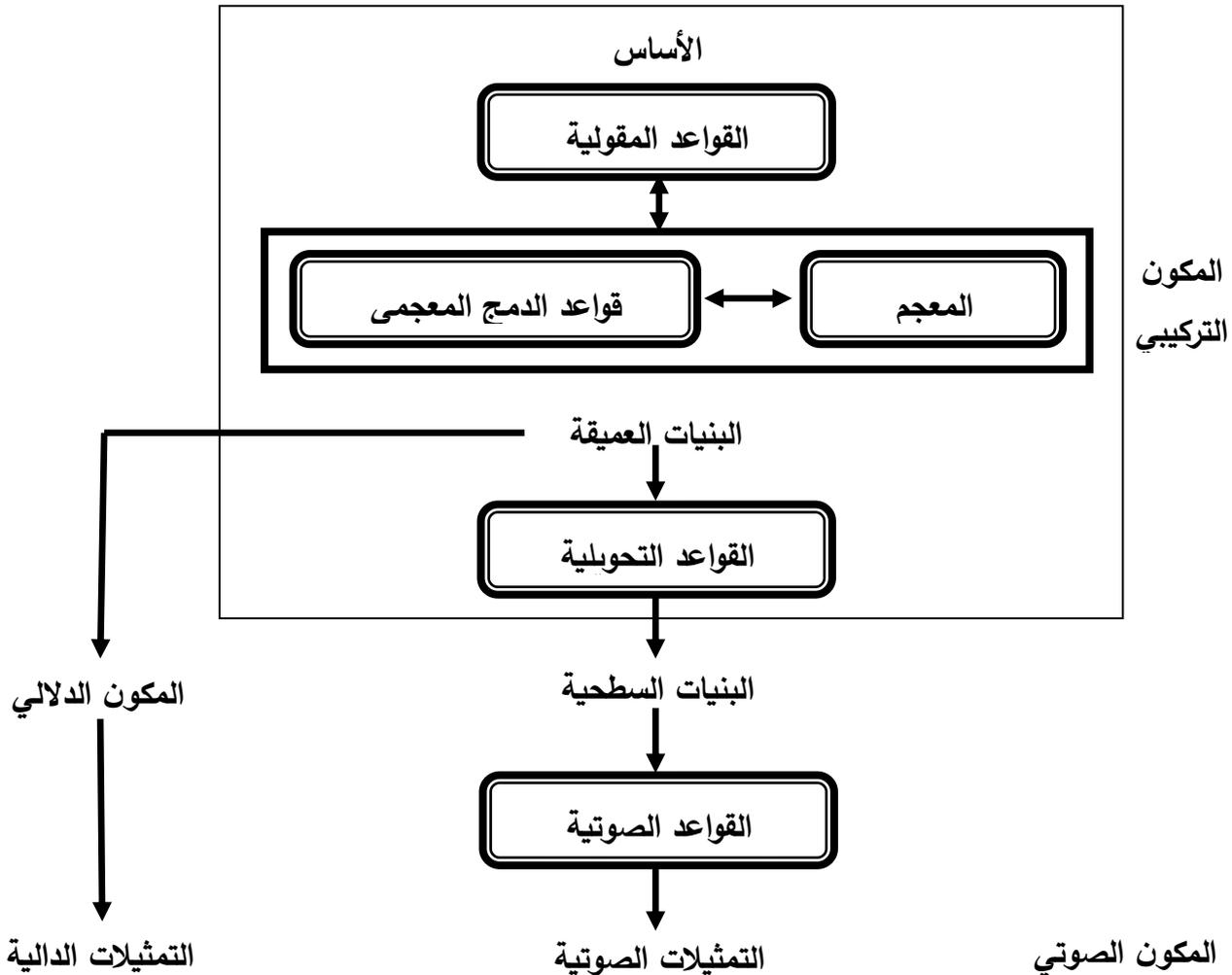
² المرجع نفسه، ص20.

³ ميشال زكرياء، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص108. وينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأندوني: مفاهيم وأمثلة، ص36.

⁴ ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأندوني: مفاهيم وأمثلة، ص106.

2.4.1. منوال النظرية النمذجية:

يبدو أن تراجع تشومسكي بإقحام المكون الدلالي، تراجع عن الطروحات السابقة، إلا أن الواقع يعكس خلاف ذلك، فتشومسكي عدّ المكون الدلالي مكوناً تأويلياً يقع خارج القواعد مضاف إليه قواعد الإسقاط، حيث مثلت هذه القواعد أداة ربط أساسية بين التركيب والدلالة، فالمنوال هنا ذو أساس تركيبى، حيث إنه يفترض أن العلاقة بين الصوت والمعنى يعقدها التركيب، فالتصور قائم على بنية شكلية مجردة تتحكم في الأبنية الصوتية والمعجمية والدلالية. إن المعرفة الضمنية بقواعد اللغة عند كل فرد متكلم، يمكن اعتبارها متتالية من المدخلات (Input) والمخرجات (Output) التي يمكن أن يجسدها الرسم البياني التالي:¹



الشكل رقم (15): موقع المكون التركيبي والدلالي للنظرية النمذجية المعدلة لتشومسكي.

¹ ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنى: مفاهيم وأمثلة، ص 110.

يتبين من الرسم أعلاه أن المكون التركيبي هو المكون المولد، لأنه ينطلق من الجملة ليصل عبر آلية من القواعد إلى أقوال منجزة بالفعل، أما المستوى الثاني فهو مستوى التأويل الدلالي والتأويل الصوتي.

5.1. خصائص الدلالة التركيبية:

لا يمكن، كما لا يخفى أن يخضع التركيب النحوي للعربية لنظام واحد ولا مجموعة متساوية من الأنظمة، وإنما لعدد من الأنظمة ذات مستويات مختلفة، وترجع ضرورة تعدد الأنظمة في التركيب النحوي إلا أنه له عدة جوانب يحكم كل جانب منها نظام يرد لها بشكل أساسي وأنظمة أخرى تمثل شيئاً أقرب إلى الاستثناءات على هذا النظام الأساسي.

وتتمثل جهات التركيب التي نريدها هنا في علاقات التركيب وعناصرها وأداء هذه العلاقات والتعبير عنها وبنية التركيب أو ترتيب عناصره، ولن نفرق بين نظام التصنيف الذي يكون للكلمات والأنظمة التي تكون للتركيب نفسها، ولن نفرق بين النظام الأساسي وغير الأساسي، وذلك لبيان خصائص الدلالة التركيبية في العربية والتأكيد على تعددها. مع الحرص على تصنيف الأنظمة في نظام أساسي لكل جهة وأنظمة غير أساسية لها تمثل استثناءات، وذلك كما يلي:¹

1.5.1. نظام العلاقات النحوية أو العمل (نظام التعليق):

يتصل هذا النظام بجهة العلاقة النحوية وعناصرها، وهي العلاقة التي يتحقق بها التركيب، فلا تركيب بلا علاقات بين مفرداته، ولا النقاء بالمستوى الشكلي بل تجاوز إلى مستوى أكثر تجرداً، وهو مستوى العامل والمعمول، "اكتشف ذلك علماءنا الأولون بفضل حمل الشيء على الشيء لاكتشاف ما يجمعهما في البنية، وبهذا الحمل تتضح أهمية ما يسمى بالموضع وأهميته لا كحيز في مدرج الكلام في مستوى الجملة- بل في المثال المستنبط المشار إليه، فالعلاقات الجمالية أي التحويلية بين الجمل هي التي تؤدي إلى معرفة المواضع المثالية وما عسى أن تحتوي عليه، وقد يكون محتوى الموضع لا شيء، فالصفر في هذه

¹ ينظر: عبد الدايم محمد عبد العزيز، النظرية اللغوية في التراث العربي، ص218، 219.

الصياغة يقوم بدور هام جدًا، ثم إن الصيغة المجردة (ع — 1م) ≠ 2م ≠ خ تتطبق على أي جملة عربية، وأهم من هذا هو أن 1م لا يمكن أن يتقدم على ع في أي كلام عربي فصيح¹، وقد رمز الدكتور حاج صالح عبد الرحمن إلى مكونات عناصر التراكيب في العربية وعلاقتها بالرموز التالية في بنية جامعة كما يلي: [ع — 1م) ≠ 2م] ≠ خ

ع = العامل، و 1م = المعمول الأول، و 2م = المعمول الثاني، وخ = المخصص — التركيب الواجب والقوسان يجمعان الزوج المرتب، أما المعقوفتان فلوحدة التركيبية الصغرى².

ولا يخفى أنه قد تم الاتفاق في الدراسات المعاصرة على كون فرض العمل يمثل نظرية عريضة في النحو العربي، كما لا يخفى أن مفهوم العمل يمثل النموذج الأكثر بروزًا في النحو العربي، بل تشير بعض الدراسات إلى انحصار نظرية النحو في نظرية العمل تفيد الدراسة أن "بين النحو ونظرية العامل شيئاً من الترادف"³.

2.5.1. النظريات غير الأساسية:

إن عدّ العمل وحدة النظرية المطلقة للنحو العربي كله يخالف بلاشك طبيعة العربية من جهة وواقع الدرس النحوي العربي من جهة أخرى، ذلك أن اللغة العربية قد اشتملت على أنظمة أخرى غير نظام العمل، وهي تحتاج من ثم إلى نظريات أخرى تفسرها، نحو: الحمل على المعنى والتضمين، والاتساع والنيابة والإتباع والتخفيف والمناسبة، الحذف، الزيادة، التنازع، الاشتغال، نظام الرتبة الأساسي، الأصل والفرع، نظام أداء المعنى النحوي (السمة)⁴.

¹ الحاج صالح عبد الرحمن، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص304.

² المرجع نفسه، ص254.

³ ينظر: الملخ حسن خميس سعيد، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000، ص146. وينظر أيضا: عبد الدايم محمد عبد العزيز، النظرية اللغوية في التراث العربي، ص238. وينظر أيضا: بعض الأمثلة التي يقترحها الأستاذ الحاج صالح عبد الرحمن لاندراج الأبنية التركيبية في العربية، ص331.

⁴ ينظر: عبد الدايم محمد عبد العزيز، النظرية اللغوية في التراث العربي، ص219 وما بعدها.

ويمكن تصنيف هذه النظريات التي يمكن أن تضاف إلى نظرية العمل في ثلاثة أنماط فرعية تكمل نظرية العمل أو ترد بديلا عنها أو ترد من قبيل تداخل الأنظمة، وذلك كما يلي:¹

1.2.5.1. الأنظمة التكميلية:

هي تلك النظريات التي تطوع التركيب حتى يقع تحت نظرية العمل، وذلك نحو: الحذف والتضمين، والاتساع، والنيابة، وصور الحمل على المعنى أو اللفظ... الخ.

يقول ابن جني (ت392هـ): "اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر وكان أحدهما يتعدى بحرف، والآخر بآخر فإن العرب تتسع فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانا بأن هذا في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه، وذلك كقوله: {أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثِ إِلَى نِسَائِكُمْ} [البقرة، 187]، وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة، وإنما رفثت بها أو معها، لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء وكنت تعدي أفضيت بالي، كقولك: أفضيت إلى المرأة، جئت بالي مع الرفث إيذانا وإشعاراً أنه بمعناه"².

2.2.5.1. الأنظمة البديلة:

وهي مفاهيم لا يرد بها معالجة الخروج على مفهوم العامل، ولا تطويع التركيب لقواعد وتفصيلات نظرية العامل، وإنما يراد بها تفسير التركيب على وجه خارج تماما عن العمل، ومن ذلك مفاهيم الإتياع والمناسبة والتخفيف وكثرة الاستعمال... الخ، وهذه المفاهيم مغايرة لمذهب العامل في تفسير التركيب الوارد³.

ويمكن التماس النظريات البديلة في التفسيرات الصوتية التي تقدم للحركات في العربية كحركة المناسبة، واللافت أن المناسبة أثبتت في التركيب من الحركة التي ترد وفق نظرية العامل، إذ تمنع حركة الإعراب من الظهور، كما تعد المناسبة وغيرها من بدائل العامل مفاهيم معترضة عند النحاة بدليل إقرارهم النظام الأساسي رغم وجود النظام البديل، فيعرفون مثلاً: مرفوع على الفاعلية منع من ظهور الضمة حركة المناسبة.

¹ ينظر: عبد الدايم محمد عبد العزيز، النظرية اللغوية في التراث العربي، ص239.

² ابن جني، الخصائص، ج2، ص308.

³ ينظر: عبد الدايم محمد عبد العزيز، النظرية اللغوية في التراث العربي، ص240.

3.2.5.1. مفاهيم الأنظمة المتداخلة:

تعالج هذا النوع من الأنظمة بعض الشواهد التي تعكس تداخلا بين الأنظمة في ذهن المتكلم، ومن ذلك مفهوم الوهم ومفاهيم الغلط والنسيان والبداء التي تذكر في باب البذل، وكذلك مفهوم الجر على الجوار¹، وهي تخطئ العرب من حيث ضعف الملكة اللغوية، وإنما تعكس عروض الوهم الذي يرد على أية ملكة كائنة ما كانت هذه الملكة، وتتصل هذه المفاهيم بالجانب النفسي لمتكلم اللغة.

إن تراثنا اللغوي العربي في جانب النحوي لم يكتف بنظام واحد الذي وضع له نظريته المشهورة العامل، وإنما سارع إلى وضع أنظمة أخرى ثلاثة تساهم في فهم دلالة التراكيب العربية، أحدها يكمل نظام العامل الأساسي، والثاني يرد بديلا لنظام العامل كلية، وأما الثالث فيتصل بتداخل الأنظمة اللغوية.

6.1. أثر التركيب في الدلالة:

بيّن علماء اللغة أن جوهر الحدث اللساني إنما هو في تراكيبه وعلائقه، أي في منظومته التركيبية أكثر مما هو في أصواته ومفرداته، ف"من أهم خاصيات اللغة شكلها المقنن الذي يقوم على المكون التركيبي (Composnte Syntaxique) باعتباره العنصر المركزي في اللغة، ولذلك طغى مفهوم "التركيب" على النحو، فإن المتكلم يولد عدداً لا متناهيًا من الجمل، لكنه لا يولد المفردات"²، الأمر الذي يشير إلى طغيان مفهوم "التركيب" على "النحو" في ضبط العلاقات التركيبية بين الوحدات اللغوية في أي تشكيل لغوي.

وفي بيان أهمية التركيب يذكر ابن الأثير (ت630هـ) أن: "تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها، لأن التراكيب أعسر وأشق، ألا ترى ألفاظ القرآن الكريم من حيث انفرادها قد استعملها العرب ومن بعدهم، ومع ذلك فإنه يفوق جميع كلامهم

¹ ينظر: عبد الدايم محمد عبد العزيز، النظرية اللغوية في التراث العربي، ص240.

² بن مراد إبراهيم، مقدمة لنظرية المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص69.

ويعلو عليه، وليس ذلك إلا لفضيلة التركيب"¹، فأى بناء لغوي يعتمد على ألفاظ تنظمها علاقات تركيبية مخصوصة.

وضمن هذا الطرح يذكر عبد القاهر الجرجاني (471هـ)، بعدما بين أن تأليف الحروف هو تواليها في النطق، أن نظم الكلم تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتّبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذا نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء وانتق، وكذلك كان عندهم نظيراً للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير وما أشبه ذلك"².

ولا ننكر أن القواعد اللغوية التي وضعها النحاة هي في أساسها فرضيات، أو أطروحات لسانية، تحاول في لبّها أن توضح الكيفية الدقيقة لصياغة التراكيب، وفق ما تمليه علاقاتها النحوية والدلالية، تكون مدركة ضمن الكفاية اللغوية لأي متكلم أو مستمع للغة، وهذا ما وضحه تشومسكي حينما "اقترح أن تكون قوة توليد البنيات اللغوية عند البشر ناتجة عن مكون تركيبى، يسمح لهؤلاء بإنتاج الجمل النحوية في اللغة التي يتكلمونها، ويعمل هذا المكون على توليد المتواليات الجيدة نحويًا، ويلغي غيرها"³. لذلك يستطيع الإنسان انطلاقًا من معرفته الضمنية للغة شكلًا ومضمونًا أن ينتج الفعل الكلامي الذي يعد الانعكاس المباشر للمقدرة اللغوية.

وقد اجتهد النحاة القدامى في تقص قواعد اللغة وأصولها من خلال الكشف الفعلي لها انطلاقًا من المشاهدة والأخذ عن الأعراب الفصحاء مباشرة، فكان من ثمرة هذه الاستقرارات وضع مجموعة من القواعد التركيبية، الهدف منها وصف أساسيات التركيب اللغوي، وتحديد أصول البناء اللغوي في واقعه المثالي التجريدي حتى يتسنى لكل متكلم صياغة جمل لا متناهية ضمن هذه القوانين.

¹ ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، دط، دت، ص151.

² عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص65.

³ جحفة عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، ص59.

حري بنا الإشارة إلى تحول المسار المنهجي وتطوره في التطرق إلى الآلية التركيبية التي يبنى عليها الحدث اللساني، هذا التطور ظل "ينمو ويتزايد في ظل التحول الذاتي للنظرية اللسانية، إلى أن استمد سمة النظرية المتكاملة القائمة بذاتها في رحاب المنحى اللساني التوليدي والتحويلي المعاصر"¹.

وإذا ما حاولنا رصد هذا التحو المنهجي فإننا نشير إلى أن النحاة اعتمدوا على أصول معيارية متعددة ومتنوعة في رصد القواعد اللغوية، تركز في جوهرها على مبدأ الخطأ والصواب. يقول دي سوسير: "اهتم الدارسون في بادئ الأمر بفرع من فروع المعرفة سمي بـ"القواعد"، إن هذه الدراسة التي بدأها الإغريق، وأخذها عنهم الفرنسيون اعتمدت على علم المنطق، وهي تقتقر إلى النظرة العلمية، ولا ترتبط باللغة نفسها، وليس لها من هدف سوى وضع القواعد التي تميز بين الصيغ الصحيحة وغير الصحيحة، فهي دراسة معيارية تتعد كثيراً عن الملاحظة الصحيحة للحقائق ومجالها محدود ضيق"².

ولكنه اتخذ مساراً آخر إبان الدراسات اللسانية الحديثة، إذا اعتمد بعض اللغويين على الشكل³، في حين ركز آخرون على المضمون، هذا الفصل أقامه المحدثون لأن المناهج العلمية فرضته، ولكونهم لاحظوا ما وقع فيه الأقدمون من خلط أدى بهم إلى تناقضات، فقامت منذ بداية القرن العشرين مدرسة اعتمدت على التحليل الشكلي للغة فتقرر أن تركيب الكلمة أو الجملة هي عملية ميكانيكية يمكن أن تدرس وحدها بعيداً عن محتواها الدلالي، وقد ظل هذا الاتجاه سائداً حتى أوائل النصف الثاني من القرن الماضي، حيث نشأت مدرسة أخرى تعرف بالنظرية التوليدية التحويلية، تعتمد بالإضافة إلى المبدأ الأول على الدلالة في التحليل اللغوي، فقد اعتبر صاحبها تشومسكي أن قضايا الدلالة في علاقتها بالنحو عامة، وبالتركيب خاصة، «طرحت في الدرس اللساني بشكل خاطئ مركزة على العديد من القضايا الهامشية... علاوة

¹ حساني أحمد، مباحث في اللسانيات (مبحث صوتي، دلالي، تركيب)، ص 99.

² فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، ص 19.

³ ينظر: مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، ص 34.

على أنها من المسائل الشائكة جدًا التي صيغت بشكل غير دقيق»¹، أو كما وصفه الدكتور حاج صالح عبد الرحمن بالخط بين ما هو خاص باللفظ وما يرجع إلى المعنى²، وهو يرى بأنه شيء عادي منذ أقدم الأزمنة.

وشاع مصطلح "النظم" بين اللغويين العرب، وخاصة عند الذين اتخذوا من التأليف القرائن موضوعا لهم ك"الجاحظ" وغيره، إلى أن تناوله عبد القاهر الجرجاني في تشریح علمي دقيق حدده بمفاهيم استطاع من خلالها بلورة نظرية يشارف بها الرؤية اللسانية المعاصرة.

ومما لا مرية فيه أن الاهتمام بالجانب التركيبي في الصياغة يرجع في أساسه إلى المعنى النحوي الذي يعد أحد الأقسام الوظيفية للمعنى اللغوي العام، وهذا الأخير يسهم كذلك في تحديد البعد الوظيفي للحدث اللغوي، وفي هذا الصدد نستحضر مقولة سيبويه حول تأليف الكلام من استقامة أو إحالة، وهي تقودنا إلى أن مدار التركيب اللغوي إنما يرجع في أساسه إلى طلب معاني النحو.

وقد بين عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) أن إعجاز القرآن يرجع في أساسه إلى النظم والتأليف، يقول: "لم يبق -إعجاز القرآن- إلا أن يكون في النظم والتأليف وكنا قد عملنا أن أبطلنا أن يكون فيه إلا النظم، وإذا ثبت أنه في النظم والتأليف وكنا قد علمنا أن ليس النظم شيئاً غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم، وإنا إن بقينا الدهر نجهد أفكارنا حتى نعلم للكلم المفردة سلكا ينظمها وجامعا يجمع شملها ويؤلفها ويجعل بعضها بسبب من بعض غير توخي معاني النحو وأحكامه فيها طلبنا ما كل محال دونه"³.

فالعنصر الأساسي للنظم هو "الكلمة" باعتبارها المادة الخام التي مكن تحديد ملامحها وشحنها بالمعاني، سواء من الناحية المعجمية كدلالتها على معنى ما، أو من الناحية النحوية كالانتماء إلى أحد أقسام الكلم، بالإضافة إلى اكتساب الدلالة على المقولات النحوية من فاعلية

¹ نعوم تشومسكي، البنى النحوية، ص102.

² ينظر: الحاج صالح عبد الرحمن، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص308. وينظر أيضا: الخالدي كريم حسين ناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، ص60.

³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص356.

ومفعولية وإضافة، ومن جنس وفرع وعدد وتعريف وتكثير وغير ذلك، وبذلك "أصبحت عنصرًا له سماته يحمل في نفسه ما يدل على دوره في جهاز المعنى"¹.

وجوهر البنية التركيبية للحدث اللساني يحيلنا الآن ضمن هذا المكون على "الكلمة" باعتبارها وحدة لغوية تدل على دلالة معينة، يمكن أن تستوعب بالإضافة إلى ذلك معنى نحويًا، لتصبح مؤهلة للالتلاف مع غيرها وفق طرائق تركيبية مخصوصة جاهزة للتوظيف.

¹ المهيري عبد القادر، نظرات في التراث اللغوي العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993، ص14.

2. التقديم والتأخير:

يعد التقديم والتأخير ظاهرة أسلوبية تتطلبها مقامات مختلفة، وقد أدرك اللغويون والبلاغيون قديماً أهمية هذه الظاهرة دورها في التعبير عن المعنى فذكروا كثيراً من المباحث المتعلقة بها، وانشغلوا بمسائل التعليل والتقدير وبيان أصل العبارة التي جر فيها التقديم والتأخير، مراعين في ذلك كل ما يتعلق بصحة بناء التركيب¹، ومن أبرز من تحدث عن هذه الظاهرة سيبويه (ت180هـ) في كتابه "الكتاب" فأبان عن أسرارها في أكثر من موضع، فقسم التقديم إلى ما يمكن أن يقدم في الرتبة دون الحكم، كتقدم المفعول به على فاعله، وإما أن يقدم في الرتبة والحكم معاً كتقديم رتبة المفعول وحكمه في باب الاشتغال إذا ما ارتفع بالابتداء، كما في قولهم (زيدٌ ضربته)²، إضافة إلى كشفه للأغراض التي يقصدها المتكلم عند التقديم³.

ويعد ابن جني (ت393هـ) من أهم من تحدثوا عن التقديم والتأخير في فصل واحد تحت باب (شجاعة العربية)⁴، وتميز الجرجاني (ت471هـ) في أبحاثه في هذه الظاهرة بتلمس الأسرار الدلالية المؤدية إلى هذا التغير اللغوي، ودرسها وفق منظور فني جمالي بلغ بواسطته خفايا دقيقة ونكتاً وأسراراً بلاغية ربما استترت على سابقيه، وأدحض مزاعم الذين تسموا التقديم والتأخير إلى مفيد مرتبط بالتغيرات الطارئة على البنية العميقة، وغير مفيد لا يتعدى الإطار الشكلي البحث، وأكد أنه متى اختص التقديم والتأخير بفائدة لا تتحقق تلك الفائدة مع تركها، لذا لا يمكن أن يتساوى وجود هذه الظاهرة وانعدامها في الحدث اللغوي⁵، الأمر الذي يؤدي إلى "خلق أواصر قوية بين كل تغيير بنيوي وآخر دلالي منوها بالقيمة الجمالية والطاقة البيانية التي

¹ ينظر: محمد بن سهل بن السراج (ت316هـ)، الأصول في النحو، ج2، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1996، ص222. وينظر أيضاً: المسيري منير محمود، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2005، ص50، 87.

² سيبويه، الكتاب، ج1، ص37، 80، 81.

³ ينظر: الخالدي كريم حسين ناصح، نظرية المعنى في الدراسات النحوية، ص348.

⁴ ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2، ص384، 392.

⁵ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص110، 111.

تتأتى من كيفية إدراك صياغة الكلام وتنسيقه حسب مقتضيات الظروف والموقف والدوافع النفسية والشعورية¹.

إن تغييرات النظام التركيبي من الداخل والخارج التي أشرنا إليها تكون في سياقات متنوعة هي:

1.2. التقديم والتأخير في سياق الإثبات:

1.1.2. تقديم المبتدأ على الخبر وتأخيره عنه:

لا يرى اللغويون وجود فارق دلالي بين الخبر المعرف والمقدم والمؤخر، وأقروا بعدم تباين المستوى الدلالي فيهما، يقول سيبويه (ت180هـ): "وإذا كانا (الاسم والخبر) معرفة فأنت بالخيار: أيهما جعلته فاعلا رفعته ونصب الآخر، كما فعلت ذلك في ضرب، وذلك قولك: كان أخوك زيدًا، وكان زيد صاحبك..."². وقد أصبح هذا الرأي سنة عند العلماء اللاحقين³، وأوهمهم بتمائل الدلالة في مثل: (زيد الأمير) و(الأمير زيد) و(جئتك وعبد الملك الخليفة) و(جئتك والخليفة عبد الملك)⁴، فمعنى إثبات الإمارة لزيد والخلافة لعبد الملك واحد لا يتغير في الحالتين، ولا توجد حاجة مقامية وأسلوبية تستدعي مثل هذا التغيير، لكن الأمر عكس ذلك تماما، فالعلاقات الموقعية في البنية السطحية للجملة العربية لها دور مقرر في تعيين المعنى لكون رتب العناصر التركيبية "شديدة الحساسية، وأي تغيير فيها يحدث تغييرات جوهرية في تشكيل المعاني، وألوان الحس، وظلال النفس"⁵. ويؤيد الدرس اللغوي الحديث هذه النظرة الدلالية، حيث يفرق الدارسون بين المسند والمنسند إليه المعرفتين في الجملة بتقديم الذي نعرفه وننتبث منه، ونؤخر العنصر الثاني، أي المسند الذي هو المتغير⁶.

¹ دلخوش جار الله حسين دزه بي، الثنائيات المتغيرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (دراسة دلالية)، ص52.

² سيبويه، الكتاب، ج1، ص49، 50.

³ ينظر: بلعيد صالح، التراكيب النحوية وسياقاتها عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص175.

⁴ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص182.

⁵ أبو موسى محمد محمد، دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، ص170.

⁶ ينظر: المبخوت شكري، إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية، مركز النشر الجامعي، تونس، دط، 2006، ص327،

وتطرق الجرجاني (ت471هـ) أيضا ضمن هذا الموضوع إلى مسألة دلالية متعلقة بالتركيب الملتبسة التي تحتل أكثر من بنية دلالية واحدة، ولا تصح إلا واحدة منها، تقتضي الالتزام بدليل نظمي واحد لتأدية البنية الدلالية المقصودة، كما يلحظ ذلك في قول أبي تمام:

لُعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لُعَابُهُ وَأَرِي الْجَنَى إِشْنَارْتُهُ أَيْدٍ عَوَاسِلُ

فالشاعر أراد تشبيهه مداد قلمه بلعاب الأفاعي في الضراء، وبأري الجنى (العسل) في السراء، ولا يتحقق هذا المعنى إلا بجعل (لعاب الأفاعي) خبراً مقدماً و(لعابُهُ) مبتدأ مؤخرًا، وإذا قدر عكس ذلك بأن يكون (لعاب الأفاعي) مبتدأ و(لعابه) خبرًا، فسد المقصد الدلالي وفسدت الصورة التي أرادها الشاعر¹.

ويشبه ما ذكره الجرجاني بعض التراكيب الملتبسة التي مثل بها أحد اللسانيين المعاصرين بقوله: (نقد تشومسكي نقد مبرر)، فهذا التركيب الملتبس يمكن تمثيله بدليلين متغايرين: (نقد تشومسكي لأحدهم نقد مبرر) و(نقد أحدهم لتشومسكي نقد مبرر) فلكل منهما بنية عميقة خاصة به، ومقامه الخاص الذي ينسجم معه والذي يقضي بسلامة أحدهما دون الآخر. ومما جاء في الديوان من تقديم المبتدأ وتأخير الخبر قول الشاعر معبرًا عن رغبته الشديدة في التطهر وصفاء النفس أملا في نيل رضى محبوبه والاقتراب منه:

هُوَ عُرِّي، وَلَيْلُ حُلْمٍ عَنِيْدٍ أَثْقَلْتُهُ عَزًّا هُمُو "أُخْت" "لَات"²

فالمبتدأ هنا (هو) الدال على حال الشاعر ومطلبه وبغيته، سبق الخبر (عري) الدال على تخلي الشاعر عن كل ما يمكن أن يتقل كاهله أو يعيق حركة وصوله إلى مراده. يؤكد ذلك ما جاء من أبيات لاحقة في القصيدة نفسها:

هُوَ نَسْعٌ مِنَ الْحَقِيقَةِ يَسْعَى فِي اخْتِسَامٍ لِيُوَحِّدَ الْإِلْتِحَامَ³

¹ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص371، 372.

² حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص55.

³ المصدر نفسه، ص61.

وقوله:

هُوَ وَجْدٌ... بَلْ فِتْنَةٌ قَدْ تَحَدَّثَتْ حِكْمَةَ "الطُّورِ" وَأَعْتَرَارَ "الْفَيَافِي"¹

ومما جاء في الديوان من تقديم الخبر على المبتدأ، شكواه ومعاتبته حبيبه على شدة خصومته، ونواياه المبيتة للغدر نحوه، داعياً إياه إلى قبوله واحتضانه، قوله:

ظَالِمٌ أَنْتَ مُشْرَبٌ بِالْخِصَامِ تُضْمِرُ الْعَدْرَ فِي بَصِيصِ الْمَلَامِ²

فالمقصود هنا (أنت ظالم) ومن ثم فإن (أنت) مبتدأ و(ظالم) خبر، وقدم الخبر لإبراز المعنى المقصود من الشاعر وهي تشبيهه بالظالم، ما جعل من الخبر يقدم دون لبس، يؤكد ذلك إعادة الشاعر لنفس التركيب في قوله في المقطوعة نفسها:

ظَالِمٌ أَنْتَ فَاثْتَسِبْ يَا غَوِيٌّ وَأَرْحَمِ الزَّهْرَ فِي حُقُولِ الْغَرَامِ³

ويجوز أن يكون (ظالم) هنا مبتدأ، و(أنت) خبر، على نية إرادة التشبيه المعكوس للمبالغة في التشبيه، لأن المقام هنا يقتضي المبالغة في الوصف، يقول ابن تمام في هذا الموضوع: "ويضعف أن تقدر الأول فتبدأ بناء على أنه من التشبيه المعكوس للمبالغة لأن ذلك نادر الوقوع ومخالف للأصول، اللهم إلا أن يقتضي المقام المبالغة"⁴.

ومما ورد في الديوان مما تساوى فيه عنصر الجملة الاسمية (المبتدأ والخبر) مع عدم وجود قرينة تبين المبتدأ من الخبر، وباعتبار الخلاف الحاصل بين النحاة في هذا الأمر⁵، فإن قول الشاعر قد أنصف رأي سيبويه والفراسي وابن السيد⁶ في الموضوع، باعتبار أي منهما المبتدأ والخبر، حيث يقول: (مَدِينَتِي... قَصِيدَتِي)، (قَصِيدَتِي... مَدِينَتِي)⁷.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 65.

² المصدر نفسه، ص 49.

³ نفسه، ص 49.

⁴ ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج 2، ص 452.

⁵ ينظر: السيد أحمد محمد عبد الراضي، التوظيف الدلالي للمعطيات الصرفية والنحوية في ديوان ابن هانئ الأندلسي (ت 362هـ)، ص 214.

⁶ جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، همع الهوامع في شرح الجوامع، ج 1، ص 100، 102.

⁷ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 114.

فقد جعل الشاعر (المدينة) مرة مبتدأ و(القصيد) خبر، ثم عكس الأمر في التركيب الموالي مباشرة، ونؤكد هنا على رأي عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) القائل بأنه "ليس من كلام يعمد واضعه فيه إلى معرفتين، فيجعلهما مبتدأ وخبرًا ثم يقدم الذي هو الخبر إلا أشكل الأمر عليك فيه، فلم تعلم أن المقدم خبر حتى ترجع إلى المعنى وتحسن التدبر"¹، وبناء عليه يمكن القول أنه في السطر الأول (المدينة) مبتدأ وخبرها (القصيد)، أما في السطر الثاني ف(القصيد) خبر مقدم لمبتدأ مؤخر (المدينة)، لأن الشاعر في معرض الإخبار عن حال مدينته وأن أقرب وأصدق خبر عنده هو (قصيدته). ويتضح مما سبق العلاقة الوثيقة بين التقديم والتأخير الواجبين للمبتدأ والخبر، وأن كل موضع من مواضع التقديم والتأخير كان المعنى سببا في وجوب تقديمه أو تأخيره، مما يعني أن النحاة لم يوجبوا التقديم أو التأخير إلا لسبب معنوي أو غاية بلاغية تقتضي ذلك.

2.1.2. تقديم الفاعل على الفعل وتأخيره عنه:

يرفض البصريون تقديم الفاعل على الفعل² بحجة أن الفاعل إذا تقدم دخل في فصيلة الابتداء، وأنه مع الفعل بمثابة جزأي الكلمة الواحدة التي يختل معناها بانفصالها عن بعض، ويظهر أن البصريين تعاملوا مع البنية الشكلية أكثر من البنية الدلالية التي كانت عماد رؤية الكوفيين الذين يرون أن معرفة الفاعل أمر معنوي وليس أمرًا لفظيًا، وإن تقدم الفاعل فيظل فاعلا مسندًا إليه فعل دائر في حيز زمني قابل للتغيير خلاف المبتدأ الذي يكون مسنده حالة ثابتة ومستقرة، وقد أبلغ الجرجاني رأي الكوفيين في هذا الموضوع، ورأى أن في تقديم الفاعل على فعله يحقق غرضين دلاليين يميز المقام بينهما:

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص373، 374.

² ينظر: سيبويه، الكتاب، ج1، ص31. وابن جني، الخصائص، ج2، ص378. وابن هشام، مغني اللبيب، ج1، ص404. وجمال الدين السيوطي، همع الهوامع، ج2، ص254.

1.2.1.2. التخصيص:

والمراد منه: أن يكون الفعل فعلا قد أردت أن تنص فيه على واحد فتجعله له، وترغم أنه فاعله دون واحد آخر، أو دون كل أحد¹، ويمثل لذلك بنحو: (أنا كتبت في معنى فلان).
ويؤيد المنهج اللغوي المعاصر وجهة نظر الجرجاني في أن النسق الأصلي لمثل هذه التراكيب يمثل نظام التركيب التوليدي الفعلي (VSO) أي (ف، فاء، مف)، وبمقتضى قواعد التحويل يتم نقل الفاعل إلى مقدمة هذه التراكيب لتحقيق غرض دلالي وهو (الاختصاص)، وبهذا يتحول نمط التركيب الفعلي من (VSO) إلى (SVO)². ومما جاء في هذا الإطار قول الشاعر عبد الله حمادي: (أنتَ لم تبت مثل الذي)، (يطير به القلب)، (إذا اهتز باب الدار)، (أو صَلَّصَ الثُّقْلُ!)³. فالغرض الدلالي في هذا التركيب من تقديم الفاعل على الفعل هو الاختصاص، أي أن المقصود الوحيد دون غيره الذي به تبلغ منه الأشواق مبلغا هو الشاعر دون غيره، وعليه فالتركيب العميق الأصلي: (لم تبت أنت مثل الذي يطير به القلب ...).

2.2.1.2. التنبيه والتوكيد:

وهو أن لا يكون القصد إلى الفاعل على هذا المعنى (الاختصاص)، ولكن على أنك أردت أن تحقق على السامع أنه قد فعل، وتمنعه من الشك، فأنت لذلك تبدأ بذكره، وتوقعه أولا -ومن قبل أن تذكر الفعل- في نفسه، لكي تباعده بذلك من الشبهة، وتمنعه من الإنكار، أو من أن يظن بك الغلط أو التزيد⁴. ويمثل لذلك بنحو: (هو يعطي الجزيل)، و(هو يحب الثناء).
ويؤكد اللغوي الألماني (برجستراسر) ما ذهب إليه الجرجاني ويضرب أمثلة لذلك تناظر أمثله، كما أن الجرجاني (ت471هـ) «يقدم مقامات مختلفة يقتضيها تقديم الفاعل للتنبيه والتحقيق هي: مقام الإنكار والنفي، مقام الشك والاعتراض، مقام تكذيب المدعي، مقام ما كان

¹ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص128.

² ينظر: دلخوش جار الله حسين دزه بي، الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (دراسة دلالية)، ص67.

³ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص129.

⁴ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص128، 129.

القياس فيه ألا يكون، مقام الوعد والضمان، مقام المدح والفخر»¹. ومما ورد في شعر عبد الله حمادي المحقق لتوجه هذا الغرض الدلالي قوله:

هُوَ يُجْزِي مَنَّا سِكَ الدُّلِّ ذُلًّا وَيَهَيْبُ بِرَحْمَةِ لِعُصَاةٍ²

فالغرض الدلالي من هذا التركيب من تقديم الفاعل وإبرازه قبل ذكر الفعل (يجزي) و(يهيب) هو الأکید على أن الفاعل هنا (هو) (الله عز وجل) وحده دون غيره الذي يعاقب العصاة، ويتوب على المذنبين إن عادوا إلى الطريق القويم بلا أدنى شك أو ريبة، الأمر الذي يحقق مقام الوعد والضمان التي قال بها الجرجاني في إطار المقامات المتعددة التي يقتضيها تقديم الفاعل على الفعل.

2.2. التقديم والتأخير في سياق النفي:

الإثبات والنفي هما المعنيان النحويان الأساسيان للجملة في شكلها الأساسي المجرد، ذلك أن الإثبات هو المعنى الذي "مثبتا ومثبتا له... وكذلك النفي يقتضي منفيًا ومنفيًا عنه... فلما كان الأمر كذلك احتيج إلى شيئين يتعلق الإثبات والنفي بهما، فيكون أحدهما مثبتًا والآخر مثبتًا له، وكذلك يكون أحدهما منفيًا والآخر منفيًا عنه، فكان ذاك الشيطان المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل، وقيل للمثبت والنفي مسند وحديث، وللمثبت له والمنفي عنه مسند إليه ومحدث عنه"³. فالإثبات والنفي هما «المعنيان الأساسيان اللذان تتمحور عليهما سائر معاني النحو، وهما المولدان الأساسيان للفائدة في البنية التركيبية الدلالية الدنيا المجرد، وذلك باعتبارهما يمثلان حكم المتكلم، ويجسدان اعتقاده»⁴.

الحاصل من آراء النحاة أن للإسناد في المستوى النحوي المجرد موضعًا لعلم المتكلم الذي يعبر فيه عن اعتقاده وعما استقر فيه نفسه من علم وشك أو لم يستقر في نفسه ولم

¹ ينظر: دلخوش جار الله حسين دزه يي، الثنائيات المتغيرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (دراسة دلالية)، ص70، 71.

² حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص99.

³ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص338، 339. وينظر أيضا: خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، ص205.

⁴ خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، ص206.

يثبت، فيطلب إثباته أو نفيه، وقد أجمع النحاة على أن هذا الموضع هو موضع الفائدة ومحصولها، فلا يكون للكلام معنى دون نسبته إلى متكلم يكون منه الإثبات أو النفي أو الاستفهام أو غير ذلك من المعاني، وتكون المسؤولية والتبعة عليه فيما ينشئ من إثبات أو توكيد أو نفي أو استفهام¹. ومما ورد في ديوان "البرزخ والسكين" في موضوع "الإثبات" ما جاء في "قصيدة الجزائر" حيث يقول:

قَدَرُ الْجَزَائِرِ أَنْ تَكُونَ الْأَكْبَرَا
وَتَكُونَ حُلْمًا بِالْفُتُوَّةِ يَانِعَا
وَتَكُونَ سَفْرًا لِلشَّهَادَةِ أَخْضَرَا
وَرَبِيعَ عُمُرٍ بِالنَّضَارَةِ أَجْهَرَا²

وقد أثبت الشاعر عبد الله حمادي في هذه القصيدة كل المفخر والمآثر التي تتعلق بتاريخ الجزائر وأرضها وجهادها ودورها الحضاري عبر الأزمان، من بدا القصيدة إلى نهايتها على مدار أربعة وخمسين بيتا شعريا.

1.2.2. تقديم الفعل على الفاعل وتأخيره عنه:

لا يختلف ما ذكره النحاة بصدد تقديم الفعل على الفاعل وتأخيره عنه، في سياق النفي كثيرا عما ذكروه في الموضوع نفسه في سياق الإثبات، فقد ذهب الجرجاني (ت471هـ) إلى أن مفاد التركيب المنفي المطابق لأصل دليله النظمي (التركيب التوليدي النواة) الإخبار المجرد المتمثل بنفي وقوع الفعل عن الفاعل المذكور³، كما في نحو: (ما فعلت) الذي يدل على أن المتكلم قد نفى قيامه بهذا الفعل دون التعرض لشخص آخر بالإثبات أو النفي، بيد أن «أدنى تغيير تحويلي بالتقديم أو التأخير يطرأ على الدليل النظمي للتركيب نفسه يولد تركيبا تحويليا جديداً مثل: (ما أنت فعلت)، فالفاعل في هذا التركيب يخص نفسه بنفي الفعل عنه، ويثبت في الوقت ذاته لغيره، وهذا يدل على أن الفعل واقع لا محالة، غير أن الفاعل مشكوك فيه، فصيح التعبير بهذا الترتيب لإمالة هذا الشك»⁴.

¹ خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، ص206، 209.

² حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص26.

³ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص124.

⁴ دلخوش جار الله حسين دزه بي، الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (دراسة دلالية)، ص86.

وهذا ما يشير إلى أن العربية تلجأ إلى طرق بنيوية في تأكيد الكلمة، وتخصص دورها الدلالي بتغيير التركيب الكلي للتعبير، لتوافر مدى أبعد من الحرية في التعامل مع المكونات اللغوية على مستوى البنية فيها، ويقر الدرس اللغوي الحديث ذلك بأنه "لا يمكن الفصل بين التركيب والدلالة، وأن دور التحويلات... إنما يتمثل في الربط بين التمثيل الدلالي والبنى السطحية"¹.

وكان سيبويه (ت180هـ)² قد ألمح إلى ذلك غير أن الجرجاني قاقه بالبحث عن البنية الدلالية، وإجراء العمليات التحويلية والمقابلات الداخلية والخارجية³ للأساليب اللغوية الفصيحة ما سمح له بالتوصل إلى استنباط دلالة (توكيد النفي وتقرير حكمه) للتركيب المنفية التي قدم فيها الفاعل المعنوي الخارج عن تأثير مفردة النفي ظاهراً كما في نحو: (أنت لا تحسن هذا) الذي تولد من التركيب النواة الأصلي (لا تحسن هذا)، ويوضح الفارق الدلالي بين التركيبين بقوله: "... فإذا قلت: (أنت لا تحسن هذا)، كان أشد لنفي إحسان ذلك عنه من أن تقول: (لا تحسن هذا)، ويكون الكلام في الأول مع من هو أشد إعجاباً بنفسه، وأعرض دعوى في أنه يحسن، حتى لو أنك أتيت بـ(أنت) فيما بعد (تحسن) فقلت: (لا تحسن أنت) لم يكن له تلك القوة"⁴.

وعلى الرغم من مجهودات الجرجاني (ت471هـ) في استنباط دلالاتي (الاختصاص وتوكيد حكم النفي وتثبيته) لهذا النمط من التغييرات الأسلوبية في سياق النفي، فإن ذلك أمر غالب فقط، مما يحتم مراعاة معطيات المواقف الاجتماعية وملابس المقامات والسياقات وأحوال المتكلمين والمخاطبين، كما جاء في ديوان "البرزخ والسكين" من أمثلة قول الشاعر عبد الله حمادي:

¹ ينظر: الفاسي الفهري عبد القادر، اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986، ص71.

² سيبويه، الكتاب، ج1، ص55.

³ ينظر: دلخوش جار الله حسين دزه يي، الثنائيات المتغيرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (دراسة دلالية)، ص89، 90، 91.

⁴ سيبويه، الكتاب، ج1، ص80، 81.

(لا شيء يُقاومُ هذا الجسد الضَّاري:)، (كابرتُ؟؟ ناضلتُ)، (... أَحكمتُ القيدَ)، (سافرتُ..)¹.

وقد صيغ هذا التركيب على منوال النفي: (حرف نفي + فاعل + فعل) تم تقديم الفاعل فيه على الفعل تأكيداً على نفي وجود أي شكل من أشكال الفاعل، وهو ما يؤكد الشاعر في قوله الموالي (كابرت، ناضلت، أحكمت القيد، سافرت)، فكل الفواعل التي يمكن أن يشك في أمر تحقيقها لمقاومة هذا الجسد الضاري فشلت وأعلنت انهزامها أمامه، والبنية الآلية للكلام (لا يقاوم شيء هذا الجسد الضاري).

2.2.2. تقديم الفعل على المفعول وتأخيره عنه:

اتفق أغلب النحاة كالفرء وأبو عبيدة والأخفش الأوسط والمبرد والزجاج وابن السراج وابن خالوية وابن جني والزيدي وغيرهم أن يتصدر الفعل التركيب الفعلي التوليدي، لكنهم أجازوا أيضاً العدول عن ذلك فقدموا المفعول على الفعل، وفي مقدمتهم سيبويه الذي مثل بنحو: (ضربت زيداً)، وعقب عليه بقوله: "وإن قدمت الاسم فهو عربي جيد، كما كان ذلك عربياً جيداً، وذلك قولك: زيداً ضربت، والاهتمام والعناية هنا في التقديم والتأخير سواء، مثله في ضربت زيداً عمراً وضرب عمراً زيداً². ووافق بعضهم سيبويه (ت180هـ) فيما رآه من تعليل لذلك والمتمثل في العناية والاهتمام ولكن دون يستقصوا السر الدلالي الكامن وراء ذلك، إلى أن آل الأمر إلى الجرجاني (ت471هـ) الذي خاض غمار التراكيب اللغوية مغيراً تشكيلاتها البنائية الأصلية في ضوء دراسة تحليلية دقيقة للمكونات النحوية في سياقات مباينة، وضرب لذلك أمثلة مختلفة³. وزاد على ذلك بالبحث في جزئيات وتفاصيل تركيبية على الصعيدين السطحي والعميق لمعرفة كيفية ضم مكونات لغوية أخرى التركيبين الأصلي والمحول عنه في سياق النفي اعتماداً على شبكة علائقية سلمية غير مختلة بالمستوى الدلالي المرجو، وعلى هذا الأساس أقر بمبدأ الأصولية في مثل: (ما ضربت زيداً ولا أحداً من الناس) و(ما ضربت زيداً،

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص152.

² سيبويه، الكتاب، ج1، ص80، 81.

³ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص126.

ولكني أكرمته)، ويقضي بانتفاء مبدأ الأصولية في نحو: (يا زيدًا ضربت ولا أحدًا من الناس) و(ما زيدًا ضربت، ولكني أكرمته)، إذ يحمل التركيب الأول (التوليدي) دلالة احتمالية قد تفيد نفي الضرب عن زيد وعن غيره، وقد تفيد نفي فعل (الضرب) وإثبات فعل آخر مما اتسعت رقعته الدلالية لاستيعاب تركيب آخر سواء أقدم فيه عنصر المفعول أم عنصر الفعل، في حين أن دلالة التركيب ويستدعي ذلك أن يقال: "ما زيدًا ضربت، ولكن عمرًا)، ويعلل الجرجاني ذلك بقوله: "... وذلك أنك لم ترد أن نقول: لم يكن الفعل هذا ولكن ذلك، ولكنك أردت أنه لم يكن المفعول هذا، ولكن ذاك"¹.

ويستنتج في ضوء ذلك أن «البناء الخارجي سيشكل حسب الخريطة الدلالية المرسومة في الذهن التي تتحكم فيها مقتضيات السياق العام وما يلبس المتكلم والمخاطب من سمات ذاتية وموضوعية إضافة إلى المقام الذي يجمعهما»².

ومما جاء في ديوان "البرزخ والسكين" من تقديم للمفعول به عن الفعل قول عبد الله

حمادي:

كَمْ جَفَيْتَ... وَكَمْ أَبَحْتَ مُرُوجِي يَا مُجِيرِي مِّنْ اعْتِقَاقِ الثُّلُوجِ!³
كَمْ هَفَوْتُ إِلَى احْتِوَانِكَ دَوْمًا يَا خَفِيًّا وَرَاءَ سَيْبِ الْبُرُوجِ

ف(كم) هنا وردت في باب الإخبار وليس الاستفهام، والفعل بعدها أخذ معموله في كل مرة (حضيت، أبحت، هفوت) وهو تاء المخاطب أو الفاعل، والوجه فيها النصب على الاشتغال⁴، كما يرى بعض النحاة وتوظيفها بهذا الشكل المتكرر الذي ألفناه من عبد الله حمادي فيه دلالة صريحة على شدة سعي الشاعر في أثر محبوبه رغم ما أبداه تجاهه من جفاء عنيد نحوه.

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص126، 127.

² دلخوش جار الله حسين دزه بي، الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (دراسة دلالية)، ص98.

³ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص67.

⁴ ينظر: أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي (ابن عصفور الاشبيلي ت669هـ)، شرح جمل الزجاجي، ص149.

3.2. التقديم والتأخير في سياق القصر والاستثناء بـ(إنما):

يعد القصر بمفردة (إنما) و(النفى والاستثناء) من السبل الجوهرية لتحقيق دلالة الاختصاص، بيد أن العلماء لم يخصصوا باب لأسلوب القصر في مصنفاتهم، بل تناثرت مباحثه بين أساليب شتى، فعرضوا لـ(إنما) في أثناء الكلام على نسخ الابتداء بمفردة (إن وأخواته)، واقتصر معظمهم على التحليل الشكلي لهذا المفردة المكون من (إن وما الكافة)، وعلى تبيان وظيفته الإعرابية المفرغة من العمل، مع تحديد الماوضع التي يرد فيها دون أدنى ذكر لأثره الدلالي في التراكيب¹، إذا ما استثنيت من ذلك دلالة الاختصاص التي استخلصها (الفراء والزجاج والطوسي)²، من مفردة (إنما) بذكرهم أنه يفيد إثبات الحكم لما بعده ونفيه عما سواه، وكذلك دلالة التحقير التي نقلها سيبويه عن الخليل³، ودلالة التفضيل والإبهام التي أثبتها ابن درستويه (ت347هـ)، وبعض الكوفيين لهذا المفردة لكونه بمثابة ضمير الشأن في نظرهم، ولا يعتد بما ذكره سيبويه، لأنه كما يقول ابن فارس (ت395هـ): "... هذا ليس بشيء، قال له جل ثناؤه {إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [النساء، 171]، فأين التحقير ها هنا⁴، ولا يقبل زعم ابن درستويه ومن اتبعه أيضا، ذلك أن دلالاتي التحقير والتعظيم وغيرهما دلالات مستوحاة من السياق وقرائنه، وليست من مفردة (إنما) الذي لا يحيد عن دلالة الاختصاص⁵.

أما أسلوب النفي والاستثناء فقد انصب حديث أغلب العلماء⁶ عنه على الجانب الشكلي فقط ضمن تعدادهم القوالب التركيبية التي يصب فيها التركيب الاستثنائي مجرداً من التفسير

¹ ينظر: الكتاب لسبويه، ج1، ص138، 140. ج3، 129، 131. ومعاني القرآن للفراء، ج1، ص100. واللمع في العربية لابن جني، ص302، ومشكل إعراب القرآن للقيسي، ج1، ص117. والمقتضب للمبرد، ج1، ص51. ج2، ص54.

² ينظر: الصاحبى في فقه اللغة لابن فارس، ص133. ومعاني القرآن للزجاج، ج1، ص243. وتفسير التبيان للطوسي، ج2، ص83.

³ سيبويه، الكتاب، ج3، ص22، 23.

⁴ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ص134.

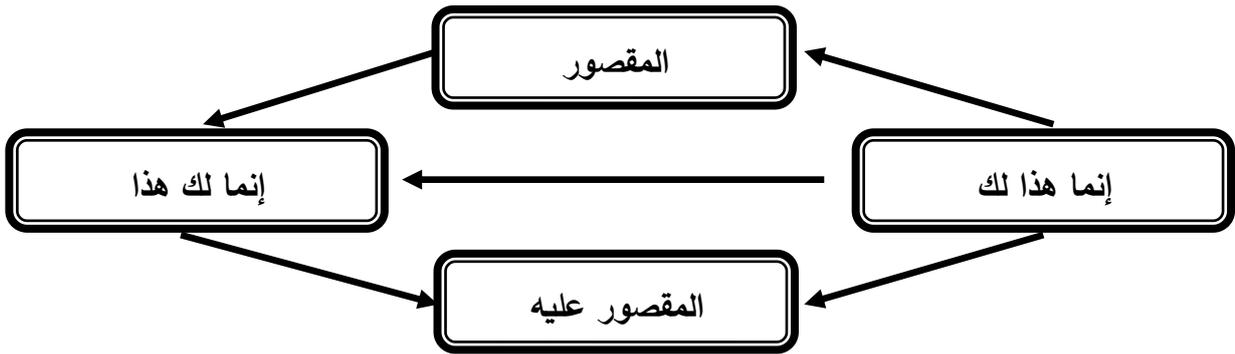
⁵ دلخوش جار الله حسين دزه يي، الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (دراسة دلالية)، ص110.

⁶ ينظر: معاني القرآن للفراء، ج1، ص167. والجمل في النحو للزجاجي، ص231. واللمع لابن جني، ص124. والأصول لابن سراج، ج1، ص343، 344.

الدلالي مما ألمح إليه سيبويه والفراء والمبرد والزجاج بما يفيد الاختصاص¹ الذي صرح به الرماني (ت386هـ) في قوله: "... إذا قلت: ماء جاءني إلا زيد، فقد اختصه بالمجيء، وإذا قلت: ما جاءني زيد إلا راكبا، فقد اختصت هذه الحالة دون غيرها، من المشيء والعدو ونحوه"².

وعلى الرغم من إفادة الجرجاني (ت471هـ) من أفكار سابقه في تمخض دلالة الاختصاص للتركيب المتضمنة لوسيلة القصر (إنما) أو (النفى والاستثناء)، فإنه وسع دائرة هذه الأفكار بإضافات لم يسبق إليها، وذلك بتتبعه التأثير الدلالي للتغيرات الموضوعية بين الفصائل النحوية على صعيد التركيب الاسمية والفعلية إثر تمييزه بين ركني القصر مطلقا عليها المقصور والمقصور عليه جاعلا العنصر اللاحق لـ(إنما) والسابق لـ(إلا) الركن المقصور، ومجددا موضع المقصور عليه بالعنصر المؤخر في سياق (إنما) وبالعنصر التالي لـ(إلا) في سياق النفي والاستثناء، معللا ذلك بأن دلالة المفردات الحرفية لا تتجلى إلا بتقديمها على معمولاتها³.

ثم نقل هذه الآراء النظرية إلى حيز التطبيق بإيراده تراكيب اسمية مجريا عليها تحويلات موضوعية بين فصيلتي المبتدأ أو الخبر بموجب قانون التقديم والتأخير كما يأتي⁴:



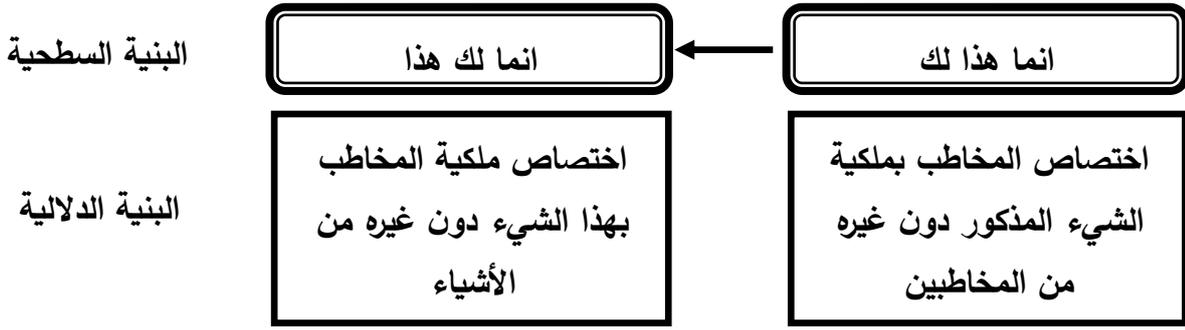
¹ ينظر: الكتاب لسيبويه، ج2، ص310. والصاحبي في فقه اللغة لابن فارس، ص133، ومعاني القرآن الزجاج، ج1، ص234.

² بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت794هـ)، البرهان في علوم القرآن، ج4، ص241.

³ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص340.

⁴ دلخوش جار الله حسين دزه يي، الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (دراسة دلالية)، ص112.

ويمكن توضيح ذلك بالشكل الآتي:



الشكل رقم (16): التقديم والتأخير في سياق القصر والاستثناء بـ(إنما).

ومما جاء في ديوان "البرزخ والسكين" متعلقا بالقصر والاستثناء بـ (إنما) قول عبد الله

حمادي:

إِنَّمَا الْعُمُرُ بَيْنَ صَحْوِ مُضَاءٍ وَظَلَامِ غِشَاؤُهُ مِنْ دُعَاةٍ¹

فالعمر (المقصور) اختصره الشاعر وقصره على حالتين يعيشهما الإنسان لا ثالث لهما وهما: (النور، الظلام) نور يوهب لك يدل عليه التركيب الاسمي (صحو مضاء) وظلام تذهب إليه بنفسك باتباعك دعاء الظلام يدل عليه التركيب الاسمي (ظلام غشاؤه من دعاء)، أو كما عبر عنه أحدهم بقوله: الناس رجلان، رجل نام في النور، ورجل استيقظ في الظلام.

4.2. التقديم والتأخير في سياق الاستفهام:

وجدت فكرة تقديم الفاعل النكرة وتأخيره في سياق الاستفهام اهتماما عند سيبويه (ت180هـ)، فقد وقف عليها وألمح ضمنا إلى دلالة التصور والتصديق يودون أن يصلح عليهما، ويتجلى ذلك في تعقيبه على مثاليه: «(أزيد عندك أم عمرو؟) و(أزيدا لقيت أم بشرًا؟)، فأنت مدّع أنّ المسؤول قد لقي أحدهما أو أن عنده أحدهما، إلا أن علمك قد استوى فيهما لا تقدر أيهما هو... لو قلت: أزيد عند أم بشر، فقال المسؤول: لا، كان محالاً... واعلم أنك إذا أردت هذا المعنى فتقديم الاسم أحسن، لأنك لا تسأله عن النفي، وإنما تسأله عن أحد الاسمين لا تدري أيهما هو فبدأ بالاسم»².

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص55.

² سيبويه، الكتاب، ج3، ص109، 170.

وتابع الأخفش الأوسط وأبو عثمان المازني (ت249هـ) والمبرد والزجاج وابن السراج وأبو علي الفارسي والرماني وابن جني¹ وغيرهم من النحاة سيبويه في التطرق إلى مفهوم التصور والتصديق، لكنهم لم يحددوا موضع المسؤول عنه بمقاييس الحسن والجواز مثل سيبويه، وإنما يفهم من كلامهم أن تأدية الدلالة التصورية تستلزم تقديم المستفهم عنه، ومقابلته بمعادله، بيد أن التركيب النحوي (الفعلية أو الاسمي) يظل باقيا على دليله النظمي الأصلي مع الدلالة التصديقية، وعلى الرغم من أن الجرجاني (ت471هـ) قد تأثر بسيبويه (ت180هـ) ومن جراه، غير أن هذا التأثير لم يمح دوره في الاستقلال بحسم الأمر في حتمية تقديم العنصر المستفهم عنه دون التردد بين حكم الجواز والحسن، إضافة إلى تفوقه في التعليل والتحليل والتفسير وإجراء العمليات التحويلية والتقابلية بين أمثاله على صعيدي الشكل والدلالة². واستوحى فكرة تقديم الفاعل النكرة وتأخيرها في سياق الاستفهام من الفكرة ذاتها في سياق الإثبات والنفي، فوازن بين (أجاءك رجل؟) و(أرجل جاءك؟)، وأثبت أن التشكيل التوليدي الأول يطلب فهم عملية لإسناد (مجيء رجل واحد)، أما التشكيل التحويلي الثاني فيستفهم به عن جنس الآتي كأنه قيل: (أرجل هو أم امرأة؟)، لأن عملية الإتيان معلومة لكن جنيس الآتي مجهول، وأضاف أن وصف هذا الضرب من الفاعل يفيد السؤال عن هيئة الفاعل ونوعه كما في: (أرجل طويل جاءك أم قصير؟) وبنى على هذه الأرضية الدلالية قاعدة شكلية تقر بعدم صحة الفاعل النكرة مع السؤال عن دلالة الإسناد، بحجة أن هذه المعادلة النظمية (أ فانك ف) تستخدم للسؤال عن الجنس كما تقدم، ودلالة الجنس غير دلالة الإسناد³. وقد ورد في ديوان "البرزخ والسكين" نماذج كثيرة للتقديم والتأخير في سياق الاستفهام وظفها الشاعر عبد الله حمادي لخدمة الدلالات التي قصدتها، ومن أمثلة ذلك ما جاء في قصيدة "حلم أزيلة" قوله:

¹ ينظر: معاني القرآن للأخفش، ج1، ص182. المقتضب للمبرد، ج2، ص75. معاني القرآن للزجاج، ج1، ص77. والأصول لابن سراج، ج2، ص58. والخصائص لابن جني، ج2، ص152.

² ينظر: دلخوش جار الله حسين دزه بي، الثنائيات المتغيرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (دراسة دلالية)، ص121.

³ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص142، 143. وينظر أيضا: بلعيد صالح، التراكيب النحوية وسياقاتها عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ص187.

أَتَنْهَضُ بَعْدَ السَّنِينِ الطَّوِيلَةِ لَتَعْشُقَ طَيِّقًا هَفًّا مِنْ "أَصِيلِهِ"¹

جاء التركيب اللغوي في البيت الشعري السابق في سياق استفهامي محافظا على ترتيب عناصر التركيب الفعلي محققا دلالة هذا التركيب الاستفهامي الخاص بسؤال الشاعر لنفسه عن سر عودة ذكريات عشق عاشها في مرحلة من حياته مرت عليها سنين طويلة، ويبدو أن الشاعر عبد الله حمادي قد رضي لهذا الأسلوب الاستفهامي أن يحمل عنه معاني تلك الفترة الجميلة من حياته، فأعاد توظيف هذا الأسلوب أربع مرات متتالية في نفس القصيدة (حلم أزيله) مكرراً بداية التركيب الاستفهامي نفسها (أيكفي أن...).

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص36.

3. الدلالة النحوية للذكر والحذف:

تشكل ظاهر الذكر اللبنة الأساسية في خلق التراكيب اللغوية غالباً، لقيام أصل هذه التراكيب على ذكر الوحدات اللغوية وإدراجها في نسق الكلام، وقد تناثرت موضوعاتها ضمن أبواب متفرقة، ويأتي الحذف «كظاهرة طارئة على طائفة من هذه الوحدات، ليكون الكلام مطابقاً لمتقضى الحال، وقد عني النحويون بالصناعة اللفظية وتحليل ألفاظ الكلام وبيان العلاقة بين تلك الألفاظ من فاعلية ومفعولية، وسلوى ذلك، والكلام يتركب عندهم من أجزاء متلازمة، فما لم يكن منها ظاهراً ملفوظاً فهو مقدرٌ، وبناء على ذلك فلا خلاف بين النحاة على إقرار الحذف من حيث المبدأ، وعلى ضرورة تقديره للوصول إلى المعنى أو لغير ذلك من مقتضيات الصيغ والتراكيب، ولكنهم قد يختلفون في بعض المواضع أو في ذات المقدر المحذوف أو قدره»¹.

وقد بين ابن هشام الأنصاري (ت761هـ) بدقة الحذف الذي يركز النحويون على بيانه فقال: "الحذف الذي يلزم النحوي النظر فيه هو ما اقتضته الصناعة، وذلك بأن يجد خبيراً بدون مبتدأ، أو بالعكس، أو شرطاً بدون جزاء أو بالعكس، أو معطوفاً بدون معطوف عليه، أو معمولاً بدون عامل، نحو: {لَيَقُولَنَّ اللَّهُ} [العنكبوت، 61]، ونحو: {قَالُوا خَيْرًا} [النحل، 30]... وكذا قولهم بحذف الفاعل لعظمته، وحقارة المفعول أو بالعكس، أو للجهل به أو للخوف عليه أو منه، ونحو ذلك فإن تطفل منهم على صناعة البيان"².

وبذلك يوضح ابن هشام (ت761هـ) ما يدخل في دراسة الحذف ضمن تخصص النحوي، وما يدخل ضمن تخصص البلاغي، فمن ذلك الغايات التي يخرج إليها الحذف وهي من شأن البلاغي، في حين تتركز دراسة النحوي على ما تقتضيه الصناعة النحوية.

¹ حمودة طاهر سليمان، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، دط، 1998، ص23.

² ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج1، ص306.

ولعل أول من أنكر الكثير من المحذوفات المقدره ابن مضاء القرطبي (ت592هـ)، وقد قسم المحذوفات من ناحية النص إلى أنواع ثلاثة¹:

- الأول: محذوف لا يتم الكلام إلا به، حذف لعلم التخاطب به، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [البقرة، 219].

- الثاني: محذوف لا حاجة بالقول إليه، بل هو تام دونه وإن أظهر كان عيا، كقولك: أزيدي ضربته؟

- الثالث: مضر إذا أظهر تغير الكلام عما كان عليه قبل إظهاره كقولنا: يا عبد الله، فإذا أظهر الفعل، تغير النداء عما كان عليه وصار النداء خبراً، إذا التقدير: أدعو عبد الله.

في حين خلص الدكتور طاهر سليمان حمود إلى أن "كثيراً من تقديرات النحويين القدماء للمحذوفات أصبح مقبولات في ضوء النظرية التحويلية التي تضع اعتباراً مهماً لما يسمى بالبنية العميقة، أو التركيب الباطن، وتعنى ببيان العلاقة بين هذا التركيب والتركيب الظاهر، أو ما يسمى ببنية السطح، والبنية العميقة تقابل الأصل المقدر عند القدماء، وكذلك فإن جانباً كبيراً من نقد ابن مضاء للنحو القديم يسقط في ضوء النظرية التحويلية².

1.3. ذكر المبتدأ وحذفه:

لقد اهتم العلماء -وفي مقدمتهم- سيبويه (ت180هـ)³ بقريضة الإسناد الجامعة بين ركني المبتدأ والخبر في التراكيب الاسمية، وانطلاقاً من هذه الفكرة الشكلية والدلالية تنبهوا إلى ظاهر الحذف الطارئ على عنصر الابتداء في مثل هذه التراكيب وقدروا تبعاً للعناصر الداخلية للسياق والأبعاد الخارجية للمقام. يحذف المبتدأ جوازاً لقريضة حذفه بعد استقهام عن الخبر، كقولك: صحيح، وفي المسجد وعشرون، لمن قال: كيف أنت؟ وأين اعتكافك؟ وكم دراهمك؟

¹ ينظر: أحمد بن عبد الرحمن القرطبي (ت592هـ)، الرد على النحاة، تح: محمد إبراهيم البناء، دار الاعتصام، القاهرة، ط1، 1979، ص15-17.

² حمودة طاهر سليمان، ظاهرة الحذف في درس اللغوي، ص265.

³ ينظر: سيبويه، الكتاب، ج1، ص23، 141، 270. ج2، ص130.

ومن القرائن المحسنة لحذف المبتدأ وجود فاء الجزاء داخلة على ما لا يصلح أن يكون مبتدأ، كقوله تعالى: {مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا} [الجمانية، 15]، أي فصله لنفسه، وإساءته عليها، فحذف المبتدأ لهذه القرائن وأشبابها جائز¹.

وقد يحذف المبتدأ أو المسند إليه لإبهام صونه عن اللساني تعظيماً له، أو صون اللسان عنه تحقيراً له، أو للاحتراز عن العبث لدلالة القرينة عليه، وعليم السامع به، أو لتخييل أن في تركه تعويلاً على شهادة العقل، كقول الشاعر:

قَالَ لِي كَيْفَ أَنْتَ قُلْتُ عَلِيلٌ سَهْرٌ دَائِمٌ وَحُزْنٌ طَوِيلٌ

فلم يقل: أنا عليل للاحتراز أو التخييل.

وقد يكون حذف المسند إليه لتأتي الإنكار عند الحاجة إليه نحو: (نذل، لئيم) عند قيام القرينة على أن المراد (زيد) ليتأتى لك أن تقول: ما أردت زيدياً².

وقد أشار الجرجاني (ت471هـ) إلى أن حذف المبتدأ يكثر ويترد في الموضع الذي يعتمد فيه على سبق ذكره في الكلام السابق، حيث: "يبدوون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره، ثم يدعون الأول ويستأنفون كلاماً آخر، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ، نحو: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ} [التوبة، 112]، ونحو: {صُمُّ بُكْمٌ عُمِيٌّ} [البقرة، 18]³.

وما يهمننا أن عبد الله حمادي عمد في ديوانه "البرزخ والسكين" إلى حذف المبتدأ المسند إليه في الجملة الاسمية خاصة في امقام الاستئناف، وفيما يعد وصفاً، وإذا علمنا أن حذف المبتدأ في شعره ميز أحيانا كثيرة مقاطع شعرية أدركنا لم يعد من الغريب أن نلمس ظاهرة الحذف خاصة في صدور الأبيات.

يقول في "قصيدة الجزائر" بعد أن عدّد كثيراً من مظاهر جمالها وعزتها في بداية أبيات

لاحقة حذف فيها المبتدأ:

¹ ينظر: ابن مالك، شرح التسهيل لابن مالك، ج1، ص286، 287.

² ينظر: محمد بن عبد الرحمن جلال الدين (الخطيب القزويني ت739هـ)، التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1904، ص53.

³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص147.

عَمَلَاةٌ فِي لَحْنِهَا وَمَضَائِهَا لَوْ أَلْبَسُوها لِلْعَرَامِ تَعْنَبَرًا
وَعَدُّ تَخْيِيرِهَا الْفَضَاءَ فَأَيَّنَعَتْ فِي نَاطِرِيهِ شَهَامَةٌ وَتَنَوَّرَا
صَلَفٌ تَدَبَّجَ بِالْعِنَادِ صَرَامَةً فَتَوَحَّشَتْ أَظْفَارُهُ وَتَنَمَّرَا
رَهْجٌ عَلَى الظَّلْمَاءِ أَوْقَدَ غَيْظَهَا شَطَطَ الْفِدَاءِ..فَمَاجَ فَيضًا مُبَهَّرًا¹

فالمستقرئ لهذه الأبيات المشبعة بعزة الجزائر وكريائها يجدها تبتدئ كلها بخبر حذف مبتدؤه الذي سبق ذكره، الأمر الذي سمح للشاعر بالتوسع والذهاب بعيداً في المعاني التي قصد استحضارها ليخبرنا بها عن سمو ورفعة بلده الجزائر.

إن حذف المبتدأ في هذا المقام من أساليب التأليف في الكلام يخرج الشاعر من مجرد التقدير والإخبار إلى التحريك والإيحاء، فيكون المبتدأ هنا أظهر إذا لم يظهر وأبين إذا لم تبنى عنه أو تفصح، فإنه من شهره وظهور أمره صار ذكره وحذفه سواء، ومن هنا فقد بدأ الشاعر بصفات المبتدأ التي هي الخبر ليصرف النفوس إليها، ولتتوفر العناية بها، إن هذا اللون من الأساليب يمكن الشاعر من إبراز العنصرين الرئيسيين اللذين هما المبتدأ المحذوف والخبر المسلط عليه الضوء في التركيب بنفس المستوى. وقد تظهر إيجابية إسقاط المبتدأ، ومن ثم اختزال الجملة وتصدير الخبر بغية تحقير المحذوف، وإهمال شأنه ضيقاً منه وسأماً.

قال عبد الله حمادي في قصيدته "أطفالنا... فإلى الحجارة" متحدثاً عن الصهاينة المحتلين وما اقترفوه وما يقترفونه في حق الأطفال والأرض والمقدسات في فلسطين:

سُودَ النَّعْصِبِ مُدْبِرِينَ بِحَيْبَةِ رَعَفَتْ حَقَّارَهُ²

إن كثرة الصفات الذميمة التي التصقت بهؤلاء عبر التاريخ دفعت الشاعر إلى عدم ذكرهم في بداية البيت الشعري (المبتدأ) نبذاً لهم واحتقاراً من أفعالهم القبيحة والشنيعية في حق الأطفال وأهلهم في فلسطين.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 27.

² المصدر نفسه، ص 30.

إن الكلمة تكتسب ظللاً وإيحاءات من بنيتها التركيبية وسياقها الذي يلتقيها ومقامها المسوقة فيه، تجعل دلالتها تحول إلى الظلال والإيحاءات التي التصقت بها هذه العبارة في رحلتها الطويلة "فأصبحت جزءاً حياً من معناها، بل أصبحت تزاحم معناها الأصلي في الحقيقة، وتغلبه على أمره، وهذا هو الذي يجعلنا نفهم عن المتحدث ما يريد"¹.

ومن هنا فكون الجملة الاسمية المسوقة بهذا النمط من الاختزال دليلاً على أن الخبر (...) هو المقصود تهكماً منه، وأن المبتدأ المقدر بـ (...)، لم يذكر إهمالاً له، وتحفيزاً لشأنه. غير أن عبد الله حمادي قد يؤثر ذكر المبتدأ أحياناً، فيأتي به ضميراً منفصلاً للمتكلم أو المخاطب أو الغائب أو اسماً ظاهراً، وعند مقارنة عدد مرات الحذف مقارنة بعدد مرات مجيء المبتدأ ضميراً أو اسماً ظاهراً، نجد غلبة لظاهرة الذكر على الحذف تقريباً في جميع مقاطع وقصائد الديوان، ومن اليسير تفسير ذلك، فالذكر هو الأصل المتعلقة به الإبانة، يقول السيوطي (ت911هـ): "الإضمار خلاف الأصل، ولذلك رد على قول من قال إن الاسم بعد لولا مرتفع بفعل لازم الإضمار، بأنه لا دليل على ذلك مع أن الإضمار خلاف الأصل"².

وكما أن للحذف دلالاته المتعددة والمتنوعة، فللذكر دور ودلالة تتنوع باختلاف المقام والسياق، ومن ذلك قول عبد الله حمادي في قصيدته "رباعيات آخر الليل":

أَنْتَ يَا حُبُّ يَا شَدِيدَ الْعِنَادِ كَيْفَ أَرْمَعْتَ أَنْ تَحْوِضَ التَّمَادِي؟
أَنْتَ أَفْرَعْتَ شُحْنَةً مِنْ عُقُوقٍ فِي وَعَاءٍ مُهَيَّكِلٍ مِنْ رَمَادٍ³

فمجيء المبتدأ ضميراً مخاطب (أنت) ألقى بظلاله على القصيدة، فالأخبار الواقعة بعد المبتدأ مما لا تقع لغير المبتدأ، ولا يقوم غيره بها، فالحبيب الذي يخاطبه الشاعر قد أفرط في عدم الاكتراث بكل ما يبذل في سبيل حبه وقربه، بل إن شدة عقوقه وهجرانه أفرغت لب الشاعر حتى صار كهيكل من رماد تعبت به الرياح كيف شاءت، ومن ثم فالضمير (أنت) يوحي

¹ الربيعي محمود، قراءة الشعر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1997، ص17.

² جلال الدين السيوطي، الأشباه والنظائر، ج1، ص84.

³ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص47.

بالخصوصية والتفرد، وكأني به يقول (أنت لا غيرك)، فضلا عما يضيفه ضمير الخطاب من دلالة الحضور. وكذلك قوله:

هُوَ وَجْدٌ... بَلْ فِتْنَةٌ قَدْ تَحَدَّثَتْ حِكْمَةَ "الطُّورِ" وَاعْتِرَارَ "الْفَيَافِي"¹

فقد صدر الضمير (هو) وكان يمكنه إسقاطه، والاستغناء عنه، إلا أن الذكر هنا يكمن وراءه دلالة لا غنى عنها، فالحب قد ملك على الشاعر نفسه، وغزا قلبه وروحه، وبلغ به مراتب عظيمة لا يحس بها إلا من ملك عاطفة قوية مثله، وقد أراد أن يبرر ذلك لنا لئلا نلحقنا شعورًا بالتغير لديه، فهو شاعر يعرف للحب قدره وجلاله، ومن ثم كان نكر المبتدأ (هو) حاضر على رأس التركيب اللغوي.

2.3. ذكر الفعل والفاعل وحذفهما:

حذف الفعل على ضربين: أحدهما أن تحذفه والفاعل فيه، فإذا وقع ذلك فهو حذف جملة، نحو: زيدًا ضربته، لأنك أردت: ضربت زيدًا، فلما أضمرت (أضربت) فسرتة بقولك: ضربته، والآخر أن تحذف الفعل وحده، وذلك أن يكون الفاعل مفصولا لا مرفوعا به، وذلك نحو قولك: أزيد قام، فزيد مرفوع بفعل مضمر محذوف خال من الفاعل، لأنك تريد أقام زيد، فلما أضمرته فسرتة بقولك: قام، وكذلك: {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ} [الانشقاق، 01] و{إِنَّ امْرَأَتَهُ هَلَكَتْ} [النساء، 176] و{لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي} [الإسراء، 100] ونحوه².

ويحذف كذلك مع (إيا) لغير المتكلم أو الغائب في أسلوب التحذير، وإن نكر المحذر بغير لفظ (إيا) أو اقتصر على نكر المحذر فيه فإنها يجب الحذف إن تكررت أو عطفت وكذا في الإغراء... وفي ذلك لا يجوز الإظهار كقوله: "خل الطريق لمن يبني المنار به"³.

وقد عمد عبد الله حمادي إلى حذف الفعل والإبقاء على المفعول به دون بقية العناصر، ولهذا النوع من الحذف دلالة في مقامه وسياقه، كما جاء في قوله:

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 65.

² ينظر: ابن جني، الخصائص، ج 2، ص 381، 382.

³ ينظر: ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج 4، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دط، ص 77، 78.

كَبْرًا يُلْقَنُ لِلرَّضِيعِ مَصَاوُهُ فِي شَفَرَتَيْهِ دُعَاءِ حُرِّ كَبْرًا¹

فقد قدم المفعول به على الفعل والفاعل لأهميته في خدمة المعنى المقصود الذي يأتي في سياق العزة والأنفة التي عرف بها الجزائري، ولو جاء التركيب اللغوي (الفعلي) محافظا على ترتيب مكوناته (فعل + فاعل + مفعول به) لما حقق الدلالة المرجوة التي يبغها الشاعر عبد الله حمادي، وقد جاء أيضا في نفس القصيدة هذا النوع من الحذف في قوله:

لُطْفًا مِنَ الْمَلَا الرَّحِيمِ نَزْفُهُ عَطْرًا نَدِيًّا لِلْبُطُولَةِ أَطْرًا²

وقد تقدم فيه المفعول به تركيبا لغويا شعريا طويلا، يعكس أهمية تقديمه في صنع دلالة التركيب التي لا يمكن الوصول إليها بغيرها. ولم يتضرر المعنى بحذف الفعل والفاعل والإبقاء على المفعول به لدلالة النصبه عليه، بل قوي به التنبيه، وأحدث "زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وكلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الإلتذاذ به أشد وأحسن"³.

وقد حذف الفعل المنفي والفاعل المكونان لجملة جواب النداء المحذوفة في تركيب مميز للشاعر عبد الله حمادي لم يحتفظ فيه إلا بأداة النفي ومن جملة النداء المكونة من حرف النداء ومنادى مضاف دون جملة جواب النداء التي يفسرها ما يأتي بعدها في السياق في كل مرة من المرات الأربع التي جاءت في قصيدة "لا، يا سيدة الإفك...!!"، تلاها الشاعر بمجموعة كبيرة من الجمل الفعلية التي تساعد القارئ على الإحاطة بجوانب مقصد الشاعر الدلالي المتعلق بسعيه وطلبه الدائمين للوصول إلى رضا حبيبه، وبذل الجهد كله لتحقيق ذلك، وما يمكن أن يناله من نعيم، وقد جاء في المقطع الثاني، مثلا من القصيدة ما يؤكد ذلك في قوله:

(لا، يا سيدة الإفك...!!)، (مَا أَطْعَى الْفُئَلَةَ تَنْهَالُ عَلَى مَهْلٍ!!)، (تَعْبُرُ شُطْرَانَ السُّوءِ)، (نُقِيمُ شَعَائِرَ قُدَّاسٍ)، (تَرْفَعُ أَلْوِيَةَ النَّصْرِ)⁴.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص28.

² المصدر نفسه، ص28.

³ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3، ص105.

⁴ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص157.

ثم جاءت كل الجمل على هذا المنوال التركيبي التي أسهمت في بناء الصورة الكاملة لجملة جواب النداء المحذوفة (فعل+فاعل)، وأشارت إلى كثير من جوانبها الدلالية. وتوالت التراكيب الثلاثة الأخرى في القصيدة الممثلة لظاهرة حذف الفعل والفاعل ودلالة المفعول به على المعنى بنفس الأسلوب مشكلة في اجتماعها المعنى الدلالي العام، وهذه التراكيب هي: (لا يا سيدة الماء العَطْشَى)، (ومُعْجِزَةُ الآيَاتِ التَّكْلِى...)¹. و(لا يا سيدة الأقطار السبعة)²، و(لا يا سيدة الإفك)، (وخازنة الأسرار)³.

3.3. حذف المفعول به:

يجوز حذف المفعول به لغرض ما لفظي كتناسب الفواصل في نحو: {مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى} [الضحى، 03]، ونحو {إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَنْ يَخْشَى} [طه، 03]، وكالإيجاز في نحو: {فَإِنْ لَّمْ تَقْعُلُوا} [البقرة، 24]، وإما معنوي كاحتقاره في نحو: {كَتَبَ اللَّهُ لِأَغْلِبَنَّ} [المجادلة، 21]، أي الكافرين ولاستهجانه كقول عائشة ما رأى مني ولا رأيت منه، أي: العورة. وقد يمتنع حذفه كأن يكون محصوراً نحو: إنما ضربت زيداً، أو جواباً ك: ضربت زيداً، جواباً لمن قال: من ضربت⁴. ويكثر بعد "لو شئت" نحو: {فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ} [الأنعام، 149] أي هدايتكم، وبعد نفي العلم ونحوه نحو: {أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ} [البقرة، 13]، أي: إنهم سفهاء، وعائداً على الموصول نحو: {أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا} [الفرقان، 41].

حذف المفعول من ألوان الحذف عند عبد الله حمادي في ديوان "البرزخ والسكين"، وقد تعددت أغراض حذف المفعول به في الجمل والتراكيب الشعرية في الديوان. وحرص عبد الله حمادي في بعض المواضع على حذف المفعول به أبلغ في إثبات معنى التناقض الصارخ مثلاً في وصف مدينته، وذلك من خلال إثبات الشيء وضده، كالأمر والنهي، والإعطاء والحرمان، والشقاء والسعادة... هذا وقد وظف الشاعر هذا النوع من الحذف المنوط بتلك الدلالة، وهي

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص162.

² المصدر نفسه، ص163.

³ نفسه، ص166.

⁴ ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج2، ص184.

إثبات معنى الفعل للمسند إليه دون النظر إلى المفعول في مواضيع غير قليلة، ومن أمثلة ما ورد في الديوان من ذلك قوله: (مدينتي تذكراها)، (التكبير والتشريد)، (ومعقل يصدر)، (وآخر يعيد)¹. إن حذف المفعول به في العملتين (يصدر) و(يعيد) وارتباطهما بالتناقص الحاصل بين التكبير والتشريد الذي وصف به الشاعر مدينته يفتح المجال الدلالي واسعا لتصور طبيعة ما يمكن أن يصلح كمفعول به للأفعال (يصدر) و(يعيد) ويتناسب من جهة أخرى مع معطى آخر لا يقل غرابة عن سابقين (التكبير والتشريد) وهو "معقل". لقد أكنم الشاعر للمتلقى معنى خفيا لا يمكن أن يتبينه إلا المتأمل الواعي والمدرك المتبصر، وهو أن المفعول به المحذوف مرتبط في الحالتين بالثنائيتين (التكبير، معقل) و(التشريد معقل)، ولم يكن من سبيل إلى هذا المعنى وتلك اللطيفة إلى بحذف المفعول به.

4.3. الحذف للعموم:

قد يتم حذف المفعول في التراكيب لإفادة دلالة العموم والإطلاق، وعدم حصر دلالاته في نطاق محدد في التراكيب، وهذا ما يحقق الإيجاز في الأداء اللغوي، للاستغناء بهذا التعبير البنيوي عن استخدام وحدات لغوية، ذات دلالة العموم والشمول². ومن ذلك قوله في قصيدة "أطفالنا... فإلى الحجارة"³ داعيا الأطفال إلى مقاومة المحتل بالحجارة:

أَطْفَالُنَا... أَنْ الْأَوَانُ لِنْتَهَضُوا... فَأَلَى الْحِجَارَهْ⁴
 شُدُوا بِأَرْمُشِكُمْ وَرُدُّ وَاعَلَى الصُّفُوفِ الْمُسْتَعَارَهْ⁵
 أَطْفَالُنَا... مِلءَ الطَّرِيقِ تَقَدَّمُوا... دُوسُوا الْإِشَارَهْ⁶

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص102.

² ينظر: عتيق عبد العزيز، علم المعاني، البيان، البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2009، ص127، 128.

³ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص30.

⁴ المصدر نفسه، ص31.

⁵ نفسه، ص31.

⁶ نفسه، ص32.

صبغت الأبيات ثلاث جمل طلبية مسندة إلى واو الجماعة (لنتهضوا، شدوا، ردوا، تقدموا) منها ثلاثة تحمل شحنة صوتية أعلى هي الشدة في قوله: (شدوا، ردوا، تقدموا)، فهذه الأعمال الدفاعية عن الأرض المقدسة تحتاج إلى جهد ومشقة وصبر، كما أن الإسناد إلى واو الجماعة يشير بالشمول، أما (الأطفال) و(الحجارة) و(الطريق) فتشير إلى أسباب النصر في هذه المقاومة المباركة بعد أن تخاذلت الجيوش العربية عن دورها في هذه المقاومة.

5.3. ذكر المفعول للتقرير:

المستقرئ لشعر عبد الله حمادي يجده أحيانا يعدل عن حذف المفعول به، ويميل عن ذلك إلى ذكره في مواضع يمكن حذفه فيها ليقرره في النفس، ويؤنسها بها خاصة إذا كان هذا الأمر عظيما أو بديعا أو غريبا، فالأول أن يذكر فلا يضمر وأن يبرز فلا يخفى، ومن ذلك قوله عن مدينته: (مَدِينَتِي... قَصِيدَتِي)، (قَصِيدَتِي... مَدِينَتِي)، (بِضَاعَةٌ مُهْرَبَةٌ)، (فَلْيَحْذَرِ الْجَمَارِكُ)، (عَلَبَهَا الْمُلْغَمَةُ)، (وَلْيَحْذَرِ الْمُسْتَهْلِكُ)، (رُمُوزَهَا الْمُرُورَةُ)، (فَعَلَّقُوا أَبْوَابَكُمْ)، (وَشَدِّدُوا الْمَتَارِسَ)¹.

إن جميع الأفعال التي وظفها الشاعر في الجمل الطلبية السابقة هي متعدية تحتاج مفعولا به، ومن ثم كان من الأفضل للشاعر أن يظهر المفعول مع تلك الحالات، لأن ذلك أحسن وأقرب لتصور الدلالة عند القارئ الذي قد يصدم بمفردات متنافرة ك(قصيدة، مدينة، بضاعة، مهربة، الجمارك، العلب الملغمة، الرموز المزورة)، فمجيء المفاعيل في هذه التراكيب ينقص ولو قليلا من جدّة الغموض الدلالي المصاحب لها، والذي مفاده هنا ضرورة الحذر والوقوف في وجه ما يفد إلينا على مستوى خط الدفاع الأول (الوطن) والثاني (الأسرة).

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص114.

4. الدلالة النحوية للفصل والوصل:

تعد ظاهرتا الفصل والوصل خصيصتين أسلوبيتين تتصف بهما اللغة العربية¹، وتسبق ظاهرة الفصل ظاهرة الوصل لكون الثانية حالة طارئة محولة مبينة على أساس إضافة مفردة من مفردات العطف، وتعبّر عن ظاهرة الوصل عموماً قرائن معنوية كالإسناد والتخصيص والنسبة والملابسة... الخ، وقرائن لفظية منها الرابط والتضام والمطابقة والعطف. وقد خصص العلماء فصيلة نحوية خاصة تدعى بـ(عطف النسق) وألح بعضهم ضمها إلى ظاهرة الفصل أيضاً²، ووردت تلميحات طفيفة إلى هذه الظاهرة الأسلوبية أو بعض تفرعاتها، لكنها لم تشفع بالتحديد والتوضيح والتفصيل لكونها تعليقات على الآيات القرآنية في مواضع متناثرة.

وإذا كان الوصل يعني ضم الوحدات اللغوية أو التراكيب إلى بعضها بواسطة روابط العطف، فإن الفصل ليس فك عملية الضم والتلاحم الجامعة لشمّل الوحدات اللغوية مؤلفة أساليب لغوية بغية تحقيق عملية التواصل اللغوية، إذ أن بعض حالات الفصل يشتمل أيضاً على قرينة التضام والترابط العطفية، فهو وصل بغير العطف أو بغير القرائن اللفظية القائمة مقام مفردات العطف، ويرى بعض الدارسين أنه قد لا يحاد عن الصواب إدخالها ما يندرج تحت أسلوب الخبر والإنشاء من نطاق ظاهرة الفصل على مستوى الصيغة المفردة أو الصيغ المجتمعة مؤلفة التراكيب كالصفة والتوكيد والبدل والتمني والترجي والتعجب وغير ذلك³.

وقد قصر علماء المعاني عنايتهم في هذا الباب على البحث في عطف الجمل بـ"الواو" دون بقية حروف العطف، لأن «الواو» هي الأداة التي تخفي الحاجة إليها ويتطلب فهم العطف بها دقة في الإدراك، وسبب ذلك أنها لا تدل إلا على مطلق الجمع والإشتراك، أما غيرها من أحرف العطف فتفيد مع الإشتراك معاني زائدة كالترتيب مع التعقيب في الفاء، والترتيب مع التراخي في "ثم" وهلم جرا فإذا عطف بواحد منها ظهرت الفائدة وسهل إدراك موطنها⁴.

¹ ينظر: إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص 327.

² ينظر: الكتاب لسبويه، ج 1، ص 60، 61. المقتضب للمبرد، ج 1، ص 10-12، الأصول لابن سراج، ج 2، ص 55-69.

³ ينظر: دلخوش جار الله حسين دزه يي، الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (دراسة دلالية)، ص 216.

⁴ عتيق عبد العزيز، علم المعاني، البيان، البديع، ص 155.

إن ظاهرة الوصل ليست حكراً على حروف عطف النسق بل تجاوزها لتشمل بعض حروف العطف في أداء عملية الوصل، لا في إعطاء الدلالة نفسها، فقد تستبدل بـ(إن) و(واو الحال) أو غيرهما لإضفائهما بعداً جمالياً دلالياً على التركيب، تفتقر إليها حروف العطف كالواو والفاء وغيرهما.

لقد تناول النحاة الأول أمثال سيبويه وابن السراج والزجاجي وأبو علي الفارسي والزيدي وابن جني مصطلح (الوصل والفصل) كمفهوم تناولته دراساتهم دون التصريح به، فقد تحدثوا عن ظاهرة وصل المفردات ضمن فصيلة (عطف النسق)، وبينوا دلالات حروف العطف والأحكام اللغوية المتعلقة بالمعطوف والمعطوف عليه، ليظهر كمصطلح لاحقاً في كتابات الجاحظ (ت255هـ) وإن لم يتعمق فيه بالشرح والتحليل، والفصل عندهم يضم كل الأساليب اللغوية بما يطرأ عليها من أساليب الانزياح الفنية كالتقديم والتأخير والذكر والحذف والإظهار والإضمار والتعريف والتكثير وغير ذلك، يضاف إليها أسلوب الوصل بكل ما يعتوره من خصائص وسمات أسلوبية. أما الجرجاني (ت471هـ) فقد قدم معالجة علمية دقيقة لمصطلح (الوصل والفصل) بناها على أساس الربط بين أفكار نحوية وبلاغية مراعيًا تأثيرات البنية الداخلية، مبينا كيفية وصل التراكيب وفصلها، مبتدئاً بالحديث عن حالة وصل المفردات وفصلها، وبيان فائدة ذلك وتأثيرها في المكون الدلالي. فهي في رأيه تعمل على مشاركة المعطوف للمعطوف عليه في الوجه الإعرابي والوظيفة النحوية، كأن يكون الأول فاعلاً أو مفعولاً أو اسماً مجروراً، فتتخذ البنية الثانية من البنية الأولى حالته الإعرابية والوظيفية كما في نحو: (جاءني زيد وعمرو)¹، ويعني ذلك أن أسلوب الوصل يحقق غايات دلالية ثرية ومكثفة لا مكانية الاستغناء بدلالات حروف العطف عن رصف وحدات معجمية كثيرة، فالتركيب الموجز السابق (جاءني زيد وعمرو) أصله التركيب المطول (جاءني زيد وجاءني عمرو).

وقد حقق الدرس الألسني صحة هذا الرأي بإقراره تماثل العنصر المعطوف للعنصر المعطوف عليه في الفصيحة اللغوية والبنية الدلالية، فإذا قيل: (الرجل وابنه في البيت) فيكون عنصر (ابنه) مماثلاً لعنصر (الرجل) من حيث إسناد الكينونة في البيت إليه، فرغم أن الوصل

¹ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص222، 223.

بين بنيتين مفردتين في الجانب السطحي غير أن التمثيل الدلالي يشير إلى وجود تركيبين تامين اتفق عنصر المنسد فيهما: (الرجل في البيت وابنه في البيت)، ثم تحولت هذه الهيئة الدلالية إلى الهيئة السطحية الموجزة: (الرجل وابنه في البيت)¹. ويفهم من ذلك أن عملية الوصل تتم أصلاً بين التراكيب دون المفردات - وإن ظهرت أحياناً بين المفردات - ذلك أن هذه البنى المفردة إما تنتمي إلى فصيلة الأسماء أو إلى فصيلة الأفعال، وكلتا الفصيلتين تشكلان جزأين مشاركين في خلق بنية تركيبية متكاملة.

إن المنهج العلمي المنظم الذي طرح الجرجاني من خلاله أفكاره اللغوية في معالجة هذا الموضوع جعلنا من بين كثير الدارسين المحدثين الذين يؤيدون منهجه²، فقد قسم التراكيب إلى ضربين من حيث محلها الإعرابي باحثاً عن ظاهرتي الفصل والوصل، وهما: التراكيب التي لها محل من الإعراب، والتراكيب التي لا محل لها من الإعراب، وبتطبيق ظاهرتي الفصل والوصل على كل منهما نحصل على أربع حالات كما يلي:

1.4. الفصل في التراكيب التي لها محل من الإعراب:

لم يعالج العلماء هذا الموضوع بشكل مباشر ومؤطر ضمن مبحث مستقل، وإنما تداخلت ومضاتهم وإيماءاتهم إليه مع موضوع شتى، مما استصعب أمر إدراكه والوقوف عليه، فعلى سبيل المثال طرق سيبويه فصل التراكيب الواقعة بدلاً في أثناء حديثه عن الأحكام النحوية المراعية في الأفعال المضافة إلى طرفي أسلوب الشرط³، وكذلك الفراء والمبرد وأبو جعفر الطبري والزجاج وابن السراج وأبو جعفر النحاس والزجاجي والخطيب الاسكافي والشريف المرتضى والطوسي⁴، فهؤلاء جميعاً تناولوا طرفاً من هذا الموضوع بشكل مجمل ضمن الفصائل النحوية الأخرى، أو من خلال تفسيرهم للآيات القرآنية.

¹ ينظر: نعوم تشومسكي، البنى النحوية، ص 52.

² ينظر: أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، المعاني، البيان، البديع، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2000، ص 201.

³ سيبويه، الكتاب، ج1، ص 86، 87.

⁴ ينظر: معاني القرآن للفراء، ج2، ص 68، 69. المقتضب للمبرد، ج2، ص 62-64، معاني القرآن الزجاج، ج4، ص 67.

الأصول لابن سراج، ج2، ص 198.

وأفاد الجرجاني (ت471هـ) من مجهودات سابقه في معالجة ظاهرة الفصل في التراكيب، وعامل التراكيب المؤدية وظيفة التتابع معاملة الفصائل المفردة من هذه التتابع نفسها في الاجتزاء عن الربط الشكلي بالربط الدلالي، فمثلا لا تحتاج دلالة الوصف والتوكيد والبدل وعطف البيان في حالة الأفراد إلى مفردات التعاطف تربط هذه التتابع بمتبوعاتها، كذلك لا تحتاج تأدية هذه الدلالات على مستوى التراكيب إلى رباطات عطفية، وعلى الرغم من أن الجرجاني (ت471هـ) يبدأ بمقدمة نظرية عامة عن التتابع وعلاقتها بمتبوعاتها، فإنه يقصر دائرة تطبيقاته على فصيلتي الصفة والتوكيد، ويمثل للصفة بقوله: (جاءني زيد الظريف)، وللتوكيد بنحو: (جاءني القوم كلهم)، مؤكدا أن عنصر (الظريف) و(كلهم) لا يفترقان إلى ما يدمجها بما قبلهما، لقيام قوة داخلية رابطة بينهما وبين متبوعيهما (زيد) و(القوم)¹.

ونجد صدى لهذا الرأي عند المحدثين، وفي طليعتهم اللغوي الألماني (برجستراسر) الذي عبر عن فكرة فصل التراكيب التتابع بمصطلح (الإعمال غير العطفية) تدليلا على الصلة الجامعة بين التابع ومتبوعه من جهة العمل المسؤول عن تحديد الوظيفة النحوية فالدلالية بوسائل متعددة غير العطف، ويضرب أمثلة على ذلك بتراكيب كثيرة، منها قوله: (جاءني رجل لا أعرفه) مؤولا الصفة المركبة (لا أعرف) بصفة مفردة تتضح في قوله: (جاءني رجل غير معروف)².

وفي ديوان "البرزخ والسكين" تطغى ظاهرة الفصل في التراكيب التي لها محل من الإعراب متوزعة تقريبا على جميع قصائده، ومن تلك النماذج قوله³:

رَوَايَةُ "مُعَنَّقَلٍ" ... مَدْبَرَةٌ ... مَسِيرَةٌ ... طَوِيلَةٌ مُبْرَمَجَةٌ مُثِيرَةٌ

¹ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص227.

² ينظر: برجستراسر، التطور النحوي، تر: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994، ص177.

³ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص109.

إن المتمعن في هذا التركيب اللغوي الاسمي يجده مركبا من مبتدأ تليه مجموعة من الاخبار المتعاقبة المنفصلة التي تحاول متحدة تشكيل دلالة التركيب عند القارئ، وهي على التوالي: (رواية مدبرة طويل، معتقل، مسيرة مبرمجة مثيرة)، كما أن الانقطاعات في القراءة الناتجة عن طريقة الكتابة تساهم من جهة أخرى في تقريب المحتوى الدلالي أكثر للتركيب السابق.

فالفصل مثلا بين الخبر وصفاته الواردة عمداً من خلال النقاط المتتالية في السطر كما هو حاصل بين الخبر الأول (رواية) وصفاته (مدبرة وطويلة) أو بين الخبر الثاني (مسيرة) وصفتها (مبرمجة ومثيرة)، كل ذلك هو فصل متعمد من الشاعر في دعوة للقارئ للتأمل طويلا في خبايا التركيب لاستكناه دلالاته الحقيقية، إضافة إلى الفصل بنفس الطريقة (رسم نقاط متتالية) بين المبتدأ وأخباره المتتالية.

لقد عمل التركيب الأول (رواية.. مدبرة طويلة) على إخبارنا على أحوال مدينة الشاعر محملة بتفاصيل تقرب المعنى لنا، ولم يأت برباط عاطف بينهما لوجود التعلق الذاتي بين عنصري التركيب الاسمي (المبتدأ وخبره)، ولما بينهما من تمام التآلف وكما الإتحاد، وكأن كل ذلك لم ينل ثقة الشاعر في وصول مقصده إلى القارئ، فجاء بخبر ثان مفرد "معتقل" يلم به شتات تفكير القارئ في أحوال الخبر الأول، ويلقي أضواء أكثر على الدلالة المقصودة، وإن اختلف دلاليا عن التركيب السابق (رواية.. مدبرة طويلة) إلا أنه يتفق معه في الغاية والهدف، ليجد القارئ نفسه بعد هذه المرحلة من بلورة دلالة التركيب أمام فصل جديد بين التركيبين السابقين وثالث يدعو مرة أخرى إلى إضافة جانب دلالي جديد مكمل للدلالة الكلية للتركيب الأصلي من خلال التمعن في الخبر الثالث (مسيرة.. مبرمجة مثيرة). ويلحظ أن كل تركيب من التراكيب الإخبارية السابقة ساهم من جهته على ارتفاع إمكانية تكوين صورة دلالية أقرب لما أراده الشاعر في كلامه، موظفا في ذلك قوة الوشيجة الدلالية بين المبتدأ وخبره، فضلا عما إذا كان هذا الخبر متعدداً ودون روابط بينها.

2.4. الفصل في التراكيب التي لا محل لها من الإعراب:

لقد تحدث سيبويه عن ظاهرة فصل بعض التراكيب عما قبلها، معللاً ذلك بتنزيلها منزلة الجواب عن سؤال مقدر مستقى من السياق العام، وأطلق على هذه الحالة مصطلح (الاستئناف)، بيد أن حديثه جاء مثبوتاً في فصائل نحوية شتى¹، دون تخصيص فصيلة نحوية معينة لعرض ما يتعلق به مفصلاً متسلسلاً بجهة إطار لغوي محدد.

ووردت إشارات متناثرة إلى هذا الضرب من الفصل عند كل من الفراء والأخفش وابن قتيبة والمبرد والزجاج وأبي جعفر النحاس والطوسي² يستدل بها على أن العلماء التفتوا إلى ظاهرة انفصال بعض التراكيب عن بعض لأنهم رأوا أن مثل هذه التراكيب المنفصلة بمثابة جواب عن سؤال يوحي به الفضاء اللغوي العام. ومن المؤكد أن الجرجاني قد أفاد من هؤلاء واستطاع أن يحيط بهذه الأفكار ويعالجها تبعاً لمنهج تحويلي تحليلي منتظم انطلاقاً من تقلبات البنية العميقة السطحية وملابسات المقام الخارجي، فصياغة الحدث اللغوي عنده توجب أحياناً فصل التركيب اللاحق عن السابق ليستأنف به، ويقطع عما قبله إشعاراً بأن ثمة سؤالاً لا تقتضيه الجهة السابقة من الحدث اللغوي، وتدل على الهيئة الكلية للسياق، فتنبئ دلالة التركيب اللاحق بأنه جواب عن هذا السؤال المستنبط من الكلام السابق، وهذا ما يحتم فصل التركيب اللاحق عما سبقه، كما يفصل الجواب عن السؤال اكتفاء بالرباط الدلالي الموصل بينهما، إذ يعد التركيب الثاني كيانه متكاملاً مولداً من التركيب الأول متشعباً به على صعيد البناء الدلالي، مستقلاً عنه ومغايراً له على صعيد البناء السطحي، مما يستوجب فصل التركيبين عن بعضهما، وتسمى هذه العلاقة المعنوية الموحية للفصل في مثل هذا الموضع بـ(شبه كمال الاتصال)³.

¹ ينظر: سيبويه، الكتاب، ج2، ص14-17.

² ينظر: معاني القرآن للفراء، ج1، ص43، 44. ومعاني القرآن للأخفش، ج1، ص398، 399. وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص187. والتبيان في علم البيان لابن الزمكاوي، ص63. ومعاني القرآن للزجاج، ج4، ص46، 47.

³ ينظر: عتيق عبد العزيز، علم المعاني، البيان، البديع، ص179. وينظر أيضاً: أبو موسى محمد محمد، دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1987، ص308.

لم يكن الجرجاني (ت471هـ) "أول من تظن إلى الفصل في مثل هذه الماوضع، فالعلماء كما ذكرنا أشاروا إلى ذلك، إلا أنه يعد صاحب الفضل في إفراد هذا الموضوع بالمعالجة العميقة لإتباعه أسلوباً دقيقاً في إيراد الشواهد والتوسع فيها وتوضيحها بالتحليل والتعليل، وإعطاء الأحكام الدلالية القويمة"¹. ومن بين التراكيب التي وردت في ديوان "البرزخ والسكين" ما جاء في "قصيدة الجزائر"² من نماذج تشمل الفصل بين تراكيب تفسيرية لا محل لها من الإعراب عن أخرى سابقة لها في قوله عن عظمة الجزائر:

وَتَكُونُ فِي وَهَجِ الطُّقُوسِ قَصِيدَةً عَضْمَاءٌ.. أَوْقَدَهَا الْجَمَالَ فَأُبْهَرَا
فَرَعَاءٌ... أَنْبَتَهَا التُّرَابُ ظَلِيلَةً لِتُلِينَ حَرًّا لَا يُطَاقُ، وَتَقْهَرَا
سَمْرَاءٌ... أَفْرَزَهَا الْمَكَانُ بَرِيئَةً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ أَيْقُنُوهُ تَحْجُرَا
عَرَبَاءٌ... أَوْدَعَهَا الزَّمَانُ وَصِيَّةً أَنْ لَا تُهَانَ... وَلَا تُضَارَ وَتَنْهَرَا
بَيْضَاءٌ... أَوْفَدَهَا السَّلَامُ حَمَامَةً لِتُنْفِكَ قَيْدًا لِلنِّضَالِ وَتَكْسِرَا
حَمْرَاءٌ... أَسْرَجَهَا الْجِهَادُ مَطِيَّةً لِتَصُدَّ كَيْدًا لِلظُّلَامِ وَتَغْفِرَا

فالتراكيب الواردة في الأبيات السابقة (أنبتها التراب ظليلة)، (أفرزها المكان بريئة)، (أودعها الزمان وصية)، (أوفدها السلام حمامة)، (أسرجها الجهاد مطية) جاءت كلها جملاً تفسيرية لا محل لها من الإعراب فصلت عن الجمل الأساسية التي بدئت بها الأبيات، وتفسير لمعنى هذه التراكيب الداقل على سمو الجزائر.

ومما يعزز دلالة الفصل ما رسمه الشاعر بين هذه الجمل الابتدائية من نقاط تتابعية وبين الجمل المفسرة لها، والحذف الشديد الحاصل في الجمل الخبرية الابتدائية، فقد حذف في الجمل الخمس الأخيرة (الفعل الناسخ واسمه وخبره) ولم يبق إلا صفة من صفات الخبر الدالة على العظمة والعز الذي تفتخر به الجزائر، وهذا من أهم خصائص أسلوب عبد الله حمادي في تناول هذه الظاهرة، وأمام ما لحق بهذه الجمل الخبرية من حذف وإضمار شديدين كان بالمقابل الاتساع والطول مصاحبين للجمل التفسيرية لها، لأن هدف الشاعر هنا هو التركيب على

¹ دلخوش جار الله حسين دزه يي، الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (دراسة دلالية)، ص247.

² حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص26، 27.

توضيح جوانب هذا الجمال والعظمة والحرية والطهر والعزة والنضال والسلم وغير ذلك مما يبين ويدل على المكانة العظيمة التي تبوأتها الجزائر بين الأمم، وهذا ما نجح في تحقيقه من خلال الحكمة الأسلوبية التي تميز بها في الاستعانة بهذا النمط من الفصل في التعبير التي راعى فيها الإيجاز والدقة وتحاشى الحشو والإطالة، واختزال التراكيب وتكثيف دلالتها المتضمنة لصور عظمة الجزائر في قوله: (عصماء، فرعاء، سمراء، عرباء، بيضاء، حمراء)، ثم قرن كل تركيب من هذه التراكيب عالية الاختزال والدلالة فيآن ما يفسرها ويساعد القارئ على تمثل الدلالة المطلوبة في أبهى صورها.

3.4. الوصل في التراكيب التي لها محل من الإعراب:

درس العلماء ظاهرة عطف التراكيب ضمن الكلام على عطف النسق عموماً، لكنهم لم يتمصوا فيها كأن يميزوا بين التراكيب التي تحتل موقعا إعرابيا وبين التي لا تحتل هذا الموقع في السياق، ويلحظ أن أغلب حالات وصل التراكيب المطروقة عندهم يدخل في إطار وصل التراكيب العارية من الوظيفة الإعرابية يستثنى من ذلك ابن السراج (ت316هـ)¹، والجرجاني (ت471هـ)²، اللذين وفقا في التفريق بين هذين النمطين من التركيب، وفصل القول في ظاهرة وصل التراكيب الشاغلة موضعا معينا من الإعراب.

وعامل الجرجاني (ت471هـ) هذا الضرب من التراكيب معاملة البنى المفردة التي يصح وصل بعضها ببعض شرط توفر شرط جامع ووظيفي بين طرفي الصلة (المعطوف والمعطوف عليه) مما يضمن اشتراك الجهتين في الوظيفة النحوية والحكم الإعرابي، ويمثل لذلك بنحو: (مررت برجل خلقه حسن وخلقه قبيح) مشيراً إلى أن التركيب المعطوف عليه (خلقه حسن) احتل حيزاً إعرابياً لقيامه بوظيفة الصفة الموضحة لحالة (رجل) وهيئته، وجاء التركيب المعطوف (خلقه قبيح) مطابقاً للأول متخذاً قيمته الدلالية والوظيفية لوجود ارتباط الأسلوبى (او العطف) فضلاً عن التناسب المعنوي³.

¹ ينظر: ابن السراج، الأصول في النحو، ج2، ص61 وما بعدها.

² ينظر: أبو موسى محمد بن محمد، دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، ص165.

³ المرجع نفسه، ص223، 224.

ويضيف الجرجاني أن العلاقة الترابطية القائمة بين هذه الأفعال تزداد وتشتد حالة وقوعها في سياق مفردات الصلة مثل: (إن، أن، ما...)، ويضرب مثلا نحو: (العجب من أنني أحسنت وأسأت)، و(يكفيك ما قلتُ وسمعت..)، و(أحسن أن تنهى على شيء وتأتي مثله؟) مؤولا البنية الدلالية لهذه الأنساق العطفية باندماج كل فعلين في حيز الصلة وتشابكهما بحيث أصبحا في حكم فعل واحد.

ويكاد يقترب الجرجاني لهذه الأنساق العطفية مما ذهبت إليه الدراسة الأسلوبية من فكرة (تراسل ماهيات المعاني)¹ التي تعد التشكيل العطفى تعبيراً بلاغياً أو تصرفاً لغوياً يكشف عن علاقة التضاييف بين دالتين أو أكثر من خلال هيئة كلية تتحرك فيها المتعاطفات بتراسلها الخاص، وتكون مجالا بنيويا ذا إحياء جديد خصب².

أما في ديوان "البرزخ والسكين" فقد كان حضور ظاهرة الوصل في التراكيب التي لها محل من الإعراب في شعر عبد الله حمادي أحد مميزات تراكيبه الشعرية التي تتبعناها تقريبا في قصائد الديوان الشعرية كاملة، ومن ذلك قوله في قصيدة "لا، يا سيده الإفك؟"³: (لا يا سيده الأقطار السبعة)، (والشعر الكحلي)، (والشعر الوردى)، (ونار الغيب)، (ومعراج الأمن)، (ومفتاح الفتح)، (وقاهرة الأحزان)، (أسألك الرعشة والرجفة)، (من باب الغفران).

إن قراءة أولية توحى بتذلل الشاعر وترجييه من السيدة التي اجتمعت لها من أسباب القوة ما لا يملكه غيرها ولا يجوز له، فيناديها مخاطبا إياها: أن ترد سؤاله، وتمنح له علامة الرضا والقبول والغفران، يدل على ذلك شدة الأوصاف الخارقة التي سبغها على شخصية هذه السيدة (سيدة الأقطار السبعة، وسيدة الشعر الكحلي، وسيدة الثغر الوردى، وسيدة نار الغيب، وسيدة معراج الأمن، وسيدة مفتاح الفتح، وسيدة قهر الأحزان) وكل هذه القوى التي يعجز أقوى الناس أن يمتلك واحدة منها، فضلا عن أن تجتمع كلها عند سيدة واحدة المرأة، يشير إلى الطبيعة

¹ ينظر: الشرقاوي عفت، بلاغة العطف في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1981، ص139.

² المرجع نفسه، ص205.

³ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص163، 164.

الصوفية لهذه التراكيب الشعورية وما يمثله جمال المرأة عند الصوفية من استحضار لجمال وجلال الله وقدرته في الأرض¹.

لقد جاءت جملة النداء في هذه المقطوعة الشعرية مركبة من حرف النداء ومنادى منصوب مضاف: (يَا) + (مضاف ومضاف إليه)، وكان هذا التركيب كاف وحده لأن يكون سببا لإجابة استغاثة الشاعر والرحمة به خاصة وأن مناداة مخاطبه ب: (سيدة الأقطار السبعة) وهذا شيء لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى، لذا كان من باب أولى لإجابة ندائه أن يعطف على هذا الوصف العظيم أوصافا أخرى تعليق بمقامه تعالى مثل: الجمال، وخالق جهنم للعصاة، وصاحب الفضل والنجاة لمن تمسك بحبله، ومن بيده خزائن كل شيء، ومذهب الحزن، وكل هذه التراكيب المعطوفة من الشاعر هي من جهة أخرى أسباب يطمع في أن ينال علامة الرضا والمغفرة.

لقد مثل حرف العطف بين التراكيب المعطوفة (المضاف إليه) نقطة جمالية في شعر عبد الله حمادي تميز بها عن غيره من الشعراء، حيث عطف على المضاف إليه (الأقطار السبعة) ستة تراكيب أخرى ذات دلالات مغايرة وهي: (الشعر الكحلي، الثغر الوردي، نار الغيب، معراج الأمن، مفتاح الفتح، قاهرة الأحزان)، ساهمت في صنع لوحة شعرية فائقة الجمال ثرية الدلالة.

4.4. الوصل في التراكيب التي لا محل لها من الإعراب:

التراكيب التي لا محل لها من الإعراب والتي تخضع لعملية وصل بينها هي "تراكيب محولة من تراكيب توليدية منفصلة أصلا، ربطت فيما بينها بمقتضى قانون الإضافة التحويلي بعد الإشعار بوجود علاقة ما بين عناصرها، فيدخل مفردة (الواو) لتلاحم هذه التراكيب واندماجها ببعضها وخلق بنية دلالية متسقة مفهومة"²، وتبرز هذه الخطوة التحويلية فيما يأتي:

¹ ينظر: بلعلى آمنة، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص81.

² دلخوش جار الله حسين دزه يي، الثنائيات المتغايرة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (دراسة دلالية)، ص257.



الشكل رقم (17): التحويل بالإضافة في التراكيب.

حيث (زيد، عمرو: جمع بالتقارب كعلاقة الأخوة أو الصداقة أو العداوة...)، (قائم، قاعد: جمع بالتغاير).

لم يخض العلماء غمار وصل التراكيب العارية الموضع من الإعراب ولم يتعمقوا فيه، ومرد ذلك استعصاء أمر الوصل في مثل هذه التراكيب وكثرة ورود الإشكال فيها¹، ولم يفوا حق هذا الضرب من الوصل ولم يدرسوه دراسة وافية مستفيضة، عدا إيماء سيبويه (ت180هـ) الطفيف في موضع من كتابه إلى قيام سبب رابط بين تركيب المعطوف والمعطوف عليه²، وكذلك وقفة المبرد القصيرة عند بعض الأنماط التركيبية مثل: (مررت بزيد وعمرو في الدار)، وتعليقه عليه بإحالة حذف الواو بين التركيبين لصلة جامعة بينهما، جعلتهما تعبير مركبا واحداً، إلا إذا رفعت هذه الصلة بهدف قطع التركيب الأول واستئناف التركيب الثاني³.

ويؤكد الجرجاني (ت471هـ) أن المناسبة المسوغة لوصل تركيب بآخر لا تقتصر على الأشخاص مثل: (زيد، عمرو، رجل، امرأة...)، وإنما تقاس عليها العناصر المعنوية مثل: (العلم، الجهل، الإيمان، الكفر...)، ويمثل لذلك بقوله: (العلم حسن والجهل قبيح)، لأن العقل والمنطق يقتضيان بانضمام العلم موصوفاً بالحسن إلى الجهل متمسماً بالقبح⁴، وسمى هذه

¹ ينظر: الشريف الجرجاني، الإشارات والتبنيها في علم البلاغة، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، مصر، دط، 1997، ص104. وينظر أيضاً: شفيح السيد، النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص237، 238.

² ينظر: سيبويه، الكتاب، ج1، ص61.

³ ينظر: محمد بن يزيد أبو العباس المبرد (ت285)، المقتضب، ج4، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1975، ص124.

⁴ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص226. وينظر: الشريف الجرجاني، الإشارات والتبنيها في علم البلاغة، ص113.

الحالة من الوصل بـ(العطف لما هو واسطة بين الأمرين)¹، أي (الاتصال والانفصال)؛ لاتصال التركيبين ببعضهما في الجانب الدلالي والوظيفي واختلافهما في الخصوصيات الدلالية.

من أمثلة ظاهرة وصل التراكيب التي لا محل لها من الإعراب في ديوان "البرزخ والسكين" ل: عبد الله حمادي ما جاء في قصيدة "حلم أزيلة" قوله:²

وَفَاءٌ... وَلِلْقَلْبِ فِيهِ وَفَاءٌ وَلِلْعَاشِقِينَ وَفَاءُ الْقَبِيلَةِ

جاء بناء هذا البيت الشعري من ثلاث تراكيب اسمية ابتدائية لا محل لها من الإعراب مرتبطة بحرف الوصل: الواو، وهي على التوالي: (وفاء) خبره محذوف تقديره كائن أو حاصل، و(وفاء للقلب فيه) و(وفاء القبيلة للعاشقين)، والملاحظ أن نسبة إمكانية العطف بين هذه التراكيب الثلاثة مرتفعة بسبب الانسجام في الأرضية الدلالية المشتركة: (الوفاء)، فجاءت دلالة الجملة الأولى الوفاء لذكريات أصيلة، ودلالة الجملة الثانية: الوفاء للقلب الذي حمل ذلك الوفاء دون نسيانه، ودلالة الجملة الثالثة: وفاء القبيلة للعاشقين، والمتأمل في أسلوب بناء الشاعر لهذه التراكيب الثلاثة يجد أنه قدم الخبر في كل من الجملتين الثانية والثالثة (للقلب، للعاشقين) وحذف الخبر من الجملة الأولى لغرض دلالي إجمالي مقصود بذاته اتضح بعد أن وصل تلك التراكيب التي اختار بناءها كما ذكرنا بحرف الوصل (الواو)، لتتحد دلالاتها المتفرقة وتتجمع في دلالات الكلمات التي جعلها الشاعر رأساً في كل جملة وهي: (وفاء)، (للقلب)، (للعاشقين) وتصنع الدلالة الإجمالية الآتية: الوفاء طبع راق يجب أن يكون السمة البارزة لقلب العاشقين، وأن يكون أكبر من الصعوبات التي يمكن أن تنال منه ولو كانت عودة بعد سنين طويلة من الفراق أو ركوب بحر في يخت قديم، أو حتى تحدي الوفاء نفسه المفهوم الضيق الصارم للعشق المتوارث عند القبيلة.

¹ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص243.

² حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص36.

الفصل الرابع

الدلالة النحوية في

المستوى الخطابي

1. الدلالة النحوية من الجملة إلى النص/الخطاب:

1.1. مدخل (الجملة والنص والخطاب).

2.1. نحو النص في اللسانيات المعاصرة.

3.1. نحو النص في الدرس العربي التراثي.

4.1. الدلالة النصية.

2. عناصر الخطاب وأساسيته:

1.2. مفهوم الخطاب.

2.2. عناصر الخطاب.

3.2. الأنماط الخطابية.

3. الدلالة النحوية للخطاب الشعري المعاصر:

1.3. الخطاب ودلالاته.

2.3. أثر المجاز في دلالة الخطاب.

3.3. دلالات الانزياحات الخطابية.

1. الدلالة النحوية من الجملة إلى النص/الخطاب:

1.1. مدخل (الجملة والنص والخطاب):

اعتمدت الدراسات اللغوية منذ نشأتها في تناول اللغة على الجملة بمفومها الذي يتسم بالتباين والغموض حتى وقتنا الحاضر¹، والمتأمل في هذه التعريفات المتنوعة يرى تباينا واضحا في الاتجاهات التي تعتمد عليها هذه التعريفات، فبعضها يتركز على منطلق دلالي محض، وبعضها الآخر يركز على منطلق شكليمحض، وآخر يعتمد على المزج بين الدلالة والشكل، ولكنها تتفق جميعا في مفهوم استقلالية الجملة، ويتأكد هذا في نحو الجملة، بحيث تتم دراستها منفصلة عن سياقها العام وربما حتى عن السياق الدلالي العام، ومن هذا المنطلق اقترح بعض الدارسين مثل الأزهر الزناد إلى تقسيمها إلى قسمين:²

أ. جملة نظام:

وهو شكل الجملة المجرد الذي يتولد عنه جميع أشكال الجمل الممكنة، وهذا التناول يعطي للجملة معنى واستقلالية بعيدة عن السياق، ويمتلك مجموعة من النظم الحاكمة لطبيعة علاقة أجزاء هذه الجملة المستقلة³.

ب. جملة نصية:

وهي جملة تتسم بالتواصل مع جملة أخرى، حيث يحتويها نص ما، أو هي المنجزة فعلا في مقام، ولها مدلولها داخل السياق نتيجة ملاسبات لا يمكن حصرها، ويترتب عليها الفهم والإفهام، وهذا النوع من الجمل لا يفهم إلا بإدماجه في نظام الجمل، فيعطي دلالاته من خلال الاتساق والإنسجام⁴.

¹ ينظر: عبده داود، أبحاث في الكلمة والجملة، دار الكرم للناشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008. وينظر أيضا: العاشور منصف، بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، دط، 1991.

² ينظر: الزناد الأزهر، نسيج النص، البحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993، ص14.

³ ينظر: عبد اللطيف محمد حماسة، بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2003، ص74.

⁴ ينظر: مفتاح محمد، دينامية النص (تنظير وإنجاز)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1990، ص31.

إذا كان من المُسَلَّم به اختلاف آراء النحاة القدامى والمعاصرين في تعريف الجملة، فإن النص أيضا تعددت تعريفاته وتنوعت عندهم¹، بل وتداخلت حد الغموض أحيانا والتعقيد أحيانا أخرى، واعتمد في تأسيسه هو أيضا «على أسس مختلفة مثل: مكونات الجملة وتتابعها، أو ترابط تلك الجمل، أو التواصل النصي والسياق، أو الإنتاجية الأدبية (فعل الكتابة)، أو جملة المقاربات المختلفة والمواصفات التي تجعل الملفوظ نصا»².

لقد احتل تعريف النص مساحة كبيرة عند المهتمين بلسانيات النص ومنه نحو النص³، إلا أن تأمل الدارس في تعريفاتهم الكثيرة يجد كل تعريف يركز على جانب واحد ويسقط جوانب كثيرة كما حدث في موضوع الجملة، وقد حاول صلاح فضل التوفيق في بنائه لمفهوم النص بين جملة المقاربات التي قدمت له في البحوث البنيوية والسيميولوجية الحديثة، دون الاكتفاء بالتحديدات اللغوية المباشرة لأنها تقتصر على مراعاة مستوى واحد للخطاب هو السطح اللغوي بكيونته الدلالية، حيث يقول: "فالنص ليس مجرد لغة، وليس مجرد اتصال، وليس مجرد كتابة، وليس تتابعا لجمل مترابطة يراعى فيها الظروف الخارجية أحداثا وزمانا ومكانا، إنه يتكون من كل ذلك وأكثر"⁴.

ويظهر أن النص عملية إنتاجية مركبة داخل اللغة، محركة لذات الزمن تتقاطع نصوصها مع نصوص أخرى متداخلة الدلالة، ومن هنا فليس النص مجموعة من الملفوظات النحوية أو اللانحوية، إنها كل من ينصاع للقراءة عبر خاصية الجمع بين مختلف الطبقات الدلالية الحاضرة⁵، فلا بد أن يكون مكتفيا بذاته بالإضافة إلى «كونه قولاً لغوياً مستديرا مكتملا

¹ ينظر: معراجي عمر، النص بين الدلالة والتداول، منشورات دار القدس العربي، وهران، الجزائر، دط، 2011، ص16-18. وينظر أيضا: أبو خرمة عمر محمد، نحو النص (نقد النظرية وبناء أخرى)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2004، ص23. وينظر أيضا: سعود إيهاب، تطور اللسانيات اللغوية من الجملة إلى النص، دط، دت، ص11.

² عفيفي أحمد، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001، ص21.

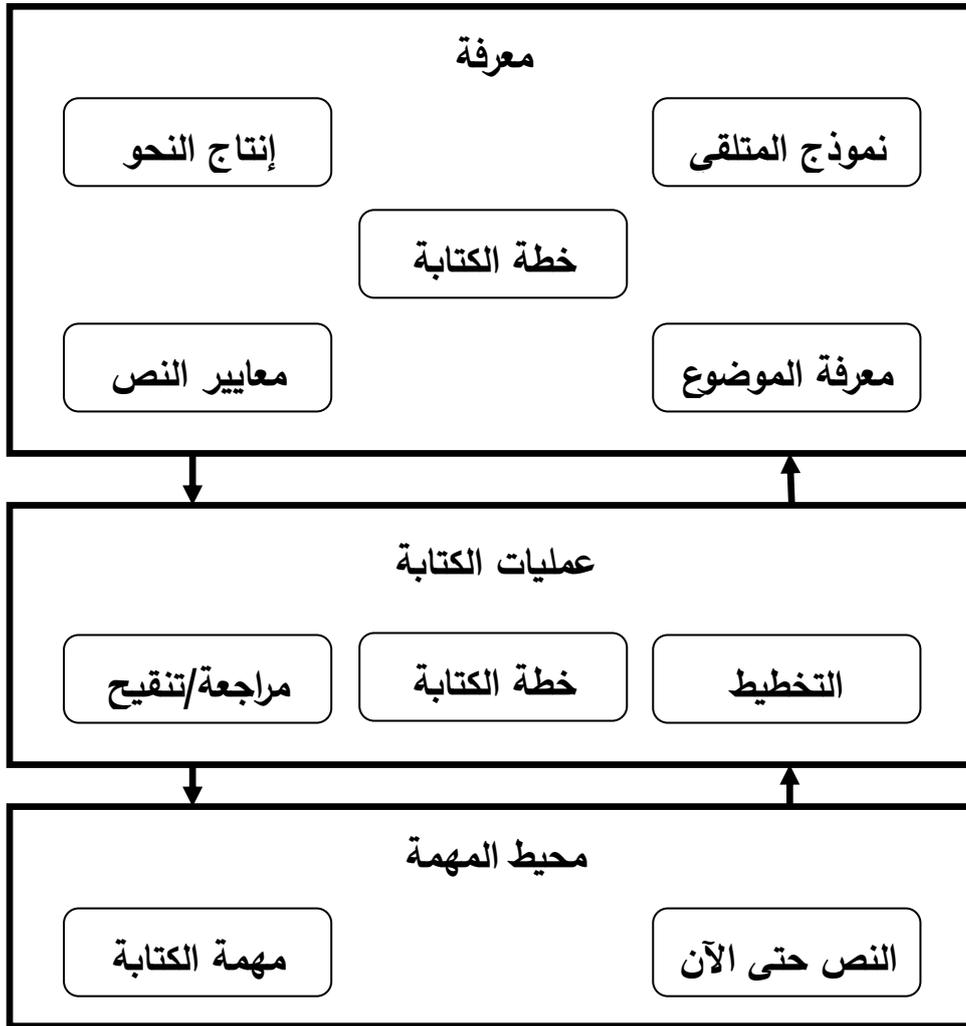
³ المرجع نفسه، ص22-25.

⁴ صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، مجلة عالم المعرفة، ع164، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1982، ص229.

⁵ ينظر: جوليا كرستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2014، ص14.

يحقق مقصدية قارئه في عملية التواصل اللغوي»¹، وقد زاد كثير من الدارسين المعاصرين في تعريف النص توفر سبعة معايير مجتمعة (رأها البعض الآخر غير ضرورية)، إذا تخلف واحد منها زال عنه وصف النصية وهي: السبك، والحك، والقصد، والقبول، والإعلام، والمقامية، والتناص².

ومن أقدم النماذج التي عرض لها الدارسون في هذا الباب رؤية "جون هايز وليندا فلور" (John hayos & Linda Flower) وهو على النحو التالي:³



الشكل رقم (18): نموذج إنتاج النص عند جون هايز وليندا فلور

¹ صلاح فضل، في النقد الأدبي (دراسة)، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2007، ص115.

² ينظر: دي بوجراند روبرت، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص103-105.

³ بوزغاية رزيق، ورقات في لسانيات النص، ص96.

يقسم هذا النموذج العناصر الأساسية في عملية إنتاج النصوص إلى ثلاثة أقسام، الأول يتعلق بمعارف الكاتب التي تتيح له إنتاج نص مقبول، وهي بدورها تتضمن خمس مكونات (أنظر الشكل السابق)، والثاني عملية الكتابة وتتم بثلاث مراحل: التخطيط وإنتاج الجمل ثم المراجعة والتنقيح، والأخير: محيط المهمة ويقصد به العوامل الخارجية المؤثرة في الإنتاج. إذا كان مفهوم "الجملة" قد حقق قدرًا من الدقة مقارنة بـ"النص"، فإن مفهوم "الخطاب" أيضا على كثرة استعماله هو الآخر لم يحظ بتعريف شاف وقار، يؤيد ذلك الاستعمال المضطرب والمستمر لمصطلحين يكادان يستخدمان كمرادفين يتعاقبان، وهما مصطلحا "النص" (Text) و"الخطاب" (Discourse)، كما أن الدارسين يقرون بوجود علاقات متعددة بينهما جعلت آراءهم منقسمة، فهناك من يرى أنهما شيء واحد، وهناك من يرى أن النص أعم من الخطاب، وطرف ثالث يرى أن الخطاب أشمل من النص، والاتجاه الذي أرى دقته هو اختيار مصطلح (الخطاب) مقارنة بمقابله (النص)، والسبب في ذلك أن مصطلح (الخطاب) يوحي أكثر من مصطلح (النص) بأن المقصود ليس مجرد سلسلة لفظية، سواء كانت عبارة أو مجموعة من العبارات تحكمها قوانين الاتساق الداخلي الصوتية والتركييبية والدلالية، بل كل إنتاج لغوي يربط فيه ربط تبعية بين بنيته الداخلية وظروفه المقامية بالمعنى الواسع¹، أو كما يقول بول ريكور: "النص خطاب أثبتته الكتابة"².

2.1. نحو النص في اللسانيات المعاصرة:

1.2.1. مفهوم النحو النصي:

بدأ علم اللغة يتوجه إلى دراسة النص مع التخلي عن واحد من الشروط الأساسية التي اشترطها سوسير لدراسة اللسان، والمتمثلة في الاعتماد على اللغة المنطوقة لا على اللغة المكتوبة، بحجة أن اللغة المنطوقة هي التي تمثل الطبيعة الجوهرية للغة، وتم التصدي حينها

¹ ينظر: المتوكل أحمد، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص)، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 2013، ص184.

² بول ريكور، من النص إلى الفعل، تر: محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسة والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2001، ص105، 106.

إلى دراسة النصوص/الخطابات المكتوبة في محاولة جديدة لمعرفة أكبر للنظام اللغوي خارج الإطار التقليدي القائم على معرفة القواعد الصوتية والصرفية والنحوية المجردة¹.

أطلق الدارسون على اللسانيات التي تتخذ من النص وحدة أساسية للدراسة مصطلحات مختلفة منها²: "لسانيات النص" و"علم اللغة النصي" و"نحو النص" و"لغويات النص" و"علم النص" و"نظرية النص" مع استثناء خاص للمصطلحين الأخيرين عند بعضهم لتضمنهما عدة اختصاصات قد تتجاوز اللغة الطبيعية.

أسهمت روافد كثيرة في توجيه النظر إلى قواعد تركيب النص (نحو النص) فإلى جانب البلاغيين القدامى والمحدثين هناك الأنثربولوجيون والأسلوبيون وعلماء تحليل الخطاب وفقهاء اللغة (الفيلولوجيون) وعلماء اللغة ونقاد الأدب³، وارتبط نحو النص خاصة بعلم اللغة النصي وعلم النص الذي يعد أحدث فروع الدراسة اللغوية وأهمها، باعتباره أكثر المناهج المعاصرة تبلورًا، وإفادة من المقولات السابقة عليه واستيعابها، وإدراجها في منظومته العلمية (علم اللغة الوصفي، علم اللغة الوظيفي، علم اللغة التركيبي "البنائي"، علم اللغة التحويلي) إلى أن تشكلت مناهجه برؤية الخواص التركيبية والدلالية والاتصالية للنص المدروس... وتم له الاستقلال عن العلوم السابقة على يد فاين دايك وهاليداي وروبرت دي بوغرندي وغيرهم.

وبناء عليه فإن علم النص أو نحو النص (Text Grammar) تعبير جديد أطلق على ميدان من البحث يسعى لتحقيق هدف واحد هو الوصف والدراسة اللغوية للأبنية النصية، وتحليل المظاهر المتنوعة لأشكال التواصل النصي من حيث هو بنية مجردة، وذلك ضمن منهجه العام القائم على شرح معايير بناء النص، وجوانب الاستخدام اللغوي المهمة، وبخاصة إنتاج النص من خلال قواعد وشروط وأهداف مغايرة لعلم اللغة النظامي⁴.

¹ ينظر: إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص187، 188.

² ترجع هذه الفوضى المصطلحية في الدراسات اللغوية العربية إما لاختلاف الوضع أو الترجمة في شطري بلدان الوطن العربي (شرقه وغربه) أو لتباين الفهم وغموضه من جهة ثانية.

³ ينظر: إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص185، 186.

⁴ ينظر: عفيفي أحمد، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص31. وينظر أيضاً: بحيري سعيد حسن، علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، الشركة العالمية للنشر لونجمان، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص155.

ويضيف سعد مصلوح أن نحو النص هو "نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة تمتد قدراتها التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة، بالإضافة إلى فحصها لعلاقة المكونات التركيبية داخل الجملة، وتشمل علاقات ما وراء الجملة مستويات ذات طابع تدرجي، يبدأ من علاقات ما بين الجمل، ثم الفقرة، ثم النص أو الخطاب بتمامه"¹.

ويرى الدكتور عمر محمد خرمة من جانبه أن مصطلح (نحو النص) لم يكن مركبا تركيبيا لقبيا من كلمتين هنا: (نحو، نص)، بحيث صار المصطلح (نحو النص) علما لقبيا يدل على مفهوم خارج عن معنى جزأيه، بل هو مركب إضافي تكون من إضافة لكلمة (نص) إلى كلمة (نحو) فنشأ معناه من جمع معنى كل عنصر فيه إلى معنى العنصر الثاني².

أما الأستاذ سعيد بحيري فيوضح جانبا آخر مهما، وهو أن لفظ "نحو" ليس المقصود به المعنى المعروف للنحو والتمثل في مجموعة من القواعد أو القيود الصارمة التي تطبق على النص، بل إن له معنى خاصا هنا في (نحو النص)، وهو مجموعة من القوانين الاختيارية التي استخلصت من النص ذاته، فليست لها إذن سلطة خارجية إجبارية يتحتم أن يخضع لها النص، وبديهي أن يعثر على تلك الحرية في قوانين الدلالة التي تتصف بالدينامية والتغير، ومن هنا كان اتجاه نحو النص إلى تحديد المعنى الكلي للنص وتحديد مجموعة القوانين الحاكمة لبنية المعنى، تلك البنية التي تتجاوز الدلالات الجزئية فيه³.

ومع أن كثيرا من اللغويين المعاصرين كتبوا في علم النص⁴، إلا أن فان دايك (Van Dijk) يعتبر مؤسس علم النص، فقد وضع تصورا كاملا لنحو النص بداية 1972م في كتابه بعض "بعض مظاهر نحو النص" (Some Dspects of Text Grammar) متجاوزا ما كان سائدا من آراء ومحاولات إقامة "أنحاء النص"، أما في كتابه "النص والسياق" (Text and

¹ مصلوح سعد، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، كتاب تنكاري "الأستاذ عبد السلام هارون معلما ومؤلفا ومحققا"، جامعة الكويت، 1990، ص 407. وينظر: الزناد الأزهر، نظريات لسانية عرفنية، ص 20.

² ينظر: أبو خرمة عمر محمد، نحو النص (نقد النظرية وبناء أخرى)، ص 22.

³ ينظر: بحيري سعيد حسن، علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، ص 218.

⁴ من بينهم: زليغ هاريس (Zellig Harris)، وروبير ردي بوجراندي (Robert.De Beaugrande's)، وجليسون (Gleeson)، وهارفيج (Harveg)، وشميث (Schmidt)، ودرسيلر (Dressler)، وبرنكر (Prinker).

(Context) 1977م، فقد فرق فيه بين الخطاب والنص محاولات إقامة نحو عام للنص يأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد البنيوية والسياقية والثقافية، واعبر أن ميدان علم النص يشمل ميدان اللسانيات بشكل خاص¹، ثم ما لبث أن قدم عام 1980م رؤية أكثر شمولاً من خلال كتابه "علم النص: مدخل متداخل الاختصاصا"، درس فيه النص من جهات مختلفة دلالية وتداولية وأسلوبية ونفسية واجتماعية.

1.2.2.2. الحاجة إلى وضع نحو النص:

مع تغير النظرة اللسانية إلى مفهوم اللغة ووظيفتها عند تحليل الخطاب، فإن الحاجة إلى "نحو النص" أمست ضرورة أدت إلى رفض اللغويين المعاصرين بشدة "نحو الجملة" لأنه يعتبر قواعدها مبلغ علمه، ولا يقر للنص بكونه متميزة توجب معالجة تراكيبه معالجة نحوية تستجيب لمقتضيات بنيته، وبهذا وضع النص خارج مجال الدرس النحوي²، ويجب أن يفهم أن هذا النقد الموجه لنحو الجملة على أساس عدم كفايته لوصف ظواهر تتجاوز حدود الجملة، ولكن ذلك لا يعني عند أبرز الدارسين مثل (فاين دايك) رفض مقولات نحو الجملة أو التقليل من قيمتها أو التشكيك في صحتها، بل إن الأمر بالنسبة له ولغيره من علماء النص يمكن أن يتحدد في أنه قد تحتم بعد إدخال عناصر دلالية وتداولية إلى الوصف والتحليل اللغويين³.

والطريق الأصوب لتحقيق الأفضل في هذه المسألة هو ضرورة التكافل بين العلوم، ونؤيد في ذلك رأي الدكتور تمام حسان حيث يقول: "ولا تعني الدراسات التحليلية عن الاعتراف بالدراسات النصية، وفي تراثنا العربي من الدلائل ما يشير إلى ضرورة الجمع بين المنهجين، وذلك من مآثوراتنا أن القرآن يفسر بعضه بعضاً وأن السنة تفصل ما في القرآن من إجمال"⁴.

¹ ينظر: عفيفي أحمد، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص 33.

² المرجع نفسه، ص 65.

³ ينظر: بحيري سعيد حسن، علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، ص 218.

⁴ ينظر: دي بوجراند روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص 04.

فمن المفيد إذن البحث عن شرعية وجود "نحو النص" دون التفكير في إلغاء طرف آخر، كما أن نحو الجملة لم يقصر في تحقيق أهدافه، أو يفقد قيمته أمام نحو النص، ولعل ما ذكره تمام حسان في اشتراك نحو الجملة ونحو النص في صفتين، ما يؤكد هذا الرأي وهما:¹

- السبك أو الربط أو التضام (Cohesion): وهو معيار يهتم بظاهر النص، ودراسة الوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرار اللفظي.

- الحبك أو التماسك أو الانسجام أو الاتساق (Coherence): ويتصل برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص. كما يشير إلى أن هناك خمسة معايير يختص بها نحو النص ولا تعني الجملة في شيء وهي:²

1. القصد. 2. التناص. 3. رعاية الموقف (المقامية) 4. الإعلامية. 5. القبول.

أصبح (نحو النص) إذن عند كثير من اللسانيين ضرورة لا اختياراً، خاصة وأنه يمكن أن يفيدهم فيما يلي:

- ارتباط نحو النص ارتباطاً وثيقاً بتحليل الخطاب، ووجود اتجاهات نصية فيه تركز على النص كبنية كلية لا على الجمل باعتبارها بنى فرعية، حيث صنع ذلك تطوراً واضحاً من نحو الجملة إلى نحو النص الذي يشمل النص، وسياقه، وظروفه، وفضاءاته، ومعانيه المتعلقة القبلية والبعدية، مراعيًا ظروف المتلقي وثقافته وأشياء أخرى كثيرة تحيط بالنص.³

- لم تجد كثيراً من الظواهر التركيبية تفسيراً كافياً في إطار نحو الجملة، وربما تغير الأمر في إطار النص كوحدة أكبر، لذا اتجه نحو النص في تحليلاته إلى الاستعانة بقواعد جديدة منطقية ودلالية وتركيبية ليقدم شكلاً جديداً من أشكال تحليل بنية النص وأهدافه مثل علاقات التماسك النحوي النصي وأبنية التطابق والتقابل والتراكيب المحورية والتراكيب المجتزأة، وحالات الحذف، والجمل المفسرة، والتحويل إلى الضمير، والتنويعات التركيبية

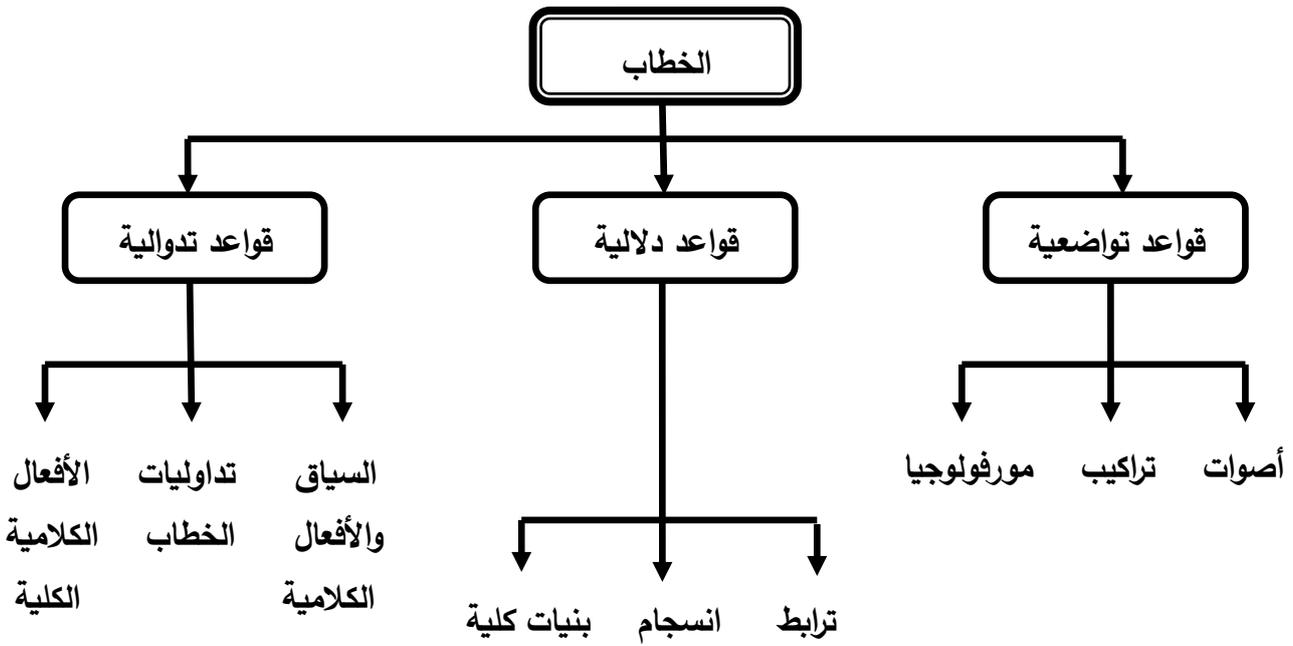
¹ ينظر: دي بوجراند روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص103. وينظر أيضاً: عفيفي أحمد، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص90.

² ينظر: عفيفي أحمد، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص79-89. وينظر أيضاً: إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص186.

³ ينظر: مفتاح محمد، دينامية النص، ص30.

وتوزيقاتها في نصوص فردية، وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة¹.

- أثرت الوظيفة الاجتماعية للغة في نظرة الدرس اللساني المعاصر للغة، والدور التواصلية لها في التمهيد لاتساع مفهوم النحو ليصبح مكونا من مكونات نظرية شاملة، تفسر السلوك الإنساني، وذلك لا يتم إلا من خلال نص مرتبط بسياق تواصلية وليس من خلال جملة².
 - إعادة النظر في بعض المفاهيم اللغوية التقليدية السائدة بالتعميق أو بالتعديل³.
- ومن هنا كانت الحاجة إلى نحو النص ضرورية، حيث ارتبطت موضوعاته بالخطاب العام والسياق التواصلية وظهر للمتلقي دور كبير في العملية الإبداعية للنص، كما ظهر أن قواعد نحو النص تؤخذ من النص لتؤكد نصيته، والشكل التالي يؤكد الفكرة⁴.



الشكل رقم (19): آليات الخطاب وقواعده في الدراسات اللغوية المعاصرة.

¹ ينظر: بحيري سعيد حسن، علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، ص 137. وينظر أيضا: عفيفي أحمد، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص 39، 40.

² ينظر: عفيفي أحمد، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص 40. وينظر أيضا: إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، ص 186.

³ ينظر: عفيفي أحمد، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، ص 41.

⁴ المرجع نفسه، ص 61.

3.2.1. نماذج من الوصف النصي:

نماذج الوصف النصي هي مناهج دراسة النصوص أو طرائق تحليلها، وتعد نماذج الوصف أو الدراسة أمر طبيعي في العلوم كلها، لأن من أهم خصائص المعرفة الإنسانية النسبية والبنائية، وقد عرفت الدراسات النصية مراحل أو نماذج معرفية تطور من خلالها الوصف العلمي لظاهرة النص تطوراً نوعياً، وأهم هذه النماذج ثلاثة:¹

1.3.2.1. النموذج القواعدي:

وهو أسبق النماذج النصية ظهوراً بسبب أن لسانيات النص لم تكن في بدايتها إلا توسيعاً لنحو الجملة إلى نحو النص، كما أقر بذلك زليغ هاريس. فتمثل اهتمام أوائل علماء النص بالمباحث النحوية في المقام الأول، إضافة إلى أن اللسانيات كانت دائماً تحتفي بالنحو، وبناء على ذلك ركزت الدراسات النصية الأولى على القرائن الشكلية أو اللفظية الدالة على اتساق الخطاب بغض النظر عن القيمة الدلالية للقضايا التي تؤلفه. ومن أهم الرواد المعاصرين في هذا المجال الذين تكلموا على انتظام العلاقات النحوية في بناء النص أو الخطاب (زليغ)، في مقاله الشهير "تحليل الخطاب"، ثم درس هذه الظاهرة بشكل أعمق في كتابه "اللسان والمعلومة"، حيث أشار إلى أن توزع المفردات على طول النص يخضع لنظام محدد يكشف عن علاقات وثيقة بين الجمل، ولدراسة هذا التوزع لا مفر من دراسة قانون ورود تلك المفردات.

2.3.2.1. النموذج الدلالي:

على الرغم من ثراء المكتسبات المعرفية التي كانت ثمرة لتحليل النحو للنصوص، إلا أنه بقي في عمومته تحليلاً شكلياً لا يخلص إلى عمق الظاهرة اللغوية القائمة على المعنى والدلالة، وليس معنى هذا أن النحو خلو من كل سمة دلالية، بل هناك تكامل بينهما، ولكن النموذج الدلالي إضافة إلى استفادته مما حققه الدارسون في النموذج القواعدي، واستناده إليها في بحث العلاقات التركيبية على المستوى الدلالي فهو من نتائج يستحضر قيمة الدلالة في التحليل النصي، فلا يفصل مثلاً بين مبثني اللسانيات والثقافة في تحليل الخطاب لتداخلهما،

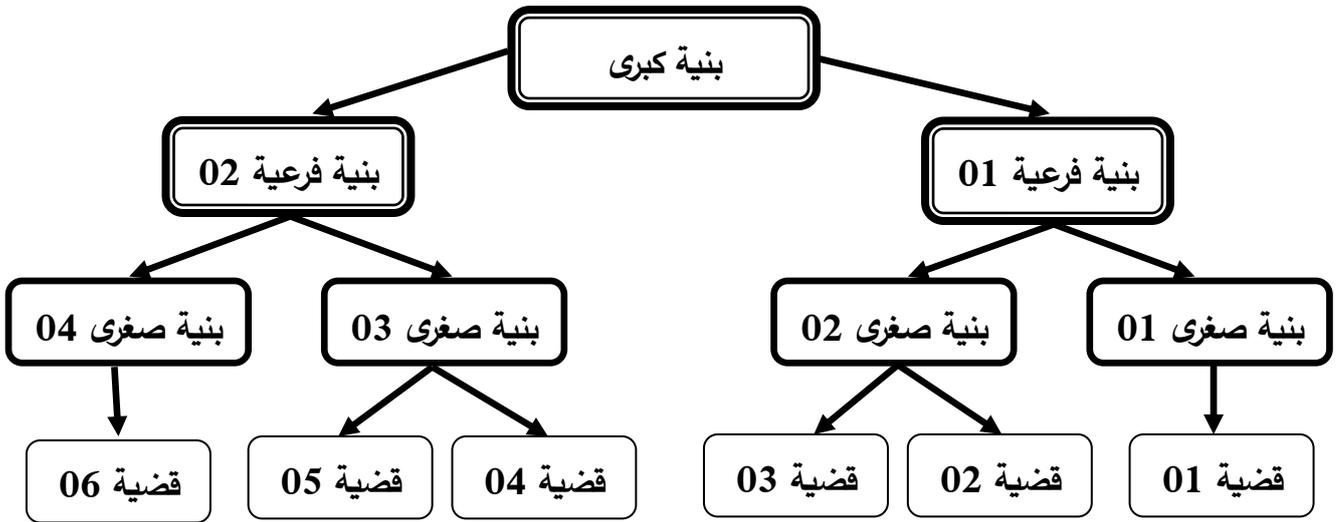
¹ ينظر: بوزغاية رزيق، ورفات في لسانيات النص، ص 100.

فالثقافة تمثل جانب دلالي بالغ الأهمية لأنها تتضمن سياقات تحيل على مفردات الخطاب من أشخاص وأشياء وتجارب وظروف... ومن أجل فهم جوهر الانتقال الحاصل من التحليل النحوي إلى التحليل الدلالي لابد من توضيح الفرق بين الاتساق والانسجام في نحو النص، لأن الدراسات في النموذج القواعدي ارتكزت على الاتساق، أي القرائن النحوية والشكلية الدالة على العلاقات بين الجمل، بينما في النموذج الدلالي اتجهت الدراسات إلى وسائل الانسجام أو التماسك المعنوي بين الجمل كما يلي:¹

- عناصر النحو النصي الأساسية (الاتساق، والانسجام، والتناص، والموقفية) تقوم كلها على الإحالة.

- الفرق بين الاتساق والانسجام مثل الفرق بين اللفظ والمعنى، مع كونهما وجهان لعملة واحدة، وإنما يقوم النموذج الدلالي على دراسة الانسجام ومظاهره في النص.

- من النماذج الدلالية ما يعتمد على الفكرة العامة في تحليل النصوص تحليلاً دلالياً، كنموذج البنية الكبرى لـ(توين فان دايك)² الذي يفرع من الموضوع العام للخطاب الأفكار الجزئية التابعة له، ونموذج النمو الموضوعي لـ(جان ميشال آدم)³ الذي يشرح كيفية تفاعل القضايا تفاعلاً خطياً لبناء الفكرة العامة، يوضح ذلك الشكل الآتي:



الشكل رقم (20): تمثيل البنية الكبرى للنص عند فان دايك

¹ ينظر: بوزغاية رزيق، ورقات في لسانيات النص، ص122، 123.

² المرجع نفسه، ص128.

³ نفسه، ص136.

3.3.2.1. النموذج التداولي:

ظهرت اللسانيات التداولية¹ لتعيد الاعتبار لعناصر هامة في إطار عملية التواصل بوصفها عاملاً رئيسياً في تشكيل النص وتأويله، مما دعا الدارسين إلى مقارنة النصوص مقارنة تداولية تتجاوز المعطيات الشكلية والدلالية في رحم النص إلى علاقاته الخارجية مع العناصر اللغوية، باعتبار أن السبب كامن في طبيعة النص نفسه التي من المفروض أن تنتج وتتلقى في ظروف محددة تسمى سياقات مقامية، ويكون شكلها وتأويلها خاضعا لمعطيات العملية التواصلية، ويتضمن الك إحصاء كل العناصر اللغوية وغير اللغوية التي تسهم بشكل من الأشكال في عملية التواصل، بما في ذلك العلاقة بين اللغة ومستعملها، والعلاقة بين النص وظروف التواصل².

من التصنيفات المشهورة عند الدارسين للسياق: السياق اللغوي وغير اللغوي (سياق الموقف)، وقد لخص تمام حسان³ مفهومهما كما يلي:

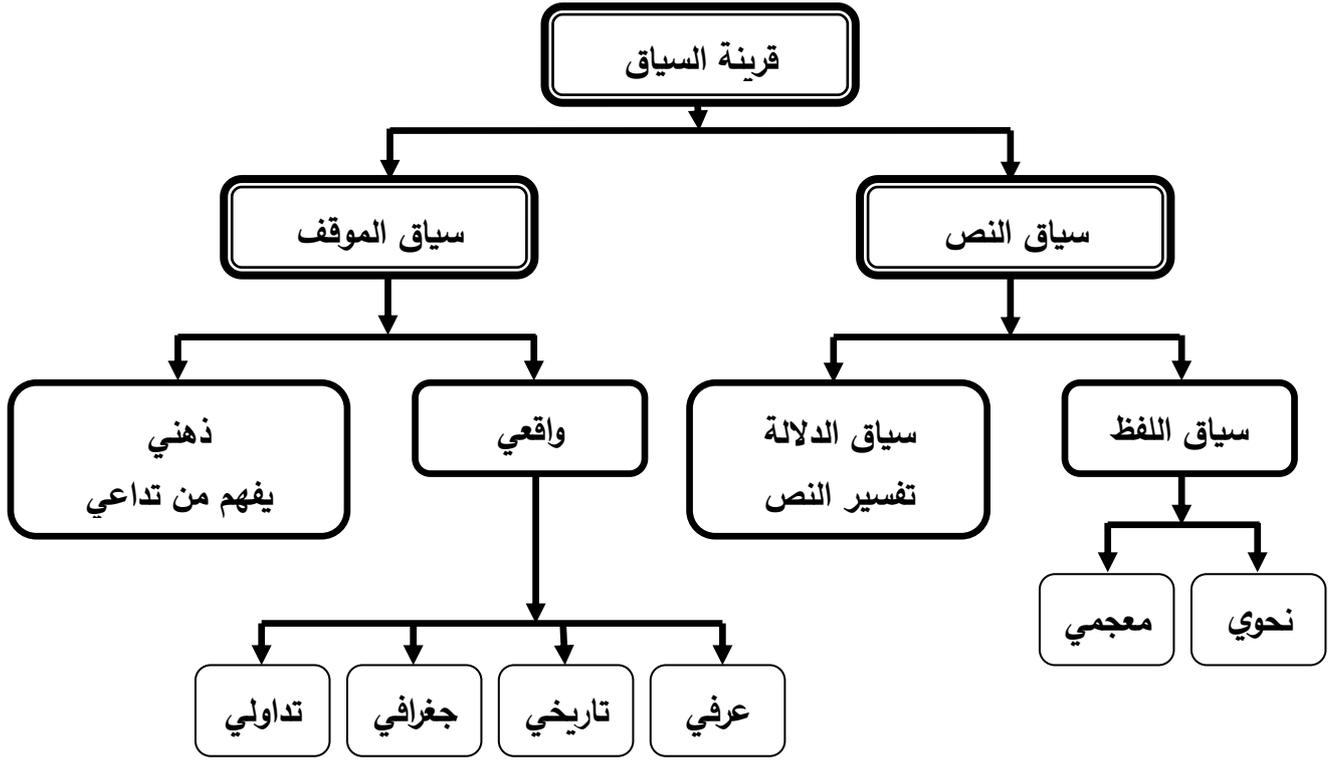
- السياق اللغوي: ينشأ من تضافر مستويات الدلالة المختلفة (الصوت، والصرف، والنحو، والمعجم) ليشكل التركيب أو النص.
- السياق غير اللغوي: هو الذي لا يخرج عن مفهوم سياق المقام كما هو الحال عند أغلب الدارسين، وهناك أنواع أخرى فرعية للسياق تندرج تحت النوعية السابقين كما يبينه الشكل التالي:⁴

¹ اختصر روبرت دي بوجراند تعريف التداولية في كونها دراسة اللغة في الاستعمال، وبهذا يكون السياق بوصفه مؤثراً في إنتاج النص من جهة، وعاملاً في تأويله من جهة أخرى محور عمل التداولية والتماسك التداولي. ينظر: دي بوجراند روبرت، النص والخطاب والإجراء، ص 83. وينظر أيضاً: تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007، ص 237.

² ينظر: بوزغاية رزيق، ورفات في لسانيات النص، ص 146.

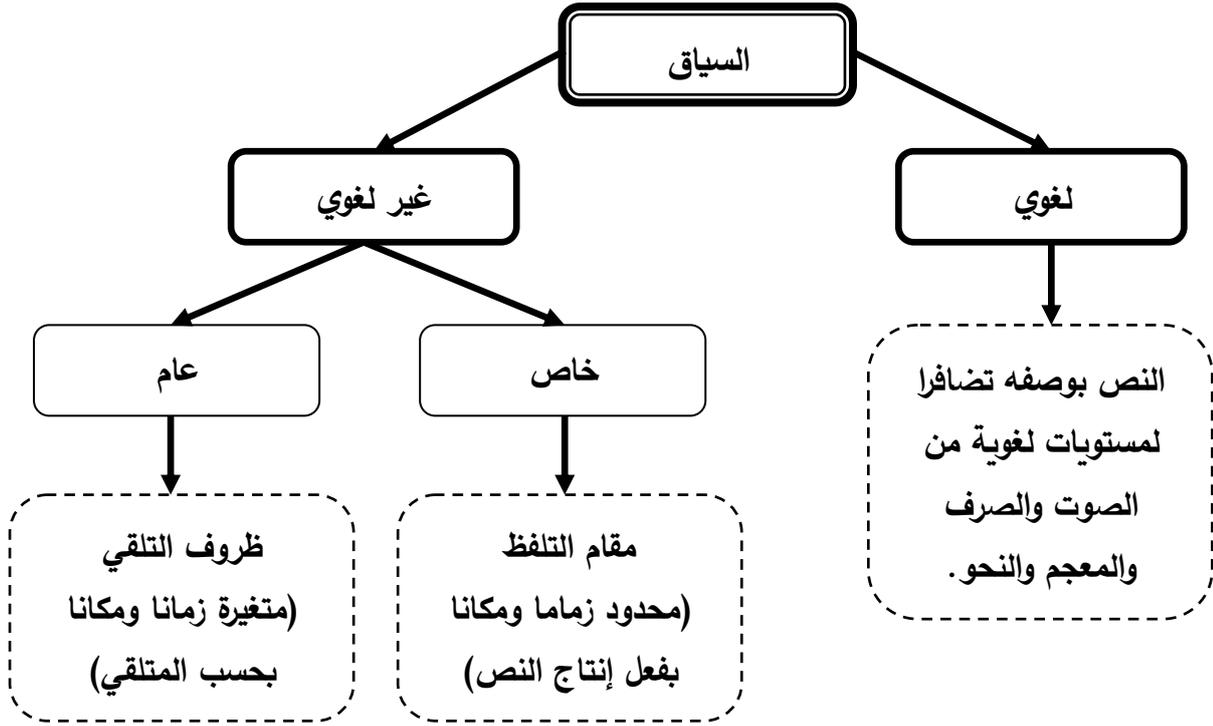
³ تمام حسان، اجتهادات لغوية، ص 237.

⁴ المرجع نفسه، ص 238.



الشكل رقم (21): أنواع السياق عند تمام حسان.

وأساس هذا التصنيف عنده، العامل المؤثر في الدلالة، والهدف من هذه الأنواع النظر في تفصيلات سياق الموقف؛ فهو إما أن يكون سياقاً واقعياً يقصد به معرفة العالم التي تسهم في فهم النص، وإما أن يكون ذهنياً يؤخذ من الدلالات الزائدة التي تستتبط من بعض العبارات في النص، ولابد من التأكيد على أن المعرفة غير اللغوية المؤولة للنص والمساعدة على فهمه هي أدوات معرفية تتصل بمقام التلقي، لأن القارئ هو من يفعل تلك المعطيات لفهم النص، في إطار سياق الموقف السابق، والذي ينقسم بدوره إلى سياق عام وهو ظروف التأويل والقراءة، وهي متغيرة بحسب الزمان والمكان والثقافة، وسياق خاص مرهون بإنتاج النص في مقام محدد فهو متعلق زماماً ومكاناً بفعل التلطف، وعليه مدار المقاربة الملفوظة، كما هو موضح في الشكل التالي:



الشكل رقم (22): أنواع السياق في الدرس اللساني المعاصر.

3.1. نحو النص في الدرس العربي التراثي:

يتضمن تراثنا العربي القديم لسانيات الجملة من جهة، ولسانيات الخطاب (التفسير، البلاغة، الأدب، أصول الفقه) من جهة ثانية، وإن كانت الأولى طاغية على الثانية بشكل واضح في مرحلة معينة، ولاسيما في الخطاب النحوي، ويخف ذلك الطغيان بشكل تدريجي في حقول الدراسات الأدبية والنقدية والبلاغية والدراسات القرآنية والتفسيرية والأصولية لغلبة الأصل الخطابي فيها على الأصل الجملي.

استعمل اللغويون والنحاة والمفسرون العرب مصطلح الكلام أو الكلم، أو القول أو الخطاب، ولم يستعملوا مصطلح النص إلا في حقول الدراسات النقدية والأدبية والأصولية، إن مصطلح النص بالمفهوم الذي له في الدراسات الحديثة أمر غريب عن النحو العربي ونحاته، فقد أطلقوا لفظة النص على نوع خاص من الكلام اعتبروا فيه جهة خاصة في حصول المعنى، فاللفظ المحكم في نظرهم هو النص، أما اللفظ المتشابه فليس نصاً¹.

¹ الشاوش محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس "نحو النص")، ج1، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001، ص19-04.

وإذا كان هناك من الباحثين من يثبت أن العلماء العرب القدامى لم يعرفوا لسانيات النص في تحليل الخطاب مثل محمد خطابي في كتابه "لسانيات النص"¹ على أساس أن لسانيات النص نتاج نشأة أوربية، ولسانيات الخطاب هي نتاج نشأة أمريكية، فالباحث يجد أن الرأي السابق مجحف في حق جهود اللغويين العرب، إذ اهتموا كثيرًا وأثروا بدراساتهم القيمة المعرفة الإنسانية في هذا المجال، موافقا آراء محمد الشاوش في مؤلفه "أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية"²، ويوسف سليمان عليان في مقاله "النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، مثل من كتاب سيبويه"³، الذي أثبت فيه أن سيبويه كان يدرك أن للجملة سياقًا خطابيا دلاليا وتركيبيا كليا، وغير ذلك من الدراسات الكثيرة.

ولمن يتشكك من المنبهرين بالجديد والمنسلخين من جلدتهم، ومتعقدين أن النحو العربي لم يدرس النصوص والخطابات كما هو الحال في لسانيات النص المعاصرة، نرد بأن النحو العربي في الحقيقة قد أنتج عنده منهجية⁴ وأدوات لتحليل النصوص والخطابات، اعتمد عليها علماء الأدب والنقد، والتفسير، وأصول الفقه، والبلاغة في دراساتهم وتحليلاتهم النصية والخطابية، حيث وسعوا قواعد الجملة لتشمل النصوص والخطابات كما فعل النحو التوليدي التحويلي الذي اعتمد عليه كثير من لسانيي الخطاب المعاصر، والذي لا يساورنا أدنى شك في تأثيره بنحو النص في الثقافة العربية الإسلامية التي تمحورت أبحاثها حول النص القرآني المعجز والمتمثل في أهم جوانبها في بحوثهم عن اتساق القرآن الكريم وانسجامه وترابطه

¹ خطابي محمد، لسانيات النص وتحليل الخطاب، محاولة تساؤل وتدقيق، مجلة علاقات، مكناس، المغرب، ع41، 2014، ص100.

² ينظر: الشاوش محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس "نحو النص")، ص04-19. وينظر أيضا: عليان يوسف سليمان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، مثل في كتاب سيبويه، المجلة الأردنية في اللغة العربية وأدائها، مج07، ع01، 2011، ص185.

³ ينظر: عليان يوسف سليمان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، مثل في كتاب سيبويه، ص185. وينظر أيضا: حمداوي جميل، اللسانيات العربية وتحليل الخطاب قديما وحديثا، المغرب، ط1، 2019، ص43.

⁴ ينظر: بوزغاية رزيق، وركات في لسانيات النص، ص19-31. وينظر أيضا: أبو خرمة عمر محمد، نحو النص (نقد النظرية وبناء أخرى)، ص38-64.

وتناسبه اعتماداً على آليات النحو العربي نفسه التي توصلوا إليها، والتي تسهم في اتساق الجمل وترابطها وانسجامها ضمن نطاق خطابي دلالي وتركيبى وتداولي كلي، كالربط اللغوي (حروف الجر، وحروف العطف، والضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وأدوات الشرط، وأدوات الاستثناء...)، وآليات الترابط المعنوي التي تتمثل في الإسناد والتكملة والتبعية، والابتداء والتعددية، والإضافة، أو ما سماها تمام حسان بالتضام (Collocation)¹.

إضافة إلى ما سبق تعرف النحاة العرب إلى مصطلحات ومفاهيم أخرى كالاتساق والانسجام والتماسك والنظم، وحسن الرصف، والوحدة، والسبك، والنسج، والحك، والاستطراد، والإسهاب.. وهي مصطلحات هامة تؤكد حضور مفهوم التماسك النصي في التراث اللساني العربي، «فقد كان معلوماً عندهم، وأدلته واضحة في كلامهم، وأدنى مقارنة لمفهوم التماسك تجعلنا نقول: إنه إن لم يكن مجهولاً عندهم، بوصفه مفهوماً معياراً تقويمياً للنصوص، وعلى وفق ما هو متداول حديثاً عند علماء النص المحدثين، فالمصطلح وإن لم يستعمل صراحة - عند القدماء، إلا أن دلالاته كانت معلومة لديهم»²، أي أن النحاة العرب لم يتوقفوا في دراسة الكلام العربي الفصيح عند البنى التركيبية المجردة فحسب، «بل ربطوا ذلك بالمعنى من جهة، والسياق التداولي والوظيفي من جهة أخرى، باعتبار الجملة هي الوحدة الرئيسية لبناء النص والخطاب، ومن ثم الوصول إلى تحليل النص بأكمله وإعرابه بحثاً عن المعنى الكلي والمقصد الرئيس، فالنتظير النحوي عند العرب ومنذ مراحل الأولى كان تنظيراً دلالياً أكثر منه تركيبياً مجرداً، وبناء على ذلك يحق لطلاب العربية أن يقولوا: إن للعلماء العرب القدامى "علم نص" غير بعيد في وجه من وجوهه مما جاء به المحدثون اليوم»³.

¹ ينظر: تمام حسان، اجتهادات لغوية، ص 61.

² هدى صلاح رشيد، تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015، ص 340.

³ نهر هادي، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، ص 393.

ويمكن الإشارة أيضا إلى مجموعة من الآليات النحوية التي وظفها النحاة في تحليل الجملة بغية استخدامها وتوظيفها في تحليل النصوص والخطابات، وهي¹:

(1. ظاهرة الإعراب. 2. ظاهرة التقديم والتأخير. 3. ظاهرة الحذف. 4. ظاهرة الزيادة. 5. ظاهرة الاستبدال. 6. أدوات الربط. 7. ظاهرة السياق. 8. ظاهرة الإضمار. 9. المقبولية النحوية. 10. ظاهرة الإحالة. 11. ظاهرة الارتباط المعنوي. 12. ظاهر الشذوذ والإطراد. 13. النحو بين المعنى والوظيفة).

4.1. الدلالة النصية:

استنادًا وتتويجا لما بلغت الدراسة في مراحلها السابقة يطرح السؤال الآتي نفسه بقوة: ما هي الدلالة النصية، إذا كنا نعلم أن في النص وحدات صغيرة وأخرى كبرى تأتي على شكل بنى متباينة؟ الإجابة على هذا التساؤل «تكمن في أنه ليست الدلالة المنوطة بالنص هي الدلالة نفسها التي تمارس الوحدة الدنيا في الجملة، ذلك أن الوحدات الصغرى في النص تستقل بالمعنى الحرفي الذي تختص به قواميس ومعاجم اللغة الواحدة، وربما ليست اللغة الواحدة فحسب، بل إن ما تدعوا إليه الدلالات المقارنة حديثا يسعى إلى معرفة مفارقات المادة اللغوية عبر لغات عدة ليس الغرض منها إيجاد الأصل أو التأثيل، بل لإيجاد حقول أكبر للمادة اللغوية في رحاب تعدد الثقافات واللغات في العالم»².

إن الدلالة النصية، إذن، غير الدلالة الإفرادية أو السياقية، ولعل من مقومات هذه الدلالة «التحديات الكبرى التي تسعى المادة اللغوية إلى تحقيقها من خلال كل متضامن فيما بين وحداته السفلى والعليا، ثم إن موضوع الدلالة هو النص اللغوي المنطلق من معنى المفردة في حالتها المعجمية ومتابعة التطورات الدلالية والتغيرات التي تأخذها الكلمة في السياقات المختلفة، إذ يصعب تحديد دلالة الكلمة، لأن الكلمة لا تحمل في ذاتها دلالة مطلقة، وإنما السياق، كما سبق الإشارة إليه في المبحث السابق، هو الذي يحدد لها دلالتها الحقيقية، ومن

¹ ينظر: حمداوي جميل، اللسانيات العربية وتحليل الخطاب قديما وحديثا، ص63 وما بعدها.

² معراجي عمر، النص بين الدلالة والتداول، ص76.

هاهنا فإن دلالة النص هي العمل المنوط بالعمل اللغوي أو اللساني ككل لا بالنسبة إلى عنصر لساني واحد أو أكثر من واحد، وهذا ما يجعل النص ملتصقا بأحادية المفردة وربما حتى السياق، بينما ما يتعلق بوحدات كبرى أو بمدلولات معرفية عميقة، قد تخضع إلى التأويل أحيانا، وهي الدلالة في حد ذاتها»¹.

إن دلالة النص، إذن، تدرك من خلال مفارقات النص في أبنيته المختلفة الصغرى والكبرى داخل سياقات النص ككل والمعالجة الممارسة على مستوى هذه الوحدات النصية من قبل القارئ/المخاطب ليست هي المعالجة نفسها التي تخص بها مفردات المادة اللغوية الواحدة، فإذا كنا ننتظر من المفردة الواحدة دليلها اللغوي ومدلولها المعرفي، فهذا نوع من التعامل مع المعاني الجاهزة في بنية المفرد والبدال، لكننا عندما نخضع هذه المادة الواحدة إلى الكشف أو التنقيب عبر استعمالات مجازية²، فإن تحول المعنى في هذه الحالة يخرج عن حيز ما تسعى إليه المادة اللغوية مما هو معروف إلى ما هو ممكن أن يكون، وربما يقودنا الأمر إلى استعمالات النص في محاولة إلى تكبير فجوة الاستعمال والتساؤل معا، لا يساعدنا في الإجابة عنها إلا ما في النص من ارتباطات دلالية وتماسك لأهم عناصر البناء ومراتب تبدو أنها ملتصقة بأهم هذه الوحدات البسيطة، لذلك كانت دلالة النص غير معاني المفردة أو الجملة ولو أنها تحمل بعض المعاني لبناء هذا الكل (النص).

¹ معراجي عمر، النص بين الدلالة والتداول، ص76.

² سنخصه بمبحث تطبيقي في موضع لاحق من هذا الفصل.

2. عناصر الخطاب وأساسياته:

1.2. مفهوم الخطاب:

إن لفظي "الخطاب" و"النص" في الموروث العربي الإسلامي خصوصاً، «استعمل عند الأصوليين في البداية، ثم انتقل إلى بنية اللغويين لاحقاً، وإن ما ورد بشأنهما في الثقافة العربية الإسلامية يتطابق أو يكاد مع ما رأيناه في الثقافتين الإنجليزية والفرنسية»¹. وقد لخصت الدكتورة بهية بلعربي الفرق بين النص والخطاب كما يلي:²

الخطاب (Discours) = النص + شروط الإنتاج./النص (Text) = الخطاب - شروط الإنتاج. ولتحديد ماهية الخطاب بشكل دقيق لابد من الانطلاق من الدلالة اللغوية للخطاب، إذ تشير المادة المعجمية لمادة (خَطَبَ) إلى عدد من الدلالات اللغوية «ف(الخطَبُ) الأمر العظيم، والأمر الذي تقع فيه المخاطبة، ومنه قولهم: حل الخطب، أي عظم الأمر والشأن، وجمعه: خطوب، وخطب المرأة خطبة - بكسر الخاء - طلب إلى وليها أن يزوجه منها، وخطَبَ الخطيب خطبةً - بضم الخاء -، والخطبة الكلام المنثور المسجّع ونحوه، ورجل خطيب، حسن الخطبة، و(الخطَّاب) - بالتشديد - ك(شدّاد) المتصرف في الخطبة، والمخاطبة مراجعة الكلام، و"فصل الخطاب" الحكمة بالبينة، أو باليمين، أو الفقه في القضاء، أو النطق بكلمة أما بعد»³. وفي أساس البلاغة للزمخشري (ت538هـ) نجد: "خطب فلان: أحسن الخطاب، والخطاب هو المواجهة بالكلام، وأختطب القوم فلان: إذا توجهوا إليه بخطاب يحثونه فيه على تزوج

¹ مفتاح محمد، التشابه والاختلاف (نحو منهجية شمولية) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996، ص35. وينظر: الخوالدة فتحي رزق، تحليل الخطاب الشعري (بنائية الاتساق والانسجام في ديوان "أحد عشر كوكبا")، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006، ص16 وما بعدها. وينظر أيضاً: محمود عبد الرحمن عبد السلام، النص والخطاب من الإشارة إلى الميديا، مقارنة في فلسفة المصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، ط1، 2015، ص108.

² بلعربي بهية، الانسجام النصي في التعبير الكتابي (دراسة في اللسانيات النصية)، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013، ص63.

³ أبو الفضل جمال الدين بن محمد المكرم (ابن منظور ت711هـ)، لسان العرب، ج1، ص360، 361 (مادة خطب).

صاحبتهن، وتقول له: أنت الأخطب: البين الخطبة"¹. ما يعني أن الخطاب هو فن مواجهة الآخرين بالكلام، أو هو نظام صياغة الكلام المؤثر في الآخرين وتنظيمه، والتوجه به إليهم بطريقة معينة تجعله قادرًا على التأثير فيهم وإقناعهم بوجهة النظر التي يتبناها المخاطب - بالكسر -². ومن الاستخدام المجازي لمادة "خطب"، قولهم: فلان يخطب عمل كذا: يطلبه، وما خطبك: ما شأنك الذي تخطبه، ومنه هذا خطب يسير وخطب جليل، وهو يقاسي الخطوب. وفي العين للخليل: "الخطب: سبب الأمر (الذي تقع فيه المخاطبة)، والخطاب مراجعة الكلام (تبادلُه بين اثنين أو أكثر)، والخطبة مصدر الخطيب، وكان الرجل في الجاهلية إذا أفراد الخطبة قام في النادي، فقال: خطب، وما أراده قال: نكح، والخطب: المرأة وهو الزوج، والخطبة: إن شئت في النكاح، وإن شئت في الموعدة"³.

وانطلاقًا من هذه الدلالات اللغوية لمادة "خَطَب" يمكن القول: إن الأصل في هذه المادة اللغوية أنها تضمنت الدلالة على عدد من المدلولات الأساسية التي شكلت مجموعها الرؤية اللغوية والبيانية لمفهوم الخطاب، وما يتطلبه من مقومات وشروط.

2.2. عناصر الخطاب:

إن ما يجري على لسان الفرد من أفعال كلامية يعد خطابًا هدفه توصيل رسالة إبلاغية معينة تحرك الكوامن اللغوية والكفاية التخاطبية عند المستقبل الذي يرتبط بالمرسل بهذا الخيط التفاعلي والفكري. ودائرة التخاطب واسعة تتخذ معطيات لغوية متنوعة تصب في "تصاميم قولية تشكل الفضاء الكلامي العام المتمثل بالخطاب ذي الأنماط والمناحي الإخبارية والطلبية المباتينية، لتمرکز السلوك اللغوي على سمة الخطاب سواء أكان الخطاب متجهاً إتجاهاً ذاتياً أم موضوعياً، لتعامله مع النشاط اللغوي المتبادل بين الباحث والمتلقي وعلاقتهم بالمؤثرات

¹ ينظر: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2006، ص167، 168.

² ينظر: الحاج صالح عبد الرحمن، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، ص15. وينظر أيضاً: معراجي عمر، النص بين الدلالة والتداول، ص04. وينظر أيضاً: المتوكل أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية (دراسة في الوظيفة والبنية والنمط)، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2010، ص24.

³ ينظر: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ)، كتاب العين، دط، دت، ص222، 223 (مادة خ ط ب).

السياقية¹. وتتمحور عملية التخاطب على أربعة عناصر جوهرية هي: الخطاب، والمخاطب والمخاطب والسياق².

1.2.2 الخطاب:

استعمل مصطلح الخطاب في حقول دراسية متباينة: فتوعدت تفسيراته حسب الاختصاص في هذه المجالات، وتحدد بشكل عام في المنظور اللغوي في استيعاب اللغة عند الإنسان المتكلم، وما ينتج عن ذلك من عملية التأثير في المقابل في إدامة التواصل الإبلاغي، فالخطاب هو "النص اللغوي بعد استعماله، وهو وسيلة المتخاطبين في توصيل الغرض الإبلاغي من التخاطب إلى المخاطب، ويتسم بأنه كتلة بنيوية واحدة متماكسة الأجزاء، وأية محاولة لفصل أجزائه بعضها عن بعض تؤدي إلى تغييره وإعادة بنائه"³. ولا يكون الخطاب إلا في مخاطبه، وهذا اللفظ نفسه مصدر خاطب فلا يتصور خطاب إلا في حال خطابية مع مخاطب معين⁴. ولقد استمر هذا التقليد لدى اللغويين المعاصرين حيث نظروا إلى علم الخطاب (Discourse) ، بأنه: "يشمل دراسة استخدام اللغة في علاقته بالسياق، لاسيما دراسة التخاطب اللغوي"⁵.

وإذا تفحصنا تراثنا النحوي فإننا سنحظى بدراسات قيمة في هذا المجال، فقد عالج سيبيويه هيئات تركيبية كثيرة ضمن عمليات تخاطب متنوعة، واستقرأ صورها التداولية، وأصنافها المتنوعة بتتبع المواقف والسياقات التي استتبط منها هذه النماذج التركيبية التي هي أصول خطابات جرت بين الناطقين باللغة العربية، وقام بتحليلها وتفسيرها وتحديد عناصرها وبناءها التحتية والوقوف عند المواقف التداولية المقتضية لاستعمالها.

¹ دلخوش جار الله حسين دزه بي، البحث الدلالي في كتاب سيبيويه، ص187.

² ينظر: علي محمد محمد يونس، علي محمد محمد يونس، المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، ص151. وينظر أيضا: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص154، 155. وينظر أيضا: مفتاح محمد، التلقي والتأويل (مقاربة نسقية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2001، ص158.

³ علي محمد محمد يونس، المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، ص157.

⁴ ينظر: الحاج صالح عبد الرحمن، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، ص16.

⁵ علي محمد محمد يونس، المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، ص137. وينظر أيضا: معراجي عمر، النص بين الدلالة والتداول، ص137.

بدأت دراسات سيبويه (ت180هـ) بتصنيف المعطيات اللغوية الداخلة في تشكيل الدليل الخطابي إلى أقسام هي: الفعل والاسم والحرف، محدداً القيم الخلافية بينها بتعيين سماتها التمايزية بالتمثيل للاسم بنحو: (رجل وفرس وحائط)¹، وتعريف الفعل بأنه "أمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى، وكما يكون ولما يقع، وما هو كائن لما ينقطع"²، وفصل الحرف عنهما بأنه: "ماء جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو: (ثم، وسوف" واو القسم، لام الإضافة) ونحوهما"³، وهو منظور وصفي تصنيفي يقابله في اللسانيات الحديثة: (اللسانيات التصنيفية).

لقد حلل سيبويه (ت180هـ) الخطاب اللغوي محددًا مستواه الصوابي في ضوء اتجاهات لغوية متآزرة في رؤيتها للتركيب اللغوي المستند على مرتكزات داخلية متمثلة بربط الخيوط التركيبية بالخيوط الدلالية، ومرتكزات خارجية يحددها النظام الحرفي والتداولي الواضح في المواقف الاجتماعية الواقعية، ويتجلى ذلك في قوله: "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: (أتيتك أمس وسأتك غدًا)، وأما المحال فأن تنقص أول كلامك بآخره، فتقول: (أتيتك غدًا وسأتك أمس)، وأما المستقيم الكذب فقولك: (حملت الجمل وشربت ماء البحر) ونحوه، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه نحو قولك: (قد زيدًا رأيت، وكى زيدًا يأتيتك)، وأشباه هذا، وأما المحال الكذب فأن تقول: (سوف أشرب ماء البحر أمس)"⁴.

يتضح من قول سيبويه (ت180هـ) السابق أنه بنى رؤيته في تحديد المستوى الصوابي للخطاب اللغوي على مقياسين أساسيين وهما: مقياس التناسق الشكلي المتمثل بـ(الاختيار

¹ سيبويه، الكتاب، ج1، ص12.

² المرجع نفسه، ص12.

³ نفسه، ص12.

⁴ نفسه، ص25، 26.

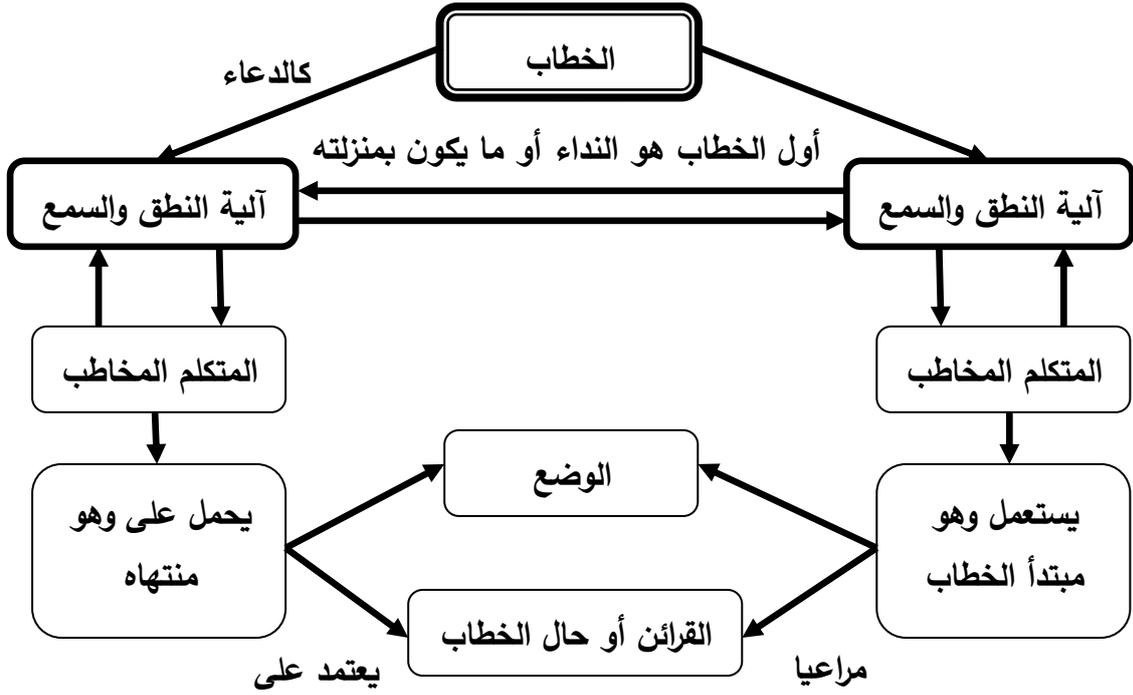
والانتقاء)، ومقياس المصاحبة الدلالية المتمثل في (التنسيق أو التركيب)¹، قصد ضمان السلامة المعجمية واستقامة النظام التركيبي والدلالي.

ولا تخفى أهمية هذين المقياسين في السمو بالتركيب اللغوية إلى مستويات خطابية بليغة، إضافة إلى اشتراطه سيبويه من المقبولية التداولية من خلال التمييز بين الخطاب الصحيح من المستقيم الكذب أو المحال الكذب، فحكم على نحو: (حملت الجبل وشربت ماء البحر) بالكذب مع صحة الدليل النظمي وتحقيق مبدأ الاتساق التركيبي لعجزه عن الاستجابة الواقعية في الاستعمال والعرف الخطابي. ووصف قوله: (سوف أشرب ماء البحر أمس) بالمحال والكذب لتنافر بنيته الدلالية والتركيبية وخرقه للواقع اللغوي وعدم تحقيق شرط من شروط المستوى الصوابي والاستقامة الخطابية، فأصبح كلاما مفتقرا إلى سمة التوافق الدلالي والانسجام الخطابي.

وإذا كان الخطاب يرتبط في تركيبه بالواقع الخارجي من حيث المطابقة وعدمها، وترتبط أيضا مفرداته بالواقع أيضا، باعتبارها مكونة من وحدات تشير إلى موجودات خارج اللغة، فإنه يلزم أيضا أن يرتبط بالمتخاطبين: (المخاطب والمخاطب)، أما المخاطب فهو يؤلف خطابه وفقا لمعتقداته وافتراضاته وغاياته، وأما المخاطب فيقوم بدور الاستماع أو القراءة وذهنه غير خال من افتراضات ومعلومات سابقة، وهي عوامل تؤثر جميعا في طبيعة فهم الخطاب، وقد جسدها الدكتور عبد الرحمن حاج صالح في ترسمية توضح فهم العلماء لدورة التخاطب كما تصورها:²

¹ ينظر: علي محمد محمد يونس، المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، ص 159.

² بلعلی آمنه، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، ص 119.



الشكل رقم (23): دور التخاطب عند العلماء العرب كما تصورها الحاج صالح عبد الرحمن.

إن قراءة متفحصة لديوان "البرزخ والسكين" لـ: عبد الله حمادي تكشف عن اشتماله لمجموعة من الخطابات المتعددة الموضوعات¹ من أهمها: الخطاب الوطني ممثلاً في مجموعة من القصائد مثل: جزائر، أرض الحرية، وطن، قصيدة الجزائر، وخطاب المقاومة ممثلاً في قصيدة: أطفالنا... فإلى الحجارة، والخطاب الصوتي الذي شمل قصائد: رباعيات آخر الليل، البرزخ والسكين وغيرهما...

2.2.2 المخاطب:

يمارس المخاطب عادة دوره في الحديث عندما يكون هناك داع أو مثير يحفزانه إلى الكلام، كأن ترد إلى ذهنه فكرة، أو خاطرة، أو يستمع إلى سؤال يتطلب منه إجابة، فيتوسل حينها باللغة باعتبارها علامات متواضعا عليها من قبل المجتمع تحقق له رغبته في توصيل خطابه إلى الآخرين، ويوجد في اللغة قائمة طويلة من الوحدات المعجمية التي ترتبط في ذهنه ترابطاً منطقياً ونفسياً وفقاً لمجموعة من العلاقات (التشابه والتضاد والتلازم...)، فيختار منها عن وعي أو عن غير وعي ما يحتاج إليه في عمليات التخاطب، مراعيًا في ذلك القواعد

¹ ينظر: المتوكل أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية (دراسة في الوظيفة والبنية والنمط)، ص 25.

الصرفية والنحوية التي تبيحها اللغة، واضعا خطاباته وفقا للقوالب القواعدية المتداولة، وبالعودة إلى ديوان "البرزخ والسكين" لعبد الله حمادي¹، وإلقاء نظرة عجلية في مواضيعه الشعرية نكتشف دوافع ومثيرات هامة ومتعددة، وطاقت هائلة بداخله وظف اللغة وتراكيبها المختلفة لتفجيرها والسماح لمخاطبيه بالإطلاع على صور بيانية وضياء لآلام وآمال طالما اعتمرت بداخله، وأهم تلك الدوافع والمثيرات حب الوطن، الأوضاع السيئة التي يعيشها المواطن الجزائري والعربي عموما، التفريط في المقدسات وخاصة المسجد الأقصى، محبة الله وسلوك دروب تلك المحبة قصد نيل رضاه.

وإذا كانت اللغة تضمن عملية التخاطب من خلال تزويد المتخاطبين بالمادة اللغوية الخام، فإن المخاطب يلزمه امتلاك كفاية لغوية كفيلة بالقيام بتركيب الرسالة المبلغة تركيبا سليما لأداء مهمة الإبلاغ والإفادة إحدانا وإفهاما، وكام تتكفل كفايته التخاطبية بنجاحه في استخدام المقولات اللغوية استخداما مناسباً للسياقات المختلفة، ومعينا على تحصيل غاية التفاهم بينه وبين مخاطبيه، ونحسب أن المخاطب (الدكتور عبد الله حمادي) يمتلك من الكفاية اللغوية ما يؤهله لتركيب وتبليغ رسالته تركيبا يرقى إلى مصاف العالمية، خاصة إذا علمنا أنه مارس الأستاذية في الجامعة لسنوات طويلة في ميدان الأدب والشعر والنقد، وأنه مختص في الأدب الإسباني و مترجم منه وإليه.

وتتجلى مهمة المخاطب بوضوح في عملية الاختيار، حيث ينتقي من اللغة الأمثلة والتنوعات الممثلة للتراكيب اللغوية المجردة، كما يخضع اختياره عادة لمقاصده الإبلاغية، فيختار (أطفالنا) مثلا بدلا من (أولادنا) أو (أبناءنا) في نحو: (أطفالنا... فإلى الحجارة)، وهذا الاختيار ضروري لكي تتم عملية الإفادة، لأن كل إفادة ناشئة عن اختيار عنصر من مجموعة من العناصر التي يصلح كل منها أن يحل محل العنصر المختار في السياق نفسه دون غيره من العناصر.

¹ ينظر: حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر).

إن عبد الله حمادي (المخاطب) عند قيامه بتأليف رسالته الشعرية (ديوان البرزخ والسكين) وتركيبها، فإنه هذا التركيب لا يخفى فيه تشكيكه تداخل عناصر كثيرة ترتبط بشخصيته بروابط معينة، ومن ذلك ما يمكن استنباطه من الرسالة نفسه لأنها تتضمنها بطريقة لا يجد القارئ (المخاطب) صعوبة في إدراكها، ويساعده في إدراكها تلك المعلومات التي اكتسبها (المخاطب) من خلال محيطه الاجتماعي، واجتهاداته الشخصية، فمن تلك الموضوعات القريبة من محيط حياة المخاطب مثلاً، تلك المظاهر التي نشأ في ظلها والتي طبعت مدينته، وما ارتبط بها من مظاهر سلبية قررها في تراكيبه، ومن ثم صرح بالدعوة إلى التلخص من برائتها وتعويضها بما هو أفضل، ومن جانب آخر لا يخفى ما لأثر الجانب الديني الذي نشأ في جوه الشاعر من توجيه له في خطابه نحو مسالك العرفان والتقرب من الذات العلية...

3.2.2. المخاطب:

يتمثل دور المخاطب في عملية التخاطب والتي يقوم به عند تلقيه الخطاب في تفكيك الخطاب، أي "تفكيك الرسالة اللغوية، وهو دور إيجابي من حيث كونه مكملاً لعملية التركيب التي قام بها المخاطب، وذلك لأنه ليس هناك عملية تخاطب يتم إنجازها دون أن تمر بمرحلتي التركيب والتفكيك، وعندما يوضع الخطاب بين يدي القارئ أو السامع، فإنه يتعامل معه بطريقة الخاصة في الفهم، مستعيناً في ذلك بثقافته وتجاربه وأحواله الخاصة التي ينفرد بها عن غيره، وإن كانت في معظمها مشتركة بين أفراد المجتمع الذي ينتمي إليه لغوياً، وهو ما يعطي لفهمه صبغة موضوعية إلى حد ما"¹.

وإذا كان بعض الدارسين يقرون بمحدودية دور السامع أو القارئ في تحديد معنى الخطاب، وأن هذا الدور لا يمثل إلا جزءاً من الدلالة المقصودة، فإنه رغم ذلك لا يمكن إخراج هذا الدور التأويلي للمخاطب من نطاق المعنى المفهوم عند المخاطب، باعتبار أنه صاحب الدور المكمل لعملية التخاطب، بل إن دوره قد لا يتوقف عند عمليات التأويل بل يتجاوز ذلك

¹ علي محمد يونس، المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، ص155.

إلى صبغ الخطاب بصبغة خاصة قد تؤدي إلى تشكيله من جديد، وفقا لأحوال المخاطب الذاتية، ومن ذلك قول عبد الله حمادي مثلا في قصيدة "مدينتي...!"¹:

(مَدِينَتِي... قَصِيدَتِي)، (قَصِيدَتِي... مَدِينَتِي)، (بِضَاعَةٌ مُهْرَبَةٌ)، (فَلْيَحْذَرِ الْجَمَارِكُ)،
(عَلَبَهَا الْمَلْغَمَةَ)، (وَلْيَحْذَرِ الْمُسْتَهْلِكُ)، (رُمُوزَهَا الْمُرُورَةَ).

متحدثا عن مدينته بأنها (بضاعة مهربة، فليحذر الجمارك علبها الملغمة، وليحذر المستهلك رموزها المزورة)، إن تحصيل المخاطب لدلالة هذا التركيب هو رهينة عمليات تفكيك مختلفة لعناصر هذا التركيب، واستحضار دلالاتها ثم ربطها لاحقا لتكوين صورة دلالية أقرب تخضع أولا وأخيرا لتلك الدلالات الجزئية السابقة المرتبطة بالعناصر الآتية: (المدينة، البضاعة المهربة، الجمارك، العلب الملغمة، المستهلك، الرموز المزورة)، والأكد أن المخاطبين ستختلف مواضع تركيز دلالتهم على العناصر السابقة، الأمر الذي سيعطي صبغة خاصة للدلالة المقصودة ما سيعيد تشكيل الخطاب مرة أخرى، فإذا كان للخطاب سياقات تحكمت في إنتاجه (كالسياق الثقافي والاجتماعي واللغوي...)، فإن القارئ (المخاطب) أيضا تتعدد قراءاته بتعدد الأزمنة والأمكنة والمرجعيات الفكرية، أو ما يصطلح عليه بسياق القراءة، فالقراءة أو بالأحرى تعدد مستويات القراءة، تعد جزءا من المنظومة المنتجة لدلالة الخطابات والنصوص².

وقد يزداد دور المخاطب وإيجابيته متجاوزا مهمة القبض على الدلالة التي أراد المخاطب إيصالها له، وذلك حين تتاح له فرصة إكمال نقص في الخطاب يمنحه إياه المخاطب لسبب أو لآخر، مستعينا في ذلك بالأفكار التي اكتسبها في تجاربه السابقة من خلال استخدامه اللغة باعتباره عضواً من المجتمع اللغوي الذي ينتسب إليه، ولعل ما يؤكد ذلك من إبراز لدور المخاطب الإيجابي في إكمال النقص في التعبيرات اللغوية التي يتلقاها في ديوان "البرزخ والسكين" ل: عبد الله حمادي كثرة ورود الحذف والإضمار والإحالات الخارجية ومواطن الحذف، والتي تمثل كلها دعوة صريحة من المخاطب إلى المخاطب لاشراكه في تصور المحذوف أو

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص114.

² ينظر: مزي عبد القادر، الدلالة اللفظية والنحوية وحدود التأويل، ضمن كتاب جماعي بعنوان: اللغة والمعنى (مقاربات في فلسفة اللغة)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، ص2010، ص144.

المضمّر أو المحال إليه أو المحذوف واستنباط الدلالات المرتبطة بذلك في كل مرة إيماناً بقدرة المخاطب على فهم تلك التعبيرات اللغوية التي تسمها الظواهر اللغوية السابقة، ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما ورد في قصيدة "البرزخ والسكين"¹ في قوله:

(لا يا طائرَ الزَّمنِ الحَافِتِ)، (عاشِقٌ جنُّتُ)، (ومن خلفي قَوافِلُ)، (وأمامي بَرزَخٌ...)،
(وورائي محطَّةٌ للهجير!...)، (من ظَلَلٍ من غمامٍ...).

إن مثل هذا النمط من الخطاب الذي يفرضه المخاطب دون غيره أحياناً، ومثل هذا التركيب لنماذج من الخطابات تختار مفرداتها المعجمية اختياراً إضافياً إلى اختيار هيئتها التركيبية، هي مقصودة لذاتها وموجهة إلى مخاطب بعينه لأنها أنسب له، فهو (دون غيره من المخاطبين) يمتلك من الآليات اللغوية والمعرفية ما يؤهله لتلقي ذلك النوع من الخطاب وفهم طبيعته والمقصود منه، وذلك كله نتيجة الثقة الحاصلة بين المخاطب والمخاطب، فالألفاظ الواردة مثلاً في الأبيات الشعرية السابقة (طائر، عاشق، أمامي، خلفي، برزخ، ظلل، غمام) تحيل المخاطب (المقصود) إلى لغة الخطاب الصوفي² الذي يمثل المفتاح الأساس لفهم الدلالات المرجوة والتي تختلف بلا شك عن الدلالة المسندة إليها لو استعملت في نص علمي أو في نص أدبي.

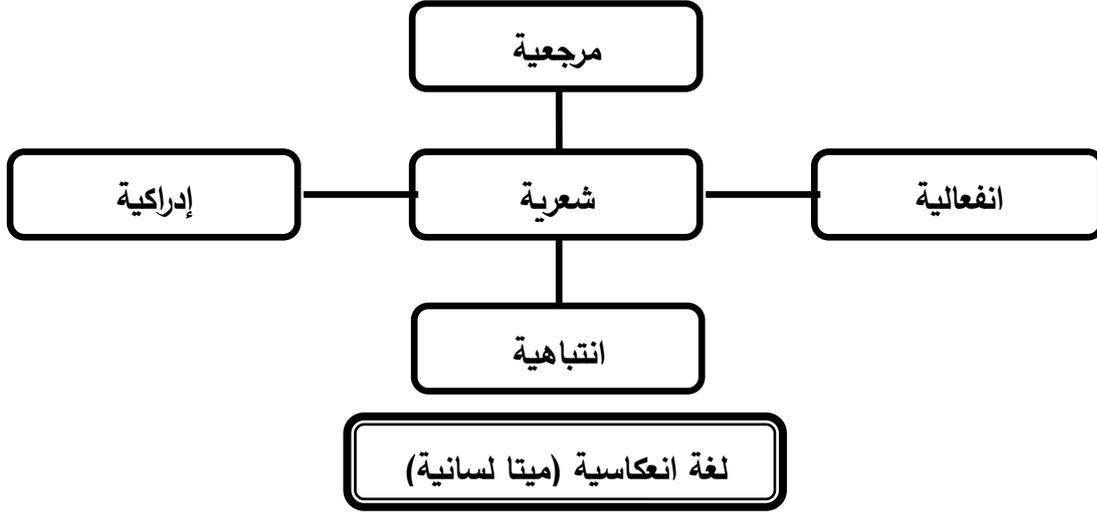
3.2. الأنماط الخطابية:

ترتبط الأنماط الخطابية بالطاقة الوظيفية المستتبطة من ائتلاف الرصيد المعجمي مع المناويل التركيبية والمبادئ التداولية، مما ينتج شبكة متآصرة ومتحددة الأجزاء جراء هذه العملية الائتلافية المتحكمة في تخطيط الاتجاه التصنيفي للخطابات الألسنية التي تنتوع وظائفها مع تشعب عناصر فعل التخاطب والمعروف أن ياكبسون (Jakobson) جمع هذه الوظائف في ستة أضرب وهي: الوظيفة الانفعالية، والوظيفة المرجعية، والوظيفة الشعرية، والوظيفة

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 121.

² ينظر: شارفي عبد القادر، لغة الخطاب الصوفي (الإشارة والرمز لدى "محي الدين بن عربي")، كتاب جماعي بعنوان: اللغة والمعنى (مقاربات في فلسفة اللغة)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2010، ص 83.

الانتباهية، والوظيفة الانعكاسية، والوظيفة الإدراكية¹، والتي يستلزمها التواصل اللساني، ويتوفر كلها في الخطاب الألسني المتعارف عليه باستثناء الوظيفة الشعرية الخاصة بالأجناس الأدبية الراقية، ومثل هذه الوظائف حسب أغراض المخاطب والمخاطب وعنصري السياق والرسالة بمحددات لخطاطة عناصر فعل التخاطب كما يأتي:²



الشكل رقم (24): وظائف التواصل اللساني عند ياكبسون.

ويمكن حصر هذه الوظائف في نطاق طاقة تعبيرية مزدوجة تهدف إلى تأدية وظيفة الإخبار أو الطلب المجسدة في دلائل تركيبية خاصة تتجزأ الكفاية اللغوية والتخاطبية، "ذلك أن اللغة حصيلة نوعين من الضغوط، ضغوط الدلالة وضغوط الإبلاغ"³، والمستقرى لكتاب سيوييه يجد أنه أشار إلى بعض هذه الوظائف ومفاهيمها أثناء معالجته التحليلية للتركيب والنماذج الخطابية المتبادلة بين الأعضاء المشاركين في العملية الكلامية في الواقع اللغوي المعيش، والمباحث المتعلقة بتحديد الأنماط الخطابية (الإخبارية والطلبية) وتفرعاتها تتكفل بتوضيح وشرح هذه الوظائف ضمن الأهداف والدوافع الكامنة وراء كل خطاب ألسني.

¹ ينظر: محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص 230. وينظر: رومان ياكبسون، ست محاضرات في الصوت والمعنى، ص 133-136.

² ينظر: عبو عبد القادر، أسئلة النقد في محاور النص الشعري المعاصر (دراسة)، منشورات ليجوند، دط، 2013، ص 92.

³ محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص 140.

وقد تظن سيبويه (ت180هـ) إلى النمطين¹ الرئيسيين للخطاب الأسني وهما: الإخباري والطلبى، واضعا قيما تمايزية بينهما في سياق تعليله لرفع عنصر المبتدأ بعد حرف (لولا) في مثل: (لولا عبد الله لكان كذا وكذا) قائلا: "وأما (عبد الله) فإنه من حديث (لولا)، وارتفع بالابتداء كما يرتفع بالابتداء بعد (ألف) الاستفهام، كقولك: (أزيد أخوك)، إنما رفعته على ما رفعت عليه (زيد أخوك)، غير أن ذلك استخبار وهذا خبر"²، و"يزيد على ذلك بالقيام بمقاربة دلالية وبنوية بين أنواع الخطاب الطلبى، ولاسيما فصيلة الاستفهام والأمر والنهي، ذاكراً أن الأفعال الواقعة في سياق الاستفهام هي "الأفعال غير الواجبة التي تكون بعد حروف الاستفهام، وذلك لأنك تريد (أعلمني) إذا استفهمت، وهي أفعال غير واجبة فصارت بمنزلة أفعال الأمر والنهي"³. ويضيف أن "الدعاء بمنزلة الأمر والنهي"⁴، ويصنف الخطاب الدال على العرض والتخصيص في قسم الخطاب الطلبى بقوله: "... أنك تقول: (هلاً تقولن)، و(ألاً تقولن)، وهذا أقرب لأنك تعرض، فكأنك قلت: (أفعل)، ومثل ذلك: (لولا تقولن)⁵، ويفصل أمر القيمة الخلفية والتباين الوظيفي بين الخطاب الأمري والإخباري أيضا بتوظيف مصطلح الأمر مستدلاً عليه بنحو: (اذهب واقتل واضرب)، ومصطلح الإخبار ممثلاً له بنحو: (يقتل ويذهب ويضرب، ويُقتل ويُضرب)"⁶.

ميز أعلام التراث بين دلالة المنطوق ودلالة المفهوم، فمعرفة قواعد اللغة ومعاني مفرداتها لا تكفي وحدها في فهم التعبيرات اللغوية المستخدمة، لأن المتكلمين "لا يتقيدون بحرفية اللغة في كثير من الأحيان، وهو ما يجعل المخاطب في حاجة إلى عوامل عديدة أخرى

¹ يقترح التتميط التقليدي المتوارث للخطابات تصنيفاً منطلقاً فيه من أحد المعايير الآتية: الموضوع والآلية والبنية: - تصنف الخطابات من حيث موضوعها إلى خطاب ديني، وخطاب علمي وخطاب إيديولوجي أو سياسي... - تصنف الخطابات من حيث بنيتها داخل ما يسمى "الخطاب الفني" (الإبداعي، الأدبي) إلى قصة ورواية وقصدية شعر وغيرها. - أما من حيث الآلية المشغلة فيميز بين الخطاب السردى والخطاب الوصفي والخطاب الحجاجي. ينظر: المتوكل أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية (دراسة في الوظيفة والبنية والنمط)، ص25.

² سيبويه، الكتاب، ج1، ص129.

³ المرجع نفسه، ج3، ص513.

⁴ نفسه، ص511.

⁵ نفسه، ص415.

⁶ نفسه، ج1، ص12.

تساعده على فهم حديث المتكلم، منها السياق الثقافي والاجتماعي، وجملة الاستنتاجات التي يهتدي إليها منطقياً أو عرفياً عن طريق القرائن، وهنا ينبغي التفريق بين المعنى اللغوي والمعنى المقصود¹.

1.3.2. دلالة الخطاب الإخباري:

1.1.3.2. الخطاب الإخباري العادي:

يعد النسق التركيبي المسمى بـ (Syntax) الأرضية الخصبية لبناء الأشكال الخطابية وتوسعتها أو تمددها بإجراءات لغوية تقتضيها المرجعية المقامية، وهذه الوحدة التركيبية النواة هي «الوسيلة الجوهرية لتفجير الطاقات الخطابية، والشروع بفعل الكلام والتخاطب في سلك التواصل الفكري، وهذا ما يجعل الخطاب قادراً على استيعاب المشاعر والأفكار والعلاقات وتجسيدها ضمن هياكلها وتنظيماته اللسانية التي تتطلب تتابعا خطياً يدعوه تشومسكي (Chomsky) بـ (التركيب الخطي) في ضوء معياري الاختيار والتنسيق المنضويين تحت أنظمة نحو الاختيار المحدود»².

يتحكم المؤشر الدلالي في سلامة التركيب الخطي للخطابات، ويستقطب إمكانات دلالية إضافية، منطلقاً من بؤرة الإسناد التي تمثل المحور الذي يشع بالنشاط الدلالي، ولا تبتعد هذه الرؤيا المعاصرة كثيراً عما ذكره سيوييه (ت180هـ) بشأن علاقة الإسناد القائمة بين المكونين المتجانسين (اسم+اسم) ضمن معادلة الإخبار الاسمي، والمكونين المتغايرين (فعل+اسم) في معادلة الإخبار الفعلي نتيجة استدعاء المفردات لبعضها وتعاقب الوحدات الدالة وتواترها في السياق أفقياً بواسطة العلاقات التركيبية، وهي علاقات أفقية تتحدد فيها قيمة كل وحدة بالاعتماد على ما قبلها وما بعدها، ما يكسب الخطاب قيمته اللسانية والدلالية³.

¹ علي محمد يونس، المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، ص141.

² دلخوش جار الله حسين دزه بي، البحث الدلالي في كتاب سيوييه، ص200.

³ المرجع نفسه، ص201.

وقد ورد في ديوان "البرزخ والسكين" كثير من الخطابات العادية التي تعكس التوجهات الفكرية السابقة، من ذلك مثلا ما يتعلق بالإخبار الاسمي، وقد جاء في قصائد متنوعة منها قصيدة "جزائر"¹ التي افتتحت أبياتها بالمبتدأ (جزائر)، وكذا قصيدة "وطن"²، وأيضاً قصيدة "مدينتي"³ التي افتتحت جميع مقاطعها بلفظة (مدينتي) لتتوالى الأخبار المتنوعة عن مدينة الشاعر في كل مقطع، أما ما يتعلق بالإخبار الفعلي فقد ورد أيضاً في الديوان في عدّة قصائد منها: قصيدة "أرض الحرية"⁴، حيث تواترت أبيات القصيدة جميعاً مبدوءة بالفعل (غنيت) في إخبار فعلي عن أرض الشعر متعدد، وكذا ما جاء في قصيدة "يا امرأة من ورق التوت"⁵ والمؤلفة من أربعة عشر مقطعا، اختار لها الشاعر جميعاً التراكيب الإخبارية الفعلية تقريبا في كل بيت شعري منها توظيف منه لما يمكن أن يستوعبه هذا النوع من التراكيب من طاقة دلالية كبيرة، وسواء كان خطاب "عبد الله حمادي" الخبري اسماً أو فعلياً فإن تشكيله التركيب يستند إلى بنية دلالية تتحكم في وضع مفردات مختارة داخل خطابه مع كيفية خاصة به لترتيبها وذكرها مع مراعاة المستوى الخارجي المحيط بالخطاب والقارئ المعنوية المرتبطة به.

إن الأنماط الخطابية الإخبارية العادية تشترك في أداء وظيفة موحدة عبر عنها تشومسكي بالوظيفة التعبيرية⁶، لإرادة المخاطب التنفيس عن أفكاره ورسالاته ومكوناته العقلية المعلومة لديه وإلقائها على مسامع المتلقي ليمتلك إدراكاً وعلماً بشأن هذه الرسالة المرسلة التي «تدفعه إلى الاضطلاع بدور المدرك لمضمون هذه الرسالة مكونة لديه الوظيفة الإدراكية أو الإفهامية، بتحويل المرسل إليه من كيان سلبي في السيرورة الخطابية إلى كيان إيجابي فعال

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 19.

² المصدر نفسه، ص 25.

³ نفسه، ص 101.

⁴ نفسه، ص 21.

⁵ نفسه، ص 139.

⁶ ينظر: بيير جيرو، الأسلوبية، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، حلب، ط 2، 1994، ص 69.

قادر على استلام الموجات الخطابية والاستجابة لها»¹. أما ستيفن أولمان (Stephen Ullmann) فقد جعل للتعبير والتوصيل والتأثير ثلاث وظائف جوهرية في السلوك اللغوي، وبهذه الوظائف الأساسية يجلوا المتكلم (أفكاره) إلى الآخرين، فتؤثر في نفس السامع، وتتم عملية الفهم والإفهام، وقضاء الأغراض².

والمستقرئ لديوان "البرزخ والسكين" ل: عبد الله حمادي يجده لم يكتف بمستويات الإخبار العادي اسمياً كان أم فعلياً بل أضاف إليه العناصر التكميلية السابقة، وتوغل في توجيه سيرورتها الدلالية ضمن رؤى وخطابات متعددة شملت تلك العناصر التركيبية، كما يلحظ في أغلب قصائد الديوان، فقد يسبغ كل الأوصاف والنعوت التي تخطر بباله مثلاً في قصيدة كاملة من بدايتها إلى نهايتها، إيغالا في المعنى وتأكيدياً لى التأثير في المخاطب، وتحقيقاً لإبلاغ رسالته، مما يمكن القارئ (المخاطب) من التأثر وفهم الخطاب والتفاعل الخطابي مع الشاعر، من ذلك مثلاً قصيدة "جزائر"³ وقصيدة "أرض الحرية"⁴ وقصيدة "وطن"⁵ وقصيدة "قصيدة الجزائر"⁶، ومما جاء في إسباغه للأوصاف والنعوت في خطابه عن (الجزائر) بأنها (قلعة الثائرين، قصة الخلد والخالدين، موطن المبتغى، جنة الخلد والمنتهى، مورداً سلسبيل الظلال، نشوة من أريج الكمال، ثورة في سجل النضال، فتنة كللت بالكمال، قصة صاغ منها الوجود عظيم الفدى ومعاني الخلود، ترابك عتق ونصر وعيد، ومهرك حب وروح الشهيد، مرتع العاكفين، قبلة في صلاة اليقين، وردة الفل والياسمين، قصة العشق والعاشقين).

¹ ينظر: العطية خليل إبراهيم، التركيب اللغوي لشعر السياب، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ط2، 1989، ص14.

² ينظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، دط، 1975، ص19.

³ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص19.

⁴ المصدر نفسه، ص21.

⁵ نفسه، ص25.

⁶ نفسه، ص26.

وهذا من الأساليب الخطابية التي تميز الشاعر عبد الله حمادي التي تتدرج ضمن أسلوبه الشعري عموماً، والذي أشرنا إليه أكثر من مرة في مواضع سابقة من البحث.

2.1.3.2. الخطاب الإخباري الانفعالي:

من الأنماط الإخباري التي تحظى بوجود لافت في ديوان "البرزخ والسكين" الخطاب الإخباري الانفعالي الذي يندرج ضمن اللغة الانفعالية كما يصنفه الباحثون المحدثون، ولا تتضح التجليات الدلالية لمثل هذا النوع من الخطابات، كما هو الحال بالنسبة للخطاب الألسني عموماً، إلا ببيان الأواصر العلائقية القائمة بين الحدث اللغوي والمرجعية الخارجية من طرف، وبين المرسل والمتلقي من جهة أخرى، وهي "علاقات حوارية تشد الخطاب إلى عوامل إنتاجه وتجعله فعلاً خطابياً ديناميكياً وملتحماً بشروط تداولية تدخل في سيرورة تحليل الخطاب الذي يتطلب مجموعة أنظمة تزيد نشاط الخطاب"¹.

وقد استقرأ سيوييه (ت180هـ) هذه الحقائق الدلالية الانفعالية من خلال تفحص التفسير الواقعي بمعالجة السياق الإدراكي أو الفهمي الذي يساعد المستعمل على تفهم الموقف الاتصالي الذي يستخدم فيه كل نمط من هذه الأنماط الخطابية، إذ أن سياق الفهم يستوجب المرور بتحليل المعلومات المنقولة من خلال البنية السطحية للنص وترجمتها إلى معاني²، وإثارة هذه الملاحظات السياقية والمقامية في خضم الممارسات الدالة هي ضرب من التحليل السيميائي أو الدلالي الذي فسرتة جوليا كرسيفا (Julia Kristiva) بعملية اختراق "الدال ومعه الذات والدليل والتنظيم النحوي للخطاب بغية الوصول إلى الدائرة التي تتجمع فيها بذور ما سيتكفل بعملية الدلالة في حضرة اللسان"³.

تتجلى في ديوان "البرزخ والسكين" نماذج مختلفة للخطاب الإخباري الانفعالي في قصائد كثيرة منه، وخاصة الدلالة الانفعالية الموحية بالثناء على الوطن، والمحجوب...، ومن أبرز

¹ دلخوش جار الله حسين دزه بي، البحث الدلالي في كتاب سيوييه، ص235.

² ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص247.

³ جوليا كرسيفا، علم النص، ص08، 09.

الأمثلة الدالة على الخطاب الإخباري ذي الدلالة الانفعالية الموحية بثورة الغضب والدعوة للتخلص من ظلم المحتل ما ورد في قصيدة "أطفالنا... فألى الحجارة"¹، والذي أعاد فيها الشاعر عبد الله حمادي لمخاطبيه الأقرب إلى مركز الحدث أولاً، وإلى المخاطبين الذين تربطهم علاقة بالموضوع ثانياً، خطاباً إخبارياً شديداً الانفعال من بدايته إلى نهايته ضمن تركيب لغوي شعري انفعالي يصور صراعاً تاريخياً في ثوب معاصر، بين طرفين يتنازعان السيادة على أرض مقدسة، إن الجانب التاريخي وما ارتبط به من أحداث سارة أو مؤلمة في حد ذاته يستدعي الجانب الانفعالي عند المخاطب (وخاصة ما ارتبط بالطرف الآخر اليهود من لؤم وخبث ومكر وجميع صفات القذارة فلم يسلم منهم حتى الأنبياء والمرسلون)، وقد أضاف الشاعر (المخاطب) إلى ذلك بعض الصور المرلمة المعاصرة للفريق المنازع والتي اقترفها في حق قومه من قتل تعددت أشكاله، وظلم لم يسلم منه حتى الأرض والشجر والحجر أو اعتداء على أبسط الحقوق الإنسانية دون التفريق في ذلك بين رجل وامرأة أو صغير وكبير مستندين في ذلك إلى هيئات دولية ظالمة تقف في صفهم وتتناصرهم بالمال والسلاح.

إن استحضار الشاعر لكل هذه الأحداث وما ارتبطت به من سياقات تاريخية ومقامية وصبها في تراكيب شعرية مكنه من النجاح بشحن المخاطب من صفة بطاقة انفعالية لأبعد الحدود، تجعله يتفهم خطابه الانفعالي هذا، أو يتجاوب معه لأبد مدى، تجعل من الخطاب نفسه يلغي فارق المسافة والزمن الفاصلين بين الشاعر ومخاطبيه، فكأنه خطاب حضوري بينهما، لا، بل أكثر من ذلك فالمستوى العالي للانفعال الذي خلقه الشاعر يف النفوس يجعل من المخاطبين يرددون خطابه الشعري وكأنهم أصحابه، ليصبح وكأنه لحن مشترك يردده الجميع في طريق تحقيق الهدف المشترك.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص30.

2.3.2. دلالات الخطاب الطلبي:

تتوع حضور الخطاب الطلبي في ديوان "البرزخ والسكين" محملا بدلالات كثيرة حملت هموم وأحلام وأفكار الشاعر عبد الله حمادي التي أراد إيصالها للمخاطب عبر مجموعة من القصائد المشكلة للديوان، ومن بين أنواع الخطابات الطلبيه التي سجلنا حضورها الأكثر في الديوان: الخطاب الأمري، الخطاب الاستقهامي، الخطاب الندائي.

1.2.3.2. الخطاب الأمري ودلالاته:

يرتكز الخطاب الأمري عموماً إلى «الإشارات والتنبيهات الاستدعائية التي يطلقها المخاطب قصد التعبير عن الوظيفة الإفهامية أو الإدراكية التي تمنحه طاقة تأثيرية على المخاطب، يتلقاها عبر خطابه ويخضع لها مكملاً لعملية التخاطب في صورة الطرف الثاني المنجز والمستجيب قولاً أو فعلاً للإشارات الصادرة من المخاطب الممثل للطرف الأول والجوهري في الانبعاث الدلالي وتشكيل القوة الإنجازية والإنتاج التعبيري للممارسة الطلبيه إيجاباً وسلباً، وبذلك يتأصل الخطاب الأمر بعقد أصرة تواصلية بين المخاطب والمخاطب بحيث يشترط في العنصر الثاني التواجد الحضورى لإتمام الحلقة الحوارية التخاطبية مما يعين على فهم العلاقات الأكثر عمومية بين الطرفين»¹.

لقد درس سيوييه (ت180هـ) هذه المعطيات الدلالية والتركييبية للخطاب الأمري في "باب الأمر والنهي"²، وأثبت أن العلاقة بينهما علاقة متينة، من حيث مؤداها ووظيفتها في الكلام، محددًا بنيته العميقة بالاحتمالية وعدم النصية التي تتمظهر في قوله: "... أن الأمر والنهي غير واجبين"³، ويؤكد احتواء الخطاب الأمري لهذه الدلالة الاحتمالية بقياسه على الخطاب الجزائي، وبعدم تحقيقه إلا باستحضار ما يرتبط به من عناصر جوابي متصل به، وبما أن أسلوب النهي أمر على جهة الترك والسلب فقد جمع دراستهما معا ولوجود رابط مشترك

¹ ينظر: تودوروف تزفيطان، الأدب والدلالة، تر: محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، حلب، ط1، 1996، ص15.

² سيوييه، الكتاب، ج1، ص137، 138.

³ المرجع نفسه، ص145.

يجمعهما في بؤرة دلالية موحدة متمثلة بالطلب المباشر الذي ينحى منحى إيجابيا في الخطاب الأمرى، ومنحى سلبيا بالتجنب والكف في خطاب النهي.

والملاحظ للتراكيب الشعرية في ديوان "البرزخ والسكين" يكتشف بيسر حضوراً مكثفاً لهذا الأسلوب الخطابي الأمرى الجامع بين الأمر والنهي في الاستعمال والمنتج لدلالة موحدة تجمع بين دالتين جزئيتين تتعلقان ببابى الأمر والنهي، ومثال ذلك ما ورد في مواضع كثيرة من قصيدة "رباعيات آخر الليل"¹ ومنها قوله:

ظَالِمٌ أَنْتَ فَانْتَسِبْ يَا غَوِيٌّ وَارْحَمِ الزَّهْرَ فِي حُقُولِ الْغَرَامِ
وَكَبِّحِ الْخَوْضَ فِي مَدَارِ التَّشْفِي وَاعْتَقِ الْحُبَّ فِي شِرَاكِ الظَّلَامِ

بدأ الشاعر خطابه بإصدار حكم على مخاطبه بجملة اسمية قدم فيها الخبر على المبتدأ تأكيدا منه على نفاذ هذا الحكم، وتأثرا بما يمكن أن يكون قد وقع من أمور من مخاطبه تلقى الشاعر نقيض ما انتظره منه في كل مرة إجابا أو سلبا، لذا يطلب منه مقابل إسقاط هذا الحكم عنه تنفيذ مجموعة من الأوامر أو الانتهاء عن إتيان نقيضها كالسير في الطريق الصحيح، عدم الاستمرار في طريق الغواية، تقدير المودة، عدم التشفي...

إن الانتهاء عن مواصلة إتيان هذه الأفعال هو وجه آخر معادل لما طلبه الشاعر بداية من تحقيق هذه الأفعال (الازدواج الخطابي)، ويبدو واضحا الرابط المباشر بين أسلوبى الأمر والنهي وكأنهما وجهان لعملة دلالية واحدة في تعبير الشاعر فهو لا يملك القدرة على إجبار مخاطبه بتحقيق ما أمره به أو الكف عما يقابل هذه الأوامر، بل الأمر يتحمل دلالة احتمالية متروك أمر إنجازها للمخاطب، فالوظيفة التأثيرية الطلبية للمخاطب لا تقتصر على التشكيل المختص بالخطاب الأمرى الإيجابى أو السلبى فحسب، وإنما قد تنزل تشكيلات خبرية منزلة الأمر والنهي بالارتكان إلى بنيتها العميقة المنزاحة عن الدلالة الإخبارية والوظيفة التعبيرية إلى الدلالة الطلبية كما رأينا مع الأبيات السابقة.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 49.

2.2.3.2. الخطاب الندائي:

يعكس الخطاب الندائي نمطا خطابيا استدعائيا يستدعي المظاهر الانفعالية الداخلية التي تشكل حاجة ذاتية ملحة إلى التنفيس والتعبير الذاتي طلبا للتأثير في الطرف المستدعي (المخاطب)، استعانة ببعض الوحدات التركيبية ذات الإمكانيات الصوتية ذات القابلية للامتداد والاستمرار النطقي انسجاما مع نوعية الأصوات الداخلة في هيكلها البنائي وطاقاتها السمعية المتناغمة مع طبيعة الانفعالات وتفاوت نسب قوتها وحدها، ولذلك تمتد جذور هذا النمط الخطابي إلى اللغة الانفعالية المستحضرة لأدوات النداء بأنواعها، والصيحات، والأصوات التلقائية الناتجة من الانفعالات الحادة أو العنيفة¹. "وتنجم عن هذه الحالة الانفعالية تأدية الخطاب الندائي الوظيفة الانفعالية أو الوجدانية المحولة إلى الوظيفة التأثيرية والانتباهية عند المخاطب الذي يكمل التواصل اللساني مع المخاطب في العملية الندائية، وتوفر هذه الوظيفة الانفعالية من القيمة الإبلاغية والحدة التعبيرية في التراكيب الندائية ما لا طاقة لغيرها به"².

ومن جهة أخرى يمكن القول أن الخطاب الندائي يشبه الخطاب الأمري في احتواء الخاصية الإفهامية المشتركة بينهما، يقول سيبيويه (ت180هـ) توضيحا لذلك: "... إن أول الكلام أبداً النداء، إلا أن تدعه استغناء بإقبال المخاطب عليك، فهو أول كلام لك، به تعطف المكلم عليك، فلما كثر وكان الأول في كل موضع حذفوا منه تخفيفا، لأنهم مما يغيرون الأكثر في كلامهم، حتى جعلوه بمنزلة الأصوات وما أشبه الأصوات من غير الأسماء المتمكنة"³، ويقر في موضع آخر بأهمية الجانب التنفيسي والتعبير الداخلي في الإجراء الندائي باعتباره بأنه: "موضع تصويت وتبيين"⁴، لأن تركيبية النداء وسيلة أولية ممهدة للدخول إلى جوانب الخطاب، فتلقى على مسامع المخاطب المنادى، لأنه مختص دون غيره لأمرك ونهيك أو

¹ ينظر: هنري فليش، العربية الفصحى (دراسة في البناء اللغوي)، تر: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، المنيرة، ط2، 1997، ص280.

² دلخوش جار الله حسين دزه بي، البحث الدلالي في كتاب سيبيويه، ص276، 277.

³ سيبيويه، الكتاب، ج2، ص208.

⁴ المرجع نفسه، ج4، ص165.

خبرك، بدليل إفادة (يا) دلالة للتببيه، يقول: "ألا تراها في النداء وفي الأمر كأنك تنبه المأمور"¹.

عندما قدمنا في موضع سابق من هذا البحث النماذج المتنوعة للبنى التركيبية المتعلقة بكيفية تشكيل البنية السطحية للخطاب الندائي والأصناف الإعرابي التي يتخذها المنادى حسب نوعية العناصر المشكلة لدلالة الخطاب الندائي، رأينا أنها تمثل محاور أسلوبية ميزت شعر عبد الله حمادي في ديوانه "البرزخ والسكين"، وإجراء مقارنة دلالية على تلك البنى التركيبية للخطاب الندائي الطلبي يمكننا من تأويل بنيته الدلالية بهيئة إخبارية تماثل (أدعو، أو أريد، أو أنادي) دون أن يخل ذلك بالمؤشر الطلبي الذي يشمل هذا النوع الخطابي لاشتمال هذه الهيئة الإخبارية على دلالة الاستدعاء وطلب الإقبال التي يتمحور فيها أصل النداء وهدفه، ومن أمثلة ما ورد في الديوان من ذلك قول عبد الله حمادي²:

أَنْتَ يَا حُبُّ يَا شَدِيدَ الْعِنَادِ كَيْفَ أَرْمَعْتَ أَنْ تَحُوضَ التَّمَادِي؟
 أَنْتَ أَفْرَعْتَ شُخْنَةً مِنْ عُقُوقٍ فِي وَعَاءٍ مُهَيَّكِلٍ مِنْ رَمَادٍ
 (...) بَتَّ تَعْرَى وَفِي النَّوْجُسِ أَمْرًا مُسْتَحِيلًا عَلَى طَرِيقِ السَّادِ
 سَوْفَ أَبْقَى وَسَوْفَ أَعْمِدُ غَيْظِي فِي حَنَائِكَ يَا ابْنَ وَحْشِ الْجَمَادِ

لقد شحن الشاعر خطابه الندائي هذا، ولاسيما (يا) بدلالات مستحدثة لا تنحصر في الوظيفة الندائية المباشرة، وذلك بالتركيز على وضعية الباث وحالته النفسية السيئة نتيجة لما اتصل به مخاطبه من أوصاف متقلبة، فهو محبوب لكنه شديد العناد، ويستسهل الهجران والعقوق دون مراعاة أو اهتمام لحال الطرف الآخر أو أدنى إحساس أو شعور، أما موقف المخاطب فهو الفاعل الآخر في تلك الدلالات المستحدثة، والمؤثر في تكييف النمط الندائي واكتسابه أبعادًا دلالية تتضوي ضمن بوتقة دلالية موحدة تعكس امتلاكها حزمة دلالية مؤلفة من الطلب الممزوج بالتببيه والحث والتأثير والشكوى والصبر.

¹ سيبويه، الكتاب، ج2، ص224.

² حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص47.

3.2.3.2. الخطاب الدال على العرض والتحضيض:

يتميز عبد الله حمادي بأسلوبه الخاص فيما تعلق بالطبيعة الأدائية لمثل هذه الأنواع الخطابية، حيث يوظف بعض التقنيات التركيبية على هيئات فعلية ماضية أو مضارعة كطريقة بناء لغوي مميزة لاتخاذ وضعية إستراتيجية تتسم بتشكيلة صبغية مميزة الهدف منها إثارة وظيفة تأثيرية إقناعية لدى المخاطب أو المتلقي، متجاوزًا في ذلك ما تعارف عليه في مظهر البنية الخارجية لتشكيل هذه الأنواع الخطابية من توظيف لبعض الآليات التركيبية، كاستعمال مثلاً: (ألا، هلا، لولا، لوما) في العرض والتحضيض، مع تفاوت في ارتباط الدلالات المثبوتة في تلك التراكمات الخاصة به مع دلالات الموضوعة أصلاً، كدلالة الرفق واللفظ والليونة، أو الحث والعزم التي كثيراً ما تلازم خطاباته الدالة على العرض والتحضيض، ومن أمثلة ما ورد في ديوانه "البرزخ والسكين" ما جاء في قصيدة "أطفالنا... فإلى الحجارة"¹.

يبدو الرفق واللين في خطاب الشاعر بداية من العنوان نفسه الدال على العرض، فمخاطبة الأطفال ونسبتهم لأهلهم ضمن كلمة واحدة (أطفالنا) يوضح ذلك، أما التركيب الدال على العرض فقد تلون بأسلوب الشاعر المميز المرتبط بأمر بالغ الأهمية، ما جعل الشاعر يتجاوز مخاطبتهم مثلاً ب: ألا تفعلون كذا.. بخطابه: "أطفالنا... إلى الحجارة".

توالت الأبيات الشعرية التي أَلَفَ فيها الشاعر تراكمات لغوية ابتدأت كلها بأفعال ماضية أو مضارعة تعمد ارتباطها واستحضار المخاطب وجعله طرفاً في بعض صيغ هذه الأفعال (قتلوك، قذفوك، ترصدوك، توافدوا، قطعوا، أشربوا، سحبوا...) حتى تقوى درجة إقناعه وتفاعله مع من يخاطبه بأسلوب مميزة وضح فيه الصور المأساوية المتعددة لبشاعة الاحتلال وجرائمه المختلفة، وهو أمر كاف لإثارة المخاطب (الأطفال) وإقناعهم بما يدعون إليه من تمثيل لخطاب الشاعر الذي يحضهم فيه على رد كيد هذا المحتل الغاصب ولو بأقل الأسلحة (الحجارة)، ومن

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص30.

أمثلة ذلك قوله¹: (أطفالنا... فإلى الحجارة) و(أطفالنا لتنهضوا) و(أطفالنا تقدموا) و(أطفالنا لتضربوا) و(أطفالنا لتتسفوا زيد القذارة).

إن أسلوب الشاعر المميّزة (الإضافة) المؤكّد على دلالة الرفق واللين في خطابه الدال على العرض الذي استفتح به جميع أبياته السابقة، هو أفضل وسيلة لتهيئة مخاطبه لتقبل خطابه الدال على التحضيض الذي جاء لاحقاً للأول، ويجعل المخاطب يتفاعل مع المخاطب ويستجيب له خاصة وأن موضوع الخطاب أمر بالغ الأهمية ومشارك بين الاثنتين (المخاطب والمخاطب).

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 30 وما بعدها.

3. الدلالة النحوية للخطاب الشعري المعاصر:

1.3. الخطاب ودلالاته:

يرتكز النص الشعري المعاصر على جمالية دلالية متفردة يمثلها التجاوز الدلالي بطريقته النوعية في استخدام اللغة وطريقة نوعية في الاستكشاف والمعرفة¹، تغيب فيها القاعدة القديمة التي أولت المعنى المعجمي اهتماما خاصا بوصفه المنطلق في تشكيل دلالات مجازية -تشبيه واستعارة- محكومة بعلاقات منطقية²، إلى بناء نسيج لغوي غير مألوف يتجاوز الماضي والحاضر اللغويين بتحطيم العلاقة المعهودة بين المبدع والمتلقي، خاصة وأن النص/الخطاب الشعري المعاصر أبعد غرابة، إذ يقيم من علاقته باللسان نوعا من القطيعة، يُعوّضها امتلاكه لبنية خاصة بإنتاج الدلالة، ما يؤثر في عملية التلقي عند المخاطب.

ولما كان الكلام كما يقول دي سوسير: "يأتي أولا من الناحية التاريخية... فاللغة لا تستقر في الدماغ إلا بعدد لا يحصى من الخبرات الكلامية"³، ولما كان "كل كلام يصير لسانا بمجرد أن يدرك، فإن هذا وذاك يعنيان أن كل نص/خطاب يمتلك دلالاته يتمتع بنسبة أو بأخرى بقدرة على خلق لسانيات لغته، لذا تتباين النصوص/الخطابات حسب وسائلها وغاياتها في هذه القدرة، ففي حين تسير عملية إنتاج الدلالة في بعض النصوص طبقا لتقنيات اللغة، نجد البعض الآخر لا يبني أساسا إلا على جدارة الكلام التنفيذي الفردي بخلق اللغة -القانون العام- غير أنه من الواجب الالتفات إلى أن هذه الجدارة في ظل اكتمال النظام اللغوي داخل لسانيات اللغة نفسها دون الاستقلال عنها"⁴، إن الخاصية الإنتاجية للنص/الخطاب طبيعة هذه العلاقة باللسان الذي يتموضع داخله باعتبارها علاقة إعادة توزيع (هادمة-بناءة)⁵، وهنا يفترق

¹ ينظر: علي محمد يونس، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى (نحو بناء نظرية المسالك والغايات)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016، ص23.

² ينظر: عبو عبد القادر، أسئلة النقد في محاوره النص الشعري المعاصر (دراسة)، ص94.

³ فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، ص38.

⁴ الجزائر محمد فكري، لسانيات الاختلاف (الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة)، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص209.

⁵ ينظر: جوليا كرستيفا، علم النص، ص21.

علم النص/الخطاب عن علم اللغة ليتحدد الأول في دراسة «المفوضات اللغوية والأشكال والبنى المختصة بها والتي لا يمكن وصفها بواسطة القواعد اللغوية»¹، ومن ثم فإن النص/الخطاب تضبطه المقولات المنطقية أكثر من المقولات اللسانية الخالصة، بما تمتلكه من شروط كافية لخطوات بناء الدلالة الكلية، كما تعرفها كرستيفا بقولها أنه: "ليس مجموعة من المفوضات النحوية أو اللانحوية... إنه كل من ينصاع للقراءة عبر خاصية الجمع بين مختلف الطبقات الدلالية الحاضرة هنا داخل اللسان، والعاملة على تحريك ذاكرتها التاريخية، وهذا يعني أنه ممارسة مركبة يلزم الإمساك بحروفها عبر نظرية للفعل الدال"².

وتمتلك الرؤية الشعرية المعاصرة مجموعة من المفاهيم التي تؤطر عملية الإبداع، وأول هذه المفاهيم خاصة باللغة، فهي تركز على أساس القطيعة مع اللسانيات السويسرية خاصة في علاقة اللغة (Langue) بالكلام (Parole)، ففي التراكيب الشعرية المعاصرة ليس "الكلام" إنتاج نظام اللغة المجرد، ولا عرضاً لجوهر متعال عنه، إنه (الكلام) إبداع بذاته وليس نتاجاً لغيره، وعليه فإنه متضمن للسانيات خاصة به، وهي لسانيات غير قابلة للتجريد، بل تظل ملتبسة بمتكلمها الذي أبدعها، لذا كان اكتشافها هو في ذات الوقت كشفاً لدلالية كلامها أي نصيته (Textule)، باعتبارها إعادة البناء الدلالي والمنطقي لجماع تفكيك بين الجمل الجمالية، وتتجلى في عملية الإعادة تلك مجموعة من المفاهيم³:

- المفهوم الأول: ويتعلق بالنص، إن عملية الإعادة (السابقة) ترتبط بظهور عدّة دوال ك: دال الصمت، الرمز، العلاقات الرقمية، التشكيل الطباعي، انكسار النموذج اللغوي، شهوانية اللفظ المفرد، كل هذا في وحدة بنائية منسجمة بحيث يصبح النص وكأنه جملة نحو دلالية.

¹ تون أ. فان دايك، علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، تر: سعيد حسن بجيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص64.

² جوليا كرستيفا، علم النص، ص14.

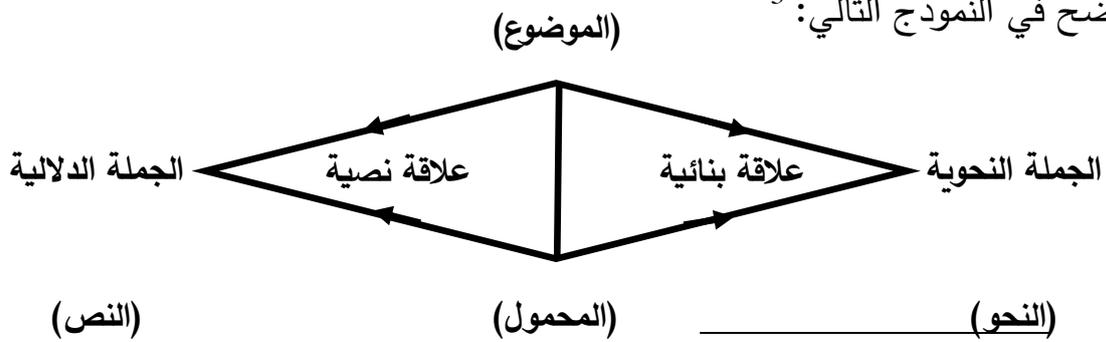
³ ينظر: الجزار محمد فكري، لسانيات الاختلاف (الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة)، ص214-217.

- **المفهوم الثاني:** ويتعلق بالأول، وهو خاص بتفرقة رولان بارت بين "الأثر" (العمل) وبين النص التي مفادها أنه إذا كان استعمال اللغة يعني غياب الأشياء، فإنه في الخطاب الشعري المعاصر خلق أشياء... أشياء شعرية بفضل وجودها الحيوي ضمن العمل، ومن ثم تتكسر الوظيفة الإشارية من العلامة إلى المرجع، وتتحول إلى علاقة: علامة-علامة، "لأن اللغة لا تستطيع أن تعبر عن باطن الوعي الغائر في النفس الإنسانية وهي خارجة عن نطاق الرمز والصورة، ولأنه لا يمكن أن ندرك النص الشعري بمعزل عن فهم الخلفية النفسية التي تمثل خيرته ومادته التي بفعلها خرج إلى الوجود الفعلي الإبداعي"¹.

- **المفهوم الثالث:** في العمل الشعري المعاصر خصوصا يعمد النص في تحويله الجمالي إلى دلالي إلى رد تقنيات طرائق اشتغاله إلى وحدات نوعية تتجاوز التقنيات نفسها إلى فاعليتها والعلاقات إلى وظيفتها مرتكزا إلى فرضية محورية وهي أن "الدلالة النصية" توازي في طبيعة انبنائها "الجملة في تركيبها النحوي، وكل نص "هو عبارة عن عدد من الوحدات الدلالية"، وتقوم فكرتها على وجوب التمييز بين وظيفتين اختباريتين لها أهمية دلالية، وهاتان الوظيفتان تتمثلان في تلك التي يخبر عنها الموضوع "المسند إليه" (Thema)، والتي تخبر عن الموضوع وهي المحمول "المسند أو الخبر" (Rhema)².

إننا هنا أمام مقولات نحوية - منطقية راسخة في تاريخ الفكر الإنساني، تقدم إمكاناتها خارج حلقتها الأساسي، وهي إذ توظف في التحليل النصي لا تتجرد كليا من تاريخيتها، وإنما تحتفظ منها بما يلائم حقل اشتغالها الجديد مكتسبة دلالات جديدة خاصة بهذا الحقل، كما هو

موضح في النموذج التالي:³



¹ عبو عبد القادر، أسئلة النقد في محاوره النص الشعري المعاصر (دراسة)، ص 114.

² ينظر: الجزار محمد فكري، لسانيات الاختلاف (الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحدائث)، ص 217.

³ المرجع نفسه، ص 217.

الشكل رقم (25): المقولات النحوية والدلالية في التحليل النصي المعاصر.

وفي ما يلي شرح مبسط لعناصر المقولات النحوية-المنطقية:

أولاً: الموضوع (Topic): إن الدلالة النصية هي بنية كبرى تسهم في بنائها العديد من "الجمل الدلالية"، وهذه الجمل تتضمن علاقة النص وحدة المسؤول عنها، ولذلك نصفها بالعلاقة النصية في مواجهة العلاقة الإسنادية في الجمل النحوية، ويمثل المرتكز الدلالي من تلك الجمل "المسند إليه" الذي تسند إليه التنوعات الدلالية للجمل، ويختلف العمل الشعري المعاصر في ذلك فقد يتضمن موضوعاً واحداً، أو أكثر من موضوع وهذا هو الأغلب فيه¹.

ثانياً: المحمول: إذا كان "الموضوع" هو المرتكز الدلالي الذي تدور حوله الدلالة النصية للجملة الوظيفية، فإن "المحمول" ذو وظيفة شديدة الأهمية لبناء النص، فبهت توضح العلاقات وتنمو الدلالة ويظهر السياق، وكما يمكن أن تتعدد "المواضع"، فإن الأصل في "المحمولات" أن تكون متعددة متنوعة، إلا في أعمال شعرية قليلة تطابقت فيها الجملة النحوية مع الجملة الدلالية فلا فارق بين مكوناتها.

ثالثاً: العلاقات الدلالية (Semantic Relation): تتمثل العلاقات الإسنادية في "العلاقات التركيبية" بين "مسند إليه" (موضوع) و"مسند" (محمول) وهي التي تربط بين عناصر الجملة، ولا تتشكل جملة ما بدونها²، وكذلك "العلاقات الدلالية" هي تركيب دلالي بين "موضوع" و"محمول" ولا أمل للجملة في -النحو النصي- بامتلاك دلالة دون هذه العلامة، غير أنه ثمة اختلاف جوهري بين العلاقتين النحوية والدلالية، فهذه الأخيرة تربط بين عنصرين غير محددتين سلفاً، ومن ثم فإن العلاقة الدلالية هي التي ترشح طرفيها للدخول في "جملة" بما يعني أولية "العلاقة" على كل من "الموضوع" و"المحمول"³.

¹ ينظر: الجزار محمد فكري، لسانيات الاختلاف (الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة)، ص 218.

² بحيري سعيد حسن، عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه، محاولة لإعادة التشكيل في ضوء الاتجاه المعجمي الوظيفي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 1، 1989، ص 42.

³ الجزار محمد فكري، لسانيات الاختلاف (الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة)، ص 218.

رابعاً: **الجملة الدلالية والوحدة النصية**: تشكل الجملة الدلالية بطرفيها والعلاقة بينهما اللبنة الأساسية في البناء النصي وهذه اللبنة تتدرج عبر علاقات بنائية بينها وبين سواها من الجمل في مستوى أعلى هو مستوى "الوحدة النصية"¹، والمتأمل في شعر عبد الله حمادي في ديوان "البرزخ والسكين" يجد دلالة الخطاب الشعري تعتمد في مواضع كثيرة على التشويش المؤثر على وضوح هذه العلاقات من خلال نظام اللغة ذاته، حيث تتفاضل أجزاء الخطاب حسب ما يراد أن يدل عليه دون أن تعدم (العلاقة) قواعد وقوانين الربط والإحالة، فتماسك الخطاب وانسجامه يظل مجرد مستوى تركيبى لا يتطابق بحال من الأحوال مع أداء الدلالة النصية، ومن ثم كانت الجمل الدلالية متناثرة بطول الخطاب تحمل دلالاته حملاً متفرقاً، لا بد له من أطوار أخرى لتظهر الدلالة الكلية، أما باقي الجمل فتظل في المستوى التركيبى لها وظائفها التي لا ترتقي لتكون وظائف دلالية، ومن أمثلة ذلك في الديوان قوله²:

إِنَّمَا الْعُمُرُ بَيْنَ صَخْوٍ مُضَاءٍ وَظَلَامٍ غِشَاؤُهُ مِنْ دُعَاةٍ
هُوَ عُرْيٌ، وَلَيْلٌ حُلْمٍ عَنِيدٍ أَثْقَلْتُهُ عَزًّا هُمُو "أُخْتٍ" "لَاتٍ"

يتبين لنا من استقراء البيتين السابقين وجود "فاعل" أساسى واحد هو "العمر" (الموضوع)، بينما تتعدد الوظائف/المحمولات التي تأتي حاملة للدلالات الجزئية لهذا الفاعل، والتي يبقى على كاهل المتلقي (المخاطب) الذي يمتلك مهارات قراءة الخطاب أن يكتشف مجال التأويلات الدلالية الممكنة، ويدعم الدلالة المقصودة.

خامساً: البنية النصية/البنية الدلالية الكبرى: إن كلا من موضوع الخطاب والبنية الدلالية الكبرى هما تمثيل دلالي لقضية ما أو لمجموعة من القضايا أو لخطاب بأكمله³، وهذا التمثيل الدلالي يخضع لمهارات المتلقي (المخاطب) في التأويل وامتلاكه لمجموعة من العمليات والمبادئ التي «تضمن له محاورة النص للوقوف على موضوعه أو بنيته الكلية وفق المعطيات

¹ الجزار محمد فكري، لسانيات الاختلاف (الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة)، ص 219.

² حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 55.

³ خطابي محمد، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006، ص 44.

الإشارية المتعددة لموضوع الخطاب، التي ستكون مستندة إلى عناصر داخل الخطاب نفسه، لكنها بحاجة إلى كشف العلاقات بينها، وتوحيد مقاصدها، والاستئناس بجزئياتها وصولاً إلى الكل الموحد الذي يبينه المتلقي بنفسه مع التكاثر مع نصه، وعالمه الخارجي الذي قد يصنع حواراً يفي بغرض الوقوف على مقاصد الخطاب»¹. إن موضوع الخطاب وبنية الدلالة الكبرى ليست شيئاً معطى، وإنما هي مفهوم مجرد حدسي به تتجلى كلية الخطاب ووحدته²، أي أن البنية الدلالة الكبرى للخطاب هي تمثيل تجريدي للدلالة الشاملة للخطاب.

2.3. أثر المجاز في دلالة الخطاب:

رأينا في المبحث السابق أنه لم يعد ينظر إلى اللغة على أنها مجرد كلمات مفصلة تحتوي في شموليتها على عبارات وتراكيب نحوية ذات دلالة، بل أصبح من صميم البحث في اللغة «مساءلتها من حيث هي إشارة، أو علامة ومعنى، وبالمقابل لم يعد الشعر المعاصر أيضاً مجرد تعبير جميل عن الذات أو الواقع وإنما أصبح موقفاً إزاءه من مواقف الكشف والرؤيا، وإعادة خلق مثالي لهذه الرؤيا لا بوصفها فكراً متعينا أو انفعالا آنيا، وإنما هي حالة من حالات الكشف والتجلي ومن ثمة فهي وثيقة الارتباط بالإشراق الصوفي، والحدس المعرفي، وكذلك الرؤيا بمفهومها العلمي»³.

لقد تجاوز الخطاب الشعري المعاصر المعايير النمطية الثابتة، واهتم بتوجيه المخاطب إلى التركيز على "آلياته اللغوية أو طرائق انشغاله ومنظوماته البلاغية التي تكون شعريته وتؤسس خصوصيته وتبعده عن الابتذال وإعادة نظم الخطابات"⁴، وهذا ما يؤكد عبد الله

¹ الخوالدة فتحي رزق، تحليل الخطاب الشعري (بنائية الاتساق والانسجام في ديوان "أحد عشر كوكبا")، ص 121.

² ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص 256. وينظر أيضاً: خطابي محمد، لسانيات النص، ص 46. وينظر أيضاً: يقطين سعيد، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، ص 32.

³ فيدوح عبد القادر، ملامح الحداثة والتجريب في الشعر الجزائري، مجلة الكاتب الجزائري، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ع 01، 1996، ص 86، 87.

⁴ خمري حسين، شعريّة الإنزياح في قصيدة "يا امرأة من ورق التوت"، سلطة النص في ديوان "البربخ والسكين" للدكتور عبد الله حمادي، دراسة نقدية، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط 1، 2002، ص 276.

حمادي في موقفه من الشعر بقوله: "لا يسرد ولا يصف ولا يعلم ولا يتضمن حقائق ثابتة، إنه ينطق بلسان حال العالم دون أن يذكر حالاً من أحواله المجردة، أو وجهاً من وجوهه"¹، فالخطاب الشعري المعاصر إذن قضية لغوية وليس قضية فكرية أو معرفية، إنه إبداع داخل إطار النظام اللغوي وبواسطته يعيد بناءه ويشكله تشكيلاً جديداً.

اتجه الخطاب الشعري المعاصر -بعد فشل سابقه في استيعاب الرؤى السابقة- إلى كسر تلك النماذج التقليدية، والتركيز على توظيف الجانب المجازي للغة وما يحمله من أبعاد دلالية، فقد عكف الجيل الجديد من الشعراء على ابتكار علاقات جديدة بين المعاني والألفاظ، والدوال والمدلولات، وذلك بتفجير العمق الدلالي للصورة الفنية في الشعر التي لم تعد انعكاساً آلياً للحس، وإنما تبوّأت مكانة كبيرة من الأهمية بوصفها سمة دالة على الكون الشعري وأسراره التي تهدي الشاعر إلى إظهار اللغة في مكانتها المجازية،

مثل دافع الخلق والتغيير وابتكار دلالات جديدة، على غير مثال سابق، السمة البارزة في كثير من قصائد ديوان "البرزخ والسكين" ل: عبد الله حمادي تجاوز فيها نقل المعاني عبر اللغة إلى الغوص في عمق السؤال الدائم والتجدد المستمر، ومن أمثلة ما ورد فيه (الديوان) عاكساً هذا التوجه الجديد، ما جاء في قصيدة "يا امرأة من ورق التوت"²، إن قراءة أولى في العنوان تخبرنا بتشكله من جملة نداء، المنادى فيها "امرأة" وهي اسم نكرة يحمل صفة التأنيث، في حين كان يمكن للشاعر مثلاً أن يجعلها معرفة، فيقول: أيتها المرأة... في محطة أولى لتساؤلات القارئ/المخاطب، إن تتكسر المنادى في تركيب النداء السابق يضيف عليه صفة الإطلاق، وبالتالي فالمنادى يتعلق إذن بامرأة غير عادية لأنها صنّعة يد الفن، تتلون بصباغته، وتصبح حرفاً من حروفه، ووحياً من وحيه، متحررة من قيد المعنى القاموسي المعروف، وتحتل دلالات أخرى كثيرة يمكن معرفتها من سياق الخطاب الشعري، فامرأة "الفن" هذه أو امرأة الكلمات، أو امرأة مزدوجة تحرض على الفن من جهة، وتكوّن الفن نفسه من جهة

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 63.

² المصدر نفسه، ص 139.

ثانية، فهي تعبير عن آليات التعبير في الشعر الحديث، حيث تكون المرأة فيه -غالبا- دافعا للإلهام، ثم تتماهى في ذات القصيدة لتصبح عالما جديداً وخلقا مميزا¹.

وإذا تمعنا في وصف المنادى السابق (المرأة) الذي اختاره الشاعر (من ورق التوت) يتأكد من أن تكون هذه المرأة امرأة قاموسية، ما المخاطب معاني البحث والاكتشاف، ومن ذلك أنها توحى بمعنيين متناقضين: معنى الخطيئة ومعنى التطهر، فهي من جهة تحيلنا إلى معنى الخطيئة مثلا في: قصة (آدم وحواء) ووقوعها في خطأ عصيان أمر الله والأكل من الشجرة المحرمة عليهما، ومن جهة أخرى تدلنا على معنى التطهر ممثلا في عبارة (ورق التوت) الدالة على مواراة سوءاتهما، حيث جعلنا يخصفان عليهما من ورق الجنة في دلالة واضحة على الرغبة في التطهر والتوبة والرجوع إلى الله بعد الوقوع في الخطأ.

وبالرجوع إلى التركيب الأصلي للمنادى (امرأة من ورق التوت) نجد فيه دلالة أولى لى تغطية المرأة نفسها بالكامل، والمقصود من ذلك (دلالة البعد العميقة) البعد عن الوقوع في الخطيئة وتجنب المنكرات من الأقوال والأفعال، ولكن كل ذلك لا ينفي إمكانية الوقوع في الخطيئة فعلا، فقد قال الرسول -صلى الله عليه وسلم- "كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون"². ومن ثم فالصفة التي اختارها الشاعر تحمل في طياتها حدين متضادين، وفي صورة معبرة عن إمكانية اشتباك كل تضاد في الحياة، إذ لا توجد الخطيئة، مثلا، مستقلة عن التطهر، ما يؤكد وقوع هذا المعنى البعيد الذي أشار له الشاعر عبد الله حمادي في جوانب كثيرة من الحياة.

إن قراءة متفحصة في مفردات وتراكيب الخطاب الشعري: (يا امرأة من ورق التوت) ل: عبد الله حمادي يجد فيه صوراً متعددة "تعكس صراعا حاداً بين متناقضات الحياة: بين الخطيئة والتطهير، بين العفة والعهر، بين السكر والصحو، بين اللذة والألم، بين الروح والجسد، بين

¹ علول إلهام، قراءة تفكيكية لقصيدة "يا امرأة من ورق التوت"، سلطة النص في ديوان "البرزخ والسكين" للدكتور عبد الله حمادي، دراسة نقدية، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2002، ص235.

² محمد بن عيسى الترمذي (ت279هـ)، سنن الترمذي، تح وتبع: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975، حديث رقم: 2499.

الذكورة والأنوثة... هذه المتناقضات تتوحد في أعماق الشاعر لتصبح في اختلافها كتلة واحدة، يتمثل من خلالها جوهر الأشياء وحقيقة الحقيقة، إذ خلق الانتصار يقبع الإنهزام... لا عفة إلا بإستهجان العهر، ولا صحو إلا بعد الاستفاقة من السكر، لا لذة إلا بعد الاحساس بوطأة الألم... هذه المتناقضات - في رأي الشاعر - ليست بهذه البساطة الظاهرية في إمكانية الفصل بينها وبين حدود لها، إذ قد يصبح التطهر نفسه خطيئة لأنه يعني الندم على لذة لا يمكن الانصراف عنها، وقد يتحول العهر إلى صلاة لفتنة الجسد وعبقه المحظور¹.

والملاحظ على أسلوب الخطاب الشعري في قصيدة (يا امرأة من ورق التوت) تركيزه على اللغة كهدف أولي لتتولد عن طريقها الدلالات وتتجر المعاني لتصوغ في النهاية التجربة اللغوية في أسمى تجلياتها، "إن اللغة في هذه القصيدة تتحرر من اللفظية والاستعمالية محاولة الرجوع إلى أصلها وإلى بدايتها.. اللعب بالكلمات وتشكيلها تشكيلا جديداً وتخليصها من الدلالات الجاهزة بحثاً عن الجوهر المتخفي وراء الدلالات والمتفصل بين الكلمات التي لا تريد الإفصاح صراحة عن هويتها"²، إنها تطمح إلى إنتاج دلالات متباينة حسب مقدرة كل قارئ على استثمار المواد اللغوية والشعرية واستنطاقها من خلال إتاحة إمكانيات قرائية متعددة دون الاطمئنان إلى واحدة مخصوصة والارتياح إلى نتائجها.

ينبني الخطاب الشعري من جهة أخرى في قصيدة "يا امرأة من ورق التوت" لعبد الله حمادي على جملة الانزياحات ذات المستويات المختلفة التي تمنحه خصوصية وفرادة من ذلك الاعتماد على آلية الحذف كما في قوله: (علقت عتابي على باب مدينتكم/احترف العشق)، والملاحظ غياب آلية للربط بين التركيبين يستدعي من القارئ/المخاطب إتمام هذه المهمة (إيجاد آلية للربط) لإيجاد مسوغ دلالي ممكن بين (علقت/احترف) وبين زمنيتهما، فالأول ماض

¹ علول إلهام، قراءة تفكيكية لقصيدة "يا امرأة من ورق التوت"، سلطة النص في ديوان "البرخ والسكين" للدكتور عبد الله حمادي، دراسة نقدية، ص230.

² خمري حسين، شعرية الإنزياح في قصيدة "يا امرأة من ورق التوت"، سلطة النص في ديوان "البرخ والسكين" للدكتور عبد الله حمادي، دراسة نقدية، ص288.

والثاني مضارع، الأمر الذي يدعونا للتساؤل عن وظيفة هذا الانزياح، والذي من الممكن أن يكون التعبير عن حالات التابع في ذهن الشاعر واكتظاظها ومحاولتها الخروج مرة واحدة.

3.3. دلالات الانزياحات الخطابية:

يكاد الاجماع ينعقد على أن الانزياح "خروج عن المؤلف أو ما يقتضيه الظاهر، أو هو خروج عن المعيار لغرض قصد إليه المتكلم أو جاء عفواً الخاطر، لكنه يخدم النص بصورة أو بأخرى وبدرجات متفاوتة"¹. وربما اتخذ ذلك الخروج أشكالاً مختلفة، فقد يكون خرقاً للقواعد حيناً أو استخداماً لما ندر من الصيغ كما يرى ريفاتير، فأما في حالته الأولى فهو من مشمولات علم البلاغة، فيقتضي إذن تقييماً بالاعتماد على أحكام معيارية، وأما صورته الثانية فالبحث فيه من مقتضيات اللسانيات العامة والأسلوبية خاصة، وقد يكون مخالفة بين النص والمعيار النحوي العام للغة، وقد يكون انتقالاً مفاجئاً للمعنى.

عرف علماء العربية الانزياح في ظل المعنى المفهومي للعدول والتوسع والاتساع، ففي النحو نجد العدول متمثلاً في التقديم والتأخير والحذف، ونجده في الصرف بخطاب المذكر بما يخاطب به المؤنث والعكس، أو مخاطبة المفرد بما يخاطب به الجمع، وعقد ابن جني (ت392هـ) فصلاً في الخصائص سماه: باب شجاعة العربية، تحدث فيه عن العدول في الحذف، والتقديم والتأخير، وما إلى ذلك، يقول: "إنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لثلاثة معان، وهي: الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة"².

فالانزياح، إذن، جاء لإخراج اللغة من دائرة المعاني المعجمية الضيقة والمعيارية المحددة، إلى دائرة النشاط الإنساني الحي، وتكمن أهميته في الشعر في أن المجاز اللغوي هو في حقيقته انزياح عن المعنى الحقيقي يؤدي وظائف الشعري بدرجة أقوى وأوضح من الاستعمال الحقيقي للألفاظ، تجعلنا نرى الأشياء والعلاقات بطريقة مغايرة ومن زوايا متباينة.

¹ عيد رجاء، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، 1993، ص146. وينظر: أبو العدوس

يوسف، الأسلوبية (الرؤية والتطبيق)، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص180.

² ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2، ص422، 360.

أدرك الشاعر العربي المعاصر «وظيفة بلاغة الانزياح في جمالية الخطاب الشعري فاتجه نحو تعميق البعد الدلالي إلى درجة توسيع الهوية بينه وبين المتلقي مما جعل عملية التواصل تنتفي وتتعد وتحل محلها عملية التفاعل والتأثير عن طريق التأمل والتأويل ودخول عالم الاحتمال مما أضفى على النص الشعري البعد التأويلي. لقد خلق الشاعر المعاصر لغته المشتقة من مناخات وأجواء متعددة ولكنها وإن كانت بسيطة ومعروفة لدى القارئ، غير أنها مشبعة ومركزة إلى درجة الامتلاء بالمعاني الإيحائية الدلالية»¹.

والشاعر عبد الله حمادي أحد أبرز الشعراء المعاصرين الذين تخطوا المفاهيم التقليدية (السابقة) للكلام الشعري، واقفاً إلى جانب الشكل وطريقة التعبير وأشكاله وأنماطه، منحازاً بشكل خاص إلى "اللغة" في خطاباته الشعرية والتي توفر للكتابة وللتعبير كل إمكانيات التجاوز والتخطي المستمر لقوالب المؤتلف والطموح إلى فضاءات المختلف، يقول عبد الله حمادي في هذا الشأن: "فلسفة الشعر لغة من نوع خاص بيدعها الشاعر من أجل التعبير عن أشياء لا يمكن قولها بشكل آخر"²، مكرساً مبدأ الجودة والتألق في التعبير الشعري ووظيفته الإيحائية عن مشكلات وقضايا الإنسان المعاصر الذي يحاول تطوير صيغ الخطاب بشكل عام، وصيغ الخطاب الشعري بشكل خاص ليتلاءم مع المستجدات اللحظية، لذا جاءت اللغة في ديوان "البرزخ والسكين" لغة مبتكرة، وإذا اعتبرنا أن لكل شاعر لغته، فهذه هي لغة الشاعر عبد الله حمادي الذي أعاد فيها للأشياء والكلمات فطرتها الأولى في احتفاء باللغة العربية وجمالها بعيداً عن القوالب الجامدة ومقاييس الابتذال.

ومما يؤكد أهمية الانزياح أنه لا ينعصر في جزء أو أكثر من النص، وإنما يشمل أجزاء كثيرة متنوعة ومتعددة، فإذا كان النص لا يعدو أن يكون في النهاية إلا كلمات وجمل، فإن الممارسات الانزياحية تعتري الأنساق الخطابية وأنظمتها الداخلية والخارجية، ويتضح ذلك من خلال معالجة أمثلة عن الانزياحات الخطابية في ديوان "البرزخ والسكين"، ومن أمثلة ذلك:

¹ عبو عبد القادر، أسئلة النقد في محاوره النص الشعري المعاصر (دراسة)، ص 127.

² عبد الله حمادي، البرزخ والسكين (شعر)، مقدمة الديوان، ص 05، 06.

1.3.3. الانزياح الموضوعي:

ويشمل ظاهرة التقديم والتأخير، وهي موضوع بلاغي احتضنه علم المعاني، وقانون أساسي من قوانين النظرية التوليدية التحويلية، فضلا عن أن هذا الصنف الانزياحي يشكل سمة من سمات المنهج الوصفي في كتاب سيوييه، عول عليه في تحديد المستوى الدلالي للتركيب النحوي، في معرض حديثه عن الانزياح الموضوعي بين عنصري الفاعل والمفعول أو بين عنصري المفعول والفاعل أو بين عنصرين مفعولين، أو بين عنصري المبتدأ والخبر، وغيره من الفصائل التركيبية المتميزة بالإطلاق الموضوعي.

وتلتقي رؤية سيوييه (ت180هـ) مع توجه المحدثين¹ في أن للموضعية (Local) أثر كبير في تحقيق أمرين: أولهما: توليد تركيب جديد مغاير للتركيب السابق نسقا، وثانيهما: تحقيق مستور دلالي جديد، ذلك أن الألسنية الغربية أقرت أن تحريك المكونات النحوية عن مواضعها الأصلية، وتحويل نسقها إلى نسق آخر يحتم تغييرا في شبكة العلاقات السياقية والموقعية بين الوحدات النحوية في التركيب، وهذا دليل على أن رتب العناصر الخطابية "شديدة الحساسية، وأي تغيير فيها يحدث تغييرات جوهرية في المعاني، وألوان الحس، وظلال النفس"²، لتبقى ظاهرة الانزياح الموضوعي خاضعة للقدرة التخاطبية والمقصدية التي تعين المخاطبين على تفهم السلوك اللغوي المنزاح، واستيعاب التقنيات الأسلوبية التي يبثها المخاطب.

إن ظاهرة التقديم والتأخير هي من بين أبرز آليات الانزياح على مستوى التركيب في الخطاب الشعري في قصيدة "يا امرأة من ورق التوت" والتي منحته دلالات خاصة أحدثت أثرا متميزاً لدى المخاطب، كما في قول عبد الله حمادي مثلاً: (فالليل ليلي يسكبني/ لحنا يرتاب ويرهقني)، فاختيار التركيب الاسمي دون التركيب الفعلي له أهميته الدلالية عند الشاعر، فهو يريد التأكيد على ما يكابده ويلاقيه من هموم وأثقال ليليه، لذا بدأ بالمفردة التي يمكن أن تحمل كل تلك الدلالات الكثيرة (الليل)، داعياً القارئ/المخاطب إلى مشاركته في استحضار ما يمكن

¹ ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص207-209.

² أبو موسى محمد مجد، دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، ص175.

تصوره من دلالات قابلة للإخبار عن هذا المبتدأ المتكور على أنواع من المعاني الغريبة والمستجدة، ولو عمد الشاعر إلى ترتيب العبارة السابقة وفق (فعل+فاعل+مفعول به) لانتفت الدلالة المقصودة وتحولت الجملة إلى إخبار لا يضيف شحنة دلالية إضافية.

إن قراءة لبقية المقطع الشعري لعبد الله حمادي تؤكد لنا مرة أخرى التوظيف الأسلوبي الفني والتميز، هذه المرة عبر توظيف أحد مظاهر الانزياح الوظيفي (التقديم والتأخير) حيث يقول¹: (وَيَمُدُّ الْجِسْرُ فَيَعْبُرُنِي)، (وَأَغْضُ الطَّرْفَ فَيَسْلُبُنِي)، (فَأَنَا الْمَعشوقُ وعاشقُهُ)، (وَأَنَا المقتولُ وقَاتِلُهُ)، (وَيَكُونُ الحُبُّ بَدَايَتُهُ)، (وَيَكُونُ القَصْفُ نَهَايَتُهُ)، (فَيَعُودُ السُّكْرُ لِسُكْرَتِهِ)، (وَيَعُودُ البَدْرُ لِبَطْنِهِ)، (فَأَنَا والبَدْرُ وطلعتُهُ)، (نَسْنَأُ ونُعْلَنُ شهوتَهُ)، (نَسْنَأُ ونَرْكَبُ موجتَهُ)، (نَنْهَالُ ونَعْرِفُ نوبتَهُ).

وظف عبد الله حمادي في هذا النص الشعري لغة صوفية رمزية تعبر عن حال صوفي عال، (فالخمر والمخمور، والليل، والسكر، والبدر) جلها دوال صوفية، لها امتدادها الرمزي العرفاني، يبتدئ النص برتابة ليصل إلى درجة قصوى من التوتر في آخر النص².

وملاحظة موقع رتبة الأفعال التي لازمت تقريبا جميعا التراكيب السابقة توضح لنا بدايتها المكثفة مع نهاية التراكيب في البداية مع كون الشاعر مفعولا به فيها، لبتدأ حركة متوالية ومنتظمة لتقدم الأفعال في رتبها ضمن التراكيب المتتابعة، يرافق ذلك تحول مركز الشاعر إلى فاعل ضمني للتراكيب الجديدة في شكلها الأخير، ولا يلبث أن يتحول هذا التأخير في الرتبة للشاعر إلى مركز الصدارة تركيبيا ومعنى، مما يدل على التحول في موقف الشاعر في الأحداث إلى مركز الريادة والتفوق، في حين يضمحل ويتضاءل من كان قريبا مهيمنا عليه ولا يكاد يذكر إلا ضميرًا متصلًا بأحد صفاته في (شهوته، موجته، نوبته).

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص154، 155.

² كعوان محمد، اللغة الصوفية بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية، قراءة في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر، مجلة منتدى الأستاذ، ع02، قسنطينة، الجزائر، 2006، ص169.

فالدلالة النحوية في انسياقها خدمة للدلالة الشعرية لم تعد تهتم بالألفاظ بقدر اهتمامها بالعلاقة الممكنة بين الألفاظ، فاللفظة في مثل هذا الإبداع الشعري لا تستحضر وتتمق لتوظف وإنما تخضع لعملية إختبار دلالي فإما أن تنقيها تلبية لمتطلبات السياق الشعري، وإما أن تعيدها سالمة إلى مرجعها تنتظر لحظة الانبعاث أو الانفجار دلاليا، وكثيرا ما تعتمد الشعرية الجديدة إلى خلخلة اللفظة في مدلولها المعجمي ووضعها في رزنامة من العلاقات التركيبية السياقية التي لا يتوقعها مستعمل اللغة¹، فتراكيب لغوية مثل (يسكنني الليل، لحنا يرهقني، يمد الليل الجسر...) تبدو سليمة نحويًا، لكن النحويين ينفرون من لقاء تلك العناصر اللفظية لما لها من شبهة دلالية تمنع حصول الانسجام في جملة نحوية دالة لأن منطق الدلالة النحوية يتطلب الإفادة من القول.

2.3.3. الانزياح التوسعي:

تمنح الصفة الخطية والامتدادية التراكيب اللغوية «إمكانية الانفتاح على دلالات إضافية تحملها مكونات خطابية تضم إلى حدود التراكيب التي لا تظل محصورة في بؤرة شبكتها العلائقية النواتية فحسب، كما تمتلك القدرة على انزياح الحدود الدنيا المرسومة ضمن أنماط الخطاب، باستيعاب تراكمات خطابية تقوم بتوسيع مجالات الخطاب النمطي على المستوى الخارجي والداخلي، لإمكانية هذه المكونات التوسعية على تفعيل النشاط الدلالي وعدوله عن خطه الأفقي المألوف إلى آفاق خطية موسعة بمقتضى قانون الإضافة التحويلية التي قد تكون ذات اتجاه أحادي متمثل بزيادة عنصر متفرد، أو تكون ذات اتجاه مزدوج ينتج هيئة ثنائية تتجلى في ظاهرة التكرار، فبهذا المفهوم الإثرائى والتصاعدي يندرج قانونا الإضافة والتكرار ضمن مبدأ التوسعة أو التوسيع (Expanation) المتحقق بالإكثار من العناصر اللغوية، إذ أن كل ما يضاف إلى النواة الإسنادية بصفة وظيفية عملية هو من الناحية التركيبية توسعة، ينتج عنها طاقة إيحائية وقيمة جمالية ودلالات ما ورائية اعتمادًا على الموقمات السياقية والأبعاد

¹ ملاحى علي، المجرى الأسلوبى للمدلول الشعري العربي المعاصر، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007، ص176.

التداولية والاجتماعية المحيطة بالسلوك اللغوي¹، تلك البنى النصية والمظاهر الخطابية الصوفية²، وما ارتبط بها من دلالات كثيفة³، والتي نالت حظاً وافراً من ديوان "البرزخ والسكين" خاصة في قصائد "البرزخ والسكين" و"يا امرأة من ورق الوت" و"لا، يا سيدة الإفك".

ومن أمثلة ما جاء على سبيل الانزياح التوسعي في ديوان "البرزخ والسكين" يقول الشاعر عبد الله حمادي في مقدمة قصيدته "البرزخ والسكين": (في عماء بالقصر والمد)، (تمثل بشراً سوياً!)، (يتماهى البرزخ الوهاج)، (مؤفد "بديح الكلبى"...!)، (يهب المطلق...)، (كان ذلك قبل العماء...)⁴.

إن قراءة لتراكيب هذا الخطاب الشعري (الصوفي) لا تنتهي بنا عند معنى محدد واضح، إنه خطاب شعري أريد له أن يكون مستمراً ومتامياً وباحثاً عن مخاطب معين يمتلك رؤياً ولغة متسامية، تتجاوز المعاني القاموسية المتعارف عليها، وتصبح دوالاً تحمل دلالات لا حصر لها، وإيحاءات لا حدود لها، بفضل ما في خصائصها الصياغية من كثافة دلالية. إن كثيراً من المخاطبين على ثرائهم المفرداتي وامتلاكهم لتراكيب متنوعة وصيغ فنية عن استيعاب مثل هذا الخطابات الشعرية المعاصرة (الصوفية)، ومرد هذا العجز ليس في تعدد المدلولات، وإنما الذي يقف حجر عثرة في فهم هذه المدلولات هو كيفية تركيب هذه المفردات، التي لا يفهم مدلولاتها غير المتصوفة، وذلك "لما تحملها هذه المفردات من معان مغايرة لما وضعت له أصلاً، كأن يكون الفعل ذا سمات دلالية معينة يقتضي فاعلاً ذا سمات تتماشى

¹ ينظر: دلخوش جار الله حسين دزه بي، البحث الدلالي في كتاب سيوييه، ص 317، 318.

² ينظر: أمانة بلعلى، تحليل الخطاب الصوفي، ص 257.

³ يرى بعض الدارسين أن اللغة تعمل على تجاوز قصورها الإبلاغي أو التعبيري بدقة بقدراتها الذاتية المعتمدة على طاقات إضافية في الأساليب التعبيرية لتجنب تمرد المعاني على المخاطب، وتقريب المسافة بين المعنى عند المخاطب والمخاطب، ولشل قدرته على الإفلات. ينظر: محمد عبد العظيم، معاني النص الشعري (طرق الإنتاج وسبيل الاستقطار)، صناعة المعنى وتأويل النص، منشورات كلية الآداب، منوبة، مج VIII، دط، 1992، ص 191 وما بعدها.

⁴ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 116.

وسمات الفعل، لكن الصوفي يأتي بفاعل سماته الدلالية لا تتسجم مع سمات الفعل الدلالية فيوقع هذا التركيب المستمع في حيرة¹.

والكتابة على هذا النحو هي «كتابة نخبوية، وطلائعية، تنشد الانزياح أبداً، والانتقال بين عوالم الرؤية والرؤيا، وتصبح اللغة عامل إغراء وفتنة، وأحياناً أداة سحرية تحولك إلى عاشق للمجهول من المعاني، وإلى تواق وحنين إلى شيء ليس لها "تماماً" وجه أو هوية، هو معنى كلي في مظاهر شتى، وفي معاني كثيرة»². واللغة هنا هي تماماً كما يقول صاحب الديوان: "بمثابة انزياحات مقصودة... تعتمد التحدث إلى الآخرين بلغة غير اللغة التي يتحدث بها الناس جميعاً، إنها لغة ممعنة في المجازية، تبلغ أحياناً درجة من الشذوذ، وشذوذها إن جاز لنا وصفها هكذا هو الذي يكسبها روحنة وأسلوباً من نوع خاص"³.

إن الخطاب الشعري السابق كأنموذج للانزياح التوسعي في شعر عبد الله حمادي يعكس في الحقيقة قدراته الأدبية العالية، وتجربة عميقة مدركة لعمق نصوص التراث المشبعة بالرمزية والسرية والألغاز، وهو الأمر الذي يسهل للقارئ فهم معاني التراكيب ودلالات تلك الخطابات الشعرية خاصة إذا امتلك قدرًا معيناً من خصائص الشاعر السابقة.

3.3.3. الانزياح الوظيفي:

يمثل الانزياح الوظيفي نمطاً من جملة الانزياحات التي تتجاوز العلاقات السياقية في انتظامها التركيبي المعياري تحت ضغط اختيارات المتقن ومقومات المحيط الاجتماعي، ولا يمتلك هذا الصنف الانزياحي قوة تأثيرية وإيحائية أصبح محط جذب لكل ما تسمح به طاقته الاستيعابية من إفرزات الوجود والتداول لتغطية كمية كبيرة من المضامين الواقعية بمختلف مناحيها الاجتماعية والفكرية والأدبية التي تتصاع لإيعازات العقل عبر نماذج استنطاقية

¹ شقروش عبد السلام، هيرمونيطقا الخطاب الصوفي، المرجعية والإنتاج، مجلة الخطاب الصوفي، ع01، جامعة الجزائر، 2007، ص387.

² صحراوي عبد السلام، قراءة في قصيدة (البرخ والسكين)، سلطة النص في ديوان البرخ والسكين للدكتور عبد الله حمادي (دراسة نقدية)، ص54، 55.

³ عبد الله حمادي، البرخ والسكين (شعر)، من مقدمة الديوان، ص10.

متباينة، وفي مقدمتها النماذج الأدبية التي عالجه الباحثون وكشفوا جمال الانزياح الوظيفي فيها¹.

يندرج الانزياح الوظيفي ضمن دال جامع عند الكثير من اللغويين المعاصرين (المجاز)، ويعرفونه بأنه "ذو طابع يلتوي بالدلالات الوضعية الأولى للكلمات، ويلد منها بالمزج والتركيب والحذف والإضمار دلالات فنية ثانوية، هي بمنطق الشعر أهم وأولى من تلك الدلالات اللغوية الوضعية"²، ويلحظ أن سيبويه (ت180هـ) لم يتوقف عند تحليل الخطاب فحسب، بل تجاوزه لتحليل الجانب الفكري الواقف وراء هذا العدول الإنجازي، وهذا ما يراه "ميشال فوكو" (Michal Foucault)، إذ صنف هذا النمط التحليلي الماورائي ضمن (تحليل الفكر) لكونه يسعى إلى استكناه المعنى الحقيقي الكامن وراء المعنى المجازي، وبذا فهو يبحث عما وراء الخطاب، وهدفه كشف ما كان يقال، وراء ما قيل فعلاً³، كما يستقرؤ من العينات الكثيرة التي أوردها (سيبويه)⁴.

إن الانزياح الوظيفي يخلق آثاراً بلاغية سواء أكانت على مستوى الاستعمال الاتصال اليومي أم على مستوى النصوص الأدبية، إذ تتضمن هذه الآثار نسقا مزدوجا من الدوال والمدلولات، تؤدي الدوال الأولى مدلولات أولية مباشرة، وهي الدلالة التصريحية المفهومة من ظاهر التركيب، التي سماها الجرجاني (المعنى)⁵، وتحيل إلى مدلولات ثانوية غير مباشرة، بحيث تغدو هذه الدوال حاملة للمدلولات الثانوية، والتي دعاها الجرجاني بـ(معنى المعنى)⁶.

¹ ينظر: دلخوش جار الله حسين دزه بي، البحث الدلالي في كتاب سيبويه، ص394.

² المرجع نفسه، ص395.

³ نفسه، ص397.

⁴ ينظر: سيبويه، الكتاب، ج1، ص214. ج3، ص385. ج1، ص176. ج1، ص211. ج3، ص487.

⁵ ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص263.

⁶ المرجع نفسه، ص263.

والمستقرئ لديوان "البرزخ والسكين" لعبد الله حمادي تصادفه صور كثيرة للانزياح الوظيفي كممارسة شعرية وملح بارز من ملامح الخطاب الشعري المعاصر، ففي قصيدة "مدينتي"¹ مثلاً، نجد كثراً من آليات الانزياح الوظيفي التي عمد الشاعر لتوظيفها في هذه القصيدة كالزيادة والنقص والتعويض والتبادل والتكرار والتعريف والتكثير، قصد من وراء ذلك خلق علاقات جديدة لم تكن موجودة بين الكلمات، محطماً المنطق الدلالي لدلالات متعارف عليها قصد توليد دلالات جديدة، ولكن وفق المعيار النحوي، متوسلاً لغة مترددة تآبى الإفصاح عن دلالتها بطريقة مكشوفة، تأسر معها المخاطب، وتجعله متردداً بين عدّة دلالات تصل حد التناقض، يعد فيها الانزياح الدلالي مهرباً لفهم وتفسير المستوى الدلالي، ويعكس طبيعة المعرفة التي تسود عصرًا ما.

يقول عبد الله حمادي في المقطع الأول من قصيدة "مدينتي" عن مدينته بأنها:² (مَقْبَرَةٌ)، (أَخْلَامُهَا أَوْسَمَةٌ)... لقد اختار الشاعر في هذا المقطع كلمات يغلب عليها التكثير وعيا منه بمفهومه وطبيعة آدائه، وكل من هذه الكلمات المنكرة بالطريقة التي ركبها فيها يؤدي دلالة في جو النص باعتبار كل منها عنصراً حيويًا في مشهد كثيف صورته الشاعر يجمع بين المستوى الظاهري البسيط، والمستوى العميق الذي ينبني عليه، فلا يمكن تحديد دلالة التراكيب التي أوردها وفق بساطة وضعها (مدينتي مقبرة، مثلاً)، بل إن الكلمات هنا مرتبطة بالحالة النفسية للشاعر وما عاشه من آلام، لذا جاء التكثير هنا دالاً على التكثير والتهويل، وتشكلت المفردات السابقة داخل فضاء مفتوح لسلسلة لا متناهية من الانبثاقات الدالية المحملة في تراكيب لغوية فنية قوية الحضور.

¹ حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، ص 101-115.

² المصدر نفسه، ص 101.

خاتمة

يعد البحث في الدلالة النحوية على ما رأيناها في هذه الرسالة من أصعب الأمور خاصة إذا تعلق الأمر بالتعمق في مستويات البحث (الإفرادي والتركيبى والخطابي)، وبالرغم من ذلك فقد حاول الباحث أن يبذل قصارى جهده على إيضاح ولو جانباً يسيراً في هذا المجال البحثي.

وقد خلص البحث من خلال المقاربة اعتمدها في معالجته إلى مجموعة من النتائج جاءت كالتالي:

- أكدت الدراسة أن أساس التركيب النحوي في الجملة المفيدة أو الكلام يعتمد على الإسناد، فالتركيب المفيد لا يكون مفيداً إلا إذا ورد على صورة خاصة من التأليف، فلا بد أن يكون لكل كلمة تعلق بالأخرى على النحو الذي به يفيد الكلام تمام الفائدة، وهذا هو السبيل الذي تعرف به الدلالة النحوية لتلك التراكيب.

- أكد البحث أن التراكيب تحمل المعاني الوضعية، وأن المعاني النحوية تتبع الموضع أو الموقع أو الرتبة، أما المعاني الدلالية فهي أوسع من ذلك بكثير بدليل الإيحاء والإشعار وخروج المعنى النحوي العام في صور مختلفة، ولكل صورة معنى مختلف يختزل قصد المتكلم.

- درس البحث العديد من الملاحظات التي تتعلق بأنواع الدلالات اللغوية، سواء أكان مصدرها الصوت أم الصيغة، أم التركيب، أم السياق، معتمداً في ذلك على الآراء التي نقلت عن الخليل وسيبويه، وابن جنبي، وابن قتيبة، وابن فارس، وابن الأثير وغيرهم وعلى آراء المعاصرين، وقد ساهمت هذه الجهود في توضيح فكرة المستويات الدلالية في البحث اللغوي العربي، وساعدت في تحديد المفاهيم الدقيقة لكل نوع من أنواع الدلالات التي تعددت أشكالها في الديوان المدروس.

- توصل البحث إلى أنه يمكن تعريف الدلالة النحوية بأنها تلك المعاني المستفادة من التراكيب، حيث يحتم نظام الجملة في اللغة هيآت معينة من التأليف، لو اختلفت لما فهم المراد، ولما استطاع المتكلم أن يبين عن المعاني النحوية المتوخاة من وراء النظم، مثل

معاني الفاعلية، أو المفعولية، أو الإضافة، كما أشار البحث إلى أنه من الخطأ أن نقصر دلالة التركيب على الإعراب وحده، بل تتضافر القرائن اللفظية والمعنوية في تحديد الدلالة.

■ أكد البحث أن قضية اللفظ والمعنى المجال الأكثر أهمية من الناحية الدلالية التي أعطته الدراسات التراثية اللسانية والبلاغية وغيرهما ما تستحقه من الدراسة، لما له من أثر كبير في تكوين الخطاب، والنتائج التي أشرنا إليها في بحثنا والمستنبط من بطون كثير من المؤلفات دليل واضح على ذلك، ولا ريب في ذلك إذا علمنا أن البحث التراثي قام على الإعجاز متخذاً النص القرآني مرتكزه في البرهنة على أهمية هذه القضية.

■ مما أثبتته البحث اتفاق الدراسات التراثية والمعاصرة تقريبا على أن الكلمة (اللفظ/المعنى) ليس لها معنى وهي منفردة إلا المعنى المعجمي، وهو معنى ثابت، ولكن لها حدود يمكن أن ترتبط بها مع غيرها إذا دخلت في تركيب ما، وقد أكد الباحثون المحدثون دقة هذا التوجه حين أثبتوا أن الكلمة لا يمكن أن نحقق لها تعريفا بالمعنى العلمي الدقيق، وتبقى منحصرة في الحدود الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية بالمعنى الواسع.

■ بيّن البحث أن انقسام علماء العربية أمام موضوع اللفظ والمعنى إلى ثلاث فرق لا يفسر بأنه أمر سلبي للدرس اللغوي، بل نراه من جانب التكامل والإفادة، ذلك أن كل فرقة تولي الأهمية حسب رؤيتها لهذه القضية، وهذا ما يفسر تصريح علماء هذه الاتجاهات أنفسهم بأن لا خلاف بينهم، فالبحث عنده كان نفعيا بالدرجة الأولى، فالاختلاف في الآليات لا يعني عدم الاشتراك في هدف واحد، وهو هنا تحقيق مقاصد الشريعة بالأساس.

■ من الميزات التي سجلها البحث في الدراسات اللسانية المعاصرة ظهور النظرية السياقية في الثقافة اللسانية ما يُعدُّ تحولا منهجيا في البحوث اللسانية والدلالية خاصة، فمنذ أن ظهر المنهج البنيوي كبديل للدراسات التاريخية والمقارنة أحدث ثورة في البحث اللساني بعد أن أثبت إجرائيا أن الدراسة تتم على المستويات اللغوية المعروفة، وبوجود النظرية السياقية وأثرها في البحث اللغوي والدلالي المعاصر أكدت أهمية هذه المستويات وأضافت دور

التأثير الخارجي للغة أو الأحكام لسياق الحال في تفسير التراكيب اللغوية والوصول إلى دلالاتها.

■ أثبتت الدراسة بأن النحو يشتمل على أحكام كثيرة مقبولة تسمح للمتكلم صياغة المعنى الواحد في أكثر من بنية نحوية، إلا أن كل بنية تتفرد عن الأخرى بدلالة نحوية تختلف عن غيرها على الرغم من جوازها، وهنا تبرز مدى قدرة الشاعر وتمكنه من استخدام هذه القواعد النحوية، فالشاعر الجيد هو الذي يختار بنية نحوية معينة من بين عدّة بنى كلها جائزة، نظرًا لارتباطها بمعنى جميل أو خفي يناسب المقام الذي يسوق فيه قصيدته، وقد أشرنا في أكثر من موضع في هذا البحث إلى نجاح الشاعر عبد الله حمادي في هذا الأمر نجاحًا كبيرًا، وصل إلى حد توليد تراكيب لغوية خاصة طبعت أسلوبه الشعرية، فقد استطاع توظيف معطيات النحو في تحقيق معاني بعيدة الأثر، فما من تقديم أو تأخير، أو ذكر أو حذف إلا وله دلالة، وبناء عليه يمكن القول أن "البرزخ والسكين" من النصوص القيمة في الكتابات المعاصرة الشعرية منها والنثرية، ذو لغة متسامية تتجاوز المعاني مفرداتها القاموسية المتعارف عليها، لتصبح دوالا تحمل دلالات لا حصر لها وإيحاءات لا حدود لها.

■ تحقق البحث في أن العلامة الإعرابية تعد من أبرز المعالم التي تكشف عن المعاني النحوية، ولكن في إطار كونها قرينة واحدة من بين القرائن الأخرى، معنوية كانت أم لفظية، ولا يمكن أن نهمل دور القرائن الأخرى، وترد الفضل في الكشف عن المعنى إلى قرينة العلاقة فحسب.

■ يثمن البحث دور علماء اللغة العرب الأوائل في دراسة المعاني وتوجيهها، ويؤكد على ضرورة الاستفادة منها، سواء أعلق الأمر بالمسائل البلاغية فيما يتصل بالحقيقة والمجاز والمسائل التي تعتري التركيب كالزيادة والحذف والتقديم والتأخير وأثر ذلك في الخطاب، أو تعلق الأمر بتوجيه المعاني النحوية، ما يبيّن أصالة النظرية العربية في التحليل التطبيقي والممارسة العلمية للدرس اللغوي العربي.

■ أظهر البحث أنه من أهم ما ميز نحو التراكيب عند عبد الله حمادي هو مقدار تعالق الكلمات وجعل بعضها بسبب من بعض في إنتاج الدلالة، فكأنها معنى الكلمة المفردة يتضاءل لينبثق في محله معنى ينشأ عما بين الكلمات من علاقات تشابه واختلاف، إلا أن بنية المعنى في أشعار عبد الله حمادي ليست مغلقة، مكتفية بذاتها، يبرر نظامها الداخلي وحدة هوية مكوناتها ووظائفها في معزل عن مؤثرات خارجية تفسرها، وإنما هي بنية مبدعة، تتأسس على تجربة للعالم سابقة، تعكس إبداعا سابقا وتستأنفه، وتؤكد عميق الصلة بأحداث عصره وما للعالم الخارجي من الأثر في إنتاج معانيه، وهو ما يجعلنا نرى أن التجربة اللغوية في ديوان "البرزخ والسكين" هي فعل وعي بالذات ومفرداتها، ووعي بالوجود، ووعي بالانتماء إلى الآخر.

■ خلص الباحث إلى أن البنية الكلية التي تشكلها أجزاء الخطاب (المفردة والجملة والنص) باعتباره وحدة تواصلية ذات دلالة كلية، مهما اختلفت أقسامه وتعددت أنماطه، ورغم التباين السطحي هي بنية قوامها مستويان (التركيب والدلالة)، وطبقات وعلاقات منها ما يظل ثابتا ومنها ما يلحقه التغيير، وفقا لنوع الوحدة الخطابية، أو للنمط الخطابى، أو وفقا لهما معا، تربط بين هذه الطبقات شبكة من العلاقات الدلالية والتداولية، هذه البنية تمكن من توحيد أقسام الخطاب حيث تصبح بنيته الحد وبنية الجملة وبنية النص تحققات لنفس البنية الكلية، وتخلصنا من مأزق الوضع القائم الآن، حيث توضع أنحاء للجملة وأنها للنص وكأنهما شيئا مختلفان تماما.

■ في دراسة المعنى المعجمي ركز البحث على أن القبول النحوي لجملة ما لا يتوقف على المعنى المعجمي لعناصر الجملة فقط، وإنما يتوقف على نظام عميق معين يمتلكه المتكلم، وبه يستطيع أن يميز استقامة جملة من غيرها، وهذا ما أكدته النحاة العرب بدءا من إمامهم سيبويه، وعلى هذا الأساس فإنه لا يجب النظر إلى اللغة على أنها مجموعة من الظواهر المنفصلة كالكلمات والأصوات وكلام الأشخاص، ولكن باعتبارها نظاما عضويا تتداخل فيه كل الأجزاء، ويؤدي فيه كل جزء دوره وفقا للعمليات الذهنية للأفراد الأعضاء في لغة ما.

- من النتائج العامة في البحث تسجله لفارق أساسي في معالجة موضوع الدلالة بين نحائنا والمعاصرين، فقد اهتم المحدثون بالنظم أكثر من اهتمامهم بالنظام وذلك أنهم نظروا في توخي معاني الكلم في معاني النحو، ولم ينظروا في معاني النحو ذاتها، ولا حتى في "توخي معاني النحو في معاني الكلم"، فشدة اهتمامهم بالناحية "التعجمية" من الإنجاز جعلتهم يحددون "الدلالة النحوية" بمقتضى "الدلالة المعجمية" الحاضرة أو المتضمنة في البنية، أما النحاة العرب فقد ركزوا جهدهم في تحديد دلالة النظم نفسه، وهي دلالة الإنجاز الفعلي للبنية، اعتمادًا على كون الدلالة الإعرابية هي الأساس في اختيار العناصر المعجمة للبنية.
- مما أثبتته هذا البحث: المأزق الذي تعيشه الدراسات الدلالية المعاصرة والتي لا تستطيع الخروج منه، لاعتبارهما الدلالة جزءًا من اللسانيات والتي من أهم صفاتها العلمية والتجريبية، وهو ما لا يتحقق في الدلالة التي أثبتت جميع النظريات التي تزعم دراستها دراسة علمية بأنها الحقيقة ليست علمية بقدر كاف، وما يزيد أمرهم تعقيدًا أن المعنى غير مستقر لأنه يعتمد على المتكلمين والمستعملين والسياق، أو بعبارة أخرى غياب نص لغوي نموذجي يمكن الاعتماد عليه في استنباط النظام اللساني أمام وفرة النماذج الفردية المتكلمة التي لا تقوى منفردة أو مجتمعة على إيجاد مثل هذا النص المرجعي.
- أظهر البحث أن الدراسات اللسانية تؤكد أن اللغات تتمايز أساسًا ببنيتها التركيبية، لأن المستوى التركيبي هو الأبعد من حيث التماس أثناء عملية التأثير والتأثر، فالبنية اللغوية لأية لغة تقوم أساسًا على التركيب.
- سجل البحث تمايزًا مهمًا آخر بين التراث العربي واللسانيات المعاصرة في دراسة موضوع الدلالة، فأقصى ما بلغه اللسانيون هو الاستفادة من التجربة اللغوية التاريخية لمجموعة أفراد يتكلمون نفس اللغة، ودرستها ومن ثمة التمييز بين النظام اللساني والاستخدام الفردي لهذا النظام، كما فعل دي سوسير (اللغة والكلام) ونعوم تشومسكي (الكفاءة والأداء)، ولكن حتى هذا الإنجاز لم يجد حلاً لمشاكل علم الدلالة نهائيًا لأنه لا يمكن الاهتمام بكل ما هو فردي، كما أن المعنى الفردي ليس جزءًا من الدراسة العامة في علم الدلالة، وبالمقابل نجد

الدراسات اللغوية والدلالية في التراث العربي متحررة تماما من قبل هذا المأزق بسبب لانطلاقها وتمحوها حول نص لغوي معجز في جميع مستويات الدرس اللغوي والصوتي والصرفي والتركيبي والدلالي، والسبب في نشأتها وتطورها وشرائعها بنا يمد به كل جيل وما توصل إليه من معرفة بثراء لغوي ومعرفي ودلالي متزايد عبر الأجيال.

■ بين البحث أهمية مساهمة إدخال عناصر دلالية وتداولية إلى الوصف والتحليل اللغويين في إذكاء النقد الموجه نحو الجملة على أساس عدم كفايته لوصف ظواهر تتجاوز حدود الجملة، كأهم الأسباب الداعية للانتقال إلى نحو النص دون التقليل أو التشكيك في نتائج وصحة نحو الجملة.

■ برهنت الدراسة النحوية الدلالية لشعر عبد الله حمادي في ديوانه "البرزخ والسكين" أنه بإمكان اللغة أن تختزن روح التجربة الإنسانية الدلالية في الأبنية النحوية عبر نماذج لغوية صناعية تسعى باستمرار لاكتشاف حقائق الكون الذي سجل خصائصه الدلالية الأساسية في اللغة عبر تجربة الكائن في محيطه عبر التاريخ، بدءًا من تعلم الإنسان اللغة وممرورًا باستعمالها المختلف ضمن محورين رئيسيين: محورا اختياري يسمح له بممارسته تجربته اللغوية بكل حرية، ومحور ثان شديد الاتصال بأعماق كل فرد إنساني يذكره في كل لحظة بأهم وأخطر الأحوال الدلالية لتجربته الإنسانية حتى يحسن اكتشاف حقائق الكون ويفهم الدلالة عبر اللغة.

■ أثبت البحث الارتباط الوثيق بين التراكيب ودلالاتها وما تحققه من مستويات التواصل عند المتكلمين، وأكد أن التوصل إلى الدلالات المقصودة من البناء النصي (الشعري) لا يتم بالاعتماد فقط عبر توظيف العلامة اللغوية في مستوياتها الصوتية والمجمعية والتركيبية والرمزية المختلفة، بل لابد من تأزرها مع البنية النظامية عبر تحليل المعلومات التي تحملها وفق مستويات كثيرة.

■ من النتائج الهامة التي توصلت إليها دراستنا أن ما حققته النظريات العلمية من تقدم في الضبط والإفادة والتعليل في مستوى التراكيب البسيطة ودلالاتها، لم يشبع نهم الدارسين

المعرفي اللامتناهي، لعدم تحقق نظير له في مستويات أرحب كالنص والخطاب، وبقيت أنظارهم متطلعة إلى مباحثهما الممتدين، مع إقرارهم بالعجز أمام ظواهرهما، لذا أكد البحث على ضرورة العودة والاستفادة من معين النص/الخطاب القرآني الذي لا ينضب لما اشتمل عليه من إجابات كافية لكل التساؤلات المتعلقة بالكون النحوي وغيره.

هذه أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال الاستقراء والتدقيق في معطيات البحوث العلمية التراثية منها أو الغربية المعاصرة، ولا ندعي أننا أحطنا بجميع المعارف والأفكار فيهما، ومعالجتها بالدرس والتحليل، ومع الاعتراف بتواضع هذا البحث نود أن نؤكد على الطبيعة المعقدة لهذه المباحث العلمية، واستتطاق الباحث لمقولاتها أحيانا من نقص أو تحليل على غير ما أريد له لم يرتق إلى مستوى الحيلولة بين الباحث والاجتهاد طمعا في إضافة شيء مفيد للبحث العلمي، وحسبنا أجر السَّبْقِ والاجتهاد إن جانبنا التوفيق، والحمد لله أولا وأخيرا والصلاة والسلام على النبي محمد وعلى آله الطاهرين أجمعين.

قائمة

المصطلحات اللسانية

Linguistics	اللسانيات/اللغوية	Language	اللغة
Style	الأسلوب	Stylistics	الأسلوبية
Phonetic System	النظام الصوتي	Pragmatics	البراجماتية
Morphology	الصرف/علم البنية	Generative Grammar	النحو التوليدي
Syntax	النحو	Semantics	علم الدلالة
Performance	الأداء	Compentence	الكفاية
Sématic Component	المكون الدلالي	Generative	توليدي
Pragmartic intentions	الأغراض النفعية	Structural Semantic	الدلالة التركيبية
Utterances	المنطوقات	Transformations	التحويلين
Disambgration	أمن اللبس	Ambiguous	ملبسة
Syntactic Struetures	المباني التركيبية	Form	صورة اللغة
Qwanti Ficateur	الكمي	Focus	مسائل الابتداء
Initial String	سلسلة لغوية أولية	even, only	النفى وبعض الظروف
Sématic Représentation	التمثيل الدلالي	Content	مضمون
Phonological Rules	القواعد الصوتية الصرفية	Phonological Component	المكون الصوتي
Branching Rules	قواعد تفرعية	Base Component	مكون توليدي مركبي
Unidered Lexic	معجم الكلمات غير المرتبة	Subcategori Sation	تصنيفات نحوية
Obligatory Rules	قواعد وجوبية	Deep Structure	البنية العميقة المقدره
Surface Structure	البنية السطحية	Transformational Rules	المكون التحويلي
Expression	شكل	Phonological Representation	التمثيل الصوتي
Linguistic Context	السياق اللغوي	Présuppositions	التضمنات
Contraites Derivationnelles Globales	قيود اشتقاقية عامة	Contraites Derivationnelles Locales	قيود اشتقاقية محلية
Social Context	السياق الاجتماعي	Context of Sitvation	السياق المقامي

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع

أولاً: المصادر:

1. أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (ت476هـ)، التبصرة في أصول الفقه، تح: محمد حسن هيتو، دار الفكر، دمشق، ط1، 1403هـ.
2. أحمد بن عبد الرحمن القرطبي (ت592هـ)، الرد على النحاة، تح: محمد إبراهيم البناء، دار الاعتصام، القاهرة، ط1، 1979.
3. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني (ت395هـ)، مقاييس اللغة، ج1، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، دط، 1979.
4. بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت794هـ)، البرهان في علوم القرآن، ج2، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1957.
5. أبو البركات ابن الأنباري (ت577هـ)، البيان في إعراب غريب القرآن، ج2، تح: طه عبد الرحمن طه، مرا: مصطفى السقا، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1970.
6. أبو البركات بن الأنباري (ت577هـ)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، تح: جوده مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 2002.
7. أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن في ثلاث رسائل في الإعجاز، سلسلة ذخائر العرب، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.
8. أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي (ابن عصفور الاشبيلي ت669هـ)، شرح جمل الزجاجي، ج1، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
9. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء (ت395هـ)، الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: مصطفى الشويمي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، دط، 1977.
10. حمادي عبد الله، البرزخ والسكين (شعر)، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ط2، 2000.

11. رضي الدين محمد بن الحسن الاسترابادي (ت686هـ)، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، حققه: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محيي محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1982.
12. عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، الأشباه والنظائر، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1990.
13. الاقتراح في علم أصول النحو، تح: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2006.
14. المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، تح: محمد أحمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3، دت
15. همع الهوامع في شرح الجوامع، ج1، تح: عبد العال سالم مكرم، عبد السلام محمد هارون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دط، 1992.
16. عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت337هـ)، الإيضاح في علل النحو، تح: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط6، 1996.
17. عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت337هـ)، الجمل في النحو، تح: علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1984.
18. عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي (ت337هـ)، مجالس العلماء، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1983.
19. عبد الرحمن بن محمد كمال الدين الأنباري (ت577هـ)، أسرار العربية، دار الأرقم بن أبي الأرقم، مصر، ط1، 1999.
20. أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دط، دت.
21. عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت471هـ)، أسرار البلاغة، حققه: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، السعودية، ط1، 1991.

22. دلائل الإعجاز في علم المعاني، ج1، تح: محمود محمد شاكر أبو فكر، مطبعة المدني، القاهرة، دط، 1992.
23. عبد الله بن أحمد الفاكهي (ت972هـ)، شرح كتاب الحدود في النحو، تح: المتولي رمضان أحمد الدميري، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1993.
24. عبد الله بن يوسف (ابن هشام الأنصاري ت761هـ)، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ج4، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دط، دت.
25. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، دط، 1992.
26. مغني اللبيب عن كتب الأعراب، ج1، تح: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط6، 1985.
27. نزهة الطرف في علم الصرف، تح: أحمد عبد المجيد هريدي، مكتبة الزهراء، القاهرة، ط1، 1990.
28. علي أبو الحسن بن اسماعيل بن سيدة (ت458هـ)، المخصص، ج4، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1996.
29. عمرو بن بحر بن عثمان الجاحظ، كتاب الحيوان، ج3، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، 1968.
30. البيان والتبيين، ج1، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ط3، 2003.
31. عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر، سيبويه (180هـ)، الكتاب، ج2، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.
32. أبو عمرو عثمان بن الحاجب (ت646هـ)، كتاب أمالي ابن الحاجب، ج1، تح: فخر صالح سليمان قدارة، دار الجيل، بيروت، دط، دت.

33. شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ج1، تح: يحي بشير نصري، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، السعودية، ط1، 1993.
34. أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، الخصائص، ج2، حققه محمد علي النجار، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2006.
35. المنصف في شرح كتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني، ج1، تح: إبراهيم مصطفى عبد الله أمين، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط1، 1954.
36. سر صناعة الإعراب، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص488.
37. أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ)، أساس البلاغة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2006.
38. محمد الرازي فخر الدين (ت604هـ)، تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير)، ج28، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1981.
39. محمد بن أحمد بن جزي الكلبي أبو القاسم، التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، تح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1995.
40. محمد بن سهل بن السراج (ت316هـ)، الأصول في النحو، ج2، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1996.
41. محمد بن عبد الرحمن جلال الدين (الخطيب القزويني)، التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1904.
42. محمد بن عبد الله بن مالك الطائي (ت672هـ)، شرح التسهيل لابن مالك، ج3، تح: عبد الرحمن السيد، محمد المختون، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1990.
43. محمد بن علي بن محمد الجرجاني (ت729هـ)، الإشارات والتبهيئات في علم البلاغة، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، مصر، دط، 1997.

44. محمد بن محمد بن عبد الكريم (ابن قيم الجوزية ت751هـ)، مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله، تح: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
45. محمد بن يزيد أبو العباس المبرد (ت285)، المقتضب، ج4، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1975.
46. أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب (ت567هـ)، المرتجل في شرح الجمل، تح: علي حيدر، دمشق، دط، 1972.
47. أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد (ابن قتيبة الدينوري ت276هـ)، تأويل مشكل القرآن، شرح ونشر: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ط3، 1981.
48. أبو منصور بن أحمد الأزهرى، تهذيب اللغة، ج14، تح: يعقوب عبد النبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، دط، دت.
49. موفق الدين يعيش بن علي (ابن يعيش ت643هـ)، شرح المفصل للزمخشري، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.
50. أبو نصر الفارابي، كتاب الحروف، حققه: محسن مهدي، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط2، 1990.
51. أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت626هـ)، مفتاح العلوم، حققه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

ثانيا: المراجع:

I. الكتب العربية:

52. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة، ط2، 1950.
53. دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984.
54. من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط6، 1978.
55. إبراهيم خليل، في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007.

56. أحمد سليمان ياقوت، الدرس الدلالي في خصائص ابن جني، دار المعرفة، الإسكندرية، ط1، 2000.
57. أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1983.
58. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998.
59. أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، المعاني، البيان، البديع، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2000.
60. إسماعيل هناء محمود، النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
61. الأنطاكي محمد، دراسات في فقه اللغة، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط4، 1969.
62. أنطوان عبود، مصطلح المعجمية العربية، الشركة العالمية للكتاب طباعة ونشر وتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1991.
63. بالعربي بهية، الانسجام النصي في التعبير الكتابي (دراسة في اللسانيات النصية)، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2013.
64. بحيري سعيد حسن، علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، الشركة العالمية للنشر لونجمان، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
65. عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه، محاولة لإعادة التشكيل في ضوء الاتجاه المعجمي الوظيفي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1989.
66. البركاوي عبد الفتاح عبد العليم، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، دراسة تحليلية لوظائف الصوتية والبنوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق، دط، دت.
67. بلعلی آمنه، تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.

68. بلعيد صالح، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 1994.
69. مقالات لغوية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، دط، 2004.
70. نظرية النظم، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2001.
71. بوجادي خليفة، في اللسانيات التداولية، مقارنة بين التداولية والشعر دراسة تطبيقية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط1، 2012.
72. بوزغاية رزيق، ورقات في لسانيات النص، دار المثقف للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، ط1، 2018.
73. تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007.
74. الأصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب (النحو، فقه اللغة، البلاغة)، عالم الكتب، القاهرة، دط، 2000.
75. اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب للنشر والتوزيع والطباعة، القاهرة، ط5، 2006.
76. مقالات في اللغة والأدب، ج2، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2006.
77. مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1986.
78. تورابي عبد الرزاق، صرف تركيب العربية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2015.
79. الجابري محمد عابد، بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط9، 2009.
80. جحفة عبد المجيد، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.

81. الجزائر محمد فكري، لسانيات الاختلاف (الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة)، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2001.
82. الحاج صالح عبد الرحمن، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، دط، 2012.
83. بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ط1، 2007.
84. منطق العرب في علوم اللسان، موفم للنشر، الجزائر، دط، 2012.
85. حامد عبد السلام السيد، الشكل والدلالة (دراسة نحوية للفظ والمعنى)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2002.
86. الحباشة صابر، أسئلة الدلالة وتداوليات الخطاب، مقاربات عرفانية تداولية، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011.
87. تحليل المعنى، مقاربات في علم الدلالة، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011.
88. نوافذ المعنى، إطلالات متجددة على علم الدلالة العرفني، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2012.
89. حساني أحمد، مباحث في اللسانيات (مبحث صوتي، دلالي، تركيبى)، ديوان المطبوعات الجامعية، دط، 1999.
90. حسنين صلاح الدين صالح، الدلالة والنحو، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، دت.
91. الحسون خليل بنيان، النحويون والقرآن، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، ط1، 2002.
92. حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط2، 1998.
93. مقدمة لدراسة علم اللغة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2013.

94. حمد عبد الوهاب حسن، النظام النحوي في القرآن الكريم (التنكيث والتبكيث)، دار
الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2012.
95. النظام النحوي في القرآن الكريم (دلائل الكلم)، دار الصادق للنشر
والتوزيع، عمان، ط2، 2014.
96. حمداوي جميل، اللسانيات العربية وتحليل الخطاب قديما وحديثا، المغرب، ط1،
2019.
97. حمودة طاهر سليمان، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر
والتوزيع، الإسكندرية، دط، 1998.
98. حيزم أحمد، فن الشعر ورهان اللغة، بحث في آليات الخطاب الشعري عند البحتري، دار
صامد للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط2، 2012.
99. خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، دراسة نحوية تداولية، المؤسسة
العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001.
100. الخالدي كريم حسين ناصح، البديل المعنوي من ظاهر الحذف، دار صفاء للطباعة
والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007.
101. نظرية المعنى في الدراسات النحوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان،
الأردن، ط1، 2006.
102. أبو خرمة عمر محمد، نحو النص (نقد النظرية وبناء أخرى)، عالم الكتب الحديث، إربد،
الأردن، ط1، 2004.
103. خضير محمد أحمد، الإعراب والمعنى في القرآن الكريم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،
دط، 2001.
104. خطابي محمد، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي،
الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006.

105. خمري حسين، شعرية الإنزياح في قصيدة "يا امرأة من ورق التوت"، سلطة النص في ديوان "البرزخ والسكين" للدكتور عبد الله حمادي، دراسة نقدية، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2002.
106. الخوالدة فتحي رزق، تحليل الخطاب الشعري (ثنائية الاتساق والانسجام في ديوان "أحد عشر كوكبا")، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006.
107. خويلد محمد الأمين، دلالة البنى النحوية والسياقية عند ابن جني في كتاب الخصائص، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2015.
108. بن خوية رابع، جماليات القصيدة الإسلامية المعاصرة (التركيب الشعري)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2013.
109. داود محمد محمد، القرآن الكريم وتفاعل المعاني (دراسة دلالية لتعلق حرف الجر بالفعل وأثره في المعنى في القرآن الكريم)، ج2، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2002.
110. ديدوح فرح، دراسة المصوتات العربية عند الفلاسفة المسلمين، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ديدوش مراد، الجزائر، دط، 2014.
111. الراجحي عبده، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
112. فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط، دت.
113. الربيعي محمود، قراءة الشعر، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1997.
114. الرمالي ممدوح عبد الرحمن، العربية والوظائف النحوية (دراسة في إتساع النظام والأساليب)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، دط، 1996.
115. رمضان عبد التواب، أصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط6، 1999.
116. زرال صلاح الدين، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

117. الزناد الأزهر، نسيج النص، بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993.
118. نظريات لسانية عرفنية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
119. زنجير محمد رفعت أحمد، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم، سلسلة الدراسات القرآنية 02، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط1، 2007.
120. الزيايدي تراث حاكم، الدرس الدلالي عند عبد القاهر الجرجاني، دار صفا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011.
121. ساسي عمار، المدخل إلى النحو والبلاغة في إعجاز القرآن الكريم، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007.
122. السامرائي إبراهيم، التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط3، 1983.
123. السامرائي فاضل صالح، الجملة العربية والمعنى، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 2007.
124. السعران محمود، علم اللغة، مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1997.
125. سعود إيهاب، تطور اللسانيات اللغوية من الجملة إلى النص، دط، دت.
126. السيد أحمد محمد عبد الراضي، التوظيف الدلالي للمعطيات الصرفية والنحوية في ديوان ابن هاني الأندلسي (ت362هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2013.
127. شارفي عبد القادر، لغة الخطاب الصوفي (الإشارة والرمز لدى "محي الدين بن عربي")، كتاب جماعي بعنوان: اللغة والمعنى (مقاربات في فلسفة اللغة)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
128. شامية أحمد، خصائص العربية والإعجاز القرآني (في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 1995.

129. شاهين عبد الصبور، العربية لغة العلوم والتقنية، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1986.
130. شاهين كمال، نظرية النحو العربي القديم، دراسة تحليلية للتراث اللغوي العربي من منظور علم النفس الإدراكي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2008.
131. شاهين محمد توفيق، عوامل تنمية اللغة العربية، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 1993.
132. الشاوش محمد، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية (تأسيس "نحو النص")، ج1، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001.
133. الشرقاوي عفت، بلاغة العطف في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1981.
134. الشريف محمد صلاح الدين، الشرط والإنشاء النحوي للكون، بحث في الأسس البسيطة المولدة للأبنية والدلالات، ج2، مج16، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، ط1، 2002.
135. شعير محمد رزق، الوظائف الدلالية للجملة العربية، دراسة لعلاقات العمل النحوي بين النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007.
136. شفيق السيد، النظم وبناء الأسلوب في البلاغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.
137. شنوقة السعيد، دراسات في آليات التحليل وأصول اللغة والنحو، عالم الكتب نشر توزيع طباعة، القاهرة، مصر، ط1، 2009.
138. شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1983.
139. الصافي خديجة محمد، نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، ط1، 2008.
140. الصالح صبحي، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط3، 2009.

141. صحراوي عبد السلام، قراءة في قصيدة (البرزخ والسكين)، سلطة النص في ديوان البرزخ والسكين للدكتور عبد الله حمادي (دراسة نقدية)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2002.
142. صلاح فضل، في النقد الأدبي (دراسة)، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2007.
143. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج1، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، دط، دت.
144. طرزي فؤاد حنا، الاشتقاق، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
145. طلال علامة، نشأة النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992.
146. العاشور منصف، بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، دط، 1991.
147. عبد الإله حامد حمادة، دراسة منهجية تطبيقية شعر محمود غنيم نموذجاً، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2010.
148. عبد الجليل محمد بدري، المجاز وأثره في الدرس اللغوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1986.
149. عبد الحميد عبد الواحد، إسهام النحاة القدامى في ضبط معنى الكلمة، ندوة المعنى وتشكله، ج2، مج18، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 2003.
150. الكلمة في اللسانيات الحديثة، قرطاج للنشر والتوزيع، صفاقس، تونس، ط1، 2007.
151. عبد الحميد محمد محي الدين، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مكتبة دار التراث، القاهرة، دط، 1999.

قائمة المصادر والمراجع:

152. عبد الحميد مصطفى السيد، دراسات في اللسانيات العربية، بنية الجملة العربية، التراكيب النحوية والتداولية، علم النحو وعلم المعاني، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2004.
153. عبد الدايم محمد عبد العزيز، النظرية اللغوية في التراث العربي، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.
154. عبد العال سالم مكرم، من الدراسات الإسلامية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2001.
155. عبد الغفار هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1986.
156. عبد اللطيف محمد حماسة، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2001.
157. بناء الجملة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2003.
158. الإبداع الموازي (التحليل النصي للشعر)، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2001.
159. النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2000.
160. عبده داود، أبحاث في الكلمة والجملة، دار الكرمل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008.
161. عبو عبد القادر، أسئلة النقد في محاورة النص الشعري المعاصر (دراسة)، منشورات ليجوند، ط1، 2013.
162. عبيد محمد صابر، القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، دراسة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2001.

163. عتيق عبد العزيز، علم المعاني، البيان، البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2009.
164. أبو العدوس يوسف، الأسلوبية (الرؤية والتطبيق)، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007.
165. عرابي أحمد، أثر التخريجات الدلالية في فقه الخطاب القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 2010.
166. جدلية الفعل القرآني عند علماء التراث، دراسة دلالية حول النص القرآني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2010.
167. عز الدين مجذوب وآخرون، إطلاقات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، قرطاج، تونس، دط، 2012.
168. العزاوي عقيد خالد حمودي، اليعقوبي عماد بن خليفة الدايني، الدلالة والمعنى، دراسة تطبيقية، دار العصماء، سوريا، ط1، 2014.
169. علم الدلالة دراسة وتطبيقات، دار العصماء، دمشق، سوريا، ط1، 2014.
170. العشيبى بشيرة علي فرج، أثر المعنى النحوي في تفسير القرآن الكريم بالرأي، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، ط1، 1999.
171. العطية خليل إبراهيم، التركيب اللغوي لشعر السياب، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ط2، 1989.
172. عفيفي أحمد، نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001.
173. عكاشة محمود، الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 2002.
174. علامة طلال، نشأة النحو العربي في مدرستي البصرة والكوفة، دار الفكر اللبناني، لبنان، ط1، 1992.

175. علوش جميل، الإعراب والبناء، دراسة في نظرية النحو العربي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
176. علول إلهام، قراءة تفكيكية لقصيدة "يا امرأة من ورق التوت"، سلطة النص في ديوان "البرزخ والسكين" للدكتور عبد الله حمادي، دراسة نقدية، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ط1، 2002.
177. علي عيسى شحاتة عيسى، الدراسات اللغوية للقرآن الكريم في أوائل القرن الثالث الهجري، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2001.
178. علي محمد محمد يونس، المعنى وظلال المعنى (أنظمة الدلالة في العربية)، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007.
179. تحليل الخطاب وتجاوز المعنى (نحو بناء نظرية المسالك والغايات)، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016.
180. عماد عبد الحي، البنى والدلالات في لغة القصص القرآني، دراسة فنية، دار دجلة ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط1، 2009.
181. عميرة خليل أحمد، في نحو اللغة وتراكيبها (منهج وتطبيق)، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 1984.
182. عيد رجا، البحث الأسلوبي معاصرة وتراث، منشأة المعارف، الإسكندرية، دط، 1993.
183. عيساوي عبد السلام، في البنية النحوية، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط2، 2016.
184. قضايا المعنى في البنية النحوية، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط2، 2016.
185. بن عيسى عبد الحليم، البنية التركيبية للحدث اللساني، منشورات دار الأديب، وهران، الجزائر، دط، 2006.
186. غاليم محمد، النظرية اللسانية والدلالة العربية المقارنة (مبادئ وتحاليل جديدة)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007.

187. فاخوري عادل، علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 2004.
188. الفاسي الفهري عبد القادر، البناء الموازي (نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990.
189. اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1986.
190. فؤاد بوعلي، الأسس المعرفية والمنهجية للخطاب النحوي العربي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.
191. فوال بابتي عزيزة، المعجم المفصل في النحو العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1992.
192. قدور أحمد محمد، مدخل إلى فقه اللغة العربية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط4، 2010.
193. قريرة توفيق، اللسانيات في دوحة العربية، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط1، 2016.
194. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2000.
195. لاشين عبد الفتاح، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، دط، 1980.
196. المبخوت شكري، إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية، مركز النشر الجامعي، تونس، دط، 2006.
197. المتوكل أحمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية (دراسة في الوظيفة والبنية والنمط)، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2010.
198. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (بنية الخطاب من الجملة إلى النص)، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 2013.
199. مجاهد عبد الكريم، الدلالة اللغوية عند العرب، دار الضياء، عمان، ط1، 1985.

200. محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تح وتع: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975، حديث رقم: 2499.
201. محمد سالم صالح، الدلالة والتعقيد النحوي، دراسة في فكر سيبويه، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008.
202. محمد عبد العظيم، معاني النص الشعري (طرق الإنتاج وسبيل الاستقطار)، صناعة المعنى وتأويل النص، منشورات كلية الآداب، منوبة، مج VIII، دط، 1992.
203. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 1994.
204. قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1995.
205. محمود عبد الرحمن عبد السلام، النص والخطاب من الإشارة إلى الميديا، مقارنة في فلسفة المصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، لبنان، ط1، 2015.
206. محمود فهمي زيدان، في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، 1985.
207. المخزومي مهدي، في النحو العربي (نقد وتوجيه)، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986.
208. مرتاض عبد الجليل، التحليل البنيوي للمعنى والسياق، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2010.
209. مرتاض عبد الملك، نظرية اللغة العربية (تأسيسات جديدة لنظامها وأبنيتها)، دار البصائر للنشر والتوزيع، حسين داي، الجزائر، دط، 2012.
210. بن مراد إبراهيم، مقدمة لنظرية المعجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1997.

211. مزوز دليّة، الأحكام النحوية بين النحاة وعلماء الدلالة، (دراسة تحليلية نقدية)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.
212. مزي عبد القادر، الدلالة اللفظية والنحوية وحدود التأويل، ضمن كتاب جماعي بعنوان: اللغة والمعنى (مقاربات في فلسفة اللغة)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، ص2010.
213. المسدي عبد السلام، التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط2، 1986.
214. العربية والإعراب، مركز النشر الجامعي، تونس، ط2، 2003.
215. المسيري منير محمود، دلالات التقديم والتأخير في القرآن الكريم، دراسة تحليلية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 2005.
216. مصطفى إبراهيم، إحياء النحو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ط2، 1992.
217. مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، مصر، ط1، 1997.
218. مصطفى غلفان، اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2010.
219. مصطفى محمد إبراهيم محمد، القيمة الدلالية لحركات الإعراب بين القدماء والمحدثين، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2012.
220. مصلوح سعد، العربية من نحو الجملة إلى نحو النص، كتاب تذكاري "الأستاذ عبد السلام هارون معلما ومؤلفا ومحققا"، جامعة الكويت، 1990.
221. معراجي عمر، النص بين الدلالة والتداول، منشورات دار القدس العربي، وهران، الجزائر، ط2، 2011.
222. مفتاح محمد، دينامية النص (تنظير وإنجاز)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط2، 1990.

223. التشابه والاختلاف (نحو منهجية شمولية) المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996.
224. التلقي والتأويل (مقاربة نسقية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2001.
225. مكرم عبد العال سالم، اللغة العربية في رحاب القرآن الكريم، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1995.
226. شرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف لمسعود بن عمر سعد الدين تفتزاني، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط8، 1997.
227. ملاحى علي، المجرى الأسلوبى للمدلول الشعري العربي المعاصر، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007.
228. الملاح أحمد، الزمن في اللغة العربية (بنياته التركيبية والدلالية)، دار الأمان، الرباط، ط1، 2009.
229. الملاح حسن خميس سعيد، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000.
230. مندور مصطفى: اللغة بين العقل والمغامرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ط1، 1974.
231. المنصف عاشور، بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، دط، 1991.
232. ظاهرة الاسم في التفكير النحوي (بحث في مقولة الاسمية بين التمام والنقصان)، سلسلة اللسانيات، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، ط2، 2004.
233. منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، دراسة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2001.

234. منير سلطان، بديع التراكيب في شعر أبي تمام، الكلمة والجملة، ج1، منشأة المعارف، الإسكندرية، ط3، 1997.
235. المهيري عبد القادر، نظرات في التراث اللغوي العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1993.
236. أبو موسى محمد محمد، دلالات التراكيب (دراسة بلاغية)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1987.
237. موسى محمد حسنين، التصوير البياني (دراسة تحليلية لمسائل البيان)، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1993.
238. ميشال زكرياء، الأسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الأسنية)، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1986.
239. ناصف علي نجدي، من قضايا اللغة والنحو، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مصر، ط1، 2016.
240. نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط6، 2001.
241. إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي، الدار البيضاء، المغرب، ط6، 2001.
242. النعمان طارق، اللفظ والمعنى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 2003.
243. النعمة مقبول علي بشير، الاتساع في المعنى، دراسة في جزء عم يتساءلون، عالم الكتب، إربد، الأردن، ط1، 2011.
244. نهر هادي، النحو القرآني الدلالي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008.
245. علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 2011.

246. هدى صلاح رشيد ، تأصيل النظريات اللسانية الحديثة في التراث اللغوي عند العرب، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015.

247. هندايوي عبد الحميد أحمد، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، دراسة نظرية تطبيقية، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2008.

248. الودرني أحمد، قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن 13هـ/م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، دط، 2004.

249. الوعر مازن، قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث، مدخل، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط1، 1988.

250. آل ياسين محمد حسين، الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1980.

251. يقطين سعيد، انفتاح النص الروائي (النص والسياق)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، دط، دت.

II. الكتب المترجمة:

252. برجشتراسر، التطور النحوي، تر: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1994.

253. بول ريكور، من النص إلى الفعل، تر: محمد برادة وحسان بورقية، عين للدراسة والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2001.

254. بيير جيرو، الأسلوبية، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، حلب، ط2، 1994.

255. تودوروف تزفيطان، الأدب والدلالة، تر: محمد نديم خشفة، مركز الإنماء الحضاري للدراسة والترجمة والنشر، حلب، ط1، 1996.

256. تون أ. فان دايك، علم النص (مدخل متداخل الاختصاصات)، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 2001.

257. جوزيف فندريس، اللغة، تر: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ع1989، دط، 2014.
258. جوليا كرستيفا، علم النص، تر: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2014.
259. جون لاينز، علم الدلالة، تر: مجيد عبد الحليم الماشطة، حليم حسين فالح، كاظم حسين باقر، مطبعة جامعة البصرة، العراق، دط، 1980.
260. دي بوجراند روبرت، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998.
261. رومان ياكبسون، ست محاضرات في الصوت والمعنى، تر: حسن ناظم وعلي حاكم صالح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994.
262. ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، دط، 1975.
263. ف.ر. بالمر، علم الدلالة إطار جديد، تر: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 1995.
264. فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، تر: يؤتيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد، دط، 1985.
265. لوينر سبستيان، علم الدلالة (مدخل)، تر: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط1، 2011.
266. ماريو باي، أسس علم اللغة، تح: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998.
267. نعوم تشومسكي، البنى النحوية، تر: يؤيل يوسف عزيز، منشورات عيون، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1987.
268. هنري فليش، العربية الفصحى (دراسة في البناء اللغوي)، تر: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، المنيرة، ط2، 1997.

III. المعاجم والقواميس:

269. أبو الفضل جمال الدين بن محمد المكرم (ابن منظور ت711هـ)، لسان العرب، ج1، ج4، ج13، دار صادر، بيروت، دط، دت.

270. شعبان عبد العاطي وآخرون، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004.

271. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، (ت816هـ)، معجم التعريفات (قاموس لمصطلحات وتعريفات علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو والصرف والعروض والبلاغة)، حققه: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، دط، دت.

272. اللبدي محمد سمير نجيب، معجم المصطلحات النحوية والصرفية، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1985.

273. محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، ج10، تح: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، دط، 1965.

IV. المجلات والدوريات:

274. إبراهيم صفا فيصل، الشكل والمعنى في بناء المصطلح النحوي (دراسة في جملة من مصطلحات النحو العربي)، مجلة الآداب، قسنطينة، الجزائر، ع08، 2005.

275. استيتية سمير شريف، الإعراب والعربية صوتيا ودلاليا بين القديم والحديث (مقاربة لسانية)، حوايات الآداب والعلوم الاجتماعية، ع34، الرسالة 392، جامعة اليرموك، الأردن، دط، 2013.

276. خطابي محمد، لسانيات النص وتحليل الخطاب، محاولة تساؤل وتدقيق، مجلة علاقات، مكناس، المغرب، ع41، 2014.

277. شقروش عبد السلام، هيرمونيطقا الخطاب الصوفي، المرجعية والإنتاج، مجلة الخطاب الصوفي، ع01، جامعة الجزائر، 2007.

278. شنوقة السعيد، في الأسس العامة لتحليل الجملة عند العرب، مجلة التواصل، جامعة عنابة، ع08، 2001.

279. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، مجلة عالم المعرفة، ع164، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1982.

280. عليان يوسف سليمان، النحو العربي بين نحو الجملة ونحو النص، مثل في كتاب سيبويه، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مج07، ع01، 2011.

281. فيدوح عبد القادر، ملامح الحداثة والتجريب في الشعر الجزائري، مجلة الكاتب الجزائري، اتحاد الكتاب الجزائريين، الجزائر، ع01، 1996.

282. كعوان محمد، اللغة الصوفية بين الدلالة المعجمية والدلالة السياقية، قراءة في الخطاب الشعري الجزائري المعاصر، مجلة منتدى الأستاذ، ع02، قسنطينة، الجزائر، 2006.

283. المسدي عبد السلام، تجديد النحو، أبعاده وحدوده، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر، ع16، 2012.

284. المنصف عاشور، "من المعاني النحوية في اللسانيات العربية"، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ع135، 136، 1982.

285. نظرية العامل ودراسة التركيب، مجلة صناعة المعنى وتأويل النص، منشورات كلية الآداب، مج08، منوبة، تونس، 1992.

286. المهيري عبد القادر، مساهمة في التعريف بأراء عبد القاهر الجرجاني في اللغة والبلاغة، حوليات الجامعة التونسية، ع11، 1974.

287. النعيمي زينب مديح جبارة، الدلالة النحوية بين القدامى والمحدثين، مجلة واسط للعلوم الانسانية، العراق، مج05، ع12، 2009.

V. الرسائل الجامعية:

288. بابو غياث محمد، الجملة الإنشائية بين التركيب النحوي والمفهوم الدلالي، أطروحة دكتوراه، جامعة تشرين، سوريا، 2009/2008.

قائمة المصادر والمراجع:

289. سخيني هشام محمد علي، نظام الفعل في اللغة العربية، أطروحة ماجستير في الآداب، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1994.
290. عالية أكرم، الدلالة النحوية بين وجهي رفع الاسم ونصبه في القراءات القرآنية، دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، الجامعة الإسلامية العالمية، إسلام آباد، باكستان، 2004.
291. معين محمد عامر، الدلالة ونظرية النحو العربي، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 1997.

ملحق بسيرة
عبد الله حمادي



الدكتور عبد الله حمادي من مواليد 10 مارس 1947، قضى طفولته التي طبعها البؤس والفقر والاحتياج في إحدى القرى قرب الحدود الجزائرية بأرض تونس التي هاجرت إليها عائلته هربا من الحرب وهربا من النار التي أكلت الكوخ والذخيرة والحيوان كما صرح بذلك في حوار لجريدة النصر سنة 2000، في هذه القرية نطق أيضا بأول حرف في المدرسة وكان ذلك سنة 1954.

التحق بثانوية "الفرانكو-إسلامية" بقسنطينة في الستينات وتحديدا سنة 1962 والتي كان نصيب العربية فيها هزيلا جدا ليتخرج منها سنة 1968 ويلتحق بمهنة التعليم التي لم يداوم عليها ليعود ثانية إلى مدارج العلم وهذه المرة في جامعة قسنطينة في معهد الآداب من سنة 1969 إلى غاية سنة 1972 هذا المعهد الذي عرف في تلك الفترة وفود الكثير من أعلام الأدب المشاركة أمثال الدكتور عمر الدسوقي والدكتور علي عبد الواحد وافي والدكتور نبيه حجاب وغيرهم من النقاد والأدباء، بعد إتمامه لمرحلة التدرج التحق بجامعة غرناطة بين سنتي 1972 و1976 أين حصل على شهادة الماجستير ثم في جامعة مدريد المكملة فيما بعد في مطلع سنة 1976 التي أعد بها رسالة دكتوراه في الأدب حول الشعر في مملكة غرناطة حيث ناقشها في 16 جوان 1980 أمام لجنة من كبار الأساتذة وبحضور متميز كان في طبيعته الشاعر الكبير عبد الوهاب البياتي. بعد سنة 1980 التحق بجامعة قسنطينة أستاذا محاضرا في معهد اللغات الأجنبية وأستاذا زائرا بكلية الآداب بجامعة الأمير عبد القادر الإسلامية والمدرسة العلية للأساتذة وجامعة وهران. يعمل أستاذا للتعليم العالي لمادة الأدب بجامعة منتوري قسنطينة إلى غاية يوم الناس هذا.

تنوعت أعماله بين الشعر والترجمة والدراسات التاريخية والنقدية والدراسات الأندلسية والإسبانو-أمريكية، حيث نشر أكثر من 100 بحث في الجرائد والمجلات والدوريات العلمية وأكثر من 27 كتاب ما بين إبداع وترجمة ودراسات حاز على جائزة مؤسسة سعود البابطين للإبداع الشعري المخصصة لأفضل ديوان في الشعر العربي في دوره أكتوبر 2002 على ديوانه الشعري الموسوم بـ"البرزخ والسكين".

فهرس الأشكال

الصفحة	العنوان	الرقم
13	أصولية البنية الدلالية في جميع التراكيب	01
17	البناء النحوي وتأليف المعنى يقعان بشكل متواز	02
18	العلاقة بين المعنى المعجمي والمعنى النحوي	03
22	العلاقات النحوية بين مكونات التركيب	04
46	العلاقات القائمة بين المعاني والفكر عند عبد القاهر الجرجاني	05
49	دور العلاقات النحوية في تحديد دلالة العلامات النحوية عند الجرجاني	06
79	مكونات النظرية المعيارية عند تشومسكي	07
80	بنية النحو في النظرية المعيار لتشومسكي	08
83	التعديلات اللسانية على النظرية النموذجية لتشومسكي 1972م	09
87	بنية النموذج المعدلة في الدلالة التوليدية	10
106	الصورة البنيوية للنمط التركيبي للنداء محذوف أداة النداء (يا)	11
115	تركيب الكلمة في اللغة العربية	12
140	تصنيف الكلم عند تمام حسان	13
178	غياب الدلالة في نموذج تشومسكي الأول	14
179	موقع المكون التركيبي والدلالي للنظرية النموذجية المعدلة لتشومسكي	15
201	التقديم والتأخير في سياق القصر والاستثناء ب(إنما).	16
224	التحويل بالإضافة في التراكيب	17
229	نموذج إنتاج النص عند جون هايز وليندا فلاور	18
235	آليات الخطاب وقواعده في الدراسات اللغوية المعاصرة	19
237	تمثيل البنية الكبرة للنص عند فاين دايك	20
239	أنواع السياق عند تمام حسان	21
240	أنواع السياق في الدرس اللساني المعاصر	22
250	دور التخاطب عند العلماء العرب كما تصورهما الحاج صالح عبد الرحمن	23
255	وظائف التواصل اللساني عند ياكبسون	24
270	المقولات النحوية والدلالية في التحليل النصي المعاصر	25

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

إهداء

مقدمة.....أ-ي

مدخل: مباحث في الدلالة النحوية

1. الدلالة النحوية والبحث اللغوي.....12
2. مفاهيم الدلالة النحوية.....20
3. تعدد المعنى النحوي الدلالي.....27
4. حدود دلالة الكلمة من المعجم إلى التركيب.....29

الفصل الأول: المقاربة التراثية والمعاصرة للدلالة النحوية

1. المقاربة التراثية للدلالة النحوية.....34
 - 1.1. أهمية اللفظ والمعنى.....34
 - 1.1.1. رأي اللغويين المعاصرين في العلاقة بين اللفظ والمعنى.....36
 - 2.1.1. الاشتقاق الكبير.....38
 - 2.1. الدلالة النحوية في نظرية النظم.....43
 - 3.1. القرآن والدلالة النحوية.....50
 - 1.3.1. خصائص العربية قبل نزول القرآن الكريم.....50
 - 2.3.1. خصائص العربية بعد نزول القرآن الكريم.....51
 - 3.3.1. وضع النحو العربي.....53
 - 4.1. الدلالة النحوية القرآنية.....55
 - 1.4.1. الدراسات الدلالية الأولى عند العرب.....55
 - 2.4.1. علم النحو والتراكيب القرآنية.....57
 - 3.4.1. النحو القرآني الدلالي.....60

63	5.1. الدلالة النحوية بين الحقيقة والمجاز
70	2. المقاربة المعاصرة للدلالة النحوية
70	1.2. الدلالة النحوية بين الاعتباطية والعقلانية
75	2.2. ظاهرة التعدد في الدلالة النحوية
84	3.2. الدلالة التوليدية
85	1.3.2. التناقض الداخلي
86	2.3.2. مميزات الدلالة التوليدية
88	4.2. الدلالة النحوية في النحو العرفي
88	1.4.2. الدلالة العرفية
90	2.4.2. المنطلقات الاستمولوجية
90	3.4.2. الصعيد اللغوي
92	4.4.2. بعض مشاكل الدلالة التوليدية

الفصل الثاني: الدلالة النحوية في المستوى الإفرادي

95	1. مباحث في اللفظ والمعنى الإفرادي
95	1.1. طبيعة المعنى الإفرادي
95	1.1.1. الدلالة الإفرادية
97	2.1.1. الدلالة اللفظية
98	3.1.1. الدلالة المعجمية
98	4.1.1. المفردات المضافة
100	5.1.1. الألفاظ الصوفية
102	6.1.1. النداء
106	2.1. أثر السياق في دلالة اللفظ
110	3.1. البناء بين اللفظ والمعنى

116	2. الدلالة النحوية في المستوى الصوتي
116	1.2. علاقة الصوت بالدلالة
118	1.1.2. مطل الصوت ودلالته
119	2.1.2. التكرار
120	1.2.1.2. التكرار الاستهلاكي
121	2.2.1.2. التكرار الختامي
122	3.2.1.2. تكرار تراكمي (لا شعوري)
122	2.2. الدلالة النحوية للعلامة الإعرابية في الأسماء
126	1.2.2. دلالة الرفع
128	2.2.2. دلالة النصب
131	3.2.2. دلالة الجر
132	3.2. الدلالة النحوية للعلامة الإعرابية في الأفعال
135	1.3.2. دلالة الرفع
137	2.3.2. دلالة النصب
139	3.3.2. دلالة الجزم
140	3. الدلالة النحوية في المستوى الصرفي
141	1.3. دلالة أقسام الكلم
141	1.1.3. دلالة الأسماء
144	2.1.3. دلالة الأفعال
148	3.1.3. دلالة الحروف
151	2.3. دلالة الصيغ الصرفية
154	1.2.3. البنية الصرفية للفعل وعلاقتها بالمعنى
155	1.1.2.3. أوزان الفعل المجرد

158.....	2.1.2.3. أوزان الفعل المزيد ودلالاتها
164.....	2.2.3. البنية الصرفية للاسم وعلاقتها بالمعنى
164.....	1.2.2.3. أبنية المصادر
166.....	2.2.2.3. أبنية المشتقات

الفصل الثالث: الدلالة النحوية في المستوى التركيبي

172.....	1. مباحث الدلالة النحوية التركيبية
172.....	1.1. مفهوم الدلالة التركيبية
173.....	2.1. الدلالة التركيبية في التراث
175.....	3.1. الدلالة التركيبية في الدراسات المعاصرة
177.....	4.1. علاقة التركيب بالدراسة في الاتجاه التوليدي التحويلي
177.....	1.4.1. منوال الأبنية النحوية
179.....	2.4.1. منوال النظرية النموذجية
180.....	5.1. خصائص الدلالة التركيبية
180.....	1.5.1. نظام العلاقات النحوية أو العمل (نظام التعليق)
181.....	2.5.1. النظريات غير الأساسية
182.....	1.2.5.1. الأنظمة التكميلية
182.....	2.2.5.1. الأنظمة البديلة
183.....	3.2.5.1. مفاهيم الأنظمة المتداخلة
183.....	6.1. أثر التركيب في الدلالة
188.....	2. التقديم والتأخير
189.....	1.2. التقديم والتأخير في سياق الإثبات
189.....	1.1.2. تقديم المبتدأ على الخبر وتأخيره عنه
192.....	2.1.2. تقديم الفاعل على الفعل وتأخيره عنه

193.....	1.2.1.2. التخصيص
193.....	2.2.1.2. التنبيه والتوكيد
194.....	2.2. التقديم والتأخير في سياق النفي
195.....	1.2.2. تقديم الفعل على الفاعل وتأخيره عنه
197.....	2.2.2. تقديم الفعل على المفعول وتأخيره عنه
199.....	3.2. التقديم والتأخير في سياق القصر والاستثناء بـ(إنما)
201.....	4.2. التقديم والتأخير في سياق الاستفهام
204.....	3. الدلالة النحوية للذكر والحذف
205.....	1.3. ذكر المبتدأ وحذفه
209.....	2.3. ذكر الفعل والفاعل وحذفهما
211.....	3.3. حذف المفعول به
212.....	4.3. الحذف للعموم
213.....	5.3. ذكر المفعول للتقرير
214.....	4. الدلالة النحوية للفصل والوصل
216.....	1.4. الفصل في التراكيب التي لها محل من الإعراب
219.....	2.4. الفصل في التراكيب التي لا محل لها من الإعراب
221.....	3.4. الوصل في التراكيب التي لها محل من الإعراب
223.....	4.4. الوصل في التراكيب التي لا محل لها من الإعراب
الفصل الرابع: الدلالة النحوية في المستوى الخطابي	
227.....	1. الدلالة النحوية من الجملة إلى النص/الخطاب
227.....	1.1. مدخل (الجملة والنص والخطاب)
230.....	2.1. نحو النص في اللسانيات المعاصرة
230.....	1.2.1. مفهوم النحو النصي

233.....	2.2.1. الحاجة إلى وضع نحو النص
236.....	3.2.1. نماذج من الوصف النصي
236.....	1.3.2.1. النموذج القواعدي
236.....	2.3.2.1. النموذج الدلالي
238.....	3.3.2.1. النموذج التداولي
240.....	3.1. نحو النص في الدرس العربي التراثي
243.....	4.1. الدلالة النصية
245.....	2. عناصر الخطاب وأساسياته
245.....	1.2. مفهوم الخطاب
246.....	2.2. عناصر الخطاب
247.....	1.2.2. الخطاب
250.....	2.2.2. المخاطب
252.....	3.2.2. المخاطب
254.....	3.2. الأنماط الخطابية
257.....	1.3.2. دلالة الخطاب الإخباري
257.....	1.1.3.2. الخطاب الإخباري العادي
260.....	2.1.3.2. الخطاب الإخباري الانفعالي
262.....	2.3.2. دلالات الخطاب الطلبي
262.....	1.2.3.2. الخطاب الأمري ودلالاته
264.....	1.2.3.2. الخطاب الندائي
266.....	3.2.3.2. الخطاب الدال على العرض والتحضيض
268.....	3. الدلالة النحوية للخطاب الشعري المعاصر
268.....	1.3. الخطاب ودلالاته

273	2.3. أثر المجاز في دلالة الخطاب
277	3.3. دلالات الانزياحات الخطابية
279	1.3.3. الانزياح الموضوعي
281	2.3.3. الانزياح التوسعي
283	3.3.3. الانزياح الوظيفي
287	خاتمة
295	قائمة المصطلحات اللسانية
297	قائمة المصادر والمراجع
325	ملحق بسيرة عبد الله حمادي
327	فهرس الأشكال
329	فهرس المحتويات
	الملخص باللغة العربية
	الملخص باللغة الإنجليزية

المخلص

اشتمل هذا البحث على أسس ثلاثة: "الدلالة النحوية"، "الأبنية التركيبية"، ديوان "البرزخ والسكين" لكل منها ارتباطها الوثيق به، مثلت منطلقات البحث وركائزه. واختصت دراستنا بتعلق الألفاظ بعضها ببعض (وهي فكرة محورية في جميع الدراسات النحوية)، وما يرتبط بذلك التعليق من تغيير، ولكن ليس على مستوى المعنى الوظيفي الأول والأساسي، ولكن على مستوى خروج ذلك التعلق عن أصله، وما يتطلبه من درس وتعليل وتفسير لما فيه من معاني بعيدة وأغراض مقصودة تسهم في تحقيق أهداف البحث الآتية:

- ضرورة الربط بين النحو والدلالة في مستويات الكلام (الكلمة، الجملة، النص، الخطاب).
 - أهمية الموروث العلمي واللغوي التراثي في موضوع الدلالة النحوية وضرورة الاستفادة منه.
 - مدى تلاؤم التراكيب النحوية في ديوان "البرزخ والسكين" لمعطيات الجانب النظري تطبيقياً.
- ولتحقيق تلك الأهداف جاء بحثنا مكوناً من مدخل وأربعة فصول وخاتمة اشتملت على مجموعة من النتائج، خصصنا المدخل للبحث في الدلالة النحوية وارتباطها بالبحث اللغوي، وبدأنا بتوضيح حتمية ارتباط معاني التراكيب بأنظمة النحو وتبيان قصور فكرة توقف النحو على مجموعة من العمليات النظرية والذهنية، ما يؤكد قدم العلاقة بين النحو والدلالة، وفائدة النحو في تحليل النصوص والوصول إلى الدلالات المقصودة، وتطلب منا تعدد مصطلحات (الدلالة النحوية) التي تعبر عن مفهوم واحد توضيحاً شرحنا جوانبه عند كثير من الدارسين، لنصل إلى نتيجة هامة أن الدلالة النحوية من أهم آليات التأويل خاصة عند احتمال التراكيب معاني متعددة.

جاء الفصل الأول مفصلاً لما ورد في المدخل عبر المقاربتين التراثية العربية والغربية المعاصرة لموضوع الدلالة النحوية، بدراسة أهم الجوانب البحثية عند كل من الطرفين كالدراسات المتعلقة باللفظ والمعنى، والدلالة النحوية في نظرية النظم، والدلالة النحوية القرآنية، والدلالة النحوية الحقيقية والمجازية عند الطرف الأول، والاعتباطية والعقلانية، وظاهرة التعدد، والأنحاء الشكلية، والدلالة النحوية في النحو العرفني وما قدمه من إضافات لموضوع الدلالة النحوية عند الطرف الثاني.

في الفصل الثاني أوضحنا جوانب الدلالة النحوية في المستوى الإفرادي من خلال دراسة مباحث محورية كطبيعة اللفظ الإفرادي، وتوضيح أثر السياق في دلالة اللفظ، وبناء الكلمة بين اللفظ والمعنى، ودلالة العلامات الإعرابية على المعاني، كما لقي المستويان الصوتي والصرفي حظهما من الجانب البحثي.

يعتبر الفصل الثالث أهم فصول البحث، بدئ فيه بإبراز مفهوم الدلالة التركيبية وخصائصها من خلال مباحث التقديم والتأخير، ومعالجة ظاهرة الحذف والذكر، إضافة إلى الدلالات النحوية للفصل والوصل في تراكيب الديوان المدروس. تمت توسعة مجال هذا البحث في الفصل الرابع إلى المستوى الخطابي باعتباره مكملًا هامًا لا غنى عنه موضحًا جوانب أعم لا ترتقي إليها مباحث الأجزاء الأخرى، فعالجنا التداخل الحاصل بين الجملة والنص والخطاب والتباين في مفاهيمها، ليلقى مفهوم الخطاب اهتمامًا استثنائيًا لمحوريتة ولارتباطه بالمباحث اللاحقة مثل الدلالة النحوية للأنماط الخطابية (الخبرية والطلبية)، وأثر المجاز في دلالة الخطاب.

وفي نهاية هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي استهدف البحث تحقيقها في بدايته كإجابة مشروعة على إشكالياته التي اتسم بعضها بالخصوص مرتبطة بالمادة المدروسة في المباحث الفرعية وبعضها اتصف بصفة العمومية توظيفًا واستثمارًا للجهد البحثي من زاوية أعم.

Abstract:

The present research includes three foundations: «grammatical significance», «synthetic structures», and «Diwan of Al-Barzakh and Al-Sekin» (Interstice and Knife divan). It is closely related to the research and represents its pillars. Words in this study are related to each other (it is a central idea in all grammatical studies), and the change associated to this relation, not at the first and primary functional meaning, but out from its origin, which required study, explanation, and interpretation of what it contains deep meanings and intended purposes that contribute to achieve the following research objectives:

- The importance of linking grammar and significance in the levels of speech (word, sentence, text, discourse).
- The importance of the scientific, linguistic and traditional patrimony in the topic of grammatical significance and the need to benefit from it.
- The suitability of grammatical structures in the « Diwan of Al-Barzakh and Al-Sekin » with the theoretical side in practice.

To achieve these goals, our research consisted of an introduction, four chapters and a conclusion of results. In the introduction, we talk about the grammatical significance and its relation to the linguistic research. We begin to clarify that meanings of the structures and grammar systems must be related together and to show the fact that grammar depends on a set of theoretical and mental processes is not correct. That confirms the traditional relationship between grammar and significance, and grammar is useful in analyzing texts and reaching the intended indications. Due to the multiplicity of terms (grammatical significance) that express one concept, we have explained its aspects to many scholars, to reach an important conclusion that the grammatical significance is one of the most important mechanisms of interpretation, especially when structures may have multiple meanings.

The first chapter details what is mentioned in the introduction through the traditional Arab and the contemporary Western approaches to the topic of grammatical significance, by studying the most important aspects of research, such as studies related to word and meaning, grammatical significance in systems theory, Quran grammatical significance, true and metaphorical grammatical significance according to the first party, arbitrary and rationality, pluralism, formal parts, and grammatical significance in the cognitive grammar and its additions to the topic of grammatical significance according to the second party.

Abstract:

In the second chapter, we clarify the aspects of the grammatical significance at the single level by studying pivotal topics such as the nature of the single word, and clarifying the effect of the context on the meaning of the word, and building the term between the word and meaning, and the significance of the expressive signs on meanings. The phonetic and morphological levels are also mentioned in this research.

The third chapter is the most important chapter of the research, in which we highlight the concept of syntactic significance and its characteristics through the topics of advancing and delaying, mention and deletion phenomenon, in addition to the grammatical significances of separation and linking in the structures of the studied divan. In this chapter, research is expanded to reach the discursive level as an important and indispensable complement that clarifies general aspects : the overlap between the sentence, the text and the discourse and the variation in its concepts. The discourse has an exceptional interest due to its centrality and its connection to the followed sections such as grammatical significance of the discursive patterns (predicate and demand), and the effect of metaphor on discourse significance.

At the end of this study, a set of results is reached as an answer to its problematics, some of them are, in particular, related to what we have studied in the sub-sections, and some of them are, in general, invested efforts from a more general angle.